محاورات أفلاطون

المجلد الثالث

أفلاطون

المحاورات الكاملة



أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلد الثالث

محاورة إيون
محاورة بروتاغوراس
محاورة يوثيديموس
محاورة مينون
محاورة يوثيفرو
محاورة أبولوجي
محاورة كريتون
محاورة فيدون

نقلها إلى العربية
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

بَيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهليّة للنشر والتوزيع
بَيروت - الحَمراء، بنَايَة الدُورَادو
ص.ب.: ١١٣٥٤٣٣ - هَاتف: ٣٥٤١٥٧

المحتويات

محاورة إيون

افكار المحاورة الرئيسيَّة

إيون، راوي القصائد الملحميَّة المحترف، وصل لتوِّه إلى أثينا، بعد أن حضر احتفالاً في مدينة آيسيكلوبيوس، حيث أقام الأبودوريون مباراة لرواة القصائد الملحميَّة المحترفين تكريماً له، وهو عازم على أن يقيم احتفالاً آخر في البانثيناي وسينتصر فيه كما انتصر في سابقه. يُعجب سقراط بمهنة الراوي ويحسده لأن من متمّمات فنّه أن يرتدي الثياب الجميلة ويظهر بمظهرٍ حسن. بالإضافة إلى ذلك فهو في صحبة أهمّ الشعراء وعلى رأسهم هوميروس، أميرهم وأفضلهم وأكثرهم إلهيّة.

وبعد عدة أسئلة، وجّهها إليه سقراط، يعترف إيون بأنّه يفهم ما في عقل هوميروس أفضل من أيّ إنسانٍ آخر، بالإضافة لِمَا قاله عن ظهر قَلب، ويقدر أن يشرح كلّ ما في أشعار هوميروس بشكل جيد لمن يريد سماعها، وهذا الإيضاح ليس بالعمل السهل على أية حال. ثم يسأله سقراط، إن كان يعرف أن يتكلم عن هيسيود وأرخيلوخيوس، أو أنّ فنّه لا يتعدّى نطاق هوميروس. ويجيب بأنّه يختصّ بهوميروس فقط، غير أنّه يستطيع أن يوضح ما يقوله هيسيود كذلك، فهما يتفقان في معان عديدة من أفكارهما. وهل تعتقد بأنّك تقدر على إيضاح المسائل التي لا يتّفقان فيها بشأن الألوهيَّة أنت أو نبيٌّ، يا إيون؟ لا، يا سقراط، النّبي سيكون إيضاحه وتفسيره أفضل. لكن كيف حصلت على هذه البراعة عن هوميروس فقط وليس عن هيسيود وبقيّة الشعراء، مع أنهم يغنُّون الشيء عينه ويطرحون المواضيع نفسها؟ نعم، يا سقراط، لكنّهم يغنُّونها بطريقة أسوأ ممّا يفعله هوميروس بطريقته الأفضل. لكن ، يا إيون، عندما يبحث أناس كثيرون في علم العدد، وواحد منهم

يتحدث أفضل من الباقين، فهناك شخص ما هو الذي يستطيع أن يحكم أيّهم المتكلم البارع وأيّهم السيء، وهذا الشخص هو الذي يعرف علم الحساب. وينطبق هذا على الغذاء والطب وعلى كل الأشياء الأخرى.

لكن هل تقدر أن تخبرني، يا سقراط، لماذا عندما يتكلم أيّ شخص عن هوميروس أستيقظ حالاً وكلّي انتباه، وعندي الكثير لأقوله؟ إنّ سبب ذلك، يا إيون، هو أنّك تتكلّم عن هوميروس بدون فنّ أو معرفة، وإذا كنت قادراً أن تتحدث عنه بقواعد فنيَّة، فستتمكّن من التكلم عن الشعراء الآخرين لأنّ الشّعر هو كلٌّ لا يتجزأ. أمّا سبب ذلك فسأوضحه لك. إنّ موهبتك للتكلّم جيداً عن هوميروس ليست فنّاً، بل إنها إلهام، وكذلك فإنّ الشعراء كلّهم لا يؤلّفون قصائدهم الجميلة بالفنّ، إلا لأنّهم ملهمون وممسوسون. إنّ الشاعر شيء لطيف ومجنَّح وقِدّيس، ولا إبداع فيه حتى يُلهم ويُجرَّدُ من أحاسيسه، وتحمله على التكلّم بما يقول آلهة الشّعر بقوّة إلهيَّة. لكن إذا ما تعلم الشاعر وفق قواعد قانون فسيعرف كيف يتكلم ليس بلحنٍ واحدٍ فقط، بل بها كلها. لذلك فإنّ الله يسلب العقل من الشعراء، ويستخدمهم كممثليه، كما يستخدم أيضاً وسطاء الوحي والأنبياء الأتقياء، وهم ينطقون بكلماتٍ بالغة النفاسة. أمّا القصائد الجميلة فليست إنسانيّة، ولا من صنع الإنسان، بل هي إلٰهيَّة والله صانعها. إنّ الشعراء هم مفسّرو الآلهة والمتكلّمون من قِبلهم كُلٌّ بمفرده. أليس هذا هو الدرس الذي قصد الله أن يعلّمه عندما غنَّى بفم أسوأ الشعراء أفضل الأغاني؟

إنّك محقّ، يا سقراط، فيما تقول. لكن، يا إيون، يا رواة القصائد الملحمية المحترفين، هل أنتم مفسّرو الشعراء؟ وما دمتم كذلك فأنتم إذن مفسرو المفسرين. أمّا براعتك في ثناء هوميروس والاهتمام به فذلك لا يأتي من فنٍّ بل من إلهام إلهي. لكنّني أنكر ما تقوله، يا سقراط، بأنّني أُثني على هوميروس عندما أكون مجنوناً وممسوساً، غير أنّك إذا قدرت على سماع كلماتي فإنّي لمتأكدٌ بأنّك ستغيّر رأيك

هذا. أريد أن أسمعك بكلّ تأكيد، يا إيون، لكن في أيّ قسم تتكلّم جيّداً عن هوميروس؟ إنّك لا تتكلّم عن كل قسم بالتأكيد. بل أستطيع أن أثبت لك، يا سقراط، بأنّني أتكلم جيّداً عن كلّ قسم من أعمال هوميروس. وهل تعرف مثلاً ما يقوله هوميروس بشأن قيادة العربات، أو الطبّ، وعن أيّ فن آخر أكثر ممّا يعرفه قائد العربات والأطبّاء، والعارفون الآخرون بفنّهم؟ إذ إن راوي القصائد الملحمية المحترف يختلف معرفة عن تلك الفنون. وما يُقال عن تلك المقاطع، يُقال عن المقاطع التي تختصّ بالنبيّ وفنّ النبوّة، والتي أستطيع أن أخبرك عنها، بدقّة، يا إيون.

والآن بعد أن اخترت أنا تلك المقاطع وعزوتُها لفنون مختلفة، أريدك أن تختار لي مقاطع أخرى تختصّ بفنّ الراوي هذا، والتي يجب أن يجود بها ويحكم عليها راوٍ مثلك، أفضل ممّا يحكم عليها الرجال الآخرون.

أؤكّد لك، يا سقراط، أنّ فنّ الراوي هو فنّ القائد العسكري وهما لا يختلفان في هذا المجال. وكذلك، أستطيع أن أثبت لك بأنّني أفضل قائد عسكريّ في هيلاس كلها.

إذا كان ما تقوله صدقاً، يا إيون، فلماذا تجوب هيلاس كلّها راوياً القصائد الملحميّة ولا تنخرط في صفوف الجيش وتبرز فيه كأهمّ قائدٍ عسكريّ، إذ إنّ هيلاس بحاجة لقائدٍ عسكريٍ لامعٍ وفذّ مثلك؟ فما الذي يمنعك من تحقيق ذلك؟

إنّ سبب ذلك، يا سقراط، هو أن رجال بلادي، الأفسينيانز، هم خدم أثينا وجنودها، وليسوا بحاجة لقائد عسكريّ، وأنكم واسبارطة لا يلزمكم مثل هذا القائد على الأرجح، لأنّكم تعتقدون بأنّ عندكم قادة عسكريين بما فيه الكفاية.

ألم تسمع، يا إيون، عن أبولودوروس من سوزيكوس، إنّه غريب عن أثينا، وقد اختاره الأثينيون قائداً لهم، وكذلك فعلوا بفانوسثينس من أندروس، وهيراكلايدس من كلازومينيا مع أنّهما غريبان عنها، لكنّهما جديران بفنّ قيادة الجيوش. فلماذا اختاروا هؤلاء وغيرهم، ولم يختاروك، يا إيون، إذا حسبوك مؤهّلاً لذلك؟ ألستم

أنتم أثينيين في الأصل ومدنيتك ليست مدنية عاديّة؟ لكنّك إذا كنت محقّاً في قولك بأنّك تقدر أن تثني على هوميروس بالفنّ والمعرفة، فأنت لا تتعامل معي بعدل، لأنّك بعد تخصصك بمعرفة أشياءَ عديدة ومجيدة عن هوميروس، ووعودك بأنّك ستعرضها لي، فما أنت إلاّ خادعٌ لي فقط، وبعيدٌ جدّاً عن غرض الفنّ الذي أنت فيه سيّد، ولن تشرح لي طبيعة هذا الفنّ بعد توسّلاتي المتكرّرة. أنت تفترض بالحرف أشكالاً متعدّدة مثل بروتيوس، تتلوّى إلى أعلى وإلى أسفل حتى تفلت مني أخيراً، متخفّياً بثياب قائد عسكري، كي تتمكّن من الهرب، ولا تعرض معرفتك الهوميريّة المكتسبة. وإذا كان لديك فنّ، كما تقول، فأنت لا تتعامل معي بعدل. لكن إذا لم تمتلك هذا الفنّ، كما أعتقد، بل تتكلّم بهذه الكلمات الجميلة عن هوميروس غير دارٍ تحت تأثيره الملهم، فإني أُبرّئك حينئذ من تهمة التّضليل، وسأقول بأنّك مُلهَمٌ فقط.

أيّهما تفضّل، أن تكون مُلهَماً، أو مضلّلاً؟

هناك فرق كبير بين الخيارين، والإلهام هو الأنبل بمسافة كبيرة، يا سقراط.

سأفترض لك الخيار الأنبل، وأنسب لك الإلهام في ثنائك على هوميروس، وليس الفنّ.

محاورة إيون

اشخاص المحاورة

سقراط إيون

سقراط: أهلاً وسهلاً، يا إيون، هل أنت مواطن من مدينة أفيسوس؟
إيون: لا، يا سقراط؛ إنّني من أيدوروس، حيث حضرت احتفال آيسكلوبيوس.
سقراط: حقّاً! وهل أقام الأبودوريُّون مباراةً لرواة القصائد الملحميّة المحترفين تكريماً له.
إيون: أوه نعم؛ ولأنواعٍ أخرى من الموسيقى كذلك.
سقراط: وهل كنت واحداً من المتنافسين؟ وهل نجحت؟
إيون: أنا ـ نحن ـ فزنا بالجوائز جميعها، يا سقراط.
سقراط: حسناً أُنجز؛ وينبغي علينا الآن أن نحرز نصراً آخر في الباثيناي.
إيون: إنها ستكون كذلك، بفضل السماء.
سقراط: إنّني غالباً ما حسدت مهنة الراوي، يا إيون؛ لأنّ من متمّمات فنّك أن ترتدي الثياب الجميلة وتظهر بمظهرٍ حسن على قدر استطاعتك، في حين أنت مُلزمٌ في الوقت عينه بأن تكون في صحبة العديد من الشعراء البارعين بشكل متواصل، وخاصة بصحبة هوميروس، الذي يعتبر أفضلهم وأكثرهم إلٰهيّة، وكذلك لأن تفهم ما في عقله، وليس أن تتعلّم كلماته عن ظهر قلب فقط. هذا كلّه تُحسد عليه بدرجة كبيرة. إنّني لمتأكّد من أنّه لا يستطيع أيّ إنسانٍ أن يصبح راوياً محترفاً للقصائد الملحميّة بشكل جيد، وهو لا يفهم معنى الشاعر. الراوي المحترف عليه أن يفسّر ما في عقل الشاعر لمستمعيه،

لكن كيف يستطيع أن يشرحها بشكل جيّد ما لم يدركْ ما يعنيه الشاعر؟ إنّني أُكرّر، كل هذا هو ما يُحسد عليه راوي القصائد الملحميّة المحترف، بشكل كبير.

إيون: حقيقيّ تماماً، يا سقراط؛ إنّ التفسير قد كان، بكلّ تأكيد، الجزء الأكثر إرهاقاً في فنّي. وإنّني أعتقد نفسي قادراً على الكلام عن هوميروس أفضل من أيّ رجل؛ فلا ميترودوس من لامبساكوس، ولا ستاسيمبروتوس من ثاسوس، ولا كلوكون، ولا أيٌّ شخص آخر مهما كان، يمتلك أفكاراً صحيحة عن هوميروس كالتي أمتلكها، أو مثل ذلك العدد منها.

سقراط: يسرّني سماع ذلك، يا إيون؛ وأرى أنّك لن ترفض أن تطلعني عليها.

إيون: بكلّ تأكيد، يا سقراط؛ وينبغي عليك حقاً أن تسمع كيف أعرض لك جمالات هوميروس بشكلٍ مُتقن. أعتقد أنّ على الهوميريين أن يمنحوني تاجاً ذهبيّاً.

سقراط: سأنتهز فرصةً لسماع إنجازاتك عنه في وقت آخر ما. لكن في الوقت الحاضر أحبّ أن أسألك سؤالاً: هل فنّك يمتد إلى هيسيود وآرخيلوخوس، أو إلى هوميروس فقط؟

إيون: إنّه يختص بهوميروس فقط؛ إنّه هو بنفسه كافٍ تماماً.

سقراط: هل هناك أيّة أشياء يتفق عليها هوميروس وهيسيود؟

إيون: نعم؛ هناك عدة أشياء جيدة يتفقان بشأنها في رأيي.

سقراط: وهل تقدر أن تفسّر ما يقوله هوميروس بشأن هذه المسائل أفضل مما يقوله هيسيود؟

إيون: أستطيع أن أشرح ما يقولان جيّداً بشكلٍ متساوٍ، يا سقراط، وذلك حيث يتّفقان.

سقراط: لكن ماذا بشأن المسائل التي لا يتفقان فيها؟ كمثال، بخصوص الألوهيّة التي يمتلك كلٌّ من هوميروس وهيسيود شيئاً ليقولاه عنها ـ

إيون: حقيقي تماماً.

سقراط: هل ستكون أنت، أو نبيٌّ صالح، أفضل تفسيراً لما يقوله هذان الشاعران عن الألوهيّة، ليس عندما يتفقان فقط بل عندما يختلفان؟

إيون: نبيٌّ.

سقراط: وإذا كنت أنت نبيّاً، وتستطيع شرحهما حيث يتّفقان، ألن تعرف كيف تشرحهما حيث يختلفان أيضاً؟

إيون: بوضوح.

سقراط: لكن كيف حصلت على هذه البراعة بخصوص هوميروس فقط، وليس عن هيسيود وبقية الشّعراء؟ ألا يتكلم هوميروس عن الموضوع عينه الذي يديره بقيّة الشعراء؟ أليست الحرب هي محاورته الكبرى؟ أو لاَ يتكلم هو عن المجتمع الإنساني وعن تعامل الرجال، الأخيار والأشرار، البارعين وغير البارعين، وعن الآلهة، في حديثهم مع بعضهم بعضاً ومع الجنس البشري، وممّا يحدث في السماء وفي العالم السفلي، وعن نشوء الآلهة والأبطال؟ أليست هذه هي الألحان التي يغنّيها هوميروس؟

إيون: حقيقي تماماً.

سقراط: أوَ لاَ يغنّي بقية الشعراء الشيء عينه؟

إيون: نعم، يا سقراط؛ لكن ليس بالطريقة عينها كهوميروس.

سقراط: ماذا، أتكون في طريقة أسوأ؟

إيون: نعم، بطريقة أسوأ بكثير.

سقراط: وهوميروس بطريقة أفضل؟

إيون: إنّه أفضل بشكلٍ لا يقارن.

سقراط: ومع ذلك بالتأكيد، يا صديقي إيون، فحيث يوجد ناسٌ كثيرون يبحثون في الأعداد، وواحد منهم يتحدث أفضل من الباقين، فهناك لا شكّ شخصٌ ما يستطيع أن يحكم أيّهم المتكلم البارع؟

إيون: نعم.

سقراط: والذي يحكم على المتكلمين الحاذقين سيكون هو نفسه من يحكم على المتكلمين السيئين؟

إيون: الشخص نفسه.

سقراط: إنّه الشخص الذي يعرف علم الحساب؟

إيون: نعم.

سقراط: أو مرّة ثانية، إذا تباحث أشخاص كثيرون في نفع الغذاء، ويتكلم أحدهم عن ذلك أفضل من البقيّة، فهل الذي يميّز المتحدث الأفضل هو شخص غيرٌ عنه الذي يميّز الاسوأ، أو هو الشخص نفسه؟

إيون: الشخص نفسه بوضوح.

سقراط: ومَن هو، وما هو اسمه؟

إيون: إنّه الطبيب.

سقراط: لنتكلّم بشكل عامّ، أليس الذي يعرف المتحدث الجيد يعرف السيّء أيضاً، في كل المحادثات التي يكون فيها الموضوع هو الشيء نفسه ويكون رجال كثُرٌ متكلمين فيه؟ فمن الواضح أنّه لو لم يُعرف المتكلم الجيّد، فلن يُعرف السّيء كذلك، عندما يطرحان الموضوع عينه على بساط البحث.

إيون: صدقاً.

سقراط: نجد نحن في الحقيقة، أنّ الشخص نفسه يكون حاذقاً فيهما كليهما؟

إيون: نعم.

ىٔسقراط: وتقول أنت إنّ هوميروس والشعراء الآخرين، أمثال هيسيود وآرخيلوخوس، يتكلمون عن الأشياء عينها، لكن ليس بالطريقة عينها؛ غير أنّ أحدهم يتكلم جيّداً والآخر ليس بالجودة عينها؟

إيون: نعم؛ وإنّي لمحقٌّ في قولي هذا.

سقراط: وإذا عرفت المتكلّم الجيد، فعليك أيضاً أن تعرف الأقلّ أهميّة ليكونوا هكذا؟

إيون: إنه يبدو كذلك.

سقراط: إذن، يا صديقي العزيز، هل يمكنني أن أكون مخطئاً لو قلتُ إنّ إيون حاذق بشكلٍ متساوٍ في أعمال هوميروس وأعمال الشعراء الآخرين، ما دام يعترف هو ذاته أنّ الشخص ذاته سيكون حَكَماً جيداً عن كل الذين يتكلمون عن الأشياء عينها؛ وأنّ كلّ الشعراء يتكلمون عن الأشياء عينها تقريباً؟

إيون: لماذا إذن، يا سقراط، أفقد أنا الانتباه ولا أمتلك أيّة أفكار ذات أهميّة أقلّ، وبشكل مطلق، عندما يتكلم أيّ شخص عن أيّ شاعرٍ آخر؛ لكن حينما يذكرون هوميروس، فإنّني أستيقظ حالاً وكلي انتباه ولديَّ الكثير لأقوله؟

سقراط: السبب، يا صديقي، ليس صعباً تخمينه. بميسور أيٍّ كان أن يراك تتكلّم عن هوميروس بدون أيّ فنّ أو معرفة. إذا كنت قادراً على الحديث عنه بقواعد فنيّة، فستكون قادراً على الكلام عن الشعراء الآخرين لأنّ الشعر كلّه من طينة واحدة.

إيون: نعم.

سقراط: وعندما ينال أيّ شخصٍ آخر أيّ فنّ ككلّ، يمكن أن يقال الشيء عينه عنه. هل تحبّ أن أشرح ما أعنيه، يا إيون؟

إيون: نعم، حقاً، يا سقراط؛ إنّني أرغب كثيراً جدّاً أن تفعل. فأنا أحبّ أن أسمعكم أيّها الرجال الحكماء تتكلمون.

سقراط: أوه، أما أنّنا حكماء، يا إيون، وأنّك تستطيع أن تدعونا هكذا بحق؛ لكنّكم أنتم هم الحكماء، أيّها الرواة المحترفون والممثلون، وكذلك الشعراء الذين تغنيّ أبيات شعرهم، في حين أنّني إنسان عاديّ، أتكلّمُ الحقيقة فقط.

تأمّل مليّاً كم هو عاديّ ومبتذلٌ ما أقوله بالتحديد ـ شيء يمكن أن يقوله أيُّ إنسان: وهو أنّه عندما يكتسب إنسانٌ معرفة فنٍّ بمجمله، فإنّ التحقيق في الخير والشرّ يكون واحداً والشيء عينه. دعنا نتأمّل ملياً هذه المسألة؛ أليس فنّ الرسم باليد كاملاً؟

إيون: نعم.

سقراط: وهناك العديد من رسامِّي اليد الجيدين والسيئين قديماً وحديثاً؟

إيون: نعم.

سقراط: أوَ لم تعرف قطّ أيّ شخص كان بارعاً في الدلاّلة على امتيازات وشوائب بوليغنوتوس بن أكلاوفون، لكنّه كان غير قادر على نقد الرسامين اليدويين الآخرين، وعندما أُنتج أيُّ عملٍ لرسّام يدويٍّ آخر، ذهب هو إلى النّوم وكان مرتبكاً، فاقداً كل افكاره. لكنه عندما كان عليه أن يعطي رأيه عن بوليغنوتوس، أو عن أي رسّام يدوي آخر، وعنه فقط، أمكنه أن يستيقظ وكان بمنتهى الانتباه ولديه الكثير ليقوله؟

إيون: لا، حقاً، إنّني لم أعرف هكذا شخصاً أبداً.

سقراط: أو خذ فنّ النحت ـ هل عرفت عن أي شخص قط كان حاذقاً في تفسير ميِّزات دايدالوس بن ميتيون، أو ميِّزات آيبيوس بن بانوبيوس، أو ميِّزات ثيودوروس الساميان، أو أيِّ نحّاتٍ آخر؟ لكن عندما قُدِّم عمل النحاتين بشكل عامّ، كان مرتبكاً وذهب إلى النوم ولم يكن عنده أيّ شيء ليقوله؟

إيون: لا حقّاً؛ يا سقراط، لا أعرف أكثر ممّا أعرف عن الآخرين.

سقراط: وإذا لم أكن مخطئاً، أنت لم تقابل أيّ شخص بين لاعبي النّاي أو القيثار أو المغنّين على القيثار أو محترفي رواية القصائد الملحميَّة الذين كانوا قادرين على الحديث عن أوليبموس أو عن ثاميراس أو عن أورفيوس، أو عن فيميوس

راوي قصائد إيثاكا الملحميّة، لكنّه كان متحيراً عندما أتى ليتكلم عن إيون من إينيسوس، ولم يكن لديه أيّة فكرة عن ميّزاته أو شوائبه؟

إيون: لا أقدر على إنكار ما تقوله، يا سقراط، ومع ذلك فإنّني لمدركٌ في قرارة نفسي، ويتفق معي العالم، في أنّني أتكلم أفضل. ولديَّ ما أقوله عن هوميروس أكثر من أيّ شخص آخر؛ غير أنّني لا أتكلّم بشكل جيّد عن الآخرين. بعد كل هذا، يجب وجود سبب ما لذلك؛ فما هو؟

سقراط: إنّني أرى السّبب، يا إيون؛ وسأتقدّم لأشرح لك ما أتصوّره أنه هو. إنَّ موهبتك للتكلّم بامتيازٍ عن هوميروس ليست فنّاً، لكنها، كما كنتُ قائلاً لتوِّي، إلهام؛ توجد الهياتٌ تحركك مثل تلك المحتواة في الحجر والتي يدعوها يوريبايدس مغناطيساً، والذي يُعرف بحجر هيراقليطس بشكل عامّ. إنّ هذا الحجر لا يجذب الحلقات الحديدية فقط، بل يُضفي عليها قوّة مماثلة لجذب الحلقات الأخرى أيضاً. ويمكنك أن ترى بعض المرّات عدداً من القطع والحلقات الحديدية متدلّيةً بعضها من بعضٍ لتشكّل سلسلة طويلة تماماً؛ وتستمدّ كلها قوة تدلّيها من الحجر الأصلي. وبشكلٍ مماثل فإن إحدى آلِهات الشّعر ألهمت الرجال قبل كل شيء؛ وتتدلى من هؤلاء الأشخاص الملهمين سلسلة من الأشخاص الآخرين الذين يتلقّون الوحي. إنّ كل الشعراء الصالحين، الشعراء الملحميّون كما الشعراء الغنائيّون، لا يؤلّفون قصائدهم الجميلة بالفنّ، إلاّ لأنّهم ملهمون وممسوسون. ومثل المستمتعين الكوريبانثيين حينما يرقصون وهم خلوٌ من عقلهم الصحيح، هكذا شعراء الغناء لا يكونون بعقلهم الصحيح عندما يؤلّفون أغنياتهم الجميلة. لكنّهم عندما يقعون تحت سلطة الموسيقى والأوزان الشعرية فإنّهم ملهمون وممسوسون، كالعذارى رفيقات باخوس اللواتي يسحبن الحليب والعسل من الأنهار عندما يكنَّ بعقلهنَّ السليم. وتفعل روح الشاعر الغنائيّ الشيء عينه، كما يقولون هم

أنفسهم. فالعذارى يُخبرنَ بأنهنَّ يجلبن الأغاني من النوافير العسليَّة، يخترنها من جنائن ووهاد آلهات الشعر. هنَّ، مثل النحل، يتنقّلن من زهرة إلى زهرة. وإنّ هذا لحقيقي. الشاعر شيء لطيف ومجنَّحٌ وقدِّيس، ولا يوجد إبداعٌ فيه حتّى يُلهم ويُجرَّد من أحاسيسه، ولا يبقى فيه عقل بعد الآن: لا إنسان يمتلك موهبة الشعر التي مبعثها الوحي، في حين يستبقي تلك الملكة العقليَّة.

عديدة هي الكلمات النبيلة التي يتكلّم الشاعر بها فيما يختصّ بأعمال الرجال؛ لكنهم مثلك عندما تتحدث عن هوميروس، لا يتكلمون عنهم بقواعد قانون. إنّهم مُلهَمون بكل بساطة ليتكلموا ذلك الذي تحملهم على التكلّم به إلٰهة الشعر، وذلك فقط. وعندما يُلهمون، ينظم واحدهم قصائد مليئة بالحماسة والعواطف الجيَّاشة، وينظم آخر تراتيل ثناء، وغيره أغناني كورس، ورابع مقاطع ملحميَّة أو عمبقيَّة، لكن أيًّا منهم لا يكون ملهماً في الأنواع الأخرى بأيّ حساب. إنّ الشاعر لا يغني بفنّ، بل بقوَّةٍ إلٰهيَّة. وإذا ما تعلَّم هو بقواعد قانون، فإنّه سيعرف كيف يتكلم ليس بلحنٍ واحدٍ فقط، بل بها كلّها؛ ولذلك يسلب الله العقل من الشعراء، ويستخدمهم كممثّليه، كما يستخدم أيضاً وسطاء الوحي والأنبياء الأتقياء، ليكون بمقدورنا نحن الذين نسمعهم أن نعرف أنّهم لا يتكلمون عن أنفسهم، هؤلاء الناطقون بتلك الكلمات البالغة النفاسة في حين يُحرمون من العقل، بل إنّ الله ذاته هو المتكلم، وإنّه يخاطبنا من خلالهم. ويعطي تينيخوس الخالسيدي مثلاً صارخاً على ما أقول: هو لم يكتب قصيدة كي يهتم أيّ شخص ليتذكرها سوى أنشودة الشكر أو التسبيح أو النصر الشهيرة التي هي على كل شفةٍ ولسان. إنّ أجمل القصائد التي كتبت في الشعر الغنائي قاطبةً، هي من إبداع آلهة الشعر بكل بساطة، كما يقول هو ذاته ذلك. وبهذه الطريقة يبدو الله أنّه يشرح لنا وأنّه لا يسمح لنا أن نشك في أنّ هذه القصائد الجميلة

ليست إنسَانيَّة، باكياً أو مصاباً بالهلع في حضور أكثر من عشرين ألف وجه صديق، في حين لا يوجد أيّ شخصٍ ليسلبه ما يقول أو ليخطِّئهُ. أيكون هو بعقله السليم، يا إيون؟

إيون: لا حقّاً، يا سقراط، ينبغي أن أقول ذلك، متكلّماً بدقة، أنّه لا يكون بعقله الصحيح.

سقراط: وهل أنت عالمٌ بأنّك تنتج تأثيراتٍ مماثلة على أكثرية المتفرجين؟

إيون: حسناً أيضاً فقط؛ فأنا أنظر إليهم من على المسرح، وأرى العواطف المتنوّعة للشفقة، التعجّب، الصرامة، مطبوعةً على محيَّاهم عندما أتكلّم. وأكون مُلزماً لأوليهم أفضل اهتمامي؛ لأنّني إذا جعلتهم يصرخون فأنا نفسي سأضحك، وإذا جعلتهم يضحكون فأنا نفسي سأصرخ، عندما يحين وقت الدفع.

سقراط: هل تعرف أنَّ المتفرج هو آخر الحلقات التي تتلقّى قوّة المغناطيس الأساسي من بعضها بعضاً، كما أقول؟ أمّا راوي القصائد الملحميَّة مثلك، وكذلك الممثّل، فهما الحلقتان الوسط، وأنّ الشاعر أوّلها. الله يحكم أرواح الرجال من خلال كل هذه في أيّة جهة يريد، جاعلاً بوسع كل حلقة أن تنقل القوة إلى الحلقة التالية. هناك سلسلة ضخمة من الراقصين والأسياد وما دون الأسياد للكوارس، المتدلين كتدلِّيهم من الحجر، بجانب الحلقات التي تتدلى من إلٰهة الشعر. ولكل شاعر إلٰهة شعرٍ يتدلى منها، وهي التي يقال إنّه يكون ممسوساً بها، والذي يكون الشيء عينه على وجه التقريب؛ لأنّه يُمسَك بها. ويتدلّى الآخرون من هذه الحلقات الأولى، الذين هم الشعراء، بعضُهم يستمد الإلهام من أورفيوس، الآخرون من ميوسايوس؛ لكنّ العدد الكبير منهم يُمسَك ويُمَسُّ بهوميروس، وأنت واحد منهم، يا إيون، الممسوس بهوميروس. وعندما يردِّد أيُّ شخص كلمات الشعراء الأُخرى تُصابُ

بالنّعاس، ولا تعرف ما تقول؛ لكن عندما يتلو أيٌّ شخص مقطعاً من شعر هوميروس تستيقظ بلحظة، وتقفز روحك بداخلك، ولديك الكثير الذي ستقوله، لأنّك لا تقول ما تقوله عن هوميروس بفنٍّ أو معرفة بل بمسٍّ وإلهام إلٰهي؛ تماماً مثل المستمتعين الكوريبانتيين الذين يمتلكون أيضاً تصوّراً للمقاطع الشعرية التي تناسب الله فقط والتي يُمسُّون هم بها. ولديهم الكثير من الكلمات والرقص لذلك، غير أنّهم لا يبدون اهتماماً بغيرها. وأنت، يا إيون، عندما يُذكر اسم هوميروس فلديك الكثير لتقوله، لكنّك لا تمتلك شيئاً لتقوله عن الآخرين. تسأل أنت، « لِمَ هذا؟ » والجواب هو أنّ براعتك في ثناء هوميروس لا تأتي من الفنّ بل من إلهام إلٰهي.

إيون: ذلك جيّد، يا سقراط؛ ومع ذلك فإنّني أشكّ بأنّك ستمتلك بلاغة كافية لتقنعني بأنّي أثني على هوميروس فقط عندما أكون مجنوناً وممسوساً. وإذا استطعت سماعي متكلماً عنه فأنا متأكد بأنّك لن تفكر أنَّ هذه هي الحالة أبداً.

سقراط: إنّني بأمسّ الرغبة لأسمعك، لكن ليس قبل أن تجيبني على السؤال الذي سأسأله. في أيّ قسم تتكلّم جيداً عن هوميروس؟ - إنّك لا تتكلم في كل قسم بالتأكيد؟

إيون: لا يوجد قسم، يا سقراط، لا أتكلّم عنه جيداً. أؤكّد لك ذلك.

سقراط: بالتأكيد ليس عن الأشياء التي لا تمتلك معرفة عنها في عمل هوميروس؟

إيون: وماذا يوجد في عمل هوميروس ليس لديَّ معرفة عنه؟

سقراط: لماذا؟ ألاَ يتكلم هوميروس في مقاطع عديدة عن الفنون؟ كمثال، عن قيادة العربات؛ إذا استطعت فقط تذكُّر بيوت الشعر فسَأردِّدها لك.

إيون: إنّني أتذكرها، وسأردِّدها.

سقراط: أخبرني إذاً، ماذا يقول نيستور إلى أنتيلوخوس، إبنه. أين يأمره ليكون يقظاً بخصوص الاستدارة في سباق الخيل تكريما لباتروكلوس.

إيون: يقول: « إنحنِ بلطف، في العربة المصقولة على يسارهم، وحثَّ الأحصنة على الجهة اليمنى بالسّوط والصّوت؛ وأرخِ العنان. وعندما تصل إلى الهدف، دع الحصان على الجهة اليسرى يقترب، كي يمكن هكذا لمحور العَجَلة الجيد الصنع أن يظهر ليَمُسَّ الطرف مسّاً عابراً رقيقاً؛ لكن آحذرْ أن يلامس الحجر »[1].

سقراط: كفاية. وبعدُ، يا إيون، أيّهما أفضل حكماً عن تناسب هذه البيوت الشعريَّة: سائق العربة أم الطبيب؟

إيون: سائق العربة، بوضوح.

سقراط: وهل السبب أنّ هذا هو فنّه، أو هناك سبب آخر؟

إيون: لا، هذا هو السبب.

سقراط: ويكون كلّ فنٍّ معيَّناً بالله ليكون له معرفة بعمل محدَّد؛ لأنّ ما نعرفه بفنّ قائد السفينة لن ننجح في معرفته بفنّ الطبّ أيضاً.

إيون: لا، بالتأكيد.

سقراط: ولن نعرف بفنّ النجارة ما نعرفه بفن الطب.

إيون: لا، بدون ريب.

سقراط: وهذا صحيح عن كل الفنون ـ ما نعرفه بفنٍّ واحد لا نعرفه بالفنّ الآخر. لكن دعني أسألك سؤالاً سألته سابقاً: هناك فنون مختلفة أليس كذلك؟

إيون: نعم.

سقراط: وستحاور، كما سأفعل، أنّه إذا كان هناك نوعان من المعرفة يعالجان شيئين مختلفين، فهذان سيُدعيان فنَّيْن متباينين؟

إيون: نعم.

سقراط: نعم. بالتّأكيد؛ لكن إذا كان هدف المعرفة الشيء عينه، فلن يكون هناك معنىً في القول بأنّ الفنون كانت مختلفة ما دام كلٌّ منهما قد أعطى المعرفة

عينها. كمثال، أعرف أنا أن هناك أصابع خمس، وتعرف أنت الشيء عينه، وإذا سألت إذا ما كنت أنت وأنا لنصبح ملمّين بهذه الحقيقة بمساعدة علم الحساب عينه، فإنّك ستعترف بأنّنا فعلنا؟

إيون: نعم.

سقراط: أخبرني، إذن، ما كنت عازماً لأسألك، إذا ما كان هذا يُعتبر برأيك بغير استثناء. إذا كان فنَّانِ هما الشيء عينه، ألا يجب أن يكون لديهما الأهداف عينها بالضرورة؟ وإذا اختلف أحدهما عن الآخر، أليس لأن الهدفَ يختلف؟

إيون: إنّ ذلك هو رأيي، يا سقراط.

سقراط: إذن الذي لا يمتلك معرفة عن فنٍّ خاص لن يحوز حُكْماً صحيحاً عن المدارك الحسيَّة وعن ممارسة ذلك الفنّ؟

إيون: حقيقي جداً.

سقراط: إذن أيّكما سيكون حَكَماً أفضل عن مقاطع الشعر التي تلوتها من عمل هوميروس، أنت أو سائق العربة؟

إيون: سائق العربة.

سقراط: لماذا، نعم، لأنّك راوٍ محترفٌ للقصائد الملحميَّة ولست سائق عربة؟

إيون: نعم.

سقراط: وفنّ الراوي المحترف مختلف عن فنّ سائق العربة؟

إيون: نعم.

سقراط: وإذا كانت معرفة مختلفة، فهي حينئذ معرفة عن مسائل مختلفة؟

إيون: حقّاً.

سقراط: تعرف أنت المقطع الذي تُوصف فيه هيكاميد، خليلة نيستور، كواهبةِ شراب الحليب الساخن إلى الجريح ماتشاون، عندما يقول: « صُنِع بالنبيذ

البرميني؛ وهي بشرت جبن حليب الماعز، بمبشرةٍ برونزيَّة، ووضعت بجانبه بصلة تعطي شهيَّة للشراب »[٢]. وبعدُ، أيُّ فنٍّ أفضل قدرةً للحكم على ملاءمة مقاطع الشعر هذه، فن الراوي أم فن الطبّ؟

إيون: أقول فنّ الطب.

سقراط: وعندما يقول هوميروس: « وهي هبطت إلى الأعماق مثل الرصاصة المربوطة بطرف خيط الفادن التي وُضِعت في قرنِ ثورٍ يطوف الحقول، تندفع إلى الأمام حاملة الموت في ما بين الأسماك النهمة »[٣]. فأيّهما أفضل قدرةً للحكم على ما تعنيه هذه المقاطع الشعريَّة، أو إذا ما كانت دقيقة أوْ لاَ، أفن الراوي المحترف أم فنّ الصياد؟

إيون: بوضوح، يا سقراط، فنّ الصياد.

سقراط: تعالَ الآن. إفترض أنّك قلت لي: « بما أنك، يا سقراط، قادر على أن تعزو مقاطع شعريَّة مختلفة في عمل هوميروس لفنونها المختلفة المتماثلة، فإنّني أرغب إليك أن تخبرني ما هي المقاطع التي يجب الحكم على امتيازها بالنبيّ وفنّ النبوة »؟ وسترى كيف سأجيبك بسرعة وبحقّ. لأنّ هناك مقاطع عديدة كهذه، خاصة في الأوديسة؛ كمثال، المقطع الذي يقول فيه ثيوكليمانس نبيُّ بيت ميلامبس للمدَّعين:

« يا رجال بائسون! ما بكم؟ إنّ رؤوسكم ووجوهكم وأطرافكم السفلى مكفَّنةٌ في الظلام؛ وصوت النواح ينفجر، ووجناتكم مبلَّلةٌ بالدموع. وأما الردهة فممتلئة، ومحكمة القانون مكتظَّة بالأشباح هابطة إلى عتمة إيريبوس[٤]، والشمس فُنيت من السماء، وسديمٌ مشؤوم يُنشر في كل اتجاه »[٥].

وهناك مقاطعٌ كهذه في الإلياذة أيضاً. كمثال في وصف المعركة قرب السور الواقي، حيث يقول:

« بما أنّهم كانوا متشوقين ليجتازوا الحفرة، هناك أتى بشيرٌ إليهم: نسرٌ

يحلق في الجو، ملتفّاً بالأناس على شماله، حاملاً في براثنه تنّيناً أحمر كالدم ضخماً ما زال حيًّا ويلهثُ بشدّة، ولم يتخلَّ عن النضال مع ذلك، لأنّه مال إلى الوراء وسدَّد ضربة إلى الطائر الذي حمله على الصدر بالعنق، وتركه في الألم يسقط منه على الأرض وسط الكثرة. والنّسر، صارخاً، حملته أجنحة الريح بعيداً »(٦).

هذا هو نوع الأشياء التي يجب أن أقولها من أنّ النبيّ يجب أن يتأملها مليًّا ويقرّرها.

إيون: وأنت محقّ تماماً، يا سقراط، في قول كهذا.

سقراط: نعم، يا إيون، وأنت محقّ أيضاً. وكما اخترت أنا من الالياذة والأوديسة لمقاطع شعرك التي تصف عمل النبيّ والطبيب والصيّاد، فهل ستختار يا إيون، وأنت تعرف هوميروس أفضل منّي، هل ستختار مقاطع شعرٍ تتصل براوي القصائد الملحميّة المحترف هذا، والذي على راوي القصائد ذاته أن يختبرها ويحكم عليها أفضل من الآخرين؟

إيون: ينبغي أن أقول كلّ المقاطع الشعرية، يا سقراط.

سقراط: ليس كلها، يا إيون، بالتأكيد. هل نسيت ما قلت سابقاً؟ إنّ راوي القصائد الملحميّة المحترف عليه أن يمتلك ذاكرة أفضل.

إيون: لماذا، ما الذي نسيته؟

سقراط: ألا تتذكّر أنّك أعلنت أنّ فنّ الراوي المحترف غير فن سائق العربة؟

إيون: نعم، إنّني أتذكّر.

سقراط: واعترفت بأنّهما ما داما متباينين فهُما سيعرفان أهدافاً مختلفة.

إيون: نعم.

سقراط: إذن بناءً على إظهارك الخاصّ لراوي القصائد الملحميّة المحترف، وتبيينك لفنّه، فهو لن يعرف كل شيء؟

إيون: عليَّ أن أستثني أشياء كهذه التي تذكرها، يا سقراط.

سقراط: تعني أنّك ستستثني كثيراً جدّاً من مواضيع الفنون الأخرى. وما دام لا يعرفها كلها، فأيّاً منها يعرف؟

إيون: سيعرف ما ينبغي على الرجل والمرأة أن يقولاه، وما يجب على الرجل الحرّ والعبد أن يتكلماه، وما يلزم على الحاكم والمرؤوس أن يتفوّها به.

سقراط: هل تعني أنّ راوي القصائد الملحميّة المحترف سيعرف ما يلزم أن يقوله حاكمُ قاربٍ يتقاذفه موج البحر أفضل من مرشد السفينة؟

إيون: لا؛ فمدير الدقّة سيعرف أفضل.

سقراط: وهل سيعرف راوي القصائد الملحميّة المحترف ما ينبغي أن يتفوّه به حاكم الرجل المريض أفضل من الطبيب؟

إيون: لا، مرّة ثانية.

سقراط: لكنه سيعرف ما يجب أن يقوله العبد؟

إيون: نعم.

سقراط: إفترض أنّ العبد راعي أبقار؛ فهل يعرف راوي القصائد الملحميّة ما يلزم أن يقوله راعي الأبقار كي يهدّىء الأبقار الثائرة أفضل من الراعي؟

إيون: لا، إنّه لن يعرف.

سقراط: لكنه سيعرف ما ينبغي أن تقوله المرأة التي تغزل الصوف عن عمل الصوف؟

إيون: لا.

سقراط: على كل حال سيعرف ما يجب أن يقوله القائد العسكري ناصحاً جنوده؟

إيون: نعم، ذلك هو نوع الشيء الذي سيعرفه راوي القصائد الملحميّة المحترف بكلّ تأكيد.

سقراط: ماذا! أيكون فنّ الراوي المحترف للقصائد الملحميّة فنّ القائد العسكري؟

إيون: إنّني متأكّد بأنّ عليَّ أن أعرف ما يلزم أن يقوله القائد العسكري.

سقراط: لماذا، نعم، يا إيون، إذ من المحتمل أن تمتلك معرفة القائد العسكري كما معرفة الراوي المحترف؛ ويمكنك أن تحوز أيضاً معرفة فنّ الفروسيّة كمعرفة العزف على القيثار تماماً، وستعرف حينئذ متى تُساس الأحصنة بجودة أو بفساد. لكن إفترض أنّني أسألك: بمساعدة أيّ فنّ، يا إيون، تعرف أن الأحصنة مدارةً بجودة، ببراعتك كرجل فروسية أو بأدائك العزف على القيثار؟ بماذا ستجيب؟

إيون: عليَّ أن أجيب، ببراعتي كرجل فروسية.

سقراط: وإذا حكمت على العازفين على القيثار، ستعترف بأنك حكمت عليهم كعازفٍ على القيثار وليس كرجل فروسيّة؟

إيون: نعم.

سقراط: وفي حكمك على فنّ القائد العسكري، هل حكمت عليه كقائدٍ عسكريّ، أو كراوٍ جيّد ومحترف للقصائد الملحميّة؟

إيون: يظهر لي أنّه لا فرق بينهما.

سقراط: ماذا تعني؟ هل تعني أنّ فنّ الراوي المحترف للقصائد الملحميّة وفن القائد العسكري هما الشيء عينه؟

إيون: نعم، والشيء عينه.

سقراط: إذن، فإنّ من يكون راويا محترفاً للقصائد الملحميّة بارعاً سيكون قائداً عسكرياً حاذقاً أيضاً؟

إيون: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: والذي يكون قائداً عسكرياً كفؤاً يكون راوياً محترفاً للقصائد الملحميّة جيداً؟

إيون: لا؛ إنّني لا أوافق على ذلك.

سقراط: لكنّك توافق على أنّ من يكون راوياً محترفاً للقصائد الملحميَّة جيّداً يكون قائداً عسكريّاً جيداً أيضاً؟

إيون: بالتأكيد.

سقراط: وأنت أفضل راوٍ محترف هيليني للقصائد الملحميَّة.

إيون: أفضل ببعيد، يا سقراط.

سقراط: وهل أنت أفضل قائد عسكري؟

إيون: لكن متأكّداً، يا سقراط؛ وهوميروس كان سيّدي.

سقراط: لكن عندئذ، يا إيون، لماذا تتجوَّل باسم الخير، وأنت تعتبر أفضل الجنرالات وأفضل الرواة المحترفين للقصائد الملحميَّة في هيلاس كلّها، لماذا تتجوَّل راوياً قصائد ملحميَّة في حين أنه يمكنك أن تكون قائداً عسكريّاً؟ هل تعتقد أن الهيلينيين هم في حاجة ماسّة لراوٍ محترف للقصائد الملحميَّة بتاجه الذهبيّ، ولا يحتاجون لقائدٍ عسكري على الإطلاق؟

إيون: لماذا، يا سقراط، السبب هو أنّ رجال بلادي، الأفسينيانز، هم خدم وجنود أثينا، ولا يلزمهم قائد عسكري؛ وأنّكم واسبارطة على الأرجح لستم بحاجة لتعييني قائداً عسكرياً؛ لأنّكم تعتقدون بأنّ لديكم ما يكفيكم من القادة العسكريين

سقراط: يا طيّبي إيون، ألم تسمع أبداً عن أبولودوروس من سوزيكوس؟

إيون: من يمكنه أن يكون؟

سقراط: هو الذي، مع كونه غريباً، قد اختاره الأثينيون قائدهم العسكري غالباً. وهناك فانوسثينس من أندروس، وهيراكلايدس من كلازومينيا اللذين عيّنوهما لقيادة الجيوش أيضاً وكذلك لمناصب أخرى، مع أنّهما غريبان. فلقد اختيرا بعد أن أظهرا جدارتهما، ولن يختاروا إيون الافسينيانز ليكون قائداً عسكريّاً لهم، ويكرّموه، إذا حسبوه مؤهّلاً لذلك؟ أليس الأفيسينيون أثينيين في

الأصل، وأفنيسوس أليست مدينة عادية؟ لكن، حقاً، يا إيون، إذا كنت محقّاً في القول بأنّك تقدر أن تثني على هوميروس بالفنّ والمعرفة، فأنت لا تتعامل معي بعدل، وبعد كل تخصّصك بمعرفة أشياء عديدة ومجيدة عن هوميروس، ووعودك بأنّك ستعرضها، فأنت تخدعني فقط، وما زلت بعيداً جدّاً عن عرض الفنّ الذي أنت فيه سيِّد، ولن تشرح لي طبيعته، رغم توسّلاتي المتكررة. إنّك مثل بروتيوس تفترض بالحرف أشكالاً متعددة، ملتوياً ومنقلباً إلى أعلى وإلى أسفل، حتى تفلت منّي أخيراً متخفّياً بثياب قائدٍ عسكري، كي تتمكن من الهرب ولا تعرض معرفتك الهوميرية المكتسبة. وإذا كان لديك فنّ، عندئذ، كما قلت، في تحريف وعدك بأنّك ستعرض عمل هوميروس، فأنت لا تتعامل معي بعدل. لكن إذا كان لديك فن، كما أعتقد، غير أنّك تتكلّم كل هذه الكلمات الجميلة عن هوميروس غير عالِم تحت تأثيره الملهم، فإنّني أبرّئك حينئذ من تهمة التضليل، وسأقول بأنّك مُلهمٌ فقط. أيّ فكرةٍ تفضّل أن نكوّنها عنك: مضلّل أم مُلهَم؟

إيون: هناك فرق كبير، يا سقراط، بين الخيارين الاثنين؛ والإلهام هو الأنبل بيعد كبير.

سقراط: إذن، يا إيون، إنّني سأفترض الخيار الأنبل؛ وأنسب لك الإلهام في ثنائك على هوميروس، وليس الفنّ.

محاورة بروتاغوراس

افكار المحاورة الرئيسيَّة

تبدأ المحاورة بين هيبوقراط وسقراط. يخبر الأول الثاني أن بروتاغوراس موجود في أثينا، وأنّه توّاق كي يراه ويتكلم معه، ومن ثمَّ ليعلمه الحكمة التي يعرفها. فكثيراً ما سُمع عنه ضلوعه في علم الكلام وقوة بيانه. لذلك فهو يحثّ سقراط على الذهاب معه لأنّه فتى ولا يعرف بروتاغوراس ولم يجتمع به قطّ. لم يرفض سقراط التماسه ولكنه أراد أن يجرّب الشابّ الفتيّ في قوّة ثباته، وأن يمتحنه بطرح الأسئلة عليه، فقال: بما أنّنا ذاهبان أنت وأنا إلى بروتاغوراس، يا هيبوقراط، ونحن جاهزان لأن ندفع له المال من أجلك، قل لي بماذا سيعلّمك هو، وما لقبه؟

إنّه سيعلمني السفسطة، يا سقراط، وهو سوفسطائي، ولذلك سيجعلني سوفسطائياً.

لكنْ ألا تستحي، يا هيبوقراط، بأن تظهر أمام الهيلينيين في شخصية سوفسطائي؟ وبرغم ذلك دعنا نفترض أنّ ما يعلّمه بروتاغوراس ليس من هذه الطبيعة، بل يمكنه أن يعلّمك أيّة مهنة هي جزء من التعليم، وعلى الإنسان الحرّ أن يتعلمها.

دعنا نعيد النظر ونسأل: أنت ذاهبٌ لتسلّم روحك لعناية الإنسان الذي تسميه سوفسطائياً، ومع ذلك فإنّني سأكون بالأحرى مشدوهاً إذا عرفت أنت ما هو السوفسطائي، وإن لم تعرف، فإنّك عندئذ لا تعرف لمن تسلّم روحك، وإذا كان من تودع له هذه الروح صالحاً أو طالحاً. ثمّ ماذا يجعل السوفسطائي الإنسان يتكلّم بفصاحة؟ إنّ الانسان العاقل يذهب إلى الطبيب البارع كي يشفي جسده. والآن، فإنّ الروح هي قيد البحث وهي أثمن من الجسد بكثير، ولها مقوّماتها في التوجّه نحو الخير

والفضيلة أو نحو الشرّ والرذيلة. فكيف ستسلّمها إلى هذا الغريب بدون أن تستشير أحداً بشأن ذلك؟ ومع هذا فأنت مستعدٌ لأن تنفق مالك من أجل هذا الغرض، وستكون تلميذ بروتاغوراس برغم كل المخاطر، وأنت لا تعرف من هو السوفسطائي. أليس السوفسطائي، يا هيبوقراط، هو الذي يتصرف بغذاء الروح بالجملة أو بالتجزئة؟ أليست هذه هي طبيعة السوفسطائي؟ أليست المعرفة غذاء الروح؟ ويجب أن نحاذر عندما يعرض علينا السّوفسطائي مبيعاته ويثني عليها. إنّ السوفسطائيين يثنون على بضاعتهم بدون أن يُميّزوا ما هو نافع منها وما هو ضارّ، ولا يعرف صالحها من طالحها إلا طبيب الروح بالعلوم الفلسفية. لذلك علينا أن نحتاط كثيراً، ونستشير العارفين والأكبر منّا سناً. فهناك كثير منهم في بيت كالياس حيث بروتاغوراس. والآن هيّا إلى هناك.

تقدّمنا في طريقنا ووصلنا حيث كان كثير من الناس مجتمعين. دخلنا وجلسنا بالقرب منه، وقلت له: يا بروتاغوراس، إنّ صديقي هيبوقراط وأنا جئنا لنراك. هل ترغب في أن تتكلّم معي على انفراد أو في حضور الجماعة، يا سقراط؟ كما تحبّ، أنت ستقرّر ذلك عندما تعرف القصد من زيارتنا. وما هو غرضكما؟ عليَّ أن أوضح لك، أنّ صديقي هيبوقراط مواطن أثيني، وهو من بيت عظيمٍ ومزدهر ويتوق إلى العلاء السياسي، وبما أنّه فتيٌ فهو يعتقد بأنّ رفقتك ستؤمّن له ذلك على الأرجح. وبعدُ تستطيع أن تقرّر إذا ما كنت ترغب في أن تتكلم إليه عن تعليمك على انفرادٍ أو في حضور الآخرين.

أشكرك، يا سقراط، لتقديرك إيّاي، وأقول لك بصراحة، إنّني سوفسطائي ومعلم للجنس البشري، واعترافي في هذا مناقضٌ للعديد من الرجال الذين يمارسون هذه المهنة ويستحيون بها أو يُخفونها. ولذلك أقول لهذا الشابّ، وأمام الجميع، إنّه إذا ما رافقني، سيعود إلى بيته من اليوم الأول بالتحديد أفضل ممّا أتى، وفي اليوم الثاني أفضل من الأول، وكل يوم أفضل من اليوم السابق الذي حضر إليَّ فيه.

إنّني لا أستغرب، يا بروتاغوراس، سماع هذا من رجلٍ حكيمٍ مثلك، حتى في

سنّك وبكلّ حكمتِك، إذا كان أيّ شخص يعلمك ما لم تعرفه قبلاً، فإنّك ستصبح أفضل بدون شكّ. لكن أجبني بطريقة أخرى من فضلك. أريدك أن تقول بماذا، يا بروتاغوراس، سيكون هيبوقراط أفضل، وبخصوص ماذا؟ أقول لك، يا سقراط، إنّه إذا أتى ليتعلّم مني فهو سيتعلّم ذلك الذي يأتي ليتعلّمه، ويكون هذا التعقّل في الشؤون العامّة والخاصّة. إنّه سيتعلّم كيف ينظّم بيته الخاصّ بأفضل أسلوب، وسيكون مؤهّلاً بشكلٍ كامل لأن يتكلّم ويتصرف في القضايا التي تخصّ الدولة.

تريد أن تقول، كما أتصوّر يا بروتاغوراس، إنّك تعلّمه الفنون السياسيّة، وإنّك تُعدُّ لأن تجعل الرجال مواطنين صالحين. تلك هي المهنة التي أسبّبها بالضبط، يا سقراط. لكنّني سأكون صريحاً معك، يا بروتاغوراس، وسأتكلّم إليك بكلّ إخلاص، وأعترف لك بأنّي اعتدت على الإعتقاد بأنّ هذا الفنّ غير قادرٍ أن يُعلَّم، ومع ذلك فأنا لا أعرف كيف أستطيع أن أنكر إثباتك. برغم أنّ لديَّ العديد من الشواهد والبراهين على ما أقول، خاصة عن رجالات وطننا وعن حكامنا الحاليين، فهم لم يستطيعوا تعليم الفضيلة لأيٍّ من أولادهم، وأخص بالذكر منهم بريكلس الذي لم يقدر على أن يعلّم الفضيلة لولديه بل تركهما أحراراً على أمل أن يهتديا إليها بنفسيهما. وبما أنّني أعرف أنّك تمتلك خبرة عظيمة، وتعليماً، واختراعاً، لهذا السبب أرغب منك أن تريني، إذا أمكن، أكثر قليلاً وبوضوح، أنّ الفضيلة يمكن تعليمها. هل ستسدعي لي هذا الجميل؟

وهكذا بعد أن قدَّمت إيضاحاتك وتأكيداتك في أسطورةٍ وأطنبت في استعمال الكلمات لتثبت أنّ الفضيلة تُعلَّم، فلَكَمْ أُعجبت بما قلته، يا بروتاغوراس، وأشهد لك بطول الباع في الأجوبة المنطقيّة، الطويل منها والمختصر. لكن ما زالت عندي صعوبة واحدة أريد منك أن توضِحها لي، وأرغب أن أقنع روحي بشأنها. لقد قلت عن زيوس بأنّه باعث العدل والمهابة في الرجال، وحين كنت تتكلّم

وصفت عدة مرّات العدل، والاعتدال، والتقوى، وكل هذه النوعيّات الأخرى، وكأنّها تؤلف معاً فضيلة. وبعدُ أريدك أن تخبرني بشكلٍ لا لبس فيه، إذا ما كانت الفضيلة وحدة كاملة، العدل والاعتدال والتقوى أجزاؤها، أو إذا ما كانت كل هذه الأسماء إسماً لمسمّى واحداً والشيء عينه فقط.

أجيبك، يا سقراط، بأنّ النوعيات التي تتكلّم عنها هي أجزاء للفضيلة التي هي واحدة. وهل هي، يا بروتاغوراس، أجزاءٌ في المعنى عينه الذي يكون فيه الفم، الأنف، والعينان، والأذنان أجزاء للوجه، أو أنّها تشبه أجزاء الذهب التي تختلف عن الكل ويختلف بعضها عن البعض الآخر في كونها أكبر وأصغر؟

عليّ أن أقول بأنّها تختلف، يا سقراط؛ في الطريقة الأولى، إنّها متصلة بعضها ببعض كإتصال أجزاء الوجه كلّه. وهل ينال الرجال جزءاً واحداً ما وجزءاً واحداً آخر ما من الفضيلة؟ أو إذا أحرز الإنسان جزءاً واحداً، فهل ينبغي أن يحوز الأجزاء الأخرى كلّها أيضاً، يا بروتاغوراس؟

لا، على الإطلاق، يا سقراط، لأنّ رجالاً عديدين هم شجعان ولكنّهم ليسوا عادلين، أو عادلون ولكنهم ليسوا حكماء. لن تنكر أنت، يا بروتاغوراس، إذن، أنّ الشجاعة والحكمة هما جزءان من الفضيلة أيضاً؟ إنّهما كذلك بدون أيّ شكّ، يا سقراط، والحكمة هي أهمّ الأجزاء. وهل كلها تكون مختلفة بعضها عن بعض، يا بروتاغوراس، ولكلٍّ منها وظيفة مميّزة وهي لا تشبه بعضها بعضاً، وأن لا جزء آخر من الفضيلة يشبه المعرفة، أو العدل، أو الشجاعة، أو الاعتدال، أو التقوى؟

نعم، إنّها كذلك، يا سقراط. لكن افترضْ، يا بروتاغوراس، أنّ شخصاً يسألنا قائلاً: « ماذا عن هذا الشيء الذي دعوتماه العدل، هل هو نفسه عادل أو ظالم »؟ وأجبته أنا بأنّه عادل، فهل ستصوّت معي أو ضدّي؟ سأصوّت معك، يا سقراط. وافترض أنّه واصل القول: « هل يوجد أيّ شيء كالتقوى »؟ وسنجيبه بنعم. ثم يسأل: « وهل يكون هذا النوع الذي يُمتلك بالطبيعة النوعيّة لكونه تقيّاً أو غير

تقيّ »؟ سأجيبه: « سلامٌ، يا رجل؛ لا شيء يمكن أن يكون مقدّساً إذا لم تكن القداسة مقدَّسة ». فماذا ستقول أنت؟ إنّي سأجيبه بالطريقة عينها، يا سقراط. وإذا سأل بعد ذلك: « ماذا كنتما قائلان لتوِّكما الآن؟ لربّما لم أسمعكما جيداً، إذ بدا لي بأنّكما قلتما أنّ أجزاء الفضيلة لم تكن الشيء عينه كبعضها بعضاً ». عليَّ أن أجيبه: « إنّك سمعت ذلك قيل بالتأكيد، لكنّني لم أقل أنا ذلك، كما تتصوّر. فأنا سألت سؤالاً فقط وبروتاغوراس أعطى الإجابة ». وإذا استدار إليك وسألك: « هل هذا صحيح، يا بروتاغوراس »؟ وهل تؤكّد أن جزءاً واحداً من الفضيلة مختلفٌ عن الجزء الآخر، وهل هذا هو موقفك؟ فكيف ستجيبه؟

لا أستطيع إلاَّ أن أعترف بحقيقة ما قلته، يا سقراط. ونحن سنعترف بذلك. لكن افترض أنّه يتقدّم ويسأل: « لا تمتلك القداسة إذن النوعيّة لكونها عادلة، ولا العدل لكونه مقدَّساً، بل لكونه غير مقدَّس. وتمتلك القداسة النوعيّة لكونها غير عادلة، ولذلك فهي ظالمة، ويكون العدل غير مقدَّس ». كيف سنجيبه يا سقراط؟

سأجيبه، يا بروتاغوراس، أنّ العدل مقدس بكلّ تأكيد، وأنّ القداسة عادلة، وأنّهما يشبهان بعضهما بعضاً. هل ستتّفق معي؟ وما هو جوابك؟

إنّني لا أقدر، يا سقراط، أن أوافق بكلٍّ بساطة على أنّ العدل يكون مقدساً وأنّ القداسة عادلة، إذ يبدو لي أنّ هناك فرقاً بينهما. لكن ما هَمَّ، إذا سرَّك ذلك فإنّه يسرّني. دعنا نفترض أنّ العدل مقدَّس، وأنّ القداسة عادلة.

عفوك، يا بروتاغوراس، فأنا لا أريد أن أفحص هذا « إذا سرَّك » أو « إذا أردت »، بل أريدك وأريد نفسي أن نكون متثبِتَيْن. أعني أنّ المحاورة ستكون أكثر ثباتاً إذا لم يكن هناك « إذا » باقية في البحث. إننا اعترفنا قبل الآن بأنّ كلّ شيء له ضدّ واحد وليس أكثر من واحد، وأنّ الذي فُعِلَ بطرقٍ عكسيَّة فُعلَ بالمتضادات. وبعدُ، هل سنقول إنّ كلّ شيء ليس له إلا ضدّ واحد، والآخر إنّ الحكمة متميِّزة عن الاعتدال، وإنّهما كليهما جزآن من الفضيلة، وإنّهما لا يكونان

متميِّزين فقط، بل غير متشابهين في نفسيهما وفي وظائفهما، مثل أجزاء الوجه؟ أيٌّ من هذين التاكيدين سنتخلى عنه؟ لأنّنا لا نستطيع القبول بهما كليهما. إنّهما لا ينسجمان ولا يتفقان، ذلك أن لهما أكثر من ضدٍّ واحد. إنّ الحماقة، التي هي واحدة، ظهر أنّ لها ضدين اثنين: الحكمة والاعتدال. أليس ذلك صحيحاً، يا بروتاغوراس؟ ماذا تقول؟

بعد أن قبلت هذا الاستنتاج، يا بروتاغوراس، ببطء كبير، فإنّني سأقول لك مرّة ثانية، بما أنّ الاعتدال والحكمة واحد، كما ظهر لنا سابقاً، فإنّ العدل والقداسة هما الشيء عينه تقريباً. لكنّنا يجب أن ننهي هذا التحقيق وأن لا نهن. دعني أسألك سؤالاً، هل تعتقد أنّ الرجل الظالم يمكنه أن يكون معتدلاً في ظلمه؟ إنّ هدفي هو أن أختبر صحّة المحاورة، وحتى نحن يمكن أن نوضع تحت الاختبار.

عندما وصلت المحاورة إلى هذا الحد وجدتُ أنَّ بروتاغوراس قد أغضبه أسلوبها، خاصة بعد أن أعطى إجابة طويلة على سؤالٍ قصير ممّا قد يؤدّي إلى عدم الوصول إلى الغاية التي نتوخّاها منها. وبعد أن اتفقنا معه على أن يقصِّر أجوبته قدر ما يستطيع خاصة وأنّه قادر على فعل ذلك، وبما أنّ بروتاغوراس رفض أن يجيب إلاَّ حَسَبَ ما يتصوَّر ويرغب، هممت بالنهوض لمغادرة المكان، لكنّ كالياس أمسكني، وقال: أرجوك أن تبقى، يا سقراط. فلا شيء في العالم أحبّ إليّ أكثَر من سماعي لك وأنت تحاور بروتاغوراس، لذلك، لا تحرم المجموعة من هذه اللذّة، من فضلك. أجبته، إنَّ هذه هي رغبتي الأكيدة، إذا قدرت على إنجازها. غير أنّني لا أقدر في الحقيقة، بل أقول إن إتمامها مستحيل، لأنّني لا أستطيع أن أجاري خطب بروتاغوراس الطويلة، وأنا أعترف بهذا. وبما أن بروتاغوراس يقدر على فعل الاثنين فمَا له لا يقوم بما يوصل المحاورة إلى غايةٍ مُرْضِيَة؟ أو عليه أن يسألني وأنا سأجيبه برحابة صدر.

لكن بعد أن أبدى كُلٌّ من كالياس، ألسيبيادس، كريثياس، بروديكوس،

وهيبياس آراءَهم بشأن الموضوع، وتوصّلنا إلى حلٍّ وسط، بناءً على اقتراحي الأخير كي تستمر المحاورة، وهو أن يسألني بروتاغوراس وأنا أجيبه. لكنّه قَبِل الاقتراح على مضض، ثم بدأ يسألني عن المعنى الذي ورد في قصيدةٍ للشاعر سايمونايدس، وهو: « إنّه لصعبٌ أن تكون خيِّراً ». وعندما شرح بروتاغوراس ما يفهمه من قصيدة سايمونايدس هذه وأوضح ما عناه، أعطيت تعليلاً مطوَّلاً بدوري لمعنى الشاعر. قلت له بعدها دعنا لا نتابع بحثنا في هذا المنحى الآن، بل أن نعود إلى السؤال الذي سألتك إيَّاه، لأنّ هدف الشعر شيء، وما نرومه نحن من محاورتنا شيء آخر. لكن بروتاغوراس رفض أن يقول إذا ما كان سيسألني أو سيجيبني على الأسئلة. غير أنّه خجل ممّا قالته المجموعة الحاضرة وممّا قاله كالياس بشكل خاصّ، وعقَّب على ذلك بعدئذ بأنّ بإمكاني أنْ أسأله وهو سيجيب.

قلت لبروتاغوراس: إنّك أفضل إنسانٍ أقدر أن أتحادث معه بشأن أكثر الاشياء التي أتوقّع من إنسانٍ صالحٍ أن يفهمها، خاصّة الفضيلة. ولك من القوة في جعل الرجال صالحين بما أنّك معلِّم للفضيلة والتعليم، وأنت صرَّحت بذلك وقلت بأنّك سوفسطائيّ. لذا سأسألك: أتكون الحكمة، والاعتدال، والشجاعة، والعدل، والتقوى، خمسة أسماءٍ للشيء عينه، أو أنّ لدى كل منها حقيقة ضمنيَّة منفصلة، شيئاً محدّداً له وظيفة مميَّزة، ولا واحد منها كونه يشبه أيَّ غيرِ منها؟ وأجبت أنت بأنّها غير متشابهة، وأنّ لكلٍ منها عمله الخاص. أما زال هذا رأيك؟

لقدْ أجبتك، يا سقراط، بأنّ كلّ هذه النوعيّات هي أجزاء من الفضيلة، وأنّ أربعة من الخمسة متشابهة إلى حدٍّ ما، وأنّ الخامسة منها، التي هي الشجاعة، مختلفة جدّاً عن الأربعة الأخرى، كما أبرهن بهذه الطريقة: يمكنك أن تلاحظ أنّ رجالاً كثيرين هم آثمون بشكل مطلق، أشرار، مسرفون، جاهلون، والذين هم رائعون لشجاعتهم برغم ذلك. وأعني بالشجاع الواثق من نفسه، الطائش، الجاهز لأن يذهب بتهوُّرٍ إلى حيث لا يجرؤ الآخرون.

وهل تعتقد، يا بروتاغوراس، بأنّ الشجاع يفعل هذا بمعرفةٍ أو بدون معرفة؟ وأريد أن أعرف رأيك عن المعرفة، هل أنت مثل بقية العالم تعتقد أنّ المعرفة ليست مبدأً للقوّة أو الحكم، أو الأمر، بل تعتبرون أنّ الإنسان يمكنه أن يحوز معرفة غالباً، ولا يُحكم بها برغم ذلك، بل يُحكم بشيء ما آخر، باللذة مثلاً، أو بالغضب، أو بالألم، بالحبّ بعض المرّات، بالخوف غالباً، تماماً كما لو كانت المعرفة عبداً، ويمكن أن تُجرَّ على الأرض بكلّ الباقين، فهل هذه هي وجهة نظرك؟ أو هل تعتقد أنّ المعرفة هي شيء نبيلٌ وآمر ولا يُستطاع قهرها، ولن تسمحَ لإنسانٍ، إذا عرف الفرق بين الخير والشرّ فقط، بأنّ يفعل أيّ شيء مضادّ للمعرفة، سوى أنّ الحكمة ستمتلك القوة لتساعده؟

أتّفق معك، يا سقراط، على أنّ الحكمة والمعرفة هما أسمى الأشياء الإنسانيّة، وكذلك على أنّ كل الأعمال الشريفة هي التي تجعل الحياة سارّة وبلا ألم، وأنّ العمل الشريف هو أيضاً نافع وخيِّر. وكذلك نوافق جميعاً على طرحك لمعنى الخير والشرّ، العلم والجهل.

لكنّنا بعد أن وصلنا إلى النتيجة الحتميّة وهي أنّ معرفة ما هو خطر وما ليس بخطر شجاعة، وهي مضادة للجهل بهذه الأشياء، صمت بروتاغوراس. وعندما سألته عن سبب صمته قال: إنْهِ المحاورة بنفسك، يا سقراط. قلت له عندئذ، أريد منك أن تجيبني على سؤالٍ واحدٍ فقط. أرغب أن أعرف إذا كنت ما تزال تعتقد بوجود رجال هم أكثر جهلاً ورغم ذلك فهم أكثر شجاعة. أجاب: إنّ هذا ما ترفضه استقامة المحاورة.

قلت لبروتاغوراس بعدئذ: إنّ هدفي الوحيد من طرح كل هذه الأسئلة، هو رغبتي في التحقّق من طبيعة وعلائق الفضيلة، لأنّه إذا وضح هذا، فإنّني جدّ متأكّدٍ من أنّ الجدل الآخر الذي قد وصلنا إليه وواصلناه لوقت طويل - أنت مثبتٌ أنّ الفضيلة يمكن تعليمها وأنا أنكر ذلك - سيصبح جليّاً أيضاً. يبدو لي أنّ نتيجة

بحثنا فريدة من نوعها، إذ لو كان لدى المحاورة صوت إنساني، فسيُسمع هذا الصوت هازئاً بنا وقائلاً: « يا بروتاغوراس، ويا سقراط، إنّكما مخلوقان غريبان. فأنت، يا سقراط، الذي قلت إنّ الفضيلة لا يمكن تعليمها، إنّما تناقض نفسك بعد أن حاولت برهنة أنّ كلّ الأشياء هي معرفة، شاملاً العدل، والاعتدال، والشجاعة، وهذا يميل ليُظهِرَ أنّ الفضيلة يمكن أن تُعلَّم بالتأكيد. إذ لو كانت الفضيلة غير المعرفة، كما حاول أن يبرهن بروتاغوراس، حينئذ، فإنّ الفضيلة، لا يمكن أن تُعلَّم بوضوح. وبما أنَّ كلّ هذا لا يمكن وضع حدٌّ له واستكشافه إلا بالسؤال، ما هي الفضيلة؟ ينبغي علينا أن نبدأ من هذا السؤال بالتحديد.

إنّني أقدِّر نشاطك، يا سقراط، وأُعجب بك وبإدارتك للمحاورة، وأعتبر أنّك واحد من مشاهير الفلاسفة. لكن دعنا نبحث هذا الموضوع في المستقبل، أمّا الآن فالوقت قد انتهى ولا نستطيع أن نتحادث في أيِّ شيء آخر.

دعنا نذهب حيثما نشاء، يا بروتاغوراس، وسنلتقي في حوارٍ آخر.

محاورة بروتاغوراس

اشخاص المحاورة

سقراط: راوي المحاورة لرفاقه هيبياس
هيبوقراط بروديكوس
السيبيادس كريشياس
بروتاغوراس كالياس، يوناني ثريّ
المشهد: بيت كالياس

رفيق: من أين أتيت، يا سقراط؟ ربما لا أحتاج، كي أسأل السؤال، لأنّني أعرف أنّك قد كنت في مطاردة ألسيبيادس الجميل. لقد رأيته أول من أمس وقد نمت لحيته كالرجل - وهو رجل، كما يمكنني أن أخبرك. لكنّي ظننت بأنّه لم يزل جِدُّ فاتن.

سقراط: ماذا عن لحيته؟ ألستَ من رأي هوميروس، الذي يقول(٧): « إنَّ الشباب أكثر افتتاناً عندما تظهر اللحية أوّلاً »؟ وهذا هو افتتان ألسيبيادس الآن.

رفيق: حسناً، وكيف تتقدم المسائل؟ هل زرته، وما هو موقفه منك؟

سقراط: حسناً جدّاً، إنّني فكّرتُ، وخاصة اليوم، بأنّه أتى لإنقاذي، وتكلّم بحريّةٍ في الدّفاع عني. أتيت من عنده لتوّي الآن. لم أُعِرْهُ اهتماماً، ونسيت لأوقات عدّة تماماً أنّه كان حاضراً.

رفيق: ما معنى هذا؟ هل حدث أيّ شيء بينك وبينه؟ فأنت لا تقدر أن تكتشف حبّاً أنسب من حبّه بدون ريب؛ وليس في مدينة أثينا هذه بكلّ تأكيد.

سقراط: نعم، إنّه أنسب بكثير.

رفيق: ماذا تعني - مواطنٌ أو غريب؟

سقراط: غريب.

رفيق: من أيّة بلاد؟

سقراط: من أبديرا.

رفيق: وهل يكون هذا الغريب في رأيك بحقّ حبّاً أنسب من حبّ كلينياس؟

سقراط: أليس الأعقل هو الأنسب على الدوام، يا صديقي الحلو؟

رفيق: وهل حقّاً قابلت، يا سقراط، شخصاً عاقلاً؟

سقراط: قل بالأحرى، مع أعقل الرجال الأحياء كلّهم، إذا ما كنت تشاء أن تمنح هذا اللقب لبروتاغوراس.

رفيق: ماذا! هل بروتاغوراس في أثينا؟

سقراط: نعم؛ لقد كان هنا منذ يومين.

رفيق: وهل أتيت لتوّك من مقابلةٍ معه؟

سقراط: نعم؛ ولقد سمعت منه وقلت له أشياء عديدة.

رفيق: إذن، إذا لم يكن لديك موعد، إفترض أن تجلس وتخبرني ما مرّ معك، وسيعطيك مرافقي مكانه.

سقراط: لتكن متأكّداً؛ وسأكون شاكراً لك سماعك.

رفيق: أشكرك أيضاً، لإخبارنا بذلك.

سقراط: هذا شكر مضاعف: -

ليلة البارحة، بينما كان الفجر لا يزال داكناً قرع هيبوقراط بن أبولودوروس وأخو مايسون، باب بيتي بعصاه بقوة. شخصٌ ما فتح له الباب، فدخل مسرعاً وصاح: يا سقراط، هل أنت مستيقظ أو نائم؟

عرفت صوته وقلت له: أنت هيبوقراط! هل لديك أيّة أخبار؟

هيبوقراط: أخبار جيّدة، لا شيء سوى الجودة.

سقراط: سارٌّ جداً، لكن ما هي الأخبار؟ ولماذا أتيت إلى هنا في هذه الساعة السماويّة؟

هيبوقراط: [قال بعد أن اقترب مني]: بروتاغوراس أتى.

سقراط: نعم، إنّه أتى منذ يومين. هل سمعت بخبر وصوله؟

هيبوقراط: نعم، حقّاً، سمعت بذلك مساء البارحة فقط.

[في الوقت عينه تلمّس طريقه إلى السرير الخفيض المدولب، وجلس بقربي]، وقال: البارحة في ساعة متأخّرة من المساء، وعند عودتي من أوينو، هرب منّي عبدي ساتيروس؛ وقصدت أن أخبرك بأنّني كنت ذاهباً لأتعقّبه لكنّ شيئاً ما آخر أبعد هذه الفكرة من رأسي. ولدى عودتي، وقد أحضرنا العشاء وكنّا على وشك أن نرتاح، قال لي أخي: بروتاغوراس أتى. قمت لأذهب إليك في الحال، ولكن فكرت أنّ الليل قد مضى أكثره. لكنَّ لحظةً من النوم تركتني في إرهاقي، استيقظت وأتيت إلى هنا رأساً.

وبما أنّني أعرف طبيعته الحماسيّة والسريعة الثوران، قلت: لماذا يهمّك ذلك؟ هل آذاك بروتاغوراس؟

أجاب ضاحكاً: نعم، إنّه فعل حقّاً، يا سقراط، فهو يحتفظ بحكمته لنفسه ولن يقاسمني إياها.

سقراط: لكن، بالتاكيد، إذا أعطيته المال، وحثثته، فإنّه سيجعلك حكيماً مثله.

هيبوقراط: أتمنى، وحق السماء، أن تكون هذه هي الحالة! يمكنه أن يأخذ كل ما أملك، وكل ما يحوزه أصدقائي، إذا ما سرّه ذلك. لكن هذا هو السبب الذي من أجله أتيت إليك الآن، لتكلّمه من أجلي؛ لأنني فتيٌّ، ولأنّني أيضاً، لم أره أبداً ولم أسمعه. « عندما زار أثينا سابقاً كنت طفلاً؛ » وكل الرجال تثني عليه، يا سقراط؛ إنّه يُعَدُّ أكثر المتكلّمين ضلوعاً. لا سبب يمنعنا من الذهاب إليه في الحال، وسنجده في البيت. إنّه يسكن، كما أسمع، مع كالياس بن هيبونيكوس. هيّا نمشِ.

سقراط: ليس الآن، يا صديقي الصالح؛ الوقت لا يزال باكراً جدّاً. لكن دعنا ننهض ونتجول في الساحة وننتظر هناك حتّى طلوع النهار؛ وسنذهب بعدئذ. إنّ بروتاغوراس يكون في البيت على العموم، وسنكون متأكّدين كثيراً أننا نجده هناك، لا تخف أبداً.

[نهضنا بُعيد هذا ومشينا في الفِناء، وأخذت أفكّر بأنّني سأجرّب قوّة ثباته. لهذا فقد امتحنته ووضعت له الأسئلة].

قلت له: أخبرني، يا هيبوقراط، بما أنّك ذاهب إلى بروتاغوراس، وستدفع له مالاً لتعليمك، منِ هو الذي تقصد؟ وما الذي سيخلق منك؟ إذا فكّرت، كمثال، في الذهاب إلى هيبوقراط الأسكليبيادي، من كوس، وكنت على وشك أن تعطيه مكافأة لتعليمك، وقال لك شخص ما: أنت تدفع المال لسميّك يا هيبوقراط، أوه أخبرني؛ من هو الذي تعطيه المال؟ فكيف ستجيب؟

هيبوقراط: عليَّ أن أقول، إنّني أعطيته المال لأنّه طبيب.

سقراط: وماذا سيخلق منك؟

هيبوقراط: طبيباً.

سقراط: وإذا عزمت على الذهاب إلى بوليكلاتيس الأركيفي، أو فايدياس الأثيني، وقررت أن تعطيهما مكافأة لتعليمك، وسألك شخص ما: من هما بوليكلاتيس وفايدياس؟ ولماذا تصمّم على أن تعطيهما هذا المال؟ - كيف ستجيب؟

هيبوقراط: عليَّ أن أجيب بأنّهما نحّاتان.

سقراط: وماذا سيخلقان منك؟

هيبوقراط: نحاتاً، بالطبع.

سقراط: حسناً الآن، أنت وأنا ذاهبان إلى بروتاغوراس، ونحن جاهزان لأن ندفع له

المال من أجلك. إذا كانت وسائلنا الخاصّة كافية، وإذا قدرنا على أن نقنعه بها، فسنكون جدَّ جذلين؛ لكن إن لا، فما علينا عندئذ إلاَّ أن ننفق دراهم أصدقائك أيضاً. إفترض الآن، أنّنا ونحن في أقصى حماستنا في متابعة هدفنا أتى شخص ما وقال لنا: أخبرني، يا سقراط، وأنت يا هيبوقراط، من هو بروتاغوراس، ذلك أنّكما ذاهبان لتدفعا له المال؟ كيف سنجيب؟ أعرف أنا أنّ فايدياس نحات، وأنّ هوميروس شاعر، لكن ما الكنية المعطاة لبروتاغوراس؟ ما صفتُه؟

هيبوقراط: إنّهم يسمّونه سوفسطائياً يا سقراط.

سقراط: إذن نحن ذاهبان لندفع مالنا إليه في شخصيّة سوفسطائي؟

هيبوقراط: بالتاكيد.

سقراط: لكن إفترض أنّ شخصاً ما سأل هذا السؤال الأبعد: وماذا عن نفسيكما؟ ماذا سيخلق بروتاغوراس منكما، إذا ما ذهبتما إليه لترياه؟

أجابني واحمرار الخجل بادٍ على وجهه « لأنّ النهار كان يشرق لتوّه، إلى حدّ أنّني أستطيع رؤيته »؛ أجابني، ما لم يختلف هذا في طريقةٍ ما من الحالات السابقة، فإنّني أفترض أنّه سيخلق منّي سوفسطائياً.

سقراط: يا للسماء، ألا تخجل من الظهور أمام الهيلينيين في شخصية سوفسطائي؟

هيبوقراط: حقّاً، يا سقراط، بالحقيقة إنّني كذلك.

سقراط: لكنْ عليك أن لا تفترض، يا هيبوقراط، أنّ تعليم بروتاغوراس هو من هذه الطبيعة. ألا يمكنك أن تتعلم منه بالطريقة عينها التي تعلمت بها فنون العالِم بالنّحو والصّرف، أو الموسيقي، أو المدرِّب، ليس بهدف جعل أيٍّ منها مهنة، بل كجزءٍ من التعليم فقط، وبسبب أنّ السيد والإنسان الحرّ الخاصَّيْنِ يلزمهما أن يعرفاها؟

هيبوقراط: هكذا تماماً؛ وهذا في رأيي تعليل أحقّ، بأبعاد، من تعليم بروتاغوراس.

هيبوقراط: هكذا تماماً؛ وهذا في رأيي تعليل أحقّ، بأبعاد، من تعليم بروتاغوراس.

سقراط: إنّني أتساءَل إن كنت عرفت ما أنت على وشك القيام به، أو أنّك ما تزال جاهلاً؟

هيبوقراط: في خصوص ماذا؟

سقراط: أنت ذاهبٌ لتسلِّم روحك لعناية إنسانٍ تسميه سوفسطائياً. ومع ذلك فإنّني سأكون بالأحرى مشدوهاً إذا عرفت ما هو السوفسطائي؛ وإن لم تعرف، فأنت لا تعرف حينئذ لمن تسلِّم روحك وسواء أكان الشيء الذي تودع له نفسك صالحاً أو طالحاً.

هيبوقراط: أعتقد أنّني أعرف ذلك بالتأكيد.

سقراط: ألاَ يمكنك أن تؤكّد هذا عن رسَّام اليد وعن النجار أيضاً؟ ألاَ يعرفان أشياء حكيمة أيضاً؟ لكن إفترض أنّ شخصاً ما سألنا: بماذا يكون الرسّامون اليدويون حكماء؟ علينا أن نجيب: فيما يخص صناعة المظاهر الخارجيَّة. وسنجيب عن الأشياء الأخرى بشكلٍ مماثل. وإذا ما سأل أبعد من ذلك: ما هي حكمة السوفسطائي؟ وما هي الصّناعة التي يشرف عليها؟ ـ بماذا سنجيبه؟

هيبوقراط: بماذا سنجيبه، يا سقراط؟ هل من جواب آخر غير أنّه يشرف على الفنّ الذي يجعل الناس بلغاء؟

سقراط: نعم، إنّ هذا لحقيقيّ جداً على الأرجح، لكنّه ليس كافياً؛ لأنّ هذا الجواب يستدعي سؤالاً أبعد: عن ماذا يجعل السوفسطائي الإنسانَ يتكلّم ببلاغة؟ فاللاعب على القيثار يجعل الإنسان يتكلّم بفصاحةٍ بشأن ذلك الذي يجعله يفهمه، وهو العزف عليه. أليس ذلك صحيحاً؟

هيبوقراط: نعم.

سقراط: إذن، بشأن ماذا يجعله مينون بليغاً؟

هيبوقراط: بوضوح، بخصوص ذلك الذي يجعله يفهمه.

سقراط: نعم، يمكن افتراض ذلك، وما الذي يعرفه مينون ويجعل أتباعه يعرفونه؟
هيبوقراط: حقّاً، أنا لا أستطيع أن أخبر.
سقراط: سأتقدّم عندئذ لأقول: حسناً، هل أنت عالِمٌ بالخطر الذي أنت ذاهب لتعرّض روحك له؟ إذا ما كنت لتسلّم جسمك للشخص الذي يمكن أن يفعل خيراً أو أذىً له؛ ألا ينبغي أن تتأمل مليّاً وبعناية، وتسأل عن آراء أصدقائك وأنسبائك، وتدرس لأيام عدّة، ما إذا كان يلزم أن تسلّمه عناية جسدك؟ لكن الآن فالروح هي قيد البحث، وهي أثمن من الجسد ببعدٍ كثير لأنّ الخير أو الشرّ، وكل الذي تمتلكه يتوقف على فضيلتها أو رذيلتها. مع ذلك فأنت لم تتشاور بشأن هذا أبداً، لا مع أبيك ولا مع أخيك ولا مع أيّ واحدٍ منّا نحن رفاقك، إذا ما كان ينبغي أن تسلمها إلى عناية هذا الغريب الذي أتى إلى هنا. ستسمع عنه في المساء، كما تقول، وتذهب إليه في الصباح، غير متأنٍّ أبداً أو آخذٍ رأي أيّ شخصٍ إذا ما كان يجب أن تأمن نفسك منه أوّلاً - إنّك عزمت تماماً على أنّك ستكون تلميذ بروتاغوراس برغم كلّ المخاطر، وأنّك مستعدٌّ لتنفق كل ما تملكه أنت وما يمتلكه أصدقاؤك في تنفيذ هذا التصميم بأيّ ثمن، وكما تعترف، فإنّك لا تعرفه مع ذلك، ولم تتكلّم معه قطّ. وأنت تدعوه سوفسطائياً، غير أنّك جاهل بشكل كلّي وجليّ ما هو السوفسطائي. وبرغم ذلك فأنت ذاهب لتعهد بنفسك إلى عنايته.

[أصغى هيبوقراط إليّ وأجاب: إنّها تشبه تلك الطريقة التي وضعتها، يا سقراط].

سقراط: أليس السوفسطائي، يا هيبوقراط، إنساناً يتصرّف بغذاء الروح بالجملة أو بالتجزئة؟ يظهر لي أن تلك هي طبيعة السوفسطائي.
هيبوقراط: وما هو غذاء الروح، يا سقراط؟
سقراط: إنّ المعرفة هي غذاء الروح، بالتأكيد. ويجب علينا أن نكون حذرين، يا صديقي، لئلاّ يخدعنا السوفسطائي عندما يثني على الذي يبيعه؛ شأنه في ذلك شأن تجّار الجملة أو تجّار التجزئة الذين يبيعون غذاء الجسد. إنّ

السوفسطائيين يثنون على كلّ بضائعهم بدون تمييز، بدون معرفة ما يكون نافعاً أو ضَارّاً بحقّ. ولا يعرف زبائنهم ذلك، ماعدا المدرِّب أو الطبيب الذي يمكن أنْ يشتريها منهم. في أسلوبٍ مماثل فإنّ أولئك الذين يطوفون بسلع المعرفة، يجوبون المدن ويبيعونها أو يجزّئونها. عليّ ألاّ أتعجّب برغم ذلك، يا صديقي، إذا ما وجد بينهم أيضاً بعض ممّن يجهلون أيّ أصناف بضائعهم تصلح للروح، وأيُّها فاسد؛ وأنّ زبائنهم غير مطّلعين عليها بشكل مماثل، ما لم يحدث للّذي يشتريها منهم أن يكون طبيباً للروح. إذا عرفت لذلك، ما يكون خيراً وشرّاً بين هذه الأشياء، يمكنك عندئذ أن تشتري المعرفة من بروتاغوراس أو من أيّ شخص آخر بأمان. وإلاّ، توقف حينئذ، ولا تخاطر بأغلى منافعك الذاتية في لعبة الحظ هذه لأنّ هناك خطراً أعظم بكثير في شراء المعرفة ممّا في شراء اللحم والشراب. أنت تشتري واحدها من بائع الجملة أو من بائع التجزئة، وتحملها معك في قوارب أخرى، وقبل أن تدخلها في جسدك كغذاءٍ وشراب يمكن أن تودعها في البيت وتستدعي أيّ صديق خبير يعرف أيّها صالح ليُؤكل ويُشرب وأيُّها ليس كذلك، وكم، ومتى؛ وآنئذ فإنّ خطر شرائها لن يكون هكذا عظيماً. لكنّك لا تتمكن من شراء بضائع المعرفة وتحملها بعيداً في قارب آخر. وعندما تدفع من أجلها يجب أن تدخلها في الروح وتذهب بطريقك، إمّا مُؤْذىً أو منتفعٌ؛ وبسبب ذلك علينا أن نحتاط ونتشاور مع الأكبر منا سنّاً لأنّنا مازلنا غير ناضجين، تنقصنا الخبرة لتقرير مسائل كتلك. وبعدُ دعنا نذهب، كما كنا عازمين، ونسمع بروتاغوراس. وعندما نشتمع لِمَا سيقول، يمكننا أن نأخذ بنصح الآخرين؛ لأن بروتاغوراس ليس هو الوحيد في بيت كالياس، بل هناك هيبياس من أليس، وإذا لم أكن مخطئاً، فهناك بروديكوس من سيوس، وعدة رجالٍ حكماء آخرين.

[إتفقنا على هذا، وتقدّمنا في طريقنا حتى وصلنا إلى ردهة البيت، ووقفنا هناك كي نتمكّن من تقرير البحث قبل أن ندخل، ذلك البحث الذي نشأ بيننا بينما كنّا سائرين في الطريق. مكثنا في المكان نتحادث حتّى وصلنا إلى تفاهمٍ مشترك. وأعتقد أنّ حارس الباب، خَصِيٌّ، يكره الزائرين بسبب وجود العدد الأكبر من السوفسطائيين بينهم على الأرجح، ولا شكّ أنّه سمعنا نتكلّم خارجاً. على كلّ حال، عندما قرعنا الباب، وفتح ورآنا، تذمّر ودمدم: إنّهم سوفسطائيون ـ إنّه مشغول. وفي الحال أغلق الباب بعنفٍ بكلتا يديه. قرعنا الباب مرة ثانية، وأجابنا بدون أن يفتحه: ألم تسمعاني أقول إنّه مشغولٌ، يا رجال؟ قلت له: لا داعي للذّعر، يا صديقي، فنحن لسنا سوفسطائيين، ونحن لم نأتِ لنرى كالياس، بل نريد أن نرى بروتاغوراس؛ ويجب أن ألتمس منك أن تبلّغ عنّا. أخيراً، بعد بعض الصعوبة، إقتنع الرجل بفتح الباب لنا.

[عندما دخلنا، وجدنا بروتاغوراس يتمشى في الرّواق المسقوف؛ وكان يسير بقربه كالياس بن هيبونيكوس من جهة، وبارالوس بن بريكلس، وهو أخوه من أمّه، وكارميديس بن كلوكون. وكان على جانبه الآخر أكسانثيبوس، بن بريكلس الآخر، وفيليبايدس بن فيلوميلوس. كان أيضاً انتيموروس من مِنْدي، الذي هو أشهر أتباع بروتاغوراس، والذي يعتزم أن يجعل السوفسطائية مهنته. تبعته كذلك قافلة من المستمعين؛ ظهر أنّ الجزء الأكبر منهم كانوا غرباء، أحضرهم بروتاغوراس معه من خارج المدن المتعدّدة التي قام برحلاتٍ إليها. هو، مثل أورفيوس، فتنهم بصوته، وهم تبعوا الساحر(٨). ينبغي أن أذكر أيضاً أنّه كان هناك بعض الأثينيين في الجوقة. لا شيء أبهجني أكثر من هذه الجوقة؛ لقد كانوا شديدي الحرص وبجمال أن لا يقفوا في طريقه على الإطلاق، وعندما استدار هو ومن كان معه إلى الخلف، فإنّ عُصبةً من المستمعين له تفرقت على كلا الجانبين بانتظام، وانعَطفوا بدوران، وأخذوا أماكنهم خلفه في نظامٍ تام.

[« خلفه »، كما يقول هوميروس[٩]، « رفعتُ عينيّ ورأيت » هيبياس الأيلي جالساً في الرواق المسقوف المقابل على كرسي الرئيس، وكان يجلس بقربه على مقاعدَ أريكسيماخوس بن اكيومينوس وفايدرس الميرهونيسيان، وأندرون بن اندرويتون، وكان هناك غرباء أحضرهم من مدينته إليس، وأشخاص آخرون كذلك. لقد كانوا يطرحون أسئلة محدَّدة على هيبياس بشأن الطبّ وعلم النجوم، وهو، من على كرسي الرئاسة، كان يميّز بين أسئلتهم المتعددة ويحادثهم.

[أيضاً، « رأت عيناي تانتالوس[١٠] »؛ لأنّ بروديكوس السيني كان في أثينا: كان يسكن في غرفة كانت مخزناً في أيّام هيبونيكوس؛ لكن بما أنّ البيت غصَّ بالحاضرين، فلقد أفرغها كالياس وألحقها بقاعة الضيوف. كان بروديكوس لا يزال في فراشه، ملتحفاً جلد غنمٍ ولابساً ثياب النوم، التي تبدو منها كومة كبيرة بقربه؛ وعلى الأرائك بجواره، جلس بوسانياس من مقاطعة الدِّيم؛ ومعه صبيٌّ صغير السن مدهشٌ لحسنه وجماله بكلّ تأكيد، وإذا لم أكن مخطئاً، فهو ذو طبيعة خيِّرة ونبيلة. ظننت أنّني سمعته ينادى آغاثون، واشتباهي أنّه كان محبوباً مِن قِبل سانيَاس. هناك كان هذا الصبيّ، وهناك وُجِدَ الأديامانتوسيان الإثنان أيضاً، أحدهما ابن سيبيس، والآخر ليوكولوفايدس، وبعضٌ آخرون. لقد كنتُ توّاقاً جدّاً لأسمع ما كان يقوله بروديكوس، فهو يبدو لي أنّه إنسان ملهم وذو عقل راجح. لكنّني لم أكن قادراً على أن أدخل إلى الدائرة الداخلية، وكان صوته العميق الرقيق يبعث صدىً في الغرفة، جعل كلماته غير واضحة.

[تبعنا بعد فترة من دخولنا السيبيادس الجميل، كما تقول أنت عنه، وأصدِّقك أنا؛ وأتى كريشياس بن كالايسخروس أيضاً.

[توقفنا حين دخولنا قليلاً، كي ننظر ما حولنا، ومشينا إلى بروتاغوراس

بعدئذ، وقلت له: يا بروتاغوراس، إنّ صديقي هيبوقراط وأنا جئنا لنراك].

بروتاغوراس: هل ترغبا أن تتكلما معي على انفراد أو في حضور الجماعة؟

سقراط: أيُّهما تحب؛ أنت ستقرِّر عندما تعرف القصد من زيارتنا.

بروتاغوراس: وما هو غرضكما؟

سقراط: ينبغي أن أوضح لك، أن صديقي هيبوقراط مواطن أثيني؛ وهو ابن أبولودوروس، من بيتٍ عظيمٍ ومزدهر، وهو ذاته ذو إمكانية طبيعية ليصارع أيّ شخص من عمره. أعتقد أنّه يتوق للعلاء السياسي؛ ولهذا فهو يعتقد أنّ رفقته لك هي أكثر من يؤهّله لذلك. وبعدُ تستطيع أن تقرِّر إذا ما كنت سترغب بأن تتكلّم إليه عن تعليمك على انفراد أو في حضور الآخرين.

بروتاغوراس: أشكرك، يا سقراط، لتقديرك إيّاي. إنّ الغريب الذي يكتشف طريقة في المدن العظيمة، ويقنع زهور الشباب فيها بأن يتركوا جميع أقاربهم أو أيّ رفاق آخرين، كهولاً، وشباباً، وأن يعيش معهم بحجّة أنّهم سيتحسّنون برفقته، هذا الغريب ينبغي أن يكون جدَّ محترس. نشأت غيرة عظيمة بمن تقدمونه، وهو الهدف لعداواة ومكائد كثيرة. وبعدُ إن فنّ السوفسطائي وجد، كما أعتقد، منذ العصور القديمة. لكنّ الذين مارسوه في الأزمان الغابرة، خائفين هذا العار، قنّعوا وأخفوا أنفسهم تحت أسماءٍ عديدة، بعضهم تحت إسم الشعراء كهوميروس، هيسيود وسايمونايدس، وبعضهم تحت إسم الكهنة والأنبياء، مثل أورفيوس، وموسايوس، وبعضهم، كما ألاحظ، حتى تحت إسم أسياد التمارين الرياضيَّة، مثل إيكوس من تارانتوم، أو معاصرنا هيروديكوس، الآن من سيليمبريا وسابقاً من ميغارا، الذي يعتبر سوفسطائياً من درجة أولى. تظاهر أغاثولكس الذي يخصك أنّه موسيقي، لكنّه كان سوفسطائياً بارزاً بحقّ؛ وكان أيضاً بيثوكلايدس السيني؛ وكان هناك عديدٌ آخرون. وكلّهم، كما كنت قائلاً، تبنَّوا هذه الفنون كبراقع وأقنعة لأنّهم كانوا خائفين من

العار الذي ستحدثه. غير أنّني لا أتفق مع واحد منهم على هذا الموضوع، لأنّي لا أعتقد أنّهم نفَّذوا غرضهم الذي وجد ليخدع الرجال في السلطة، والذين لم يكونوا بها عمياناً. وفيما يتعلق بالشعب، فإنّهم لا يمتلكون عنه فهماً أو فهماً قليلاً، ويردّدون فقط ما يحلو لحكامهم أن يخبروهم. وبعدُ ففراري قمة الغباوة، ويزيد سخط الجنس البشريّ بشكل كبير؛ لأنّهم يعتبرون من يولي الأدبار متشرداً، بالإضافة إلى أيّة اعتراضات أخرى يضيفونها إليه. إنّني أتبع لذلك طريقة مضادة بشكلٍ تامّ، وأعرِّف نفسي بأنّي سوفسطائي ومعلم للجنس البشري؛ واعتراف واضح كهذا يبدو لي أنّه نوع أفضل للاحتراس من الاختفاء. وأنا لم أهمل المحاذير الأخرى. ولذلك، برعاية السماء، لتكن مقالة، فأنا لا أقاسي أذىً كبيراً من هذا الاعتراف ذلك أنّني سوفسطائي. وأنا قد كنت لعدّة سنوات في هذه المهنة ـ لأنّه عندما تضاف كلّ سنواتي إلى بعضها فهي عديدة. لا أحد من الحاضرين يمكن ألا أكون والِداً له. وهكذا عليَّ أن أفضّل كثيراً التحاور معكما، إذا أردتما أن تتحادثا معي، في حضور الجماعة.

سقراط: [أدركت أنه يحبّ أن يعرض نفسه قليلاً ويحوز تمجيداً في حضور بروديكوس وهيبياس، ويُظهرنا إليهم بحبورٍ أنّنا معجبون به]. قلت له: لِمَ ينبغي أن لا ندعو بروديكوس وأصدقاءه ليسمعونا؟

بروتاغوراس: جيّد جداً.

سقراط: أفترض أنّنا نهيّيء مجلس شورى يمكننا أن نجلس فيه ونتحادث.

[إتّفقنا على هذا، وشعرنا كلنا بحبور عظيم لِمَا نتوقعه من هكذا بحث يقوم به رجال حكماء. جلسنا على الكراسي والأرائِك، ورتّبناها بقرب هيبياس، حيث كانت الأرائك الأُخرى قد وضعت. في حين أن كالياس والسيبيادس، أخرجا بروديكوس من سريره وأدخلاه ورفاقه حيث نحن].

عندما جلسْنا جميعاً، قال بروتاغوراس: بما أنّ المجموعة كلّها قد التأمت، يا سقراط، يمكنك أن تردِّد ما قلته لي لتوِّك الآن فيما يخص هذا الرجل الشابّ.

سقراط: سأبدأ من النقطة الرئيسيَّة عينها مرَّة ثانية، يا بروتاغوراس، وأخبرك عن فحوى زيارتنا ومغزاها مرَّة أخرى. هذا هو صديقي هيبوقراط، الذي يرغب في عشرتك. إنه يحبّ أن يعرف ما سيحدث له إذا ما رافقك. ليس عندي أكثر لأقول.

بروتاغوراس: أيّها الرجل الشاب، إذا رافقتني، ستعود إلى بيتك من اليوم الأوّل بالتحديد إنساناً أفضل ممّا أتيت، وأفضل في اليوم الثاني من اليوم الأول، وكل يوم أفضل من اليوم السابق الذي أتيت فيه إليّ.

سقراط: عندما سمعت هذا، قلت له: يا بروتاغوراس، لا يُدهشني ما تقوله؛ حتّى في سنّك، وبكلّ حكمتك، إذا كان أيّ شخص يعلمك ما لم تعرفه قبلاً، فإنّك ستصبح أفضل بدون شكّ. لكن من فضلك أجب بطريقة أخرى - إنّي سأوضح لك ذلك بمثال. دعني أفترض أنّ هيبوقراط، بدلاً من رغبته بعشرتك، كان سيرغب بشكل مفاجىء أن يرافق الرجل الشابّ زيوكسيبوس من هيراكليا الذي وصل إلى أثينا لزيارتها مؤخّراً، وأنّه أتى إليه كما يأتي إليك، وسمعه يقول، مثلما سمعك تقول، إنّه كلّ يوم سينمو ويصبح أفضل إذا رافقه، وافترض عندئذ أنّه سأله: « بماذا سأصبح أفضل، وفي ماذا سأترعرع؟ » - سيجيب زيوكسيبوس، « بالرسم اليدوي ». وافترض أنّه ذهب إلى أورثوغوراس الطيبي، وسمعه يقول الشيء عينه، وسأله: « بماذا سأصبح أفضل يوماً بيوم »؟ سيجيب: « في العزف على القيثار ». أريد منك الآن أن تضع جواباً من النّوع عينه لهذا الرجل الشابّ ولي كذلك، إذ أسألك أسئلة في هذا المنحى. عندما تقول إنّك سترجعه إلى البيت رجلاً أفضل في اليوم

الأول الذي سيرافقك فيه، وسيكبر رجلاً أفضل كل يوم في نمط مماثل، بماذا، يا بروتاغوراس، سيكون أفضل؟ وبشأن ماذا؟

عندما سمعني بروتاغوراس أقول هذا، أجاب: أنت تسأل أسئلة بعدل، وإنني أرغب أن أجيب على سؤالٍ يُسأل ويُوضع بعدل. إذا أتى إليَّ هيبوقراط فإنّه لن يختبر نوع الكدح الذي يعتاده السوفسطائيون الآخرون في إهانة تلامذتهم الذين عندما هربوا من الفنون لتوّهم، يرغمهم هؤلاء الأساتذة أن يعودوا إليها، ويُكرَهُون على أن يتعلموا علم الحساب وعلم النجوم وعلم الهندسة وعلم الموسيقى. [ألقى نظرةً على هيبياس عندما قال هذا]؛ لكنه إذا أتى إليَّ، فهو سيتعلم ذلك الذي يأتي ليتعلّمه. ويكون هذا التعقّل في الشؤون الخاصة كما العامة؛ أنّه سيتعلّم أن ينظّم بيته الخاصّ في أفضل أسلوب، وسيكون مؤهّلاً لأن يتكلم ويفعل في الشؤون التيّ تخصّ الدولة بشكل كامل.

سقراط: هل أفهم أنك تقول، وهل تعني أنك تعلّمه الفنون السياسيّة، وأنك تُعِدُّ لأن تجعل الرجال مواطنين صالحين؟

بروتاغوراس: إنّ تلك، يا سقراط، هي المهنة التي أُسبِّبها بالضبط.

سقراط: إذن، فأنت تمتلك فنّاً نبيلاً بحقّ، إذ لا خطأ بشأن هذا. إنّني سأتكلّم إليك، يا بروتاغوراس، بكل إخلاص، وأعترف بأني اعتدت أنْ أعتقد أنَّ هذا الفنّ لا يمكن تعليمه، ومع ذلك فأنا لا أعرف كيف أنكر إثباتك. وعليَّ أن أخبرك لماذا أتصوّر أنَّ هذا الفنّ لا يمكن تعليمه أو نقله من إنسانٍ إلى إنسان. أعتقد أنّ الاثينيين هم شعب واع، يقدّرهم الهيلينيون الآخرون. ألاحظ الآن أنّنا عندما نتقابل معاً في الجمعية العمومية، والمسألة التي سنبحثها تخص البناء، فالبناؤون هم المدعوون كمستشارين. وعندما يكون السؤال عن بناء السفن، يُستدعى صانعو السفن حينئذ؛ وما يشبه ذلك في

الفنون الأخرى التي يعتقدون أنها قادرة لأن تُثقَّف وتُعلَّم. وإذا تقدَّم لنُصحهم شخِص لا يرون عنده أيّة براعة في الفنّ، رغم بهاء طلعته وثرائه ونبله فهم لن يستمعوا إليه، بل يضحكون منه ويستهجنونه، فإمّا أن يُحبط ويعتزل بنفسه، أو يُسحب بعيداً ويُوضع خارجاً حسب أمر الاختصاصيين. هذه هي طريقتهم التي يسلكونها بشأن ذلك الذي يعتبرونه موضوعاً للفنّ. لكن عندما يكون السؤال في شؤون الدولة، فإنّ كلّ شخص يكون حراً ليعبّر عن رأيه: النجار، المفكّر، الإسكافي، التاجر، قبطان الباخرة، الغني والفقير، العالي والسافل، أيّ شخص يحب يستيقظ، ولا أحد يؤنّبه، كما فعلوا في الحالة السابقة، بما لم يتعلموه، ولم يمتلّكوا أستاذاً له، ومع هذا أسدوا نصيحة. فعلوا ذلك بوضوح لأنّهم كانوا تحت انطباع أنّ هذا النوع من المعرفة لا يُستطاع تعليمه، وهذا ليس حقيقاً عن الدولة فقط، بل عن الأفراد. إنّ أفضل وأعقل مواطنينا غير قادرين على أن ينقلوا امتيازهم الخاصّ إلى الآخرين؛ كمثال بريكلس، والد هذين الرجلين الشابين اللذين أمدَّهما بتعليمٍ رائع في كل ما يمكن تعلّمه من الأسياد، ولم يعلّمها في دائرته السياسيَّة الخاصة، ولا أحضر لهما أساتذة؛ لكن سمح لهما التجول بإرادتهما الخاصة على أمل أنّهما سيهتديان إلى الفضيلة من تلقائهما. أو خذ مثلاً آخر: هناك كلينياس الأخ الأصغر لصديقنا السيبيادس، الذي كان يحرسه بريكلس ذاته بالتحديد؛ وحين أدرك أنّ ألسيبادس سيفسد كلينياس انتزعه من أخيه ووضعه بعيداً في بيت أريفرون ليتعلَّم. لكن قبل انقضاء ستّة أشهر، أعاده بريكلس إلى ألسيبيادس، غير عارفٍ ما يفعل به. وأقدر أن أذكر حالات أخرى لا تحصى عن أشخاص صالحين، ومع ذلك لم يجعلوا أي شخص آخر أبداً صالحاً، سواء كان صديقاً أو غريباً. عندما أفكر مليّاً في تلك الأمثلة، يا بروتاغوراس، يتبين أنّ الفضيلة لا يُستطاع تعليمها. لكن

حينما أستمع لكلماتك مرّة ثانية، فإنّني أضطّرب وأميل إلى الاعتقاد أنّه يجب أن يكون في ما تقوله شيء ما، لأنّني أعرف بأنّ لديك خبرة عظيمة، وتعليماً، واختراعاً. وأرغب في أنّك ستريني، إذا أمكن، أكثر قليلاً وبوضوح أنّ الفضيلة يمكن تعليمها. فهل ستسدي لي هذا المعروف؟

بروتاغوراس: أجل، يا سقراط، وبغبطة. لكن ماذا ستحبّ؟ هل عليّ، بوصفي الأكبر سنّاً، أن أتكلّم إليك كرجلٍ أصغر سنّاً في خرافة أخلاقية المغزى أو في أسطورة، أو أنّني سأتحاور خارج السؤال؟

[أجاب العديد على هذا أنّه سيختار بنفسه].

بروتاغوراس: حسناً، إذن، أعتقد أنّ الأسطورة ستكون ممتعة أكثر.

في سالف الزمان كانت هناك آلهة فقط، ولم تكن هناك مخلوقات فانية. لكن عندما أتى الوقت المعيَّن لولادة هؤلاء أيضاً، فالآلهة صاغتهم من التراب والنار وأمزجة منوّعة من كلا العنصرين في داخل الأرض. وعندما كانوا على وشك إحضارهم إلى نور النهار، أَمروا بروميثيوس وأبيميثيوس كي يجهزوهم ويوزعوا عليهم نوعيّاتهم المناسبة كلاًّ بمفرده. قال إبيميثيوس لبروميثيوس: « دعني أوزِّع، وأنت عاين ». إتّفقا على ذلك وبدأ ابيميثيوس بالتوزيع. بعض منهم وهبه القوة بدون السرعة، في حين جهَّز الأضعف بالسرعة. سلَّح بعضهم، وترك الآخرين عُزَّلاً من السلاح؛ واستنبط للمتأخّرين وسائل الوقاية الأخرى. وضع حركة سريعة على أولئك الذين نسجهم من أجسام ضعيفة أو أمدَّهم بسَكَنٍ؛ سرِّيٍّ، وحمى ذوي الجثث الضخمة بحجمهم الكبير جدّاً ومعوّضاً على بقيَّةٍ منهم بشكل مماثل. إنّه استخدم هذه الوسائل احتياطاً من انقراض أية سلالة. وعندما احتاطوا ضد هلاكهم بعضهم ببعض، واستنبط هو وسائل أيضاً لحمايتهم ضدَّ الفصُول السماويَّة، كاسيهم بشَعرٍ قريب من بعضه بعضاً وبجلودٍ سميكةٍ كافيةٍ لتدافع عنهم

ضدّ برد الشتاء، وقادرة مع ذلك أن تقاوم حرّ الصيف، ووافية بالغرض أيضاً كسرير طبيعي خاصّ بهم عندما يريدون أن يرتاحوا. أمدَّهم هو كذلك بالأخفاف والشعر والجلد الصلب القاسي في قوائمهم. أعطاهم بعدئذ الغذاء المتنوع: وهب عشب الأرض لبعضهم، وثمرات الأشجار للبعض الآخر، والجذور لغيرهم، ومنح البعض الثاني الحيوانات كغذاء. وأنشأ الغير ليحوز بعض الأفراد الصغار، في حين أنّ أولئك الذين كانوا غنائمهم كانوا وافري الثّمر؛ وصينت السلالة بهذه الطريقة. هكذا فعل ايبيميثيوس، الذي لم يكن عاقلا جدّاً. نسي أنّه وزّع كل النوعيات التي كان عليه أن يهبها بين الحيوانات المتوحشة، وعندما وصل إلى الإنسان الذي بقي بدون تجهيز، كان مرتبكاً بشكل رهيب. عندها، وفي غمرة هذا الارتباك، أتى بروميثيوس ليعاين التوزيع، ووجد أنّ الحيوانات الأخرى كانت مجهَّزة بشكل ملائم تماماً، لكنّ الإنسان كان عارياً وحافياً، ولم يكن لديه أسرَّةً ولا أسلحة للدفاع. وحانت لحظة خروج الإنسان إلى النور، ولم يعرف بروميثيوس كيف يمكنه أن يدبِّر نجاته، لذلك سرق الفنون الميكانيكيَّة من هيفياستوس وأثينا، وسرق النار معها، وأعطاها إلى الإنسان، « لا يمكن لهذه الفنون أن تُكتسب أو تُستعمل بدون النار ». وهكذا امتلك الإنسان الحكمة الضروريّة ليدعم حياته، لكنّه لم يحز الحكمة السياسيَّة لأنّها كانت بعهدة زيوس، ولم تمتدّ سلطة بروميثيوس بعدُ للدخول في معقل السماء، حيث سكن زيوس، الذي كان لديه خفراء مرعبون. لكنّه دخل خلسة وتسلل إلى مشغل أثينا وهيفياستوس العامّ، الذي اعتادوا على أن يزاولوا فيه فنونهم المحبَّبة ونقلوا فنّ سيفياستوس للعمل بالنّار، وكذلك نقلوا فنّ أثينا، ومنحاه إلى الإنسان. بهذه الطريقة زوِّد الإنسان بوسائل الحياة. لكن قيل أن بروميثيوس قد أُعدِم بسبب السرقة فيما بعدُ، وبسبب تَخَبُّطِ ايبيميثيوس.

لَمَّا كان الإنسان يمتلك حصّة في الخواصّ الإلهيّة، كان في البدء الكائن الوحيد بين الحيوانات الذي امتلك أيّة آلهة، لأنّه كان وحده من أنسبائهم. وهو الذي سوف يشيِّد معابد ورموزاً لهم. وهو لم يكن لزمن طويل في اختراعه الخطب البيّنة والأسماء، وبنى البيوت ونسج الثياب وصنع الأسرَّة والأحذية، وكسب رزقه من الأرض. وبهذا التجهيز، عاش الجنس البشريّ مشتّتاً، ولم تكن هناك مدن. لكنّ العاقبة كانت أن دمرتهم الوحوش البريَّة، لأنّهم كانوا أضعف بالمقارنة بها بشكل مطلق، وكانت مكاسبهم العملية كافية لتمدُّهم بوسائل الحياة فقط، ولم تمكّنهم من مواصلة الكفاح ضدّ الحيوانات. امتلكوا الغذاء، لكنّهم لم يحوزوا فنّ الحكومة لحدّ الآن، الذي يعتبر فنّ الحرب جزءاً منه. جمعتهم الرغبة بعد مدّة قصيرة للبقاء في المدن؛ لكنّهم عندما تجمعوا معاً، ولم يكن لديهم فنّ الحكومة. عاملوا بعضهم بعضاً بشكل ذميم، وكانوا سائرين في عملية التشتّت والفناء مرة ثانية. خاف زيوس من انقراض الجنس البشري، فبعث هرمس إليهم، حاملاً المهابة والعدل ليكونا المبدأين المنظمين للمدن ووِثاقَيْ الصداقة والوفاق. هرمس سأل زيوس كيف سينقل العدل والمهابة بين الرجال: هل سيوزعهما كما توزَّع الفنون؛ يعني، لأقلّيةٍ مفضلةٍ. كمثال، فرد واحد حاذق لديه كفاية من علم الطب أو أيّ فن آخر لأجل أشخاص عديدين غير حاذقين؟ « هل سيكون هذا هو الأسلوب الذي سأوزِّع فيه أنا العدل والمهابة بين الرجال، أو أنّني سأمنحهما للجميع؟ »، « إلى الجميع »، قال زيوس؛ « أحبّهم جميعاً أن يمتلكوا حصة. فالمدن لا تستطيع البقاء، إذا ما شارك قليل في الفضائل فقط، كما في الفنون. وأبعد من ذلك، شُرِّع قانون، بناءً على أوامري، أن من لا يحوز جزءاً من المهابة والعدل سيقدَّم للموت، لأنّه طاعون الدولة ».

هذا هو السبب، يا سقراط، لماذا لا يسمح الأثينيون والجنس البشري بشكل

عامّ إلاَّ لقلّة -لأن تشارك في استشاراتهم، عندما يتعلق السؤال بالنجارة أو بأيّ فنّ عمليّ آخر؛ وحين يتدخل أيّ شخص آخر، فهم يعترضون عندئذ، كما تقول، إذا لم يكن هو من القلّة المفضّلة. وسأجيب أن ذلك، شيء طبيعي جداً. لكنّهم حينما يلتقون للتداول بشأن الفضيلة السياسيّة التي تتقدّم بطريق العدل والحكمة، يصبرون كفاية على أيّ رجل يتكلم عنها، كأنّه شيء طبيعي أيضاً، لأنّهم يعتقدون أنّ كلّ رجل ينبغي أن يشارك في هذا النوع من الفضيلة؛ وأنّ الدول لا يمكنها البقاء إذا كان هذا مختلفاً. هذا، يا سقراط، هو سبب هذه الظاهرة. ويمكنك أن لا تفترض نفسك مخدوعاً في الاعتقاد أنّ كل الرجال يعتبرون كل إنسانٍ وكأنّه يمتلك حصّة في العدل أو الأمانة وفي كل فضيلة سياسيّة أخرى. دعني أعطيك برهاناً أبعد من ذلك. إذا قال إنسان في الحالات الأخرى، كما أنت مدرك لها، إذا قال إنّه عازف حاذق على القيثار، أو بارع في أيّ فنّ آخر لا يملك براعة فيه، فالناس إمّا سيضحكون منه أو سيغضبون عليه، ويعتقد أقرباؤه أنّه مجنون ويلومونه. لكن عندما تكون الأمانة قيد البحث، أو أيّة فضيلة سياسية أخرى، حتى إذا عرفوا شخصاً أنّه أمين، ومع ذلك، إذا تقدم إنسان وأخبر الحقيقة ضدّ نفسه بشكلٍ علنيّ، حينئذ فإنّ ما كانوا يعتبرونه إدراكاً جيّداً في الحالات الأخرى، إخبار الحقيقة، يحسبونه جنوناً الآن. إنّهم يقولون إنّ كلّ الرجال عليهم أن يمارسوا الأمانة سواءٌ أكانوا أمناء أوْ لاَ، وأنّ الإنسان الذي لا يطالب بتلك الفضيلة يكون معتوهاً. وفكرتهم هي أنّ كلّ إنسانٍ عليه أن يحوزها في درجةٍ ما، وإلاَّ فما يجب أن يكون في هذا العالم.

لقد أبنتُ أنّهم على حقّ في الاعتراف بأن كلّ إنسانٍ يكون كالمستشار بشأن هذا النوع من الفضيلة، كما هم ذوو رأي في أنّ كل إنسانٍ هو مشارك فيها. وإنّني سأكافح الآن لأظهر ما هو أبعد من ذلك، وهو أنّهم لا

يتصورون أنّ هذه الفضيلة ممنوحة بالطبيعة، أو أنّها تنشأ تلقائياً، سوى أنّها تكون شيئاً يمكن تعليمه؛ والذي يأتي لأولئك الذين يحضر إليهم، بتلقّي الآلام. لا أحد سيعلّم، لا أحد سيعنف أو يكون غاضباً مع أولئك الذين يفترضون أنّ نكباتهم ناشئة عن الطبيعة أو الاتفاق؛ إنّهم لا يحاولون أن يعاقبوهم أو يمنعوهم من كونهم ما هم عليه؛ وهم لا يفعلون سوى الشفقة عليهم. ومن يكون هكذا غبياً يعلّم أو يؤدّب البشع، أو الشديد الصّغر، أو الواهن. ولهذا السبب، فإنّني أتبناها. إنّ كل شخص يعرف أنَّ الخير والشر من هذا النوع هو عمل الطبيعة والمصادفة، في حين أنّ الإنسان إذا كان يفتقر لهذه النوعيات الجيّدة التي تُعتبر ممكناً إحرازها بالدراسة والتمرين والتعليم، وأنّه يمتلك النوعيّات العكسيّة السيّئة، فالرجال الآخرون يغضبون منه ويعاقبونه ويؤنّبونه ـ من هذه النوعيّات الرديئة، العقوق الذي هو واحد منها، الظلم كذلك، ويمكن أن توصف هذه أنها، تحديداً، عكس الفضيلة السياسيّة بشكل عامّ. سيغضب أيّ شخص مع الآخر في حالات كهذه، وسيؤنّبه بقسوة لأنّه يعتقد أنّ الفضيلة يمكن اكتسابها بالدرس والتعليم بوضوح. إذا فكرت، يا سقراط، في تأثير القصاص على فاعل الخطأ، فإنّك سترى حالاً أنّ الفضيلة يمكن أن تُنال في رأي الجنس البشري؛ لا أحد يعاقب فاعل الخطأ بحجّة، أو بسبب أنّه فعل البغي ـ إنّ البهيم اللاعاقل الشديد الغضب يفعل وفق هذا الأسلوب. لكن مَنْ يرغب أن يُنزل القصاص العقلي لا ينتقم لبغيٍ ماضٍ، لأنّ ما قد تمّ فعله لا يمكن تفاديه؛ إنّه يتطلّع للمستقبل. وبعدُ إذا كان هذا تصوُّره، فإنّه يتصوّر عندئذ أنّ الفضيلة يمكن أن تعلَّم؛ ولغرضٍ هو الحؤول دون العقاب. هذه هي فكرة الجميع الذين يقابلون الأذى بمثله ضد الآخرين إمّا في السر أو في العلن. والأثينيون أيضاً، الذين هم أبناء بلدك، هم مثل الرجال الآخرين، يعاقبون ويثأرون من كل

الذين يعتبرونهم فاعلي الشرّ. ولهذا السبب يمكننا أن نستنتج بأنّهم من العددين الذين يعتقدون أنّ الفضيلة يمكن اكتسابها وتعليمها. إنّني أريتك لهكذا بُعدٍ بوضوحٍ كافٍ، يا سقراط، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ رجال بلادي محقون في السماح للمفكّرين والأساكفة كي ينصحوا بشأن السياسات، وأنّهم يعتبرون أنّ الفضيلة يمكنها أن تُعلَّم وتُكتسب أيضاً.

تبقى صعوبة واحدة مع ذلك، تلك التي قد أبرزتها عن الرجال الآخرين. وهي ما هو سبب تعليم الرجال الأخيار المعرفة لأبنائهم التي يمكن أن تنال من الأساتذة، ويجعلونهم حكماء في ذلك، لكنّهم لا يصنعونهم بأفضل من أيّ شخصٍ آخر في الفضائل التي تميّزهم؟ وهنا، يا سقراط، سأترك الأسطورة وأبدأ المحاورة من جديد. تأمل مليّاً من فضلك، هل تلك النوعية المحددة التي يجب أن يشارك فيها المواطنون جميعاً موجودةٌ أم لا، إذا ما كانت ستوجد مدنيّة على الإطلاق؟ يكمن الحل الوحيد لمعضلتك في الجواب على هذا السؤال؛ وليس هناك من حلٍ آخر. لأنّها إذا وجدت أيّة نوعيّة كهذه، ولا تكون هذه النوعية أو الوحدة فنّ النجار، أو الحداد، أو صانع القدور، بل يوجد العدل والاعتدال والتقوى، وبكلمةٍ، فضيلة الرجولة ـ إذا كانت هذه هي النوعية التي يجب أن يشترك فيها كلّ الرجال، والتي هي الشرط بالتحديد لتعليمهم أو لفعلهم أيّ شيء آخر، وإذا وجب ان يُعلَّم ويُعاقب من هو في حاجة لها، سواء كان طفلاً فقط أو رجلاً أو امرأة، حتّى يُمسي أفضل بالقصاص. ومن يتمرّد ضد التعليم والعقاب ينبغي إمّا أن يُنفى أو يُحكم عليه بالموت كأنّه مصابٌ بداءٍ عضال ـ إذا كان ما أقوله صحيحاً، ومع ذلك فقد علّم الرجال الأخيار أبناءَهم أشياء أخرى وليس هذه فقط، تأمّل مليّاً أيّ شيء غريب أصبح خيرهم. لأنّنا قد أظهرنا أنّهم يعتقدون أنّ الفضيلة يمكن تعليمها وتهذيبها في السّر والعلن معاً. وعلى الرغم من ذلك،

علموا أبناءَهم المسائل الأقلّ شأناً. إنّه الجهل الذي لا يتضمّن عقاب الموت بل الأشياء الأعظم، التي يمكن أن يسبّب جهلها الموت والنفي لأطفالهم، إذا لم يكن لديهم معرفة بالفضيلة أو تشجيع نحوها ـ نعم، وسيتعرّضون لمصادرة الممتلكات كما الموت. وفي كلمة، يمكن أن يكون ذلك دماراً لعائلاتٍ بأكملها ـ أقول، أنه لا يفترض أنهم يتعلمونها ولا أن يأخذوا أقصى العناية بأنّ عليهم أن يتعلّموها. كم يكون هذا بعيد الاحتمال، يا سقراط!

يبدأ التذكير والتعليم في سنوات الطفولة الأولى، ويدوم حتى نهاية العمر تحديداً. تتنافس الأمّ والممرّضة والأب والمعلم مع بعضهم بعضاً بشأن تحسين الطفل حالما يكون قادراً على فهم ما يُقال له. لا يستطيع هو أن يقول أو يفعل أيّ شيء دون أن يعلّموه أو يوضحوا له أنّ هذا يكون عادلاً وذلك ظالماً؛ هذا يكون شريفاً، وذاك سافلاً؛ هذا يكون مقدّساً وذلك آثماً؛ إفعل هذا وامتنع عن فعل ذلك. وإذا أطاع، فهو حسن وجيد، وإن لم يُطع، فسيقوَّم بالتهديد والضرب، مثل قطعة من الخشب المقوَّس أو الملتوي، ويرسلونه إلى المعلّمين في مرحلة متأخّرة، ويفرضُون عليهم أن يستوثقوا من سلوكه الجيد أكثر من تعليمه القراءَة والموسيقى؛ ويقوم المعلّمون بما حثُّوهم على القيام به. وعندما ينتهي الولد من استيعاب الحروف الأبجديّة ويبدأ بفهم ما كُتب له، كما فهم قبلاً كيف سيتكلم فقط، يضعون أمامه أعمال الشعزاء العظام كي يقرأها. وتحتوي هذه على تذكيراتٍ عديدة، وعلى قصصٍ وثناءَاتٍ متعددة، ومدائح لمشاهير قدماء الرجال، وعليه أن يحفظها عن ظهر قلب، كي يمكنه أن يقلدهم أو يضاهيهم أو يرغب لأن يصبح مثلهم. حينئذ، فإنّ معلمّي العزف على القيثار يقومون بعناية مماثلة في أن يكون مريدوهم الفتيان معتدلين وأن لا يتعرضوا لأيٍّ أذى. وعندما يعلّمونهم استعمال القيثار، سيقدّمون لهم قصائد الشعراء الآخرين الممتازين الذين هم

شعراء الغناء، وهؤلاء معدُّون للموسيقى، ويؤلفون إيقاعاتهم وأوزان شعرهم بما يتآلف مع أرواح الأطفال تماماً، كي يمكنهم أن يتعلموا ليكونوا أكثر لطافة، ومتناغمين، وإيقاعيين، وهكذا أكثر تناسباً للقول والعمل؛ لأنّ حياة الإنسان تحتاج إلى التناغم والإيقاع في كل أقسامها. ثمّ يرسلونهم بعدئذ إلى سيّد الألعاب الرياضيّة كي يتمكن تحسينُ أجسادهم من أنّ يمدَّ يد العون إلى العقل الفاضل بشكل أفضل، وذلك كي لا يُجبروا على أن يقوموا بدور الجبان في الحرب أو في أيّة مناسبة أخرى من خلال الضعف في الجسم. إنّ هذا يفعله بشكل رئيسي أولئك الذين يمتلكون الوسائل، وهؤلاء هم الأغنياء؛ فأطفالهم يبدأون بالذهاب إلى المدرسة أبكر ويغادرونها متأخّرين. وعندما ينتهون مع أسيادهم، تجبرهم الدولة على أن يتعلّموا القوانين مرّة ثانية، وأن يحيوا وفقاً للقوانين التي تجهّزها، وليس حسب أهوائهم الخاصة، وتماماً كما يرسم المدرّسون الأشكال بالقلم لاستعمال المبتدئين الفتيان الذين لا يقدرون على الكتابة. ويعطونهم اللوح بعدئذ، ويجعلونهم يكتبون تلك الخطوط في موازاته. هكذا ترسم المدينة القوانين، التي كانت من اختراع المشرّعين الصالحين في الأزمان الغابرة، ويجبروننا أن نمارسها وأن نطيع السلطة في تطابق معها؛ ومن ينتهكها يجب أن يُصحَّح. أو بكلمات أخرى، يُستدعى إلى الحساب. وهذا التعبير لا يُستعمل في بلادك فقط، بل في بلاد عديدة أخرى أيضاً، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ العدل يستدعي الرجال إلى الحساب. وبعدُ عندما توجد كلّ هذه العناية بشأن الفضيلة الخاصة والعامة، فلماذا ما زلت تتعجّب، يا سقراط، وتشكّك إذا كانت الفضيلة يمكن أن تُعلَّم؟ لا عجب، فالعكس سيكون مدهشاً أكثر.

لكن لماذا ينقلب بعدئذ أولاد الآباء الصالحين سيئين؟ تعلَّم السبب لهذا الآن. لا يوجد شيء رائع في ذلك تماماً، إذا كان ما قلته سابقاً حقيقياً، وهو أنَّ

بقاء الدولة يدلّ ضمناً على أن لا يكون أيّ إنسان غير حاذق في الفضيلة. إنْ هكذا ولا شيء يمكنه أن يكون أحقّ - سأسألك عندئذ سؤالاً أبعد لتتبنّى، كتوضيح، متابعةً أخرى ما أو فرعاً من فروع المعرفة، وأن تتأمّله مليّاً آنئذ. إفترض أنّه لا يمكن أن تكون دولة ما لم نكن كلنا عازفي قيثار، حسب قدرة كلٍّ منا على ذلك، وعلَّم كل شخص الفنّ للجميع بحريَّةٍ في السّرّ والعلن، وأُنّب العارف السّيء بكلٍّ حرية وصراحة، كما يُعلّم كل فردٍ العدل والقوانين الآن، غير كاتمٍ لها بل ناقل، كما أنّه سيخفي الفنون الأخرى - لأنّنا نمتلك فوائد مشتركة في العدل والفضيلة لبعضنا بعضاً، وهذا هو السبب في أن يكون كلّ شخص جاهزاً لينشر ويعلّم العدل والقوانين: - أقول، إفترض أنّه وُجد الاستعداد والحريّة عينها بيننا في تعليم بعضنا بعضاً العزف على القيثار، فهل تتصوّر، يا سقراط، أنّ أبناء عازفي القيثار البارعين سيكونون أكثر احتمالاً كي يكونوا حاذقين، من أبناء العازفين السيّئين؟ أعتقد أن لا. ألن يكبر أبناؤهم ليكونوا مميزين أو غير مميزين طبقاً لمقدرتهم الطبيعية الخاصّة كعازفي قيثار، وأنّ ابن عازف القيثار البارع سيتحوّل غالباً ليكون واحداً سيّئاً، وابن عازف القيثار السيّء ليكون عازفاً جيّداً؟ لكنّهما سيلعبان على الناي بشكل جيّد ومعقول بالمقارنة مع أولئك الذين كانوا جاهلين وغير مطلعين على فنّ العزف على القيثار. أريدك أن تتأمّل مليّاً بشكل مماثل ذلك الذي يظهر لك على أنه أسوأ أولئك الذين تربّوا في القوانين والمجتمع الإنساني، سيبدو ليكون إنساناً عاقلاً وعادلاً وصانع عدل إذا ما كان ليقارن بالرجال الذين لم يمتلكوا أيّ تعليم، أو محاكم عدل، أو قوانين، أو أي إكراه لإجبارهم على ممارسة الفضيلة باستمرار - مع متوحّشين كهؤلاء الذين عرضهم فيريكراتيس الشاعر على المسرح في عيد السنة اللينيّة الأخير. إذا ما كنت تحيا بين أمثال الأناس

الكارهين لكورسه، فستكون جذلاً جدّاً لتتقابل فقط مع يورياتيس وفرينونداس، وستتشوّق بحزنٍ لتزور ثانية رذالة هذا الجزء من العالم. ولما كنت، يا سقراط، شديد الحساسيَّة، ولماذا؟ لأنّ كلّ الرّجال هم معلّمون للفضيلة، كل واحد منهم طبقا لمقدرته؛ وتتساءَل أنت أين هم المعلّمون؟ يمكنك أن تسأل بشكل مماثل، من يعلّم اليونانيين؟ لأنّه لن يوجد أيّ معلمين لذلك أيضاً. أو يمكنك أن تسأل، من ذا الذي سيعلّم أبناء صناعيينا المهرة هذا الفنّ بالذات، الذين تعلُّموه من آبائهم؟ إنّه هو ورفاقه العمال الذي علّموهم بأفضل ما يقدرون ـ لكن من سيحقّق لهم قفزات بعيدة في فنّهم؟ إنّك ستجد صعوبة بكلّ تأكيد، يا سقراط، في إيجاد معلّم لهم، لكن لن يكون هناك صعوبة مهما كانت في إيجاد معلّم للجَهَلة؛ إنّ هذا لحقيقي عن الفضيلة أو عن أيّ شيء آخر. لكن إذا كان هناك أيّ شخص أفضل قدرة منّا نحن ليعزِّز الفضيلة ولو بشكلٍ صغير، فيجب أن نكون قانعين بالنتيجة. أعتقد، ضمناً، أنَّ أستاذاً من هذا النوع يفوق كل المخلوقات الإنسانيَّة الأخرى قوة ليبعث إنساناً نحو النّبل والخير؛ وإنّني أعطي تلامذتي ما هو قيمة مَالِهم، وحتى أكثر من ذلك، كما يعترفون أنفسهم بذلك. ولهذا فإنّي وضعت قيد الاستعمال الأسلوب الآتي للدفع: عندما يكون تلميذي إنساناً، فحسناً إذا أحب أن يدفع لي أتعابي؛ وإن لم يحبّ، فما عليه فقط إلاَّ أن يذهب إلى المعبد ويؤدِّي قسَماً بقيمة التعليم الذي تلقَّاه منّي، وهو لا يدفع أكثر من ذلك.

تلك هي الأسطورة التي قدَّمتها، يا سقراط، وتلك هي المحاورة التي سعيت لأريك بواسطتها أنَّ الفضيلة يمكن تعليمها، وهذا هو رأي الأثينيين. وقد حاولت لأبيّن أيضاً أن عليك ألاّ تندهش في امتلاك الآباء الصالحين لأبناءٍ سيّئين، أو في حيازة أبناء صالحين لآباءٍ آثمين. مثلاً إنّ أبناء بوليكلاتيس،

الذين هم رفاق صديقينا هنا، بارالوس واكسانثيبوس، هما لا شيء بالمقارنة مع أبويهما. وقل الشيء نفسه عن أبناء العديد من الفنانين الآخرين. ولا ينبغي علينا حتى الآن أن نوجه الاتّهام عينه ضد بارالوس واكسانثيبوس نفسيهما، لأنهما فتيّان ولا يزال الأمل موجوداً بهما.

سقراط: [هكذا كان حديث بروتاغوراس، الذي كفَّ عن الكلام الآن. إنّني لم أستطع أن أحجب بصري عنه لوقتٍ طويل، بل بقيت مسحوراً به، ومتوقّعاً منه أن يتكلم إلى مدىً أبعد، ومتشوّقاً لأسمعه أخيراً. عندما طلعت الحقيقة عليَّ بأنّه قد انتهى من كلامه بحقّ، استعدت رباطة جأشي ببعض الصعوبة، كما كانت قبلاً، وتطلّعت إلى هيبوقراط وقلت له]: أوه يا ابن ابولودوروس، كم أنا مقرّ لك بالجميل وبعمق لأنّك ألححت عليَّ لآتي إلى هنا؛ إنّني لم ولن أفتقد حديث بروتاغوراس لمقدارٍ عظيم. فأنا اعتدت على التصوّر أنه لا يمكن للرعاية الإنسانيّة أن تجعل الرجال أخياراً، لكنّي أعرف أفضل الآن. ومع ذلك فإنّي لا أزال أمتلك صعوبة واحدة صغيرة جداً، وأنا متأكّد أنّ بروتاغوراس سيوضحها، بسهولة، مثلما شرح الكثير غيرها سابقاً. إذا ما ذهب رجل واستشار بريكلس أو أيّاً من خطبائنا الكبار بشأن هذه القضايا، لربّما أمكنه أن يسمع مثل هذا الحديث الجيّد؛ لكن عندما يكون لدى أيّ شخص سؤال ليسأله عن أيّ منها، فهم مثل الكتب، لا يقدرون على أن يجيبوا ولا أن يَسألوا. وإذا ما تحدّى أيُّ شخص الخواصّ الأقل لحديثهم، ينسجون عندئذ خطبة رنّانة طويلة في جوابٍ على سؤالٍ قصير. هم مثل الأواني النحاسيَّة، التي حينما تُضرب ترنّ رنيناً صاخباً وتستمرّ هكذا ما لم يضع شخص ما يده عليها؛ في حين أنّ صديقنا بروتاغوراس لا يستطيع أن يتكلّم حسناً جدّاً بتفصيلٍ تامّ فحسب، كما أرانا ذلك في الحقيقة، لكنّه عندما يُسأل سؤالاً فإنّه يتمكن من الاجابة بإيجاز. وحينما يَسأل فإنّه سينتظر

ويسمع الجواب؛ ولعمري أنّ هذه لهبة جدٌّ نادرة. وبعد فإنّني، يا بروتاغوراس، حزت على كل ما أحتاجه تقريباً، وسيكون لديَّ كل شيء إذا ما أجبتني على سؤال واحد. قلت أنت إنّ الفضيلة يمكن تعليمها. ذلك ما سألقيه على عاتقك، وما من شخص أثق به أكثر منك. لكن يدهشني شيء واحد جاء بحديثك الذي سأرغب أن أُقنع نفسي بشأنه. إنّك قلت عن زيوس إنّه باعث العدل والمهابة إلى الرجال، وحين كنت تتحدّث وصفت عدة مرات العدل، والاعتدال، والتقوى، وكل هذه النوعيّات، وكأنّها تؤلّف فضيلة معاً. وبعدُ أريدك أن تخبرني بشكل لا لَبْس فيه إذا ما كانت الفضيلة وحدة كاملة، والعدل والاعتدال والتقوى أجزاءَها؛ أو إذا ما كانت كلّ هذه الأسماء لمسمىً واحدٍ والشيء عينه فقط. هذا ما أزال أشك فيه.

بروتاغوراس: لا صعوبة هناك، يا سقراط، في الإجابة على ذلك. إنّ النوعيّات التي تتكلّم عنها هي أجزاء الفضيلة، التي تكون واحدة.

سقراط: وهل هي أجزاء في المعنى عينه الذي يكون فيه الفم، الأنف، والعينان، والأذنان أجزاء الوجه؛ أو أنّها تشبه أجزاء الذهب التي تختلف عن الكل وعن بعضها بعضاً في كونها أكبر أو أصغر؟

بروتاغوراس: عليّ أن أقول إنّها تختلف، يا سقراط، في الطريقة الأولى؛ إنّها متّصلة ببعضها بعضاً كاتصال أجزاء الوجه بالوجه كله.

سقراط: وهل ينال الرجال جزءاً واحداً ما من الفضيلة أو كلها؟ أو إذا أحرز الرجل جزءاً واحداً، هل ينبغي أن يمتلك كل الأجزاء الأخرى أيضاً؟

بروتاغوراس: على الإطلاق؛ لأنّ رجالاً عديدين يكونون شجعان ولكنّهم ليسوا عادلين، أو عادلين ولكنّهم ليسوا حكماء.

سقراط: لن تنكر أنت، إذن، أنّ الشجاعة والحكمة هما جزءان من أجزاء الفضيلة أيضاً؟

بروتاغوراس: إنّهما كذلك بدون أيّ شكّ؛ والحكمة هي أعظم الأجزاء.

سقراط: وهي كلها مختلفة بعضها عن بعض

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وهل لكلٍ منها وظيفة مميَّزة مثل أجزاء الوجه؟ إنّ العين، كمثال، لا تشبه الأذن، وليس لها الوظائف عينها. وكل الأجزاء المتبقية لا واحد منها يشبه الآخر، لا في وظائفها، ولا في أيّة طريقة أخرى. أريد أن أعرف إذا ما كانت المقارنة تصح فيما يخص أجزاء الفضيلة. هل هي تختلف عن بعضها بعضاً في أنفسها وفي وظائفها؟ أو هل نستطيع أن نقول إنّ هذا يكون هكذا بوضوح، إذا كان تشبيهنا تشبيهاً مناسباً؟

بروتاغوراس: نعم، يا سقراط، إنّها هكذا.

سقراط: إذن، لا جزء آخر من الفضيلة يشبه المعرفة، أو يشبه العدل، أو يشبه الشجاعة، أو يشبه الاعتدال، أو يشبه التقوى؟

بروتاغوراس: لا.

سقراط: حسناً إذن، إفترض أنّك وأنا نحقق في طبائعها المنفصلة. وستتفق معي بادىء ذي بدء على أنّه يوجد هكذا شيء كالعدل. ألن تفعل؟ ذلك هو رأيي؟ أليس هذا رأيك أيضاً؟

بروتاغوراس: إنّه رأيي أيضاً.

سقراط: وافترض أنّ شخصاً ما سألنا، قائلاً: « أوه يا بروتاغوراس وأنت، يا سقراط، ماذا عن الشيء الذي دعوتماه العدل، هل هو عينه عادل أو ظالم؟ » - وأجبته أنا، إنّه عادل. هل ستصوّت معي أو ضدي؟

بروتاغوراس: سأصوّت معك.

سقراط: عليّ أن أجيب الذي سألني على ذلك، أنّ العدل يمتلك النوعية لكونه عادلاً. هل ستفعل ذلك؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وافترض أنّه واصل القول: « حسناً الآن، أيوجد أيّ شيء كالتقوى »؟ علينا أن نجيب « نعم »، إذا لم أكن مخطئاً؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: والذي ستعترف أنّه شيء أيضاً ـ ألا ينبغي أن يكون هكذا؟

بروتاغوراس: أقبل بذلك.

سقراط: وسيواصل السؤال: « وهل يكون هذا النوع الذي يمتلك بالطبيعة النوعيّة لكونه تقيّاً، أو كونه غير تقي »؟ عليّ أن أكون غاضباً في طرحه السؤال هكذا، وسأقول له: « سلامٌ، يا رجل. لا شيء يمكن أن يكون مقدّساً إذا لم تكن القداسة مقدسة ». فماذا ستقول أنت؟ ألن تجيب بالطريقة عينها؟

بروتاغوراس: بالتاكيد.

سقراط: وافترض أنّه أتى بعد هذا وسألنا عندئذ: « ماذا كنتما قائلَين لتوِّكما الآن؟ فلربّما لم أتمكن من سماعكما جيّداً، لكنّكما تبدوان لي أنّكما قلتما أنّ أجزاء الفضيلة لم تكن الشيء عينه كبعضهما بعضاً ». عليَّ أن أجيبه، « إنّك سمعت ذلك قيل بالتأكيد، لكنّني لم أقل أنا ذلك، كما تتصوّر. فأنا سألت؛ وبروتاغوراس أجاب ». وافترض أنّه استدار إليك وسألك: « هل هذا صحيح، يا بروتاغوراس؟ وهل تؤكد أن جزءاً واحداً من الفضيلة هو مختلف عن الجزء الآخر، وهل هذا هو موقفك؟ ». كيف ستجيبه؟

بروتاغوراس: لا أستطيع إلاًّ أن أعترف بحقيقة ما قلته، يا سقراط.

سقراط: حسناً إذن، يا بروتاغوراس، نحن سنعترف بها؛ ولنفترض الآن أنّه يتقدم ليقول أبعد ممّا قاله: « لا تمتلك القداسة إذن النوعيّة لكونها عادلة، ولا العدل لكونه مقدساً، بل لكونه غير مقدس؛ وتمتلك القداسة النوعية لكنها غير عادلة ولذلك فهي ظالمة، ويكون العدل غير مقدَّس أو تقيٍّ ». كيف سنجيبه؟ عليَّ أن أجيبه من جانبي الخاصّ بكل تأكيد أنّ العدل مقدَّس، وأنّ القداسة عادلة؛ وأنّني سأجيبه من جانبك بأسلوب مماثل أيضاً، إذا ما

سمحت لي، على أساس أنّ العدل يكون إمّا الشيء عينه مع القداسة، أو أنه الشيء عينه تقريباً؛ أو فوق ذلك كله، فالعدل يشبه القداسة أو التقوى والقداسة تشبه العدل؛ وأرغب في أنّك ستخبرني إذا ما كان مسموحاً لي بأن أعطي هذا الجواب من جانبك، أو إذا ما كنت تتفق أنت معي في ذلك.

بروتاغوراس: إنّني لا أقدر أن أوافق ببساطة، يا سقراط، على افتراض أنّ العدل يكون مقدساً وأنّ القداسة تكون عادلة، لأنّه يبدو لي أنّه يوجد فرق بينهما، لكن ما المهم؟ إذا سرّك ذلك فإنّه يسرني؛ ودعنا نفترض، إذا أردت، أنّ العدل مقدّس، وأنّ القداسة عادلة.

سقراط: عفواً، أنا لا أريد أن أفحص هذا « إذا سرّك » أو « إذا أردت »، لكنّني أريدك وأريد نفسي أن نكون واثقين من هذه الإشارة « لك ولّي »، أعني أنّ المحاورة سيتمّ اختبارها بشكل أفضل إذا خلا البحث من « إذا ».

بروتاغوراس: حسناً، أعترف أنّ العدل يحمل شَبَه القداسة، لأنّ هناك دائماً وجهة النظر التي يشبه كلُّ شيء فيها كلَّ شيء آخر. فالأبيض يشبه الأسود في طريقة محدّدة، والصلب يشبه الرّخو، والمضادات الأكثر تضادّاً لها نوعيات ما مشتركة؛ حتى أجزاء الوجهِ التي هي متميّزة ولها وظائف مختلفة، كما قلنا سابقاً، تبقى شبيهة في وجهة نظرٍ محدّدة، وواحدها يشبه الآخر منها. ويمكنك أن تبرهن هكذا، إذا أردت، أن تشبّه بعضها ببعض على القاعدة عينها في أنّ كل الأشياء يشبه بعضها بعضاً. ومع ذلك فإنّ الأشياء المتشابهة في خصوصية ما لا يجب أن تدعى متشابهة « ولا الأشياء اللامتشابهة في خصائص ما غير متشابهة »، عندما يكون التشابه صغيراً جداً.

سقراط: وهل تعتقد [قلتها في نبرةٍ مباغتة] أنّ العدل والقداسة لا يمتلكان إلاّ درجة صغيرة من التشابه؟

بروتاغوراس: لا بالتأكيد؛ ليس أكثر من الذي أوافق على ما أفهم أنّه رأيك.

سقراط: حسناً، بما أنّ هذا يبدو أنّه لا يسرُّك، دعنا لا نقول أكثر منه، ونتَّخذ أمثلة أخرى ذكرتها بدلاً عنه. هل تعترف بوجود الغباء؟

بروتاغوراس: إنّني أفعل.

سقراط: أليست الحكمة ضدّ الغباء بالتحديد.

بروتاغوراس: إنها لحقيقة.

سقراط: وعندما يفعل الرجال بحقّ وعلى نحوٍ مفيد، ألا يظهرون لك أنّهم معتدلون أوهم عكس ذلك؟

بروتاغوراس: معتدلون.

سقراط: والاعتدال يجعلهم معتدلين؟

بروتاغوراس: بدون ريب.

سقراط: وهم الذين لا يفعلون بحقّ يفعلون بغباء، وفي فعلهم هذا لا يكونون معتدلين؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: الفعل بغباء إذن هو ضد الفعل باعتدال؟

بروتاغوراس: إنّني أوافق.

سقراط: وتُعمل الأفعال الغبيَّة بغباء، والمعتدلة باعتدال؟

بروتاغوراس: أوافق مرّة ثانية.

سقراط: والذي يُنجز بشدّة فذلك يتمّ بقوّة، وذلك الذي يُنهى بضعف فبضعف؟

بروتاغوراس: أعترف بذلك.

سقراط: وذلك الذي يُنجز بالأسلوب عينه، يُنجز بالشيء عينه؛ وذلك الذي يُنجز بالأسلوب المضادّ فبالمضادّ؟

بروتاغوراس: إنني أوافق.

سقراط: مرّة ثانية، أيوجد أي شيء جميل؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: والبشع فقط هو ضدّه؟

بروتاغوراس: لا يوجد آخر.

سقراط: أو هل يوجد أيّ شيء خيّر؟

بروتاغوراس: يوجد.

سقراط: والشرّير هو ضدّه؟

بروتاغوراس: لا يوجد آخر.

سقراط: ويوجد الصّوت الحادّ؟

بروتاغوراس: حقاً.

سقراط: وضدّه الصّوت الخفيض؟

بروتاغوراس: لا يوجد صوت آخر، إلاّ ذلك.

سقراط: إذن فإنّ كل ضدّ يمتلك ضدّاً له ولا أكثر؟

بروتاغوراس: أعترف بذلك.

سقراط: دعنا نلخّص اعترافاتنا الآن إذن. إعترفنا قبل كلّ شيء أنّ كلّ شيء له ضدّ واحد وليس أكثر من واحد؟

بروتاغوراس: أجل.

سقراط: وما فُعِلَ بحماقة، كما اعترفنا أيضاً، فإنّما فُعل بالطرق المضادة لذلك الذي فُعِلَ باعتدال؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وذلك الذي أُنجز اعتدالاً أُنجز بالاعتدال، وذلك الذي أُنجز حماقةً فبحماقة؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: وذلك الذي أُنجز بطرقٍ مضادة أُنجز بالمضادات؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وواحد أنجز بالاعتدال، وآخر أنجز بالمضادات!

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وفي طرق مضادّة؟

بروتاغوراس: بالتأكيد.

سقراط: ولذلك فبالمضادات؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ الحماقة هي ضدّ الاعتدال؟

بروتاغوراس: بوضوح.

سقراط: وهل تتذكّر أن الحماقة قد اعترفنا بها مسبقاً أنّها ضدّ الحكمة؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: وقلنا إنّ كل شيء له ضدّ واحد فقط؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: أيٌّ من الإثباتين سنتخلى عنه إذن، يا بروتاغوراس؟ هل سنقول إنّ كلّ شيء ليس له سوى ضدّ واحد؛ والآخر أنّ الحكمة تكون متميزة عن الاعتدال وأنّ كليهما جزآن من الفضيلة؛ وأنّهما لا يكونان متميزين فقط، بل غير متشابهين، في نفسيهما وفي وظائفهما كليهما، مثل أجزاء الوجه. أيٌّ من هذين التأكيدين سنتخلّى عنه؟ لأنّهما كليهما معاً ليسا متّسقَيْنِ بكلّ تأكيد؛ إنهما لا ينسجمان أو يتّفقان. إذ كيف يمكن القول إنّهما يتفقان إذا إفتُرِض أنّ كل شيء له ضدّ واحد وليس أكثر من واحد. ومع أنّ الحماقة التي هي واحدة، لها ضدان اثنان بوضوح: الحكمة والاعتدال؟ أليس ذلك صحيحاً يا بروتاغوراس؟ ما الآخر الذي ستقوله؟

بروتاغوراس: [قَبِل ذلك، لكن ببطءٍ كبير].

سقراط: بما أنّ الاعتدال والحكمة شيء واحد إذن، كما ظهر لنا سابقاً، فإنّ العدل والقداسة هما الشيء عينه تقريباً. وبعدُ، يا بروتاغوراس، يجب أن تنهي التحقيق، وأن لا نكلّ. هل تعتقد أنّ الرجل الظالم يمكنه أن يكون معتدلاً في ظلمه؟

بروتاغوراس: عليّ أن أكون خجلاً، يا سقراط، لأعترف بهذا، رغم أنّ العديدين يثبتونه.

سقراط: وهل سأتحاور معهم أو معك؟

بروتاغوراس: إنّني أرغب بالأحرى، أن تتحاور مع العديدين أولاً، إذا أردت.

سقراط: أيّما يسرك، إذا ما كنت ستجيبني فقط وتقول إذا ما كنت أنت من رأيهم أو لا. إنّ هدفي هو أن أختبر صحّة المحاورة؛ ومع ذلك فالنتيجة يمكن أنْ تكون أنّني أنا الذي أسأل وأنت الذي تجيب، يمكن لكلانا أن نوضع تحت الاختبار.

[بدأ بروتاغوراس يتّخذ لنفسه كبرياء مصطنعة في البدء، متذرّعاً بأنّ المحاورة لم تكن على ذوقه؛ أخيراً، قَبِلَ أن يجيب].

سقراط: إبدأ من البداية الآن إذن، وأجبني. هل تعتقد أنّ بعض الرجال يكونون معتدلين في حين يفعلون بظلم؟

بروتاغوراس: نعم، دع ذلك يؤكّد.

سقراط: ويكون الاعتدال إدراكاً جيّداً؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: والإدراك الجيّد يكون نصيحة جيّدة في عمل الظلم؟

بروتاغوراس: مُنِحَت.

سقراط: إذا نَجَحَتْ، أو إذا لم تَنْجَحْ؟

بروتاغوراس: إذا نجحت.

سقراط: وستعترف أنت بوجود الخيرات؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وهل الخير هو ما يلائم الإنسان؟

بروتاغوراس: نعم،، حقّاً؛ وحتى إذا لم يكن غير ملائم للإنسان، فإنّي أسمّيه خيراً.

سقراط: [فكرت أنّ بروتاغوراس أصبح مُتكدّراً ومُستشاراً؛ وبدا أنّه كان مهيّئاً نفسه في وضعٍ قتالي. بعد أن رأيت ذلك، أخذت الاحتياط لأسأله بلطف، وقلت له]: عندما تقول، يا بروتاغوراس، إنّ الأشياء غير الملائمة هي خيِّرة، هل تعني أنّها غير ملائمة للإنسان فقط، أو أنها غير ملائمةٍ بمجملها؟ وهل تدعو الأخيَر خيراً؟

بروتاغوراس: ليس الأخير بالتأكيد، لأنّني أعرف أشياء عديدة ـ اللحم، الشراب، الدواء، وعشرة آلاف شيء غيرها، ملائمة للإنسان، وبعضها الذي يلائمه؛ وبعضها الذي ليس ملائماً ولا غير ملائم للإنسان، بل للأحصنة فقط، وبعضها للثيران، والأخر للكلاب. وبعضها لا يكون ملائماً لأيّ حيوان، بل للأشجار فقط، وبعضها لجذور الأشياء وليس لبراعمها. السماد كمثال، الذي هو شيء جيّد عندما يُوضع حول جذور الأشياء، لكنه مدمّرٌ بشكل مطلق عندما يُرمى فوق البراعم والأغصان الطريَّة الباسقة. أو يمكنني أن أستشهد بزيت الزيتون، الذي هو مؤذٍ لكلّ النبات، وأكثر إيذاءً لشعر كل حيوان بشكل شامل ما عدا الإنسان، الذي هو مفيد لشعره وجسده، وحتى في هذا الاستعمال « المتنوع والمتغير جدّاً في طبيعة فائدته ». فإنّ الذي يكون أعظم الخيرات لأقسام الجسم الخارجية، يكون أعظم شرّاً لأجزائه الداخلية بالتحديد؛ ولهذا السبب فالأطباء يمنعون مرضاهم دائماً أن يستعملوا الزيت في غذائهم، إلاّ في مقادير صغيرة جداً، كافية تماماً كي تبطل الإحساس الكريه للشمّ في اللحوم ومرق التوابل.

سقراط: [عندما أعطى بروتاغوراس جوابه هذا، هتفت المجموعة له]. قلت له: يا بروتاغوراس، إنّني أمتلك ذاكرة سيّئة، وحينما يؤلّف أيّ شخص لي خطاباً طويلاً لا أتذكّر ما الذي يتكلّم عنه أبداً. كما لو كنت أصمَّ، وتحادثتَ أنت معي، وكان عليك أن ترفع صوتك؛ هكذا الآن، بما أنّني لا أتذكّر جيداً، أسألك أن تختصر أجوبتك وتجعلها أقصر إذا ما أردتني أن أتبعك.

بروتاغوراس: ماذا تعني؟ كيف يمكنني أن أقصِّر أجوبتي؟ هل عليَّ أن أجعلها قصيرة جداً؟

سقراط: لا بالتأكيد.

بروتاغوراس: بلَ قصيرة كفاية؟

سقراط: نعم.

بروتاغوراس: هل سأعطي الأجوبة التي تظهر لي أنّها قصيرة كفاية، أو التي تبدو لك أنّها قصيرة كفاية؟

سقراط: لقد سمعت، بأنّك قادرٌ على أن تتكلّم وتعلِّم الآخرين ليتكلموا بشأن الأسماء الأخرى في هكذا تطويل للكلمات الذي يبدو أنّه لن يخفق قط، أو بهكذا اختصار أنْ لا أحد يستطيع أن يستعمل أقلّ منه. من فضلك لذلك، إذا تكلمت معي، أن تتبنّى الأسلوب الأخير أو الأكثر إيجازاً.

بروتاغوراس: يا سقراط، معارك عديدة خضتها بالكلمات، ولو اتّبعت أسلوب المناظرة الذي يرغبه من يناوئني، كما تريدني أن أفعل، لما كنت بأفضل من الآخرين، و لما اشتهر اسم بروتاغوراس في بلاد اليونان الرحبة.

سقراط: [رأيت أنّه كان مقتنعاً بأجوبته السابقة، وأنّه لن يؤدّي دور المجيب بعد الآن إذا ما استطاع. واعتبرت أنّه لا يوجد لي مكان في هذه المجموعة بعد ذلك، ولهذا قلت]: يا بروتاغوراس، إنّني لا أريد أن أفرض الحديث عليك

فرضاً إذا لم تكن تريد ذلك، لكنّك عندما ترغب في محاورتي بطريقة كهذه، ذلك كي أتمكن من متابعتك، فحينها أنا على استعداد لأحاورك. والآن أنت تقدر، كما قال عنك الآخرون وكما تقول عن نفسك، تقدر على أن تجري محادثة في أشكالٍ أقصر كما تستطيع إجراءها في أشكالٍ أطول، لأنّك سيّد الحكمة. غير أنّني ،لا أتمكّن من إدارة تلك الأحاديث الطويلة. لكنّي أرغب في عمل هذا فقط. أنت، من الناحية الأخرى، القادر على كلا الأسلوبين، ينبغي أن تتكلّم أقصر كما أرجو منك، وعندئذ يمكننا أن نتحادث. غير أنّي أرى أنك تنفر من هذا، وبما أنّ لديَّ ارتباطاً سيمنعني من أن أسمعك بتفصيلٍ تامّ « لأن عليَّ أن أكون في مكانٍ آخر »، فسأغادر؛ برغم ذلك كنت أحب سماعك تتكلّم.

[قلت ذلك، ونهضت من مكاني لأتركهم. أمسكني كالياس عندئذ بيده اليمنى والتقط معطفي العتيق هذا بيده اليسرى، وقال: لا نستطيع أن ندعك تذهب، يا سقراط، لأنّك إذا تركتنا سيحدث ذلك فرقاً عظيماً على أبحاثنا. لذلك ينبغي أن أرجوك لتبقى، بما أنّه لا شيء في العالم أحبّ إليّ من أن أسمعك وبروتاغوراس تتحادثان. لا تحرم المجموعة هذه اللذة.

[وبعدُ، بما أنّني نهضت، وكنت على وشك أن أغادر]. أجبته: يا ابن هيبونيكوس، لقد أعجبت بك على الدوام، وأستحسن وأحبّ نفسك الفلسفية من كلّ قلبي، وسأستجيب لالتماسك بحبور، إذا قدرت. لكنّ الحقيقة هي أنّي لا أقدر. وما تسألني عنه استحالة كبرى عليّ، كما لو أنّك تأمرني بأن أستمرّ في الركض مع كريسون، عدّاء هايميرا، وهو في ريعان شبابه، أو مع أي شخصٍ ما يباري وله خبرة يومية وطويلة في الركض. عليَّ أن أجيبك على التماسٍ كهذا بأنّني يسرّني أن أسأل ساقَيَّ السؤال عينه؛ لكنّهما ترفضان الاستجابة. ولذلك إذا أردت أن تراني وكريسون راكضين

معاً، فيجب أن تأمره كي يخفف سرعته لتتماشى مع سرعتي، لأنّي لا أستطيع الركض بسرعة وهو يقدر على أن يركض ببطء. وبهذا الأسلوب إذا أردت أن تسمعني وبروتاغوراس نتحادث، ينبغي عليك أن تسأله ليقصِّر أجوبته، وأن يلتزم بالنقطة الرئيسيَّة، كما فعل في البدء؛ وإلاّ، فأيّ نوع من الشيء سيكون بحثنا مُعَدّاً له؟ إنّ البحث شيء، وصياغة خطاب شيء آخر تماماً، في رأيي المتواضع.

كالياس: لكنّك ترى، يا سقراط، أنّ بروتاغوراس يمكن أن يطالب بطريقته الخاصة بحقّ، كما تطالب أنت لتتكلّم بطريقتك.

السيبيادس: [مقاطعاً] تلك، يا كالياس، ليست حالة حقيقية للتقرير، فصديقنا سقراط يعترف بأنّه لا يستطيع أن يصيغ خطاباً - يتخلى هو في هذا عن رمز الانتصار لبروتاغوراس. غير أنّي سأتعجّب جداً إذا تنازل لأيّ إنسان حيّ عن القوّة في إجراء وفهم محاورة. وبعدُ إذا ما قام بروتاغوراس بتسليم مماثل واعترف أنّه دون سقراط في البراعة الحواريَّة، فذلك كفاية لسقراط؛ لكنه إذا طالب بتفوّق في المحاورة أيضاً، فدعه يسأل ويجيب، لا معيداً خطبة رنانة طويلة معقّدة لكلّ سؤال، محطماً بذلك المحاورة ومتملصاً من النقطة الرئيسيَّة. أمّا إذا تكلّم في تطويل كهذا فإنّ أكثرية سامعيه ينسون السؤال المطروح. « ليس أنّ سقراط ينسى بشكل محتم - سألتزم أنا بذلك، مع أنّه يمكن أن يتظاهر بأنّه يمتلك ذاكرة سيّئة بصورة مازحة ». ويظهر لي سقراط على أنّه يكون محقّاً أكثر من بروتاغوراس؛ ذلك هو تصوّري وكلّ إنسانٍ يلزم أن يقول ما يفكر به.

عندما تكلم ألسيبيادس هذا، أعتقد أن شخصاً، ربما كان كريشياس، واصل قائلاً: أوه يا بروتاغوراس وهيبياس، يبدو لي أن كالياس مشايعٌ لبروتاغوراس، وأن ألسيبيادس يتشوق للمعركة دائماً. إنّه يحشر نفسه في أيّ

شيء، لكن علينا أن لا نكون مشايعين لا لسقراط ولا لبروتاغوراس. دعنا نتّحد على الأصح في التوسّل لهما معاً أن لا يضعا حداً للبحث في وسطه.

أضاف بروديكوس: يبدو لي، يا كريشياس، أن ذلك قيل جيداً، لأنّ أولئك الحاضرين هنا يجب أن يكونوا مستمعين متجرّدين في أبحاث كهذه؛ متذكّرين، على كل حال، أنّ النزاهة ليست الشيء عينه كالمساواة، لأنّه يجب سماع كلا الجانبين بكل تجرد، ويلزم مع ذلك أن لا تُخصَّصَ جائزة متساوية لكلٍّ منهما، بل يجب أن يُعطى الأعقل مكافأة أسمى، ومكافأة أقلّ للأقل حكمة. وأنا سأستعطفكما مثل كريشياس، يا بروتاغوراس وسقراط، أن توافقا على التماسنا، وهو أن يحاور أحدكما الآخر وأن لا تتشاحنا لأن الأصدقاء يحاورون الأصدقاء، بشعورٍ ودّي، لكنّ الأخصام والأعداء يتشاحنون فقط، وسيكون اجتماعنا سارّاً حينئذ؛ لأنّكما بهذه الطريقة، أنتما المتكلّمَيْن، ستكونان أكثر احتمالاً كي تفوزا بالتقدير مفضّلَيْن ذلك على استحساننا نحن المستمعين لكما لأنّ التقدير هو اقتناع صادق لروح المستمع، بينما يكون الاستحسان غالباً تعبيراً غير صادق للرجال المتفوّهين بباطلٍ عكس قناعاتهم. وهكذا فنحن المستمعين سنكون راضين بدلاً من أن نكون مسرورين؛ لأنّ الرّضى هو للعقل عندما يتلقى الحكمة والمعرفة، لكنّ اللذّة هي للجسم حينما يتغذى أو يختبر مسرّات جسدية أخرى ما. [هكذا تكلم بروتاغوراس، وأطرى على كلماته العديد من الرفاق].

تحدَّث هيبياس الحكيم تالياً. وقال: أعتبركم كلّكم أيّها الحاضرون هنا أقارب وأصدقاء ورفاقاً في الوطنية. إنّكم هكذا بالطبيعة وليس بالقانون لأنّ الشبيه يماثل شبيهه بالطبيعة، في حين أنّ القانون مستبدٌّ بالجنس البشريّ، ويفرض علينا أن نمارس أشياء عديدة هي ضدّ الطبيعة غالباً. كم سيكون العار كبيراً حينها، إذا لم يكن لدينا أيّ شيء لنظهره، ونحن الذين نعرف

طبيعة الأشياء، وأعقل الهيلينيين كلّهم. وما أشبه ذلك بما نقول ونحن نجتمع في هذه المدينة، التي هي المدينة الأمّ للحكمة، وفي هذا البيت الأعظم والأكثر مجداً فيها، إذا لم يكن هذا الشيء الذي نبيّنه جديراً بهذه العظمة وهذه الكرامة. وبدلاً من ذلك يخاصم بعضنا بعضاً فقط مثل أسافل الجنس البشري! إنّني أصلّي وأنصحك، يا بروتاغوراس، وأنت يا سقراط لتتّفقا على حل وسط. دعونا لأن نكون مصلحي ذات بينكما. ولا تركّز، يا سقراط، على هذا الاختصار الدقيق والمتطرف في المحادثة، إذا اعترض بروتاغوراس على ذلك، بل أرخِ عنان المحادثة ودعها تنطلق، مقدّماً أفكارك لنا في أسلوب بياني أفخم وأكثر رشاقة، ولا تسلم نفسك أنت، يا بروتاغوراس، إلى الكلام الفارغ، وتقلع من اليابسة وتبتعد عن المرأى مع كل إبحار إلى محيط من الكلمات. أترك مجال توسّط تراقبانه معاً. إفعلا كما أقول واسمحا لي بأن أقنعكما أيضاً لتختارا وسيطاً أو مراقباً أو رئيساً: إنّه سيُعنى بمراقبة كلماتكما وسينصحكما بالتطويل المناسب.

قُبل هذا الاقتراح من المجموعة بموافقة عامة. قال كالياس إنّه لن يسمح لي بالذهاب، ورجوني كلّهم كي أختار حَكَماً. غير أنّني قلت لهم إنّ اختيار الحكم سيكون غير لائق بالمحادثة، لأنّه إذا كان الشخص الذي تم اختياره أقلّ شأناً منّا، فإنّ الأدنى أو الأسوأ سيترأس فوق الأفضل؛ وإذا كان مساوياً لنا، فلن يكون هذا حسناً أيضاً لأنّ من يكون مساوياً لنا سيفعل ما نفعل. وما هي الفائدة من اختيارنا له؟ وإذا قلتم، « دعنا نختار شخصاً أفضل منّا إذن »، أجيبكم على هذا بأنكم لا تقدرون أن تحصلوا على أيّ شخص هو أعقل من بروتاغوراس. وإذا اخترتم آخر ليس أفضل في الحقيقة، وتقولون عنه إنه أفضل فقط، فسيكون ذلك انعكاساً غير جديرٍ ببروتاغوراس كي نضع شخصاً آخر فوقه وكأنه كان هو دونه شأناً. من جهتي إن أيّ انعكاسٍ لا

يكون بذي عاقبة كثيرة عليَّ، دعوني أخبركم إذن ما سأفعله كي تستمر تلك المحادثة والمحاورة كما ترغبون. إذا لم يقتنع بروتاغوراس بأن يجيب، دعوه يسأل وأنا سأردّ عليه وسأحاول أن أبين كيف عليه أن يجيب، كما أثبت ذلك، وعندما أرد عليه على أي أسئلة يطرحها مهما كانت دعوه يجيبني في أسلوبٍ مماثل. وإذا بدا لي أنه ليس جاهزاً تماماً للإجابة على السؤال المحدَّد بإحكام والذي سألته إيَّاه، فسنتَّحد أنت وأنا ونستعطفه، كما توسّلتَ إليَّ، كي لا نفسد المحادثة. وهذا لن يحتاج إلى وسيطٍ خاصّ - كلكم ستكونون وسطاء.

[صادقوا على هذا بشكل عامّ، وفعل كذلك بروتاغوراس، لكنّ موافقته جاءَت ضد إرادته بشكلٍ واضح، غير أنّه اضطُرَّ على الموافقة كي يسأل أسئلةً؛ وعندها صاغ عدداً كافيا منها، ذلك أنه سيجيب على تلك الأسئلة التي تُطرح عليه بدوره، بأجوبة قصيرة. بدأ هو بوضع أسئلته كما يلي إلى حدٍ ما] .

بروتاغوراس: إنّي أرى، يا سقراط، أنّ البراعة في الشعر هي الجزء الأساسي من التعليم؛ وأتصوّر هذا على أنّه القوّة لمعرفة أيّة تأليفات شعرية تكون قصائد جيدة، وأيَّها لا تكون، وكيف سيتمّ تمييزها، وكذلك شرح السبب في تباينها حينما يُسأل ذلك. وبعدُ فإنّ سؤالنا سيختصّ في الموضوع عينه، وهو الموضوع الذي بحثناه سابقاً: الفضيلة. لكنّه تحوَّل الآن إلى ميدان الشعر فقط. يقول سايمونايدس لسكوباس بن كريون الصقلّي: « بصعوبة على الجانب الآخر يستطيع الإنسان أن يصبح خيِّراً بحق، بُنِيَتْ أربعة مكعبات في اليدين والقدمين والعقل، عملاً بدون نقص ».

هل تعرف القصيدة؟ أو أُردّدها كاملة؟

سقراط: لا حاجة. فأنا مطَّلع على القصيدة الغنائيَّة جيّداً وبشكل كامل - إنّني قمت بدرسها بشكل دقيق.

بروتاغوراس: حسناً جدّاً، وهل تعتقد أنّ القصيدة الغنائيّة هي تأليفٌ جيّد وحقيقي؟
سقراط: نعم، جيّد وحقيقي في الوقت عينه.
بروتاغوراس: لكن إذا ناقض الشاعرُ نفسه، هل يمكن لتأليفه أن يكون جيداً؟
سقراط: ليس في تلك الحالة.
بروتاغوراس: أمعن النظر فيها إذن عن كثب.
سقراط: لكنني تأمّلتها مليّاً مسبقاً بشكل كافٍ، يا صديقي.
بروتاغوراس: ألاَ يتابع الشاعر القول:

« أنا لا أوافق على كلمة بيتاكوس،
وإن يكن النطق لإنسانٍ حكيم:
بصعوبة يستطيع الإنسان أن يكون خيِّراً؟ ».

وبعدُ ستراقب أنت أنّ هذا الرأي وما سبقه ينبثقان من الشاعر ذاته.
سقراط: أعرف ذلك.
بروتاغوراس: وهل تعتقد أنّ كلا القولين متناغمان؟
سقراط: نعم، أعتقد ذلك. « ألم أستطع إخفاء خوفي في الوقت عينه من أنّه يمكن أن يوجد شيء ما فيما قيل »؟ وهل تعتقد أنت بطريقة أخرى؟
بروتاغوراس: لماذا، كيف يمكنه أن يكون متناسقاً فيهما كليهما؟ قبل كل شيء، مقدِّماً الأفكار بشكل منطقيّ كأنهما أفكاره الخاصة، « بصعوبة يستطيع الإنسان أن يصبح خيِّراً بحقّ »؛ وبعدئذ يواصل بمرحلةٍ قصيرة في القصيدة، ناسياً، ولائماً بيتاكوس ورافضاً أن يتّفق معه، عندما يقول، « بصعوبة يستطيع الإنسان أن يكون خيِّراً ». الذي هو الشيء عينه بالتحديد، ومع ذلك فهو حينما يلوم من يقول الشيء عينه مع نفسه، يلوم نفسه؛ إلى حدّ أنّه يجب أن يكون مخطئاً إمّا في تأكيده الأول أو الثاني.
سقراط: [هتف وصفَّق لهذا العديد من الحاضرين. وشعرت في البدء بأنني أُصبت بدوارٍ وأصبحت ضعيفاً جدّاً، كما لو أني تلقّيت صفعة من يد ملاكم

خبير، عندما سمعت كلماته وصوت الهاتفين المعجبين؛ ولأعترف بالحقيقة، أردت أن أحصل على الوقت كي أفكِّر ماذا عناه الشاعر بحق]. لذلك استدرت إلى بروديكوس وناديته، يا بروديكوس، إن سايمونايدس هو ابن بلدك، وينبغي عليك أن تهبَّ لمساعدته. يجب أن أناشدك، مثل النهر سكاماندر في عمل هوميروس، الذي دَعا السيمونيين ليساعدوه، قائلاً: « يا أخي العزيز، دعنا كلانا معاً نبقي القوة للبطل(١١) ». وأنا أدعوك، لأنّني خائف من أن بروتاغوراس سيضع نهايةً لسايمونايدس. إنّ الدفاع عنه يحتاج لذاك الفنّ والعلم الذي يجعلك قادراً على أن تميِّز بين « يشاء » و« يرغب » وعلى أن تصنع تمييزات فاتنة كتلك التي رسمتها لتوِّك الآن. وأحبّ أن أعرف إذا ما كنت ستتّفق معي لأنّي أرى أنّه لا يوجد تناقضٌ في كلمات سايمونايدس. وأرغب قبل كل شيء في أن تقول إن كان « الوجود » الشيء عينه مثل « الصيرورة » في رأيك، يا بروديكوس؟

بروديكوس: ليس الشيء عينه بالتأكيد.

سقراط: ألم يعلن سايمونايدس أوّلاً، كنظريةٍ خاصّةٍ به، أنّه « بصعوبة يستطيع إنسان أن يصبح خيِّراً بحق »؟

بروديكوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وبعدئذ لام بيتاكوس، ليس كما تصوَّر بروتاغوراس، لامه لترديد ذلك الذي يقول هو نفسه، بل لقوله شيئاً ما مختلفاً عن نفسه. لم يقل بيتاكوس كما يقول سايمونايدس، إنّه بصعوبة يستطيع إنسان أن يصبح خيِّراً، بل بصعوبة يستطيع إنسان أن يكون خيِّراً. وسيؤكد صديقنا بروديكوس أنّ الوجود، يا بروتاغوراس، ليس الشيء عينه كالصيرورة؛ وإذا لم يكونا كذلك، فإنّ سايمونايدس يناقض نفسه حينئذ. أجرؤ على القول إنّ بروديكوس وعديدين آخرين سيقولون، كما قال هيسيود، إنّ على الجانب الآخر، يستطيع إنسان بصعوبة أن يصبح خيِّراً « لأنّ الآلهة قد أقامت عائقاً

من الكدح فوق الممرّ إلى الفضيلة؛ لكن على الجانب الآخر، عندما تسلّق المرتفع، حينئذ ليستبقي الفضيلة، مهما يكن نيلها صعباً، يكون سهلاً .»[١٢]

سمع بروديكوس هذا وصادق عليه؛ لكنّ بروتاغوراس قال: إنّ تصميمك، يا سقراط، يتضمّن غلطاً أكبر ممّا يُحتوى في الجملة التي تصحّحها.

سقراط: واحسرتاه! يا بروتاغوراس، إذن فأنا فعلتُ الشرّ؛ إنّني طبيب يُرثى لحاله، ولا أُنجز إلاّ إثارة الفوضى التي أقصد معالجتها.

بروتاغوراس: تلك هي الحقيقة.

سقراط: كيف ذلك؟

بروتاغوراس: لا يستطيع الشاعر أبداً أن يكون هكذا غبيّاً كي يقول إنّ الفضيلة يمكن أن تكتسب بسهولة، وهي أصعب من الأشياء جمعاً في رأي كلّ الرجال.

سقراط: حسناً، وكم نحن محظوظون في وجود بروديكوس بيننا، في اللحظة عينها؛ لأنّه يمتلك الحكمة، يا بروتاغوراس، التي هي أكثر من حكمة إنسانيّة، ومن زمنٍ جدٌّ غابر، كما أتصور، أنّها قديمة قِدَم سايمونايدس وحتى أقدم. وبما أنّي متعلم في عدة أشياء مثلك، تظهر أنّك لا تعرف أيّ شيء عن هذا؛ لكن أنا أعرف، لأنّني له مريد. وبعدُ، إذا لم أكن مخطئاً، أنت لا تفهم الكلمة « صعبة »، في المعنى الذي قصده سايمونايدس. ويجب عليّ أن أصحّحك، كما يصحّحني بروديكوس باستمرار عندما أستعمل الكلمة « مرعب » كعبارةٍ للثناء. إذا قلت إنّ بروتاغوراس أو أيّ شخصٍ آخر بأنه إنسان حكيم « على نحوٍ مرعب »، يسألني هو إذا كنت لا أستحي من تسمية ذلك الذي يكون خيّراً « مرعباً »؛ ويشرح لي حينئذ أنّ العبارة « مرعب » تؤخذ بمعنىً سيّء على الدوام. وأنَّ لا أحد يتكلم عن كون الصحة أو الغنى « على نحو مرعب » أو عن سلامٍ

يعني أن العبارة « مرعب » تعني الشرّ. لربما عنى سايمونايدس ورجال
السينيان عندئذ، لربّما عنوا « الشرّ » عندما تكلموا عن « الصعب »، أو
شيئاً ما آخر لا تفهمه. دعنا نسأل بروديكوس. لا شك أن باسته
الإجابة على الأسئلة بخصوص لهجة سايمونايدس. ماذا عنى
يا بروديكوس، بالعبارة « صعب »؟

بروديكوس: إنّه عنى بها، الشرّ.

سقراط: ولذلك، يا بروديكوس، هو يلوم بيتاكوس لقوله « إنّه صعب أن ت
خيِّراً »، كما لو كان ذلك مساوياً للقول « إنّه شرّ أن تكون خيِّراً ».

بروديكوس: نعم، إنّ ذلك ما عناه بالتأكيد؛ وهو يسخر من جهل بيتا
لاستعماله العبارات التي تكون في اللغة الليسبيانيّة طبيعيّة، للذي قد
على تكلّم اللغة البربريّة.

سقراط: هل تسمع، يا بروتاغوراس، ما يقوله صديقنا بروديكوس؟ وهل
جواب على ذلك؟

بروتاغوراس: إنّك مخطىء تماماً، يا بروديكوس، وأعرف جيّداً جدّاً أنّ سايمونا
عنى باستعمال كلمة « صعب » ما نعنيه نحن كلّنا، ولم يعنِ الشر
ذلك الذي لا يكون سهلاً ـ ذلك الذي لا يأخذ مقداراً كبيراً من ا
إنّني متأكد من هذا.

سقراط: أميل للاعتقاد أيضاً، يا بروتاغوراس، أنّ هذا كان معنى سايمونايدس
كان صديقنا بروديكوس مدركاً له بشكل جيّد، لكنّه حاول أنّ يماز-
ويحاول إذا ما قدرت أن تُبقي على فرضيتك. فسايمونايدس لا يمكن
عنى الأخرى قط، وبُرهِن هذا في سياق الكلام بوضوح، الذي يقول في

فقط يقدر أن يمتلك هذه الهبة، وإن هذه خاصيّة له وليس لأي آخر. لأنه إذا كان هذا معناه، فبروديكوس سينسب إلى سايمونايدس شخصيّة تهتكيّة لا تشبه رجال بلاده قطّ. وسأحبّ أن أخبرك ما أتصوّر أنّه معنى سايمونايدس الحقيقي في هذه القصيدة، إنْ كنت سوف تختبر ما سيدعي حذقي في الشرّ، حسب طريقتك في الكلام؛ أو إذا كنت تفضل فأنا سأكون مستمعاً لك.

[أجاب بروتاغوراس على هذا الاقتراح: كما يسرّك؛ ووافقني هيبياس وبروديكوس والآخرون لأفعل كما اقترحت مهما كلّف الأمر].

سقراط: الآن إذن، سأسعى لأوضح لك رأيي بشأن قصيدة سايمونايدس هذه. هناك فلسفة غابرة جدّاً، تلك التي تُثقَّف في كريت ولاقيدايمونيا أكثر من أي جزء آخر من أجزاء هيلاس، وهناك فلاسفة في هذين البلدين أكثر من أيّ مكان آخر في العالم. هذا هو سرٌ، على كل حال، ينفيه اللاقيدايمونيون ويتظاهرون أنّهم جهلة لأنّهم لا يرغبون بأن ينظر إليهم على أنّهم يفوقون كل اليونانيين الآخرين في الحكمة وليس في بسالة السلاح، مثل السوفسطائيين الذين كان يتكلم عنهم بروتاغوراس؛ معتبرين أنّهم إذا ما كشفوا عن سبب تفوّقهم، فكلّ الرجال سيزاولون حكمتهم. وسرُّهم هذا لم يُكتشف قط من قِبَل مقلّدي الطريقة اللاقيدايمونيّة في المدن الأخرى الذين يجولون بآذانهم المخدَّشة في تقليدهم، وأذرعهم مربوطة بأربطة، ويتمرّنون على الدوام، ويلبسون المعاطف القصيرة لأنّهم يتصوّرون أنّ هذه هي التمارين التي أعطت اللاقيدايمونيين قوتهم فوق اليونان. وبعدُ عندما يريد اللاقيدايمونيون أن يقوّموا ويجروا محادثة حرّة مع رجالهم الحكماء، ولا يقتنعوا بمحادثة سرّيّة محدّدة

آنفسهم يمنعون رجالهم الفتيان من آن يغادروا إلى مدنٍ آخرى ـ هم يشبهو
الكريتيين في هذا كي لا يمكنهم نسيان الدروس التي علّموهم إيّاها. و
لاقيدايمونيا وكريت لا يفتخر الرجال بتعليمهم السامي فقط بل تفتخر النس
أيضاً. وبموجب هذا القانون يمكنك أن تعرف أنّني كنت محقّاً في نسبة ه
الامتياز في الفلسفة والحوار إلى اللاقيدايمونيين. إذا تحادث إنسان
اللاقيدايموني الأكثر عاديّة، سيجده هو نادراً ليصلح كثيراً في محادثة عام
لكنه سوف ينطق قولاً جديراً بالذكر في أيّة نقطة رئيسيّة بالمحاورة، قو
محكماً وممتلئاً معنى، بهدفٍ معصومٍ عن الخطأ والخطل. وهكذا ف
الشخص الذي يتكلّم معه يبدو أنّه ليس بأفضل من الطفل. ولاحظ العد
ممّن هم من أعمارنا والأعمار السالفة أنّ الإيجازي الحقيقي مُلزَمٌ أن يحـ
الفلسفة أكثر بعيد من محبته للألعاب الرياضيّة. إنّهم لمدركون أنّ إنسـ
متعلّماً بشكل تامّ يكون قادراً على نطقِ هكذا أقوال مأثورة. هكذا ك
طاليس وميليتوس، وبيتاكوس وميتيلين، وبياس من براين، وصولون الذ
يخصنا، وكليوبولس الليندِيان، وميسون الكينيان؛ وكان تشيلو اللاقيدايمو
السابع في قائمة الرجال الحكماء. كل هؤلاء كانوا من محبّي ومتبار
ومريدي ثقافة اللاقيدايمونيين، ويمكن أن يعي أيّ شخص أن حكمتهم كانـ
بهذه الصفة المؤلّفة من جمل قصيرة جديرة بأن تُذكر، والتي نطقوا بها عا
التوالي، وتقابلوا معاً وكرّسوا لأبوللو في معبده دلفي، كأولى ثمار حكمته
الكلام المنقوش البعيد الشهرة الذي تلهج به كلّ شفة: « إعرف نفسك
و« لا شيء أكثر ممّا ينبغي ».
لماذا أقول كلّ هذا؟ إنّني أوضح هذا النوع من الاختصار اللاقيداي

وسايمونايدس، الذي كان طموحا لنيل شهرة الحكمة، كان مدركا انه إذا تمكّن أن يقلب هذا القول، سيفوز بين معاصريه عندئذ، كما فاز بالانتصار على بعض الرياضيّين الشهيرين. وإذا لم أكن مخطئاً فقد ألّف قصيدة بكاملها ناقض فيها هذا القول وموجده وعزم على طمسه.

دعنا نتّحِد جميعاً في فحص كلماته، ونرى إذا ما كنتُ أتكلّم الحقيقة. ينبغي أنّ سايمونايدس قد كان مجنوناً لأنّه إذا أراد أن يقول فقط ما أصعب أن تصبح خيّراً، في أوّل كلمات القصيدة بالتحديد، أدخل « على الجانب الواحد »، إلاّ إذا افترضت أنّه يتكلم بإشارة معادية لقول بيتاكوس المأثور. يقول بيتاكوس: « ما أصعبَ أن يكون خيّراً »، وهو، في دحضٍ لهذه الفرضيّة، يرد على قول المدّعي إنّه يكون شيئاً صعباً بصدق، يا بيتاكوس، أن تصبح خيّراً، وليس « بصدق خيّراً ». « الصدق » هنا لا يشير إلى الخير، كأنه وُجد رجالٌ أخيار بصدق ووُجد رجال آخرون كانوا أخياراً لكنهم ليسوا أخياراً بصدق « ستكون هذه ملاحظة جدّ بسيطة، وغير جديرة تماما بسايمونايدس ». لا، ينبغي عليك أن تسبّب نقلاً للكلمة « بصدق »، وأن تضع قول بيتاكوس أوّلاً، كما لو أنّه كان متكلّماً بادىء ذي بدء وسايمونايدس مجيبه. يقول بيتاكوس: « أوه يا أصدقائي، ما أصعب أن تكون خيّراً »، ويجيب سايمونايدس: « إنّك مخطىء في ذلك، يا بيتاكوس؛ ليست الصعوبة لتكون خيّراً، بل لتصبح خيّراً على الجانب الآخر. أربع مربّعات في اليدين والقدمين والعقل، بدون نقص، إنّ ذلك صعب بصدق ». تعلّل هذه الطريقة في قراءَة الفقرة الإدخال لِ« على الجانب الآخر »، وتُرى أنّ الكلمة « بصدق » يجب أن تُدخَل أخيراً بحق، ويبدو كل الذي بل أنّ هذا هو

احبّ ان اشير، مع ذلك، إلى الاسلوب العام وإلى قصد القصيدة التي
مصمَّمة في كل جزءٍ منها بالتأكيد لتكون نقضاً لقول بيتاكوس. إنّه ي
فيما يلي بعد مقاطع قليلة « إنّها تكون وكأنه كان يؤلّف خطاباً تقري
ذلك مع أنه يكون صعباً لتصبح خيِّراً بصدق، ومع ذلك هذا يكون محـ
لوقت، ولوقت فقط. لكن عندما تصبح خيِّراً، لتبقى في حالةٍ خيِّرة وتـ
خيِّراً ليست ممكنة كما تؤكّد أنت، يا بيتاكوس، وهذه ليست ممـ
للإنسان. الله وحده يمتلك هذه النعمة. « لكنّ الإنسان لا يمكنه أن يـ
دون كونه سيِّئاً عندما تطغى عليه قوّة الحالة التي لا تُقاوَم ».

وبعدُ مَنْ هي قوّة الحالة التي لا تقاوَم والتي تطغى في قيادة المركب؟
ليست الفرد الخاص، لأنّه يُطغى عليه دائماً. وبما أنّ الشخص الذي يـ
متمدّداً مسبقاً لا يمكنه أن يسقط، بل ذلك الذي يكون واقفاً منتصباً،
ليس الذي يكون متمدداً يمكن أن يوضع متمدّداً، هكذا تستطيع قوة ا
التي لا تُقاوم أن تطغى على الذي يقدر أن يقاوم السكون بعض المرّ
لكن ليس هو الذي يكون لا عون له في كل الأوقات. إن انقضـ
العاصفة الهوجاء يمكن أن يجعل قائد الدفّة بلا معين، أو تجهُّم الفـ
المزارع؛ الشيء عينه يمكن الحكم بصحّته على الطبيب؛ لأنّ الخيِّر يمكن
يصبح شرّيراً، كما يشهد الشاعر الآخر: « الخيِّر يكون بعض المرّات
وبعض المرّات شرّيراً ». لكنّ الشرّير لا يصبح شرّيراً، إنّه شرير على الد
وهكذا فإنّها حينما تطغى قوّة الحالة التي لا تقاوَم على الانسان ذي الـ
والبراعة والفضيلة، حينئذ لا يمكنه الحؤول دون كونه سيِّئاً. وأنت القـ
يا بيتاكوس، « ما أصعب أن تكون خيّراً ». وبعدُ، انّه صعب أن تـ

يكون خيّراً في الحروف؟ وأيّ نوعٍ من العمل يجعل إنساناً بارعاً في الحروف؟ إنّه معرفتها بوضوح. وأيُّ نوعٍ من عمل الجودة يجعل الإنسان طبيباً حاذقاً؟ إنّه معرفة فنّ شفاء المريض بجلاء. « لكن سيّئاً بعمل الشرّ؟ ». وبعدُ فمن يصبح طبيباً سيّئاً؟ إنّه هو الذي يكون طبيباً في المكان الأوّل بصفاء، والطبيب الحاذق في المكان الثاني، لأنّه هو يمكنه أن يصبح شرّيراً أيضاً. لكن لا أحد منا نحن الأشخاص العاديين يستطيع أن يصبح طبيباً بأيّ مقدارٍ من عمل الشرّ، بأكثر ممّا نقدر نحن أن نصبح نجّارين أو أيّ شيء من هذا النوع؛ والذي لا يمكنه أن يصبح طبيباً بعمل السوء على الإطلاق، لا يقدر أن يصبح طبيباً شرّيراً بجلاء. يمكن للخيِّر أن يصبح مُفسداً بالوقت في أسلوب مماثل، أو بالكدح، أو بالمرض، أو بأيّة حادثة أخرى. « إنّ العمل السيّء الحقيقي هو أن تجرّد من المعرفة ». لكنّ الرجل الشرّير لن يصبح شرّيراً أبداً، لأنّه يكون شرّيراً على الدوام؛ وإذا ما كان هو ليصبح شرّيراً، عليه أن يصبح خيِّراً بادىء ذي بدء. وبالتالي فإنّ هذا الجزء من القصيدة يبدو أنّه يبيِّن أيضاً أنّ إنساناً لا يستطيع أن يكون خيِّراً بشكل متواصل، بل إنّه يقدر أن يصبج خيِّراً ويمكنه أن يصبح شرّيراً أيضاً؛ وهُمُ الأفضل للزمن الأطول الذي يريده الله.

كل هذا يتّصل بيتاكوس، كما بُرهِن ذلك بالتكملة بشكلٍ أبعد لأنه يضيف: « لذلك فإنّني لن أطرح امتداد أمد حياتي عبثاً في البحث عن اللامستحيل، آملاً بدون طائل أن أجد إنساناً طاهر الذيل على نحو كامل بين أولئك الذين يشتركون في فواكه الأرض الفسيحة الصدر، إذا وجدته سأرسل لك كلمة .»

الالهة لا يحاربون ضدّ الضرورة ».

يمتلك هذا كله معنىً متشابهاً، لأنّ سايمونايدس لم يكن هكذا جاهلاً ـ
يقول إنّه يثني على أولئك الذي يفعلون، وكأنّه وُجد بعض الذي يفعل
ذلك. لأنّ لا إنسان عاقلاً، كما أعتقد، سيسمح بأن يخطىء أيّ مخل
إنساني اختيارياً، أو أن يقوم بأعمالٍ شريرة وفاسقة اختياراً؛ بل هم مدرك
جيّداً جدّاً أنّ كل الذين يفعلون الأشياء الآثمة والمخزية يفعلونها ر
إرادتهم. ولم يقل سايمونايدس أبداً إنّه يثني على من لا يفعل الشر اختيا
إن كلمة « اختياراً » تنطبق على نفسه، لأنّه كان تحت الانطباع أنّ الإنس
الخيّر يمكنه أن يجبر نفسه غالباً ليحبّ الغير ويثني عليهم ـ كمثال، ·
يمكن أن يحدث غالباً، لأبٍ أو أمٍّ غير طبيعية، أو لبلادٍ، أو ما شابه ذلل
وهكذا فإنّ الرجال الأشرار، عندما يحدث أيّ شيء من هذا النوع، يرو
بفرحٍ مؤذٍ، ويستهجنون ويكشفون ويشجبون الخبث لآبائهم أو لبلاده
بحجّة أنّ بقيّة الجنس البشري سيكونون أقلّ، بشكل محتمل، ليتحمّلوا
العمل الشاقّ ويتّهمونهم بالتقصير الذي يكونون هم مذنبين فيه؛ ويلوم
شوائبهم أكثر بكثير مما يستحقّون، ويضيفون وصمة عار غير ضروريّة لذا
الذي يُستهدف بالضرورة. لكن الإنسان الخيّر يخفي شعوره، ويكبح نف
ليثني عليهم. وإذا ما أساؤوا إليه وغضب، فهو يهدّىء غضبهُ ويروّض نفس
ويجبرها لتحبّ وتطري على من هو من لحمه ودمه. وسايمونايدس، ·
يُحتمل، اعتبر أنّه هو نفسه كان عليه غالباً أن يثني على المستبد أو ما ش
ويعظّمه، وكثيراً رغم إرادته. ورغب هو أن يخبر بيتاكوس أيضاً، « أنا
أ... لأنّ... »

أجد أيّ عيبٍ فيه، لأنّي لا حق لي أن أعيب أحداً، ويوجد أغبياء لا يُحصَون ».

« يدل هذا ضمناً على أنّ أيّ شخص يُسَرُّ في التقريع يمكنه أن يحوز فرصة وافرة لإيجاد الخطأ فيهم ».

« كلّ شيء يكون خيّراً عندما لا يكون الشرُّ به ممتزجاً ». يجب أن لا تفهم تلك الكلمات الأخيرة وكأنه قال « كلّ الأشياء التي لا يوجد أسود فيها تكون بيضاء » لأنّ هذا النوع من الكلام سيكون مضحكاً بشكل تامّ؛ غير أنّه يعني أنّه يقبل ولا يجد خطأً في الحالة المعتدلة أو الوسط.

قال سايمونايدس: « لا آمل أنا بوجود إنسان طاهر الذيل على نحوٍ كامل بين أولئك الذين يشتركون في فواكه الأرض الفسيحة الصدر « إذا وجدته، سأرسل لك كلمة ».

في هذا المعنى أنا لا أطري على أيّ إنسانٍ. لكن من يكون خيّراً بشكل معتدل، ولا يفعل الشرّ، فهو خيّر بما فيه الكفاية بالنسبة لي، وهو الذي يحبّ ويستحسن كلّ شخص. ولاحظ هنا ذلك، لأنّه يخاطب بيتاكوس فهو يستعمل اللهجة الليسبيانيّة، حينما يقول:

« الذي يستحسن ويحب كل شخص اختياراً، من لا يفعل الشرّ ».

[يجب أن توضع علامة التوقف بعد « اختياراً »؛ « لكن يوجد بعض الذين أثني عليهم وأحبّهم اختياراً » وأنت، يا بيتاكوس، لن ألومك قطّ، إذا تكلّمت بما يكون خيراً وصدقاً بشكل معتدل؛ غير أنني ألومك لأنك، وأنت تظهر بمظهر الصدق، تتكلم أباطيل فاضحة بشأن أسمى القضايا] - وأقول

بدوري تفسيرا ممتازا لها ايضا خاصّا بي ساقدمه لكم، إذا ما سمحتم لي.

السيبيادس: لا، يا هيبياس؛ ليس الآن، بل قدِّمه في أي وقت آخر. يجب أن نت
بالاتفاق الذي عُقد بين سقراط وبروتاغوراس في الوقت الحاضر. إنّ النت
هي طالما أنّ بروتاغوراس عازم على أن يسأل، فإنّ على سقراط أن يجي
أو أنّه إذا كان سيفضِّل الثاني، حينئذ، فإنّ على سقراط أن يختار الأول.

سقراط: أرغب من بروتاغوراس إمّا أن يسأل أو يجيب كما يشاء؛ لكنّني سأف
الإنتهاء من الشعر والقصائد الغنائية، إذا لم يكن لديه اعتراض على ذل
وأعود إلى السؤال الذي سألتك إيّاه، يا بروتاغوراس، وسأضع حدّاً لذ
بمساعدتك. يبدو لي أنّ الحديث عن الشعراء هو مثل تسلية مبتذلة تلجأ
مجموعة الرّعاع الذين لا يقدرون على أن يتحدّثوا ويسلُّوا بعضهم به
بسبب حماقتهم، حين يتبادلون الأنخاب، بضجيج أصواتهم الخا
ومحادثتهم، ويرفعون ثمن فتيات الناي في الساحة العامة، مستأجرين مة
مبلغ كبير من المال صوت الناي بدلاً من أصواتهم الخاصة، ليكون وا
الاتصال بينهم. لكن حيث تكون المجموعة أسياداً حقيقيين ورجال ع
فهناك لن ترى فتيات الناي، ولا بنات الرقص، ولا فتيات القيثار؛ وهم
يقومون بأيّة ألعاب سخيفة وتافهة، بل يكونون قانعين بمحادثة بعضهم بع
هذه المحادثة التي تكون الواسطة أثناءها أصواتهم الخاصة، والتي يدبِّرو
مداورة وفي نمطٍ منتظم حتى لو كانوا متحرّرين جداً في شربهم. ومجم
منا مثل هذه، ورجال كهؤلاء الذين نعلن أنّنا منهم، لا يحتاجون لمسا
صوت الآخرين، أو مساعدة الشعراء الذين لا يمكنك أن تستنطقهم بش
المعنى الذي هم قائلون. ان الذين يرددون ما أعلنه، هؤلاء يقولون، أنّ شا

الاجتماعيّة، وأن يضعوا بعضهم بعضاً في اختبار المحادثة. وهذه هي النماد
التي أ ... ب أن نقلّدها كلانا، تاركين الشعراء. دعنا نتحادث من ضم
براء ، بعضنا مع بعض، وأن نستنتج البرهان من الحقيقة ومن أنفسنا ،
المحادثة. إذا كانت لديك نية لتواصل وتسألني، فإنّي مستعدّ لأجيبك. و
كنت تفضّل، أجبني أنت، واعطني الفرصة لاستئناف المحاورة التي
تتمّ.[عيّنت هذه الملاحظات وأخرى غيرها متشابهة. لكنّ بروتاغوراس
يقل بوضوح أيّها سيفعل. لذلك استدار السيبيادس إلى كالياس]، وقال: ه
تعتقد، يا كالياس، أن بروتاغوراس عادل في رفضه ليقول إذا ما ك
سيجيب أو لا يجيب؟ لأنّني أعتقد أنّ هذا غير عادل بكلّ تأكيد. عليه
أن يتقدّم بالمحاورة، أو ألاّ يفعل ذلك بدون ريب، ذلك كي يمكننا معر
قصده؛ وسيكون سقراط حينئذ قادراً على أن يتحادث مع أي شخص آخ
وستكون بقية المجموعة حرّة في أن يتكلم واحدها مع الآخر.

أعتقد أنّ بروتاغوراس أخجلته جدّاً كلمات السيبيادس هذه، وعند
أضيفت صلوات كالياس وكل المجموعة تقريباً، إقتنع بالحوار أخيراً، وقال
يمكنني أن أسأله وهو سيجيب.

سقراط: لا تتصوّر، يا بروتاغوراس، أنّ لديَّ أيّ اهتمام آخر في طرح الأس
عليك سوى إزالة صعوباتي الخاصة. فأنا أعتقد أنّ هوميروس كان محقّاً ،
قول: « حينما يذهب الإثنان معاً، فأحدهما يرى قبل الآخر ».(١٣) لأنّ ...
الرجال الذين يمتلكون رفيقاً يكونون أكثر استعداداً للعمل، للكلام،
للتفكير. لكن إذا إنسان « يرى شيئاً عندما يكون وحيداً » يشرع هو ،

لأكثر الأشياء التي يمكن أن تتوقع أن يفهمها إنسان صالح، وللفضيلة بشـ
خاص. ومَن هناك، إلاّ أنت الذي لا يطالب ليكون إنساناً صالحاً وسيّ
فعديدٌ هُم هؤلاء المطالبون، ومع ذلك لا يمتلكون القوة لجعل الآخـ
صالحين، في حين أنّك أنت لست نفسك صالحاً فقط، بل سبب الخير
الآخرين أيضاً. وأكثر، فإن هكذا ثقة تمتلكها أنت في نفسك كذلك، بر
أنّ السوفسطائيين الآخرين يكتمون مهنتهم، لكنّك أنت تصرّح في و
هيلاس كلها أنّك سوفسطائي ومعلم للفضيلة والتعليم، وأنت أوّل من ط
أجراً بالمقابل. كيف يمكنني ألاّ أدعوك إلى فحص هذه المواضيع، وأ
أسئلة وأتبادل الرّأي معك؟ يجب عليَّ أن أفعل ذلك حقاً. وهكذا سأ
أن أجدّد ذاكرتي مرّة أخرى بخصوص الأسئلة التي سألتك إياها في البـ
وكي أحوز على مساعدتك في تأمّلها مليّاً. إنّ السؤال كان هذا، إذا
أكن مخطئاً: أتكون الحكمة والاعتدال والشجاعة والعدل والتقوى خمـ
أسماء للشيء عينه أو أنّ كلاً من هذه الأسماء له حقيقة ضمنيّة منفصـ
شيئاً محدداً له وظيفة مميّزة، ولا أحد منها يشبه الآخر؟ وأجبت أنت
الأسماء الخمسة هذه ليست أسماء للشيء عينه، بل إنّ كل إسم منها عـ
شيئاً منفصلاً، وأنّ كل هذه الأشياء كانت أجزاء من الفضيلة، ليس بالطر
عينها التي تتشابه فيها أجزاء الذهب وتشبه الكل التي هي أجزاؤه، بل
تكون أجزاء الوجه لا تشبه الكل التي هي أقسامه ولا تشبه بعضها بعـ
ولكلّ واحد منها عمله الخاص. أحب أن أعرف إذا ما زلت مصرّاً على
الرأي؛ وإلاّ، سأسألك أنْ تحدِّد معناك، وأنا لن ألقي على كتفيك بمهمّة شـ

مختلفة جدّاً عن الأربعة الأخرى، كما أبرهن بهذه الطريقة: يمكنك أن تلاحظ أنّ رجالاً عديدين هم آثمون بشكل مطلق، أشرار، مسرفون جاهلون، ورغم ذلك فهم رائعون لشجاعتهم.

سقراط: قف. سأحبّ أن أفكّر بشأن ذلك. عندما تتكلّم أنت عن الرجال الشجعان، هل تعني الواثقين من أنفسهم، أو ذوي الطبائع من نوعٍ آخر؟

بروتاغوراس: نعم، إنّني أعني الطائشين، الجاهزين للذهاب بتهورٍ إلى حيث يخاف أن يقترب منهم الآخرون.

سقراط: ستُثبت في المكان الآخر، أنّ الفضيلة هي شيء جيّد، وتؤكّد أنّك معلم للشيء الجيّد هذا.

بروتاغوراس: نعم، عليّ أن أقول أفضل من كلّ الأشياء، إذا كنت في عقلي الصحيح.

سقراط: أوَ تكون جيّدة جزئياً وطالحة جزئياً، أو هي جيّدة بالكامل؟

بروتاغوراس: جيّدة بالكامل، وفي الدّرجة الأولى.

سقراط: أخبرني عندئذ؛ من هم الذين يمتلكون الثقة بالنفس عند الغوص في بئر؟

بروتاغوراس: عليّ أن أقول، الغطاسون.

سقراط: والسبب في هذا أنّهم يمتلكون معرفة؟

بروتاغوراس: نعم، ذلك هو السبب.

سقراط: ومن يمتلك الثقة بالنفس عند المبارزة على متون الخيل: الفارس البارع أو غير البارع؟

بروتاغوراس: الفارس الحاذق.

سقراط: ومن يمتلكها عند المبَاريات بالمجنَّات الخفيفة: حاملو هذه المجنَّات أو من لا

قصدت: الذين يمتلكون معرفة هم أكثر ثقة بأنفسهم من أولئك الذين
يمتلكونها، وبعد أن تعلّموا كبرت ثقتهم بأنفسهم عمّا كانت من قبل.

سقراط: أوَلم ترَ أشخاصاً جاهلين بالكليّة، في هذه الأشياء، وهم واثقون بشأنها ذلك؟

بروتاغوراس: بلى، لقد رأيت أشخاصاً كهؤلاء أكثر ثقة بأنفسهم بيعيد.

سقراط: أليس هؤلاء الأشخاص الواثقون من أنفسهم شجعان أيضاً؟

بروتاغوراس: ستكون الشجاعة شيئاً سافلاً في تلك الحالة لأنّ الرجال الذين نت
عنهم سيكونون رجالاً مجانين بكلّ تأكيد.

سقراط: من هم الشجعان إذن؟ أليسوا هم الشجعان؟

بروتاغوراس: نعم، إنّني أتقيّد بهذا العرض.

سقراط: وأولئك الواثقون من أنفسهم بدون معرفة، ليسوا شجعاناً بحق،
مجانين؛ والرجال الأعقل في مثالنا السابق هم الأكثر ثقة بأنفسهم. وكو
كذلك هم الأشجع أيضاً. وبناءً على هذه النظريّة ستكون الحكمة شج
مرّة ثانية.

بروتاغوراس: لا، يا سقراط، إنّك مخطىء في تذكُّركَ لِمَا قلته في إجابتي، ع
سألتني. قلت أنا بكلّ تأكيد، إنّ الشجاع هو الواثق من نفسه؛ لكنّني لم أُ
قط إذا ما كان الواثق من نفسه شجاعاً. إذا ما سألتني، كان عليّ أن أج
« ليس كلهم ». فيما يتعلق باعترافي أنّ الشجاع هو الواثق من نفسه، أنت
تدحضها في أيّ مكان أو لم تُظهر أنّها كانت خطأ. إنّك تقدمت لتبيّ
أولئك الذين يمتلكون معرفة هم أكثر شجاعة من قبل أنْ تكون لهم، و
ظننت أنّ الشجاعة هي الشيء عينه كالحكمة، لكن يمكنك أن تَبلُغ لتتصوّر

لا يعرفون، وبعد أن تعلّموا أكثر قدرة من ذي قبل، وعليّ أن أوافق. ويمكنك عند موافقتي على هذا، أن تستخدم هذه الموافقة في هكذا طريقة كأن تبرهن أنَّ الحكمة هي قوّة بناءً على نظريتي، في حين أنّ عليَّ أن لا أعترف في تلك الحالة، بأكثر من الحالة الأخرى. إنّ القادر يكون قويّاً، مع أنني قد اعترفت أنّ القوي يكون قادراً. إذ لا فرق بين القدرة والقوّة؛ السابقة معطاةٌ بالمعرفة كما بالجنون أو الغضب الشديد، لكنّ القوة تأتي من الطبيعة وحالة الجسم الصحيّة. وأقول إنّ الشجاعة هي الثقة بالنفس في نمطٍ مماثل، لكن ليس كل الواثقين من أنفسهم شجعان لأنّ الثقة بالنفس يمكن أن تُعطَى للرجال بالفنّ، وكذلك مثل القدرة أيضاً، بالجنون والغضب الشديد؛ لكنّ الشجاعة تأتي إليهم من الطبيعة وحالة الروح الصحيّة.

سقراط: ستعترف أنت، يا بروتاغوراس، أنّ بعض الرجال يحيون حسناً والآخرون سيئاً؟

بروتاغوراس: أعترف.

سقراط: وهل تعتقد أنّ من يحيا في الألم والحزن هو إنسان يحيا جيّداً؟

بروتاغوراس: لا.

سقراط: وإذا عاش بسرورٍ إلى نهاية حياته، ألم يكن قد عاش جيداً في تلك الحالة؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: إنه خيرٌ إذن أن تحيا بسرور، وشرّ أن تحيا بغير لذّة؟

بروتاغوراس: نعم، إذا كانت اللذّة صالحة وشريفة.

ثانية، أليست هي الشيء عينه مع الأشياء المؤلمة ـ وبقدر ما هي مؤلمة، تكون سيئة؟

بروتاغوراس: إنّني لا أعرف، يا سقراط، إذا ما كنت أستطيع المجازفة لأؤكّد ذلك الأسلوب الباتّ من أنّ السارّ هو الصالح والمؤلم هو السيّء. آخذاً ب الاعتبار ليس جوابي الحاضر فقط، بل حياتي كلها أيضاً، إنّي سأكون أ أماناً، إذا لم أكن مخطئاً في القول بأنّ هناك بعض الأشياء السارّة التي تكون صالحة، وبعض الأشياء المؤلمة التي لا تكون سيئة وبعضها التي تكو ومرّة ثالثة، بعض الأشياء التي لا تكون لا صالحة ولا طالحة.

سقراط: وستسمّي أنت السارّ، الأشياء التي تشترك في اللذّة أو التي تحدثها؟

بروتاغوراس: بالتأكيد.

سقراط: معناي هو أنّها بقدر ما تكون سارّة هي صالحة؛ وسؤالي سينطوي بد على أنّ اللذّة هي صالحة في نفسها.

بروتاغوراس: طبقاً لأسلوبك المفضَّل في الكلام، يا سقراط، « دعنا نتأمّل مليّاً بش هذا »، وإذا بُرهِن التأمّل الملي هذا مساعداً، وأُظهر أنّ اللذّة والخير ه الشيء عينه حقاً، سنتفق عندئذ؛ وإلاّ، فسنتحاور حينها.

سقراط: وهل ترغب في أن تبدأ التساؤل؟ أو أبدأه أنا؟

بروتاغوراس: يجب أن تتولّى القيادة، لأنّك أنت مُوجد البحث.

سقراط: إذن، لربّما ستصبح واضحة لنا من الشرح التالي. إفترض أنّ شخصاً يحاول ليتحقق من حالة إنسان صحيّة أو صفة لجسده من مظه الخارجي ـ ينظر هو إلى وجهه ويديه، ويقول بعدئذ، إكشف لي النقاب

عن المعرفة كي يمكنني أن أعرف إذا ما كنت يتّفق مع بقية العالم. وبعدُ فإنّ بقية العالم ترى أنّ المعرفة تكون مبدأً ليس للقوة، أو الحكم، أو الأمر. لا يفكرون هم بشأنها بهذه الطريقة، بل يعتبرون أنّ الإنسان يمكنه أن يحوز معرفة غالباً، ولا يُحكم بالمعرفة برغم ذلك بل يُحكَم بشيءٍ ما آخر: بالغضب، أو اللذّة، أو الألم، بالحبّ بعض المرات، بالخوف غالباً، تماماً كما إذا كانت المعرفة عبداً، ويمكن أن يَجُرّها الباقون على الأرض. والآن أهذه هي وجهة نظرك؟ أو هل تعتقد أنَّ المعرفة هي شيء نبيل وآمر لا يُستطاع قهرها، ولن تسمح لإنسانٍ، إذا عرف الفرق بين الخير والشرّ فقط، أن يفعل أيّ شيء يكون مضادّاً للمعرفة، سوى أنّ الحكمة ستمتلك القوة لتساعده؟

بروتاغوراس: إنّني أتفق معك، يا سقراط، وليس هذا فقط، بل أنا، فوق كلّ الرجال الآخرين، مُلزمٌ لأقول إنّ الحكمة والمعرفة هما أسمى الأشياء الإنسانيّة.

سقراط: حقّاً وصدقاً. لكن هل أنت دارٍ بأن أكثريّة الناس تخالف هذا التفكير ؟ ألا يقولون أنّه حتّى عندما يعرف الرجال الأشياء التي هي أفضل ويكونون أحراراً كي يفعلوها، فإنّهم يرفضون غالباً، ويفضّلون طريقة أخرى للعمل؟ وعندما سألت ما يمكن أن يكون السبب لهذا، أُخبِرتُ أنّهم يفعلون ما يفعلون لأنّهم يُقهرون بالألم، أو باللذّة، أو ببعض تلك التأثيرات التي ذكرتها لتوّي.

بروتاغوراس: نعم، يا سقراط، وليست تلك النقطة الأساسيّة هي الوحيدة التي أخطأ الجنس البشريّ بشأنها.

الأفضل. عندما نقول لهم: يا أصدقاء، أنتم مخطئون، وأنتم تقولون ما
غير حقيقي، من المحتمل أن يجيبوا: يا سقراط، ويا بروتاغوراس، إذا لم تك
هذه الصفة للروح لتسمّى « كونه مقهوراً باللذّة »، صلِّ، فما هي، وبأ
إسم ستصفها؟

بروتاغوراس: لكن لماذا، يا سقراط، نزعج أنفسنا بشأن الكثرة من الناس الذ
يقولون أيّ شيء يصادف أن يحدث لهم تماماً؟

سقراط: أعتقد أنّه يمكنهم أن يكونوا ذوي نفع لمساعدتنا في اكتشاف كيف تكو
الشجاعة متصلة بأجزاء الفضيلة الأخرى، إذا كنت ميّالاً لأتقيّد بالاتفاق
أنّني سأوضح لك الطريقة التي ستُحلّ صعوبتنا بواسطتها بالترجيح الأكث
كما أعتقد. هل تتبعني؟ وإلاّ سأصرف النظر عن القضية إذا فضّلت.

بروتاغوراس: إنّك محقّ تماماً، وأريدك أن تتقدم كما بدأت.

سقراط: حسناً إذن، دعني أفترض أنّهم يعيدون سؤالهم وهو، أيُّ تعليل تعط
لذلك الذي يسمى كونه مقهوراً باللّذة، في طريقتنا للكلام؟ عليَّ أن أجيب
هكذا: إسمعوا، وسنسعى - بروتاغوراس وأنا - كي نبيِّن لكم ذلك. عند
يقهر الإنسان اللذة كالأكل والشراب والرغبات الحسيّة الأخرى التي ه
سارّة، وهم عارفون أنّها شر، وينغمسون فيها برغم ذلك، ألن تقول أنّه
يكونون « مقهورين باللذة »؟ هم لن ينكروا ذلك، وافترض، أنّنا طر
السؤال ثانية: « في أيّة طريقة تقولون أنتم إنّها شر؟ أفي أنّها تكون سا
وتعطي لذّة في لحظة، أو لأنها تسبّب مرضاً وفقراً وشروراً أخرى مماثلة
المستقبل؟ إفترض أنّها تعطي اللذّة بكل بساطة، ولا تجلب عواقب سيئة لل

التي تُعطى بها حالا، بل بسبب العواقب اللاحقة: الامراض وما شابه؟

بروتاغوراس: أعتقد، أنّ العالم بشكل عامّ سيجيب كما تجيب.

سقراط: « وفي تسبيب المرض ألا تسبّب الألم؟ وفي تسبيب الفقر ألا تسبب الألم »؟ سيوافقون على ذلك أيضاً، إذا لم أكن مخطئاً؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: « أليس ذلك واضحاً لكم، يا أصدقائي، من أنّ بروتاغوراس وأنا محقّون في قولنا إنّ هذه الملذّات هي سيّئة ليس لأيّ سبب آخر، إلاّ لأنّها تنتهي في الألم وتسلبنا الملذّات الأخرى »؟ سيوافقون على ذلك مرّة ثانية.

[افتكرنا كلانا أنّهم سيوافقون على ذلك].

سقراط: ويمكننا عندئذ أن نتناول السؤال من وجهة النظر المضادّة، ونقول: « يا أصدقاء، حينما تتكلمون عن الخيرات كونها مؤلمة، هل تعنون الخيرات الشافية، كالتمارين الرياضية، والخدمة العسكرية، واستعمال الأطبّاء الكيّ، الشقّ، التخدير، ومعاناة التجويع؟ أهذه هي الأشياء التي تكون جيدة لكنّها مؤلمة؟ » ـ إنّهم سيوافقون على هذا.

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: « وهل تسمّونها خيراً لأنّها تسبّب المقاساة والألم العاجلين الأكبرين؛ أو لأنّها تجلب الصحة والتحسّن لحالة الجسم والإنقاذ للدول والقوة والغنى فوق الدول الأخرى بعد ذلك؟ » ـ إنّهم سيوافقون على الخيار الأخير إذا لم أكن مخطئاً؟

بروتاغوراس: أصادق على هذا.

بروتاغوراس: أعتقد ذلك.

سقراط: « أوَ لاَ تتعقبون أنتم هذه اللذّة كأنّها جيدة، وتتجنبون الألم وكأنّه شر؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: « تعتقدون أنتم إذن أنّ الألم شرّ واللذّة خير، وحتى أنّكم تعتبرون الل
شرّاً عندما تسلبكم ملذّاتٍ أكثر ممّا تهب، أو تسبب آلاماً أعظم
المسرّات. إذا، على كل حال، سمّيتم أنتم اللذّة شرّاً بالنسبة إلى غاية
قياس ما آخر، لكن ليس لديكم أيّ شيء لتبينوه ».

بروتاغوراس: أعتقد أنّهم لا يمتلكون أيّ شيء ليظهروه.

سقراط: « أو ليست لديكم طريقة أخرى للتكلّم عن الألم؟ تدعون أنتم الألم خـ
عندما يزيل الآلام الأعظم من تلك التي يحوزها، أو يعطي ملذّات أكبر
الآلام. إذا كان لديكم مقياس آخر غير اللذة والألم فإلى أيّها تشيرون حي
تسمّون الألم الحقيقي خيراً؟ أتستطيعون أنتم أن تظهروا ما هو ذلك؟ لكنّ
لا تقدرون ».

بروتاغوراس: حقّاً.

سقراط: إفترض مرّة ثانية، أنّ العالم يقول لي: « لأيّ سبب ممكن تصوّره أنـ
تبدّد الكلمات وتتكلّم بطرائق عديدة عن هذا الموضوع؟ ». عليّ أن أجيـ
أعذروني، يا أصدقائي؛ لكن هناك صعوبة في المقام الأوّل في تفسير المع
الدقيق لعبارة « مقهورون باللذّة »؛ وتدور المحاورة كلها عليها. وحتى الآ
إذا رأيتم أيّة طريقة ممكنة سيفسَّر الشرّ بها كغيرٍ من الألم، أو الخير كغير
السرور، يمكنكم أن تبقوا منسحبين. هل أنتم مقتنعون، عندئذ، في امتلا

وتؤكد آنّ إنسانا يفعل الشرّ غالبا متعمّدا، عندما يمكنه ان يمتنع عن ذلك، لأنّه يكون مُضلَّلاً ومُخضَعاً باللذّة؛ أو ثانية، حينما تقول إنّ إنساناً يرفض متعمّداً أن يفعل ما يكون خيراً لأنّه يُقهر باللذّة في اللحظة، وسيكون هذا واضحاً كونه مضحكاً إذا تخلّينا عن استعمال الكلمات المتنوعة، كالسارّ والمؤلم، والخير والشرّ. وبما أنّه يوجد شيئان اثنان، دعونا ندعوهما باسمين اثنين: الأول، الخير والشرّ، وبعدئذ السّار والمؤلم. مفترضين هذا دعنا نواصل القول إن إنساناً يفعل الشرّ عارفاً أنّه يفعله. لكنّ شخصاً ما سيسأل، لماذا؟ لأنّه يكون مقهوراً، هذا هو جوابه الأول. وبماذا يكون مقهوراً؟ سيتقدّم السائل ليسأل. ونحن لن نكون قادرين على أن نجيب « باللذة »، لأنّ اسمها قد استُبدِلَ باسم الخير. سنقول في جوابنا له حينئذ إنّه يكون مقهوراً فقط. وسيكرّر هو القول « بماذا؟ ». وعلينا أن نجيبه، بالخير؛ هكذا سنردّ عليه بالتأكيد لا. غير أنّ سائلنا سيقول ضاحكاً، إذا كان هو من النوع المختال، « إنّه لسخيف أن يفعل إنسان ما يعرفه أنّه الشرّ عندما لا يجب أن يفعله، لأنّه يكون مقهوراً بالخير ». وسيسأل هو، أيكون ذلك لأنّ الخير يمتلك أو لا يمتلك الأهميّة؛ وإلاّ فإنّ من يكون مقهوراً باللذّة، كما نقول نحن، لن يخطىء. وسيجيب هو، « لكن في أيّة ناحية، أليس الخير مساوياً للشرّ، أو الشرّ للخير؟ » أليس الجواب الوحيد، أنّهما غير متناسبين بعضهما مع بعض، لا. كأنّهما أكبر وأصغر، أو أكثر وأقل؟ لا يمكننا إنكار ذلك. « وعندما تتكلّمون عن كونه مقهوراً ـ فماذا تعنون؟ ». سيقول هو، « سوى أنّكم تختارون الشرّ الأكبر في مبادلةٍ بالخيرِ الأقل ». واعترفنا بهذا. والآن استبدلا اسمَي اللذّة والألم بالخير والشرّ، وقولا، ليس كما قلتما سابقاً، انّ

هو المقياس الموجود هناك لعدم قيمة اللذة بالنسبة إلى الالم غيراً من ا
والخلل التي تعني أنّها تصبح أكبر وأصغر، وأكثر وأقلّ، وتختلف في
فإذا قال أيّ شخص: « نعم، يا سقراط، غير أنَّ اللذّة العاجلة تختلف
اللذّة والألم المستقبلَيْن بشكل واسع »، عليَّ أن أجيبه على ذلك:
يختلفان هما في أيّ شيء إلاّ في اللذّة والألم؟ ألا يمكن وجود مقياس
لهما. لا، هل أنت مثل الوازن الحاذق، تضع الملذات والآلام في
وقُربهما وبُعدهما، وتزنهما، وتقول بعدئذ أيّهما يفوق الآخر وزناً.
وزنت أنت الملذّات ضد الملذّات، ينبغي أن تأخذ الأكثر والأكبر طب
إذا وزنت الآلام ضد الآلام، يجب أن تأخذ الأقلّ والأصغر؛ أو إذا أ
الملذّات ضد الآلام، حينئذ إذا تخطّت الملذّات الآلام سواء أقربها بالأب
أبعدها بالأقرب ـ يلزم لك أن تختار طريقة العمل التي ستوجِد الملذات
وينبغي عليك أن تتجنّب طريقة العمل التي يتجاوز بها المؤلم السار
تعترفوا، يا أصدقائي، أنّ هذا حقيقي؟ إنّني واثق من أنّكم لا تست
إنكار ذلك.

بروتاغوراس: أتّفق معك.

سقراط: سأقول، حسناً إذن، إذا وافقتم إلى هذا الحدّ، كونوا أخياراً وأجيبوني
سؤال: ألا تبدو لكم الأحجَام عينها أكبر عند قربها، وأصغر من •
سيعترفون هم بذلك. ويثبت الشيء عينه عن السماكة والعدد. الأ
المتساوية في نفسها هي أقوى من قربٍ، وأخفض من بعد. سيمنحو
هذا أيضاً. إفترضوا الآن أنّ السعادة تكمن في فعل أو اختيار الأكبر،

عليها في وقت اخر، في أعمالنا وفي اختيارنا للأشياء كبيرها وصغيره
كليهما؟ لكن فنّ القياس سيلغي تأثير المظاهر، ومبيّناً الحقيقة، سيعلّم الرو
كيف تجد الراحة في الحقيقة أخيراً، وهكذا سينقذ حياتنا. ألن يعترف الجنس
البشريّ بشكل عامّ أنّ الفنّ الذي سينجز هذه النتيجة هو فنّ القياس، ولا
غيره؟

بروتاغوراس: نعم، إنّه فنّ القياس.

سقراط: إفترضوا، مرّة ثانية، أنّ خلاص الحياة الإنسانيّة يعتمد على اختيار الرّقم
المفرد والمزدوج، أو على الاختيار الصحيح للأكثر والأقلّ كما تنشأ المناسبة:
إمّا مأخوذَةً بأنفسها أو مقارَنةً بعضها ببعض، وسواء أكانت قريبة أو من
مسافة؛ فماذا سيكون المبدأ المنقذ لحياتنا؟ ألن تكون المعرفة؟ ـ معرفة فنّ
القياس، بما أنّها هي الفنّ الذي يختصّ بالإفراط والنقص. وعندما تختصّ
بالرقم المفرد والمزدوج، أيمكن أن يكون أيّ فنّ آخر سوى الحساب؟ إنّ العالم
كله سيصادق على هذا، ألن يفعلوا؟

بروتاغوراس: أعتقد أنّهم سيفعلون بكلّ تأكيد.

سقراط: أقول لهم، حسناً إذن، يا أصدقائي؛ آخذين بعين الاعتبار أنّ خلاص الحياة
الإنسانيّة تبيّن أنّه يكمن في الاختيار الصحيح للملذات والآلام ـ في الاختيار
للأكثر والاقل، والأكبر والأصغر، والأقرب والأبعد ـ ألا يجب أن يكمن
هذا الخلاص في فنّ القياس، بما أنّه يشتمل على اعتبارٍ للإفراط والنقص
وعلى المساواة بالنسبة لبعضها بعضاً.

بروتاغوراس: إنّ هذا حقيقي بدون أدنى شكّ.

سقراط: وبما أنّه يشتمل على علم القياس، ينبغي أن يكون علماً وفنّاً بدون أدنى

سقراط: إنّ طبيعة ذلك الفنّ والعلم ستكون مسألة تأمّلٍ مستقبلي. لكنّ وجو
هكذا فنّ يزوّدنا بجوابٍ برهاني على السؤال الذي سألتموني إيّاه وسألت
إياه بروتاغوراس. عندما سألتم السؤال في الوقت عينه، إذا كنتم تتذكرون
إتفقنا كلانا على أنّه لا شيء أقوى من المعرفة، وتلك المعرفة، في أيّ شيءٍ
وُجدت، يجب أن تمتلك الأفضليّة على اللذّة وعلى كل الأشياء الأخرى
وقلتم آنئذ إنّ اللذة غالباً ما حصلت على الأفضليّة حتى فوق الإنسان الذ
يمتلك معرفة؛ ورفضنا نحن أن نسمح بهذا. وواصلتم القول: أو
يا بروتاغوراس وسقراط، ما معنى كونه مقهوراً باللذّة إذا لم يكن هذ
أخبرانا ماذا تسمّيان حالة كهذه؟ ـ إذا أجبنا حالاً وفي الوقت عينه « الجهل
فإنّكما ستهزآن منا. لكن الآن، في هزئكما منا، فما أنتما إلاّ ضاحكان عل
نفسيكما لأنّكما اعترفتما أيضاً أنّ الرجال يخطئون في اختيارهم للملذّا
والآلام ـ يكون ذلك في اختيارهم للخير والشرّ من نقصٍ في المعرفة، وليـ
من نقصٍ في المعرفة فقط بشكل عامّ، بل في تلك المعرفة الخاصة الت
اعترفتم مسبقاً أنّها علم فنّ القياس. وأنتما مدركان أيضاً أنّ فعل الخط
الذي فُعِلَ بدون معرفة يكون مفعولاً بالجهل. إنّ هذا لذلك، هو معنى كو
مقهوراً باللذّة ـ الجهل، وذلك هو الشيء الأعظم. ويعلن أصدقاؤ
بروتاغوراس وبروديكوس وهيبياس أنّهم هم أطباء الجهل. ولكنك، وأنت تحـ
الانطباع الخاطىء أنّ الجهل ليس السبب وأنّ الفنّ الذي أتكلّم عنه لا يمك
تعليمه، ولا تذهبون أنتم أنفسكم ولا ترسلون أطفالكم إلى اللسوفسطائيـ
الذين هم أساتذة هذه الأشياء ـ أنتم تعتنون بما لكُم ولا تعطونهم أيّ شي
منه، وتكون النتيجة أنّكم الأسوأ...

« لأنّ المحاورة تخصّكم كما تخصّنا »، ما كنتم ما تعتقدون أنّني أتكلّم الحقيقة أوْ لاَ؟

[إعتقدوا كلُّهم أنّ ما قلته كان حقيقياً بشكل تامّ].

سقراط: توافقون أنتم إذن على أنّ السارّ هو الخيِّر، والشرّ هو المؤلم. وسأرجو هنا صديقي بروديكوس أن لا يُدخل تمييزه للأسماء، سواء إذا استُعملت الكلمة سارٌّ، أو مبهجٌ، أو فَرِحٌ، أو أيّ إسم يمكن تصوّره وتحب أن تسمّيه بها. إنّني سأسألك، يا بروديكوس الأكثر ميزةً، أن تجيب طبقاً لمفهومي للكلمات.

[ضَحك بروديكوس وصادق على هذا، كما فعل الآخرون].

سقراط: إذن، يا أصدقائي، ماذا تقولون لهذا؟ أليست كلّ الأعمال شريفة، وهي التي تهدف أن تجعل الحياة بلا ألمٍ وسارّة؟ إنّ العمل الشريف أيضاً نافع وجيّد؟

[إعترفوا بهذا كلّهم].

سقراط: إذن إذا كان السّارُ هو الجيد، لا أحد سيواصل ليعمل أيّ شيء مع المعرفة أو الاعتقاد بأنّ شيئاً ما آخر سيكون أفضل وهو ممكن الحصول عليه أيضاً عندما يمكنه أن يفعل الأفضل، ويكون الجهل دونيّة إنسانٍ لنفسه ليس غيراً، كما تكون الحكمة سمُّو إنسانٍ لنفسه.

[وافقوا على ذلك جميعاً].

سقراط: أليس الجهل هو امتلاك الرأي الباطل وكون المرء مخدوعاً بشأن القضايا المهمّة؟

[صادقوا على هذا باكملهم أيضاً وبالإجماع].

سقراط: لا [illegible]

[وافقنا كلّنا على كلّ كلمة من هذا القول].

سقراط: حسناً، هناك شيء محدَّدٌ يسمَّى خوفاً أو رعباً؛ وهنا، يا بروديكو
أحب أن أعرف بشكل خاصّ إذا ما كنت ستتّفق معي في تعريف
الخوفِ أو الرعب كأنه توقّع للشرّ.

[وافق على ذلك بروتاغوراس وهيبياس، لكنّ بروديكوس قال إنّ
كان خوفاً وليس رعباً].

سقراط: لا بأس، يا بروديكوس، لكن دعني أسأل، ما إذا كانت تأكيداتنا السا
صحيحة؟ سيتعقّب إنسانٌ ذلك الذي يخافه عندما يمكنه أن يلاحق العك
أليس هذا نقضاً صريحاً للاعتراف الذي قد أدّيناه سابقاً، وهو أنّه يعتقد
الأشياء التي يخافها شر؟ ولا أحد سيقتفي أثر، ما يعتقده شرّاً أو يخت
بملء إرادته؟

[إعترفوا بهذا أيضاً دون استثناء].

سقراط: هذه إذن، يا هيبياس ويا بروتاغوراس، هي مقدماتنا المنطقيّة؛ وإنّني سأ
بروتاغوراس أن يشرح لنا كيف يمكنه أن يكون محقّاً فيما قاله في البدا
أنا لا أعني ما قاله بادىء ذي بدء تماماً، لأنّ تقريره الأوّل، كما يمكنكم
تتذكروا، كان أنّه حيث توجد أربعة أقسام للفضيلة لا أحد منها وُجد ليـ
الآخر؛ بل إنّ كل واحد منها له وظيفة منفصلة. إنني لا أشير إلى هذا، ع
أيّة حال، بل أهدف إلى التأكيد الذي أبداه بعد ذلك وهو أنّ الفضـ
الخمس كانت أربع منها مماثلة بعضها لبعض على وجه التقريب، لـ
الخامسة التي هي الشجاعة، تباينت عن الفضائل الأخرى بشكل كبير. ولـ

الآن في أنّي أبحث المسألة معك. وهكذا سألته إذا ما عنى بالشجاع الواثق من نفسه. أجابني، نعم، وكذلك المندفعون بطيش أو بتهورهم شجعاناً.
« يمكن أن تتذكر، يا بروتاغوراس، أنّ هذا كان جوابك؟ ».

بروتاغوراس: أعترف بذلك.

سقراط: حسناً إذن، أخبرنا ضدّ من، وما إذا كان الشجاع جاهزاً ليذهب ضدّ الأخطار عينها كالجبناء؟

بروتاغوراس: لا.

سقراط: إذاً، ضدّ شيءٍ ما مختلف؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: هل يذهب الجبناء إذن حيث يوجد سبب للثقة بالنفس، والشجعان حيث يوجد خطر؟

بروتاغوراس: نعم، يا سقراط، هكذا يقول الرجال.

سقراط: حقيقيّ تماماً، لكنّني أريد أن أعرف ضدّ من وماذا تقول أنت إنّ الشجعان جاهزون ليذهبوا ضدّ الأخطار، معتقدين أنّها أخطار، أو ضدّ ما لا يكون أخطاراً؟

بروتاغوراس: لا، الحالة السابقة قد برهنت أنت في الحوار السابق أنّها مستحيلة.

سقراط: إنّ ذلك حقيقي، مرّة ثانية. وإذا كانت هذه قد تمَّ برهانها بشكلٍ صحيح، عندئذ لا أحد سيذهب ليواجه ما يعتقد أنّه أخطار، ما دام يفتقر لضبط النفس الذي يجعل الرجال يندفعون عن جهل إلى الأخطار.

بروتاغوراس: أوافق.

بروتاغوراس: وفوق ذلك، يا سقراط، فإنّ الذي يذهب إليه الجبان هو ضدُّ ،
يذهب الشجاع إليه. أحدهما، كمثال، يكون جاهزاً ليذهب إلى المعركة والآخر ليس مستعدّاً للذهاب إليها.

سقراط: وهل الذهاب إلى المعركة مشرِّف أو مُخزٍ؟

بروتاغوراس: مشرِّف.

سقراط: وإذا كان مشرّفاً، لقد اعترفنا مسبقاً حينئذ أنّه خيّر، لأننا اعترفنا أنّ ك
الأعمال المشرّفة هي خير.

بروتاغوراس: إنّ ذلك لحقيقي؛ وسوف ألتزم بهذا الرأي على الدوام.

سقراط: حقّاً. لكن أيٌّ من الإثنين يكون، كما تقول، غير مستعد للذهاب إل
الحرب التي هي شيء مشرّف وخيّر؟

بروتاغوراس: الجبناء.

سقراط: وما يكون خيّراً ومشرّفاً، يكون سارّاً أيضاً؟

بروتاغوراس: لقد اعترفنا أنّه بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل يرفض الجبناء أن يذهبوا إلى الأنبل بتعمّد، وإلى الأسرّ، والأفضل؟

بروتاغوراس: الاعتراف بذلك، سيكذِّب اعترافاتنا السابقة.

سقراط: لكن ألا يذهب الإنسان الشجاع ليواجه الأفضل، والأسرّ، والأنبل؟

بروتاغوراس: يجب الاعتراف بذلك.

سقراط: وفي المصطلحات العامّة، لا يمتلك الإنسان الشجاع أيّ خوف حقير
عندما يكون خائفاً، أو أيّة ثقة بالنفس دنيئة؟

بروتاغوراس: صادقاً

بروتاغوراس: أعترف بهذا.

سقراط: وإذا كانت مشرِّفة، فخيِّرة عندئذ؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: لكنّ الخوف والثقة بالنفس للجبان أو المجازف بحمق أو المجنون، على العكس، تكون دنيئة؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: وهذا الخوف الدنيء والثقة بالنفس ينشآن في الجهل واللاتعليم؟

بروتاغوراس: حقاً.

سقراط: إذن فيما يتعلق بالباعث الذي يعمل منه الجبناء، هل تدعوه جبناً أو شجاعة؟

بروتاغوراس: عليَّ أن أقول جبناً.

سقراط: ألَمْ يُظْهِروا أنّهم جبناء من خلال جهلهم بالأخطار؟

بروتاغوراس: بالتأكيد.

سقراط: وهم جبناء بسبب ذلك الجهل؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: واعترفت أنت أنّ سبب جبنهم هو الجبن؟

بروتاغوراس: أوافق مرّة ثانية.

سقراط: إذن الجهل بما يكون وما لا يكون خطراً، هو جبن؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: إذن الحكمة التي تعرف ما يكون وما لا يكون خطراً هي مضادّة للجهل بها؟

بروتاغوراس: أوافق على ذلك ثانية.

سقراط: والجهل بها يكون جبناً؟

بروتاغوراس [وافق على هذا بمضضٍ كبير].

سقراط: والمعرفة بذلك الذي يكون والذي لا يكون خَطَراً هي الشجاعة، وهي مضادة للجهل بهذه الأشياء؟

[في هذه النقطة الأساسيَّة لم يعد بروتاغوراس يوافق بإيماء الرأس، بل كان صامتاً].

سقراط: ولماذا لا توافق ولا تعارض، يا بروتاغوراس؟

بروتاغوراس: إنهِ المحاورة بنفسك.

سقراط: أريد أن أسألك سؤالاً واحداً فقط. إنّني أرغب أن أعرف إذا كنت ما تزال تعتقد أن هناك رجالاً هم أكثر جهلاً وبرغم ذلك فهم أكثر شجاعة؟

بروتاغوراس: يبدو أنك مصمِّمٌ بعناد على أن تجعلني أجيب، ولذلك فإنّني سأرضيك، وأقول، إنّ هذا يبدو لي مستحيلاً للاستقامة مع المحاورة.

سقراط: إنّ هدفي الوحيد من طرح كلّ هذه الأسئلة، هو رغبتي في التحقّق من طبيعة وعلائق الفضيلة لأنّ هذا إذا وضح، فإنّني جدٌّ متأكد من أنّ الجدل الآخر الذي قد واصلناه كلانا لوقت طويل ـ أنت مثبتٌ وأنا منكرٌ، أنّ الفضيلة يمكن أن تُعلَّم ـ سيصبح واضحاً أيضاً. يبدو لي أنّ نتيجة بحثنا فريدة من نوعها. فإذا كان لدى المحاورة صوت إنسان، فسيُسْمَعُ هذا الصوت ساخراً بنا وقائلاً: « يا بروتاغوراس ويا سُقراط، إنّكما مخلوقان غريبان؛ فهناك أنت، يا سقراط، الذي قلت إنّ الفضيلة لا يمكن تعليمها، وها أنت تناقض نفسك الآن بمحاولتك لتبرهن أنّ كل الأشياء تكون معرفة، شاملاً العدل، والاعتدال، والشجاعة، وهذا ما يميل ليُظهر أنّ الفضيلة يمكن أن تُعلَّم بالتأكيد. فإذا كانت الفضيلة غيراً من المعرفة، كما حاول

بروتاغوراس أن يبرهن، حينئذ فإنّ الفضيلة يمكن أن لا تُعلَّم بجلاء. لكن إذا كانت الفضيلة معرفة بشكلٍ كاملٍ، كما تقصد أنت إيضاحه، عندئذ لا أستطيع أنا سوى أن أفترض أنّ الفضيلة تكون قادرة على أن تُعلَّم. بروتاغوزاس، على الجانب الآخر، الذي بدأ بالقول إنّها يمكن أن تعلم يبدو على العكس الآن فهو متشوّقٌ لأن يبرهن أنها أيّ شيء بالأحرى تقريباً إلاَّ المعرفة؛ وإذا كان هذا صحيحاً، فيجب أن تكون غير قادرة على أن تُعلَّم ».

وأنا الآن، يا بروتاغوراس، مدركٌ هذا الارتباك الرهيب في أفكارنا. لديَّ رغبة عظيمة في أن تُزال هذه كلّها. والآن بما أنّنا بحثنا هذه المواضيع، أحبّ أن أتقدّم وأسألك ما هي الفضيلة، ولأفحص السؤال سواء إذا كانت قادرة على أن تُعلَّم أو لاَ، مخافة أن يمسكنا أبيميثيوس الذي يخصّك بزلّةٍ ويخدعنا في المحاورة. إنّني أفضل بروميثيوس على أبيميثيوس في الأسطورة التي تلوت؛ وأستفيد منه كلما كنت منهمكاً بشأن هذه الأسئلة فإنّني سأكون بعناية بروميثيوس طيلة أيّام حياتي الخاصة. وإذا لم يكن لديك اعتراض، كما قلت في البدء، فأنا أرغب أكثر من كلّ شيء لأن تساعدني في المحاورة.

بروتاغوراس: يا سقراط، إنّني أستحسن نشاطك، وإدارتك للمحاورة. أنا لا أعتقد بأنّي ذو طبيعة دنيئة بشكلٍ عامّ. وبشكلٍ خاصّ، فأنا آخر رجل في العالم قد يكون حسوداً. سمعني أناسٌ كثيرون حقاً أقول بأنّي أُعجب بك أكثر من كلّ الآخرين الذين أصادمهم، وأكثر ببعيد من الرجال الذين في سنّك. ويمكنني أن أضيف أنَّ عليَّ بأن لا أتعجّب إذا ما تأهلت لتصنّف بين مشاهير الفلاسفة. دعنا نبحث هذا الموضوع في وقت مستقبلي آخر؛ أمَّا في الوقت الحاضر فالوقت قد حان كي نستدير إلى شيءٍ ما آخر.

سقراط: مهما كلّف الأمر، إذا كانت هذه رغبتك. فأنا أيضاً قد أمضيت وقتاً أطول ممّا توقعت، خاصة وأن عندي موعداً تكلمت عنه خلال المحاورة. وأمكث هنا الآن لأتفضّل وأسدي منّة إلى كالياس الجميل فقط.

[هكذا اختُتِمت المحاورة وذهب كلٌّ منا في طريقه].

محاورة يوثيديموس

افكار المحاورة الرئيسيّة

يقصّ سقراط لكريتون منظراً مدهشاً شارك فيه بنفسه، وكان المحاوران الرئيسيان فيه يوثيديموس وديونيسودوروس. إنّهما مواطنان من خيوس ورحلا إلى ثوري، ومن ثمّ إلى أثينا. وهما أستاذان في علم الكلام، ومصارعان بارعان كما أنّهما ملاكمان كفوءان. بجانب ذلك فهما منازلان قويّان في العدّة الحربية ويستطيعان تعليم تلك الفنون تماماً كقدرتهما على تعليم فنّ الحرب بالكلمات الذي يتمكنان بواسطته من التأثير على محاكم العدل. لذا فإنّ سقراط يتوق لأن يتعلّم منهما هذا الفنّ الجدالي برغم تقدّمه في السنّ. لهذا السبب دعا سقراط كريتون كي يشاركه تعلّمه هذا، غير أنّ الأخير اشترط عليه أن يعطيه وصفاً لحكمتيهما، كي يتمكّن مقدّماً من معرفة ما هما ذاهبان ليتعلما.

عندما وصلا إلى قاعة المناقشات العامّة وجدا عدداً من الشّباب مجتمعين مع يوثيديموس وديونيسودوروس، بينهم كلينياس الفتى الجميل، والذي قال له سقراط: إنّ هنا، يا كلينياس، رجلين عاقلين، فهما يعرفان كلّ شيء يجب أن يعرفه القائد العسكري الفذّ، كما أنّهما يستطيعان تعليم الرجل كيف يدافع عن حقوقه في محاكم العدل عند تعرضه للأذى.

سمعاني أقول هذا، واستخفّا بي. وقال يوثيديموس: تلك، يا سقراط، هي مسائل ثانويّة بالنسبة لنا. أمّا المهنة الرئيسيّة التي نجيدها فهي تعليم الفضيلة. إذا استطعتما ذلك فإنّني سأكون أوّل من يتعلّم منكما، كما من كل رجل عاقل، وأخصّ بالذكر منهم الفتى كلينياس، والذي نريد إنقاذه وتوجيهه الوجهة الصحيحة. لذلك حاوِراه في حضورنا إذا أردتما ذلك. إستجاب يوثيديموس لهذا،

لكنه اشترط أن يجيب الفتى على أسئلتهما. استهلّ يوثيديموس المحاورة بسؤال كلينياس: هل أولئك الذين يتعلمون هم العقلاء أو الجهلة. وأجاب الفتى إنّ الذين يتعلمون هم العقلاء. ثم بادره بالسؤال مرّة ثانية، إذا ما كان هو المتعلم الذي لم يعرف الأشياء التي كان يتعلمها، ولذلك لم يكن عاقلاً عندما تعلمها بل كان جاهلاً، ولهذا فإنّ من يتعلم ما لا يعرف هو الجاهل حين يتعلّم، وبناءً على هذا فإنّ الجهلة هم الذين يتعلّمون وليس العقلاء.

ثم استلم الحوار ديونيسودوروس سائلاً الفتى: وعندما أملى عليكم معلم القواعد أيّ شيء، هل كنتم الأولاد العقلاء أو الجهلة الذين تعلموا الإملاء؟ وأجاب الفتى بأنّهم كانوا العقلاء، ولذلك فالنتيجة هي أنّ العقلاء هم الذين يتعلمون وليس الجهلة، وكان جوابك الأخير ليوثيديموس خطأً. بعدئذ تلقّى يوثيديموس الفتى بيديه مرّة ثانية وقال: هل أولئك الذين يتعلّمون يتعلّمون ما يعرفونه أو ما لا يعرفونه؟ وأجابه كلينياس، إنّ أولئك الذين تعلّموا تعلّموا ما لا يعرفون. وقال يوثيديموس: ألا تعرف الحروف؟ نعم. كلّ الحروف؟ وعندما يملي عليك المعلم، ألا يملي عليك حروفاً؟ نعم وإذا عرفت كلّ الحروف، فإنه يملي عليك جزءاً من ذلك الذي تعرف؟ نعم. أنت لا تتعلّم إذن ذلك الذي يمليه عليك، بل إن الذي لا يعرف الحروف هو الذي يتعلم فقط؟ كلا، يا يوثيديموس، بل إنّني أتعلّم. إذن فأنت تتعلّم ما تعرف، إذا عرفت كل الحروف؟ نعم. إذن، كنت مخطئاً في إجابتك.

بعد هذا التقط ديونيسودوروس الكرة ورمى بها الفتى مرّة أخرى، وقال له: إنّ يوثيديموس ليس إلاّ خادعاً لك. وقل لي الآن، أليس العلم هو اكتساب المعرفة لذلك الذي يتعلّمه الشخص؟ أُصادق على ذلك. وأنّ العارف يمتلك المعرفة في الوقت؟ نعم. وأنّ اللاعارف لا يمتلك معرفة في الوقت؟ نعم. وهل أولئك الذين ينالون تلك، هم الذين يمتلكون أو لا يمتلكون؟ أولئك الذين لا يمتلكون. أولم تعترف بأنّ أولئك الذين لا يعرفون هم العدد لأولئك الذين لا يمتلكون؟ نعم. إذن،

يا كلينياس، فإنّ أولئك الذين لا يعرفون يتعلمون، وليس أولئك الذين يعرفون.

تهيّأ يوثيديموس ليسبب كبوة ثالثة للفتى، لكنّني وجدت أنّه في ماءٍ عميق، ولذلك قلت له مواسياً: يجب أن لا تُفاجأ يا كلينياس في تفرّد أسلوبهما الكلامي، إذ هما يلقنانك المبادىء الأولى لعلمهما، وسيطلعانك على الأسرار السرّيّة تالياً، ولقد علّماك أوّلاً الفرق بين « الفهم » و« العلم ». ولا تعتبر أنّ ما جرى بينكم ليس إلاّ مجرّد تسلية ولعب، أما جواهر الكلام وإظهار العلم فسيأتيان لاحقاً، ولهذا فإنّني سأبادر بشرح نمطٍ مماثل عليهما أن يتّبعاه في الحوار معك، وذلك كي ننتفع كلنا بعرضهما.

بادرت بسؤال كلينياس: ألا يرغب كل الرجال السعادة؟ أولاَ تكمن السعادة في الأشياء الخيّرة؟ كالعدل، والاعتدال، والشجاعة، والحكمة؟ وعلى هذه الأشياء الخيّرة أن تنفعنا عند استعمالنا لها بحقّ، وليس استعمالها بخطأ لأنّ استعمال الشيء خطأ هو أسوأ من عدم استعماله. أوَ ليست المعرفة هي التي تهدينا لاستعمالها الصحيح، وننظم ممارستنا بشأنها على نحوٍ قويم؟ أمّا إذا كانت تحت هداية الجهل فإنها شرور أعظم، أمّا عندما تكون تحت إرشاد الحكمة والفهم الجيّد، فهي خيرات أهمّ، لكنّها لا تمتلك في أنفسها ولا تحوز مضاداتها أيّة قيمة. ألا نستنتج من بحثنا أنّ الحكمة هي الخير الوحيد، وأنّ الجهل هو الشرّ فقط، يا كلينياس؟ لكن هل يُستطاع تعليم الحكمة هذه، أو أنّها تأتي إلى الإنسان تلقائياً؟ إن هذه هي النقطة الأساسيّة التي ما زال علينا أن نتأمّلها مليّاً، بعد أن وافقنا على كلّ النقاط السابقة.

استدرتُ بعد ذلك إلى يوثيديموس وديونيسودوروس وقلت لهما: إنّ ذلك مثال من النوع الناصح الذي أحبّ أن تقدماه، وآمل منكما أن توضحاه بشكل أمثل، واعرضا على الفتى كيف يمكنه أن يمتلك المعرفة التي ستجعله خيّراً وسعيداً، وما هي هذه المعرفة.

هكذا تكلمت، يا كريتون، وكنت كلّي انتباه كيف سيبدآن بوعظ الفتى كي يمارس الحكمة والفضيلة. ثم تكلّم ديونيسودوروس أوّلاً وقال: أخبرني، يا سقراط، ويا بقيّة الحاضرين الذين تريدون أن يصبح هذا الفتى الشابّ عاقلاً، هل أنتم تسخرون، أو جدّيُّون في الواقع؟ وإذا كنتم جدّيين فمعنى ذلك أنكم تريدونه أن يصبح ما ليس هو عليه، ولا أن يكون ما هو بعد اليوم، يعني تريدونه أن يهلك. ذعرنا بما قاله. وعندما سمع كتاسيبوس هذا غضب جدّاً، وقال: ما الذي جعلك تقول كذبة كهذه عنّي وعن الآخرين، وهي أنّني وهم نريد أن يهلك كلينياس؟ فبادره يوثيديموس قائلاً: وهل تعتقد، يا كتاسيبوس، أنّه ممكن أن تقول كذبة؟ لا أحد يقدر أن يقول ذلك الذي لا يكون لأنّ في قوله ما لا يكون سيكون عاملاً على شيء ما، واعترفت أنت سابقاً أن لا أحد يستطيع أن يعمل على ما لا يكون. ولذلك، وبناءً على تبيينك الخاص، لا أحد يقول ما هو باطل؛ لكن إذا قال ديونيسودوروس أيّ شيء، فهو يقول ما يكون حقيقياً وما يكون. وبعد أن أجابه كتاسيبوس على ما قاله، ورأيت أنّ الجوّ قد تكهرب وأصبحا ساخطين على بعضهما قلت لكتاسيبوس مازحاً: علينا أن نتقبّل ما يقوله الغريبان في كلامهما الخاصّ، وأن لا نتخاصم معهما بشأن الكلمات. إذا عرفا كيف يدمّرا الرجل في هكذا طريقة كي يجعلاه إنساناً أفضل، فليكن جسدي تقدمة لهذه التجربة الجديدة، فأنا إنسان مسنّ، وجاهز لأن أتقبّل المخاطرة. أجابني كتاسيبوس: وأنا مستعدّ لفعل ذلك أيضاً، يا سقراط، ولا يتوهّم ديونيسودوروس بأنّني غاضب منه على الإطلاق، وأنا لا أفعل سوى نقضه عندما أعتقد بأنّه يتكلّم بشكل غير مناسب. وأنت يا ديونيسودوروس الشهير، عليك أن لا تخلط بين النقض والشتم فهما شيئان مختلفان.

أجابه ديونيسودوروس: نقض! أنت تتكلّم وكأنه يوجد هكذا شيء، وكيف نستطيع أن ينقض بعضنا بعضاً، عندما يكون كل منا معبّراً عن الشيء عينه؟ يلزم

حينئذ أن نتكلّم عن الشيء عينه بالتأكيد؟ أو عندما لا يكون كلٌ منا معبّراً عن الشيء عينه، لأنّه عندئذ لا أحد منا يقول كلمة عن الشيء على الإطلاق. لكن حينما أعبّر أنا عن شيء وأنت عن شيء آخر، أو أقول أنا شيئاً، وأنت لا تقول شيئاً، أيكون هناك أيّ نقض؟ كيف يستطيع من يتكلّم أن ينقض مَن لا يتكلّم؟

كان كتاسيبوس هنا صامتاً؛ وقلت له أنا من دهشتي: ماذا تعني فرضيّتك هذه، يا ديونيسودوروس والتي سمعتها من أتباع بروتاغوراس ومن الآخرين قبلهم؟ ظننته بأنّه تعليم مدهش، انتحاري كما هو تدميري، وأحبّ سماع حقيقته منك. ويُثبت هذا القول المأثور بأنّه لا يوجد هكذا شيء كالباطل. الإنسان يجب أن يقول ما يكون حقيقياً أو أن لا يقول شيئاً. أليس هذا موقفك؟ ولكنّني أقول لكما إذا لم يكن هناك بهتان، ولا رأي باطل ولا جهل، لا يمكن وجود هكذا شيء كالعمل الخاطىء، لأنّ إنساناً لا يقدر أن يخفق في عمل ما هو عامل. وإذا لم يكن هناك شيء هكذا كالخطأ في المأثرة، الكلمة، أو الفكر، إذن وباسم الصّلاح ماذا أتيتما هنا لتعلّما؟ أوَ لم تقولا بأنّكما تقدران على أن تعلّما الفضيلة أفضل ممّا يعلمها الرجال كلّهم ولأيٍّ شخص مستعد لأن يتعلّم؟

أجابني ديونيسودوروس: وهل أنت هكذا مسنّ أبله، يا سقراط، كي تعرض ما قلته أنا في البداية - وإذا قلت أيّ شيء آخر السنة، افترض أنّك ستعرضه أيضاً - لكنّك كنت مرتبكاً في كلماتك التي تفوّهت بها منذ برهة. قلت له: إنّ كلماتك، يا ديونيسودوروس، ليست كلمات يسهل الإجابة عليها، إنّها كلمات رجل حكيم. وهل تعني بكلمة « مرتبك » بأنّني لا أقدر أن أنقض محاورتك؟ هل لها أيّ معنىً أو إحساس آخر؟ وهل تعرف، يا سقراط، الكلمة التي تكون حيّة ولها إحساس؟ وبما أنّك لا تعرف، فلماذا سألتني أيّ إحساسٍ كان لدى كلماتي؟ لماذا؟ لأنّني كنت غبيّاً وارتكبت خطأً، يا ديونيسودوروس، ولربّما كنت محقّاً مع ذلك برغم كل شيء في القول بأنّ الكلمات لها إحساس - وإذا لم أقع في الخطأ

أيّها الرجل الحكيم، فحتى أنت لا تقدر أن تنقضني، ولذلك فأنت مخطىء مرّة ثانية في القول بأنّه لا يوجد هكذا شيء كالخطأ والنقض ـ وهنا فأنا لست مشيراً إلى شيءٍ ما قد قيل آخر السنة. إنّني ميّال لأعتقد بأنّ هذه المحاورة تتمدَّد حيث كانت، وفي التعبير القديم لمدرسة المصارعة، ترمي الآخرين أرضاً وتسقط نفسها ـ إنّه مصير الذي لم يكتشف فنّك. كيف يتجنبه مع كلّ دقّة حكمته الخارقة.

بعد أن سمع كلماتي كتاسيبوس، قال لهما: أيها الرجلان القادمان من خيوس، إنّني أتعجب منكما، فيبدو أنكما لا مانع عندكما من التكلم بإسفاف.

خفت أن يخلق هذا الكلام ردَّ فعلٍ عنيف، ولذلك حاولت تهدئته، قائلاً له: عليك أن تفهم أسلوب زائرَيْنا، يا كتاسيبوس، فهما مثل الساحر المصري، بروتيوس، يتخذان أشكالاً مختلفة، ويخدعاننا بسحرهما؛ ودعنا نرفض، مثل مينيلوس، أن نتركهما يذهبان قبل أن يعرضا نفسيهما في جدّيّة حقيقية، وعندها سيظهر جمالهما الحقيقي ويتألقا ضياءً. والآن، ذكرني، يا كلينياس، في أيّة نقطة تركنا المحاورة. ألم نتفق أنّ الفلسفة يجب أن تُدرَّس؟ ألم يكن هذا استنتاجك؟ وأن الفلسفة هي اكتساب المعرفة التي تجلب لنا الخير؟ وعلينا استعمال هذه المعرفة، وأنّ هذه المعرفة لها أهلها الذين يستعملونها كما لها صنّاعها، وكل الفنون تقدِّم إنتاجها إلى الفنّ الملكيّ أو السياسيّ بما في ذلك فنّ القائد العسكريّ، وهذا الفنّ هو مصدر الحكومة الخيِّرة، وهو الفنّ الوحيد الجالس في مقبض دفّة مركب الدولة، هادياً وحاكماً كلّ الأشياء أو مستفيداً منها. أمّا الخير الوحيد فهو معرفة من نوعٍ ما. والعلم السياسي يلزم أن يجعلنا حكماء وأن يمنحنا المعرفة، إذا كان هذا العلم هو الذي يُحتمل أن يفعل لنا الخير ويجعلنا سعداء. وبما أنّني لم أعرف ما هي هذه المعرفة ناشدت ورجوت الغريبين، أن يكونا جديّين بشكل كامل، وأن يبيّنا لنا برصانة ما هي هذه المعرفة التي ستمكّننا من أن نقضي بقيّة حياتنا سعداء.

تقدَّم يوثيديموس بعد ذلك وقال لي: إنّني أستطيع تبيين هذه المعرفة لك،

يا سقراط. إذا كنت تعرف أيّ شيء، فأنت تعرف كلّ شيء. وبما أنّك قلت أنّك تعرف شيئاً ما فلذلك أنت عارف بها كلّها. قلت له: وهل أنتما تعرفان كلّ شيء، يا يوثيديموس؟ فردّ عليَّ ديونيسودوروس، بأنّهما يعرفان كلّ الأشياء إذا عرفا شيئاً واحداً. قلت: وهل تعرفان كلّ الأشياء بما فيها النجارة، وقصّ الجلد، والخياطة، والأسكفة، وعدد النجوم، وعدد حبّات الرمال؟ فأجابني، أنّهما يعرفان كلّ شيء بكلّ تأكيد. قال كتاسيبوس، مقاطعاً: إنّي أستحلفكما، أعطياني على ما تقولان برهاناً يجعلني قادراً على معرفة ما إذا ما كنتما تتكلمان الحقيقة، وذلك بإخباري كم عدد أسنانكما. وأجاباه، بأنهما يعرفان كلّ شيء. سألت ديونيسودوروس حينها، إذا كان قادراً أن يرقص، فأجاب بنعم، وأنّه يقدر أن يقفز بين السيوف، ويدور على الدولاب، وأنّهما عرفا كلّ شيء منذ ولادتهما، وعندما كانا طفلين. ثم التفت إليَّ يوثيديموس، وقال: يا سقراط، وأنت تعرف كلّ هذا تماماً، إذا ما أجبتني على سؤالٍ. هل تعرف شيئاً أو لا تعرف شيئاً، يا سقراط؟ إنّني أعرف. وهل تعرف بماذا تعرف، أو أنك تعرف بشيء ما آخر؟ أعرف بما أعرف. وهل ستكون قادراً أن تعرف كلّ الأشياء، إذا لم تعرف كلّ شيء؟ مستحيل. وبعدُ يمكنك أن تضيف ما تريد، فأنت اعترفت بأنّك تعرف كلّ شيء.

والآن أجبني أنت، يا يوثيديموس. كيف أستطيع أن أقول بأنّني أعرف أشياء كهذه، مثل أنّ الأخيار يكونون ظالمين؟ تعالَ، هل أعرف أنا ذلك أو لا أعرفه؟ أنت تعرف، يا سقراط، أنّ الأخيار ليسوا ظالمين. وأين تعلّمت أنا ذلك، يا يوثيديموس؟ قال ديونيسودوروس، لم تتعلّمه في أيّ مكان. إذن، فأنا لا أعرفه. عندها قال له يوثيديموس، إنّك تخرّب المحاورة، يا ديونيسودوروس، لأنّ سقراط سيبرهن أنّه لا يعرف، وبعد كل ذلك سيكون عارفاً وغير عارفٍ في الوقت عينه. واحمرّ وجه ديونيسودوروس خجلاً. استدرت حينها إلى يوثيديموس وقلت له: ماذا تعتقد، يا يوثيديموس، هل يظهر لك أخوك العالم بكلّ شيء أنه مخطىء؟ فاجابني

ديونيسودوروس في لحظة، هل أنا أخو يوثيديموس؟ قلت له: من فضلك أن لا تقاطعنا، يا صديقي الصالح، أو تمنع يوثيديموس من البرهنة لي أنّني أعرف الخيّر أنه ظالم، يمكنك أن تسمح لي بتعلُّم درس كهذا على الأقلّ. إنّك تتهرّب من المحاورة، يا سقراط، وترفض أن تجيب. قلت له: لا عجب في ذلك، فأنا لست نظيراً لواحدٍ منكما وضعيفاً في علم الكلام. عليَّ أن أهرب من الاثنين. أنا لست هرقل، وحتى هرقل لم يستطع أن يحارب ضدّ الهيدرا سوفسطائية. فقال لي ديونيسودوروس: هل ستخبرني، يا سقراط، إذا ما كان آيولوس ابن أخي هرقل أكثر من كونه ابن أخيك؟ إنّني سأجيبك، يا ديونيسودوروس، بما أنك تمنعني من أن أتعلَّم الحكمة من يوثيديموس، وأقول لك، بأنّه لم يكن ابن أخي على الإطلاق، بل ابن أخي هرقل، وأبوه لم يكن أخي باتروكلس، لكن إيفيكليس، الذي هو أخو هرقل. وهل يكون باتروكلس أخاك؟ نعم إنّه أخي من أمي وليس من أبي. إذن، فهو أخوك، وليس بأخيك؟ نعم، إنّه ليس من الأب نفسه، يا رجلي الطيّب، لأنّ تشايراديموس كان أباه، وأبي كان سافرونيسكوس. إذن، فإن تشايراديموس كان غيراً من أب، وكونه غيراً من أب، فهل تكون أنت، يا سقراط، الشيء عينه كالحجر؟ أنا لا أعتقد بأنّي حجر بكل تأكيد، ومع هذا فأنا أخشى أن يكون بإمكانك برهنة أني واحد.ألست أنت غيراً من الحجر؟ نعم. وكونك غيراً من الحجر، فأنت لست حجراً. وكونك غيراً من ذهب، فأنت لا تكون ذهباً. وهكذا فإنّ تشايراديموس، كونه غيراً من أب فهو ليس أباً.

قال يوثيديموس، بعد أن استلم المحاورة: فإذا كان تشايراديموس أباً، حينئذ فإن سافرونيسكوس، كونه غيراً من أب، لا يكون أباً، وتكون أنت بلا أب يا سقراط. فرد عليه كتاسيبوس قائلاً: أو لاَ يكون أبوك في الحالة عينها لأنّه غيراً من أبي؟ لا بالتأكيد. إذن فهو يكون الشيء عينه؟ إنّه الشيء عينه. إنّ الفكرة لا تسرّني. أيكون هو أبي فقط، يا يوثيديموس، أو أنّه هو أبٌ لكلّ الرجال الآخرين؟ إنه أبٌ لكلّ

الرجال الآخرين. هل تفترض، يا كتاسيبوس، أنّ الشخص ذاته يكون أباً وليس أباً؟ إنّني أتصوّر هذا بدون ريب. وهل تفترض أنّ الذهب لا يكون ذهباً وأنّ إنساناً لا يكون إنساناً؟ إنّهما لا يكونان في نسبة مادّية، يا يوثيديموس، ومن الأفضل أن تكون جذراً، لأنّه شذوذٌ أن تفترض أنّ أباك هو أبو الجميع. لكنّه أبٌ للجميع. ماذا، هل هو أبٌ للرجال فقط، أو للأحصنة ولكل الحيوانات الأخرى؟ إنه أبٌ للكل. وهل أمّك أمٌ للجميع أيضاً؟ نعم. وهل لدى أمّك ذريّة بحرية من أولاد الشوارع الأشقياء؟ نعم. وأمّك أيضاً، يا كتاسيبوس. وهل يكون سمك القوبيون النهريّ وجراء الكلاب وصغار الخنازير أخوتك؟ نعم، وهي أخوتك كذلك. وهل أبوك خنزير بريّ وكلب؟ وهذه هي حال أبيك. فقال يوثيديموس، سأستخرج الاعترافات عينها منك قريباً إذا ما كنت ستجيب على أسئلتي، يا كتاسيبوس. هل لديك كلب؟ نعم، وواحدٌ وغد، وهل له جراء صغيرة؟ نعم، وتشبهه إلى حد بعيد. وهل الكلب أبوها؟ نعم، إنّني رأيته يتّصل بأم جراء الكلب الصغيرة بالتأكيد. أو ليس هو ملكك؟ إنّه ملكي بدون ريب. ما دام الأمر كذلك، فهو أبٌ، وهو ملكك، وجراء الكلب الصغيرة هي أخوتك. فقال ديونيسودوروس مقاطعاً بسرعة: دعني أسألك سؤالاً صغيراً واحداً أكثر، كي لا يتمكن كتاسيبوس من أن يردّ على السؤال بكلمة؛ هل تضرب كلبك، يا كتاسيبوس؟ فأجابه ضاحكاً: إنّي أضربه حقّاً، بما أنّني لا أستطيع ضربك. إذن، أنت تضرب أباك؟ سيكون لديَّ سبب أكبر لأضرب أباك. بماذا كان يفكر هو عندما أنجب هذين الولدين العاقلين؟ إنّ أباكما هذا استخرج خيراً كثيراً منكما ومن أخوتكما جراء الكلاب الصغيرة ومن حكمتكما هذه. فأجابه ديونيسودوروس لكن لا أنت ولا هو، يا كتاسيبوس، تتملككما أيّة حاجة لخير كثير.

هكذا استمرّ هذان السوفسطائيّان في طرح أسئلة والإجابة على الأسئلة، يا عزيزي كريتون، وقد استحسن الحاضرون كلامهما بشكل كامل، وكانوا غارقين بالضحك

والتصفيق والغبطة تقريباً عند كل ضربة ناجحة لهما، وكنت متأثراً بهما لهكذا درجة. ولهذا السبب ألّفت خطاباً، واعترفت فيه بأنّني لم أرَ مثلهما في الحكمة، وشرعت في الإعجاب بهما والثناء عليهما. لذلك يجب أن تذهب إليهما وتتعلّم منهما.

أخشى، يا سقراط، أنّني لست من العقلية عينها التي ليوثيديموس، بل واحدٌ من النوع الآخر، الذي كما كنت قائلاً، سيفضّل أن يُنقض بهكذا محاورات من أن يستعملها لنقض الآخرين. ونصحني إنسان متخصّص في فنّ الخطابة الجدليّة - ذلك الذي ابتعد عنك وأتى إليّ بينما كنت أتمشى صعوداً ونزولاً - قال لي: « يا كريتون، ألا تعطي انتباهاً لهذين الرجلين الحاكمين »؟ أجبته: « إنّني لم أستطع الاقتراب منهما لأسمعهما - كان هناك جمهور عظيم ». قال: « لو استطعت الدنوّ منهما لكنت سمعت شيئاً ما جديراً بالسماع ». سألته: « وماذا كان ذلك؟ » أجابني: « كنت سمعت أهم المعلمين في فنّ علم الجدل يتباحثان ». قلت: « وما رأيك فيهما »؟ أجاب: « إنّ كلامهما كان نوعاً من البحث الذي يمكن لواحد أن يسمعه في أيّ وقت من هذين الرجلين الناطقين هراءً، محدثين ضجة كبيرة لأمرٍ تافه ». « كان هذا هو التعبير الذي استعمله في وصفهما ». قلت له: « إنّ الفلسفة هي شيء رائع بكلّ تأكيد ». أجاب: « رائع، أيّة بساطة تتكلّم بها. إنّ الفلسفة هي لا شيء ». وأعتقد أنّك لو كنت قد حضرت لكنت استحييت بصديقك - إنّ تصرفه كان غريباً جداً لوضع نفسه تحت رحمة رجلين لا يعتنيان بما يقولان، ويمسكان كلّ كلمة تُقال بإحكام. وهذان، كما أخبرتك، يُفترض أنّهما الأستاذان الأكثر شهرة في عصرهما. لكنّ الحقيقة، يا سقراط، أنّ الدراسة نفسها والرجال الذين يتابعونها هم حقيرون ومضحكون ».

قلت لكريتون: إنّ رجالاً كهذين الرجلين هما مذهلان، لكن دعني أعرف قبل كلّ شيء أيّ نوع من الإنسان كان هو الذي أتى إليك ولام الفلسفة. أكان هو خطيباً ذلك الذي يمارس الخطابة في محاكم العدل، أو أنّه معلم الخطابيّين، الذين

يؤلفون الأحاديث وبها يتحاربون؟ أجابني كريتون إنّه ليس خطيباً ولا حضر في محكمةٍ قطّ، لكنّهم يقولون بأنّه يجيد هذا العمل، وهو رجل حاذق، ويؤلف خُطباً حسنة الأفكار.

حسناً، كريتون، أفهم الآن أنّه واحد من النوع الذي كنت على وشك أن أذكره ـ واحد من أولئك الذين يصفهم بروديكوس وكأنهم على الحد الفاصل بين الفلاسفة ورجال الدولة؛ هم لا يؤمنون بشيء، لكن خصومتهم للفلاسفة تمنع هذا الاعتراف من أن يصبح اعترافاً شاملاً، ويدّعون أنّ لديهم كفاية من علم الفلسفة والسياسات. ألا تعتقد، يا سقراط، بأنّه لا يوجد شيء فيما يقولون؟ يوجد شيء ما مموّهاً في ادّعائهم ذلك بدون ريب. نعم، يا كريتون، هناك تمويه أكثر من الحقيقة، ولا يمكن جعلهم يفهمون طبيعة المتوسطات لكل الأشياء أو الاشخاص التي هي وسطٌ بين شيئين آخرين وتشترك فيهما كليهما. إنّهما لا يفهمان المبادىء المركّبة في الحصول على غايتهما، ومن ثمّ فهما جاهلان أنّ اتّحاد شيئين خيرين لهما غايتان متباينتان ينتجان مركّباً أدنى منهما كليهما إذا أُخِذا مُنفصلين.

أجابني كريتون: لقد أخبرتك غالباً، يا سقراط، بأنّني في حرج دائم بشأن أولادي، وماذا سأفعل بهما؟ لا عجلة بخصوص الأفتى، الذي سيحسّنه. كذلك فإنّي قلق بشأن اقترانهما بفتاةٍ ذات عائلة صالحة لتكون زوجة لهما، وبعدئذ حول تكديس المال لهما.

قلت له: كن معقولاً، يا كريتون، ولا تهتمّ، سواء أكان أولئك الذين يتعقبون الفلسفة أخياراً أو شراراً، بل فكّر في الفلسفة نفسها فقط. اختبرها جيّداً وبحقّ، وإذا كانت سيئة، حاول أن تبعد كل الرجال عنها، وليس ولديك فقط؛ لكن إذا كانت ما أعتقده أنّها هي، اتبعها بعدئذ، وآخدمها أنت وكل أهل بيتك، كما هو القول المأثور، وكن سعيداً.

محاورة يوثيديموس

اشخاص المحاورة

سقراط: قاصُّ المحاورة يوثيديموس

كريتون ديونيسودوروس

كلينياس كتاسيبوس

المشهد: قاعة المناقشات العامة.

كريتون: يا سقراط من كان الشخص الذي كنت تتكلّم معه البارحة في قاعة المناقشات العامة؟ كان ذلك الجمع من الناس حولك لذلك لم أستطع أن أقترب منك كفاية لأسمع أيّ شيء بوضوح، غير أنّني تمكّنت من رؤيته من فوق رؤوس الحاضرين، وأدركت، كما تصوّرت، أنّ الذي كنت تتحدث معه غريب. فمن كان؟

سقراط: كان هناك اثنان، يا كريتون؛ أيّهما تقصد؟

كريتون: الذي أقصده كان الثاني إلى يمينك. وكان في الوسط ابن اكسيخوس الشابّ. ظننت أنّه قد كبر بشكل مذهل، ويبدو أنّ عمره من عمر ابني كريتوبولوس تقريباً، لكنّه أكثر تقدّماً وله جمال التربية الحسنة، مع أنّ الآخر كان نحيلاً جداً.

سقراط: إنّ الذي تقصده، يا كريتون، هو يوثيديموس؛ وكان جالساً على جانبي الأيسر أخوه ديونيسودوروس الذي شارك أيضاً في الحوار.

كريتون: لا أعرف أحداً منهما، يا سقراط؛ إنّهما استيراد جديد من السوفسطائيين، كما يجب أن أتصوّر. من أيّ بلادٍ هما، وما هو اتجاه حكمتهما؟

سقراط: فيما يخص منشأهما، أعتقد أنّهما ينتميان إلى هذا الجزء من العالم، وهاجرا من خيوس إلى ثوري؛ ثم أُجبِرا على تركها، ولقد عاشا في هذه البقاع لعدة سنوات خلت. وأمّا حكمتهما التي تسأل عنها، يا كريتون، فإنّهما رائعان ـ ثنائيٌّ متكامل! إنّني لم أعرف قطّ ما هو المصارع والملاكم الحقيقيّ من قبلُ؛ إنّهما حازا نبوغاً شاملاً في القتال، وهما لا يشبهان الأخوين المصارعين والملاكمين الحقيقيين الأكرينيين اللذين يحاربان بجسديهما فقط. إنّ هذا الثنائي من الأبطال إلى كونهما كاملين في استعمال جسديهما « فإنّهما ممتازان في النزال بالعدة الحربيّة، ويستطيعان تعليم الفنّ لأيِّ شخص يدفع لهما ». هما الأكثر حذقاً في الصراع القانوني؛ إنّهما سيعتبران نفسيهما ويعلمان الآخرين ليتكلموا ويؤلّفوا خطباً لها تأثير على محاكم العدل. وكان هذا حدُّ براعتهما، لكنّهما سارا أخيراً في فنّ المصارعة والملاكمة إلى نهايته بالتحديد. إنّهما تحكّما بأسلوب النزال الوحيد الذي كانا قد أهملاه حتى الآن. وبعدُ فإنّ أحداً لم يجرؤ حتى على الوقوف ضدّهما في هذا المجال. هكذا يكون حذقهما في الكلمات. فهما يقدران أن ينقضا أيّة قضيّة سواء أكانت حقيقيّة أو زائفة. والآن فإنّني أفكِّر، يا كريتون، في وضع نفسي بين يديهما لأنّهما يقولان إنّهما يتمكنان من نقل البراعة عينها لأيِّ شخص في وقتٍ قصير.

كريتون: لكن، يا سقراط، ألست خائفاً من أنّك ربّما أصبحت مسنّاً جدّاً؟

سقراط: لا بالتأكيد، يا كريتون؛ إنّ لديَّ دليلاً كافياً ليشجعني. هما نفساهما، بدآ فنّ الجدال الذي أتوق إليه في عمري هذا تماماً، كما يمكنني أن أقول؛ لم يكن لديهما أيّ شيء من حكمتهما الجديدة هذه، آخر السنة الماضية، أو السنة التي قبلها. إنّني متوجّسٌ خيفة من أنّه يمكنني أن أجلب سوء السمعة للغريبين الاثنين فقط، كما فعلت مع كونوس بن ميتروبيوس، عازف القيثار،

الذي ما زال معلمي الموسيقيّ. فعندما يراني الأولاد الذين يذهبون إليه ذاهباً معهم، فإنّهم يسخرون مني ويدعونه معلم الجَدّ. والآن فأنا لا أرغب أن يختبر الغريبان المعاملة عينها. إنّ الخوف من السخرية يمكن أن يجعلهما غير مستعدَّين لأن يتقبّلاني. ولذلك، يا كريتون، فإنّني سأحاول إقناع بعض الرجال المسنّين ليرافقوني إليهما، كما أقنعت بعضهم ليذهبوا معي إلى كونوس. آمل أنّك ستكون واحداً منهم، ولربّما يمكننا أن نصطحب أولادك كحلٍّ أفضل وكإغراء. هما سيريدانهما أن يكونا عندهما كتلامذة، وسيكونان عازمين على تعليمنا من أجلهما.

كريتون: إنّني لا أرى اعتراضاً إذا أحببت، يا سقراط؛ لكن أريدك أوّلاً أن تصف لي حكمتهما، كي أتمكّن من أن أعرف مقدَّماً ما الذي نحن ذاهبون لنتعلمه.

سقراط: سوف تسمع ذلك في أقصر وقت؛ فأنا لا أستطيع أن أقول بأنّي لم أحضر - إنّني أوليت اهتماماً كبيراً لهما، وأتذكّر وسأسعى لأردِّد القصة بكاملها. بعناية الله كنت جالساً لوحدي في غرفة قاعة المناقشات العامّة لتغيير الثياب حيث رأيتني، وكنت على وشك مغادرتها عندما هممت بالوقوف ميّزت الإشارة الإلهيّة المعتادة التي تأتي إليّ. لذلك جلست مرّة ثانية، ودخل الأخوان الإثنان يوثيديموس وديونيسودوروس بعد مدّة قصيرة، ومعهما بعض مريديهما. أعتقد أنّهم عدد لا يستهان به. بدأوا السير في ردهة المحكمة، لكنّهم لم يدوروا أكثر من دورتين أو ثلاث دورات عندما دخل كلينياس « الذي صار متحسّناً جداً، كما تقول »، وتبعه جمعٌ من المحبين بعدئذ، بينهم كتاسيبوس، وهو شابٌ من مقاطعة بايينيا. إنّه شاب مهذّب جدّاً أُنقذ من بعض اضطراب الشباب. رآني كلينياس من المدخل حيث كنت جالساً لوحدي، وأتى إليّ رأساً وجلس بجانبي الأيمن، كما

وصفت. وعندما رآه ديونيسودوروس ويوثيديموس، توقفا وكلم بعضهما بعضاً في البداية، ثم ألقيا نظرة علينا وكنت أرقبهما بشكل خاصّ. إقترب يوثيديموس حينئذ وجلس بقرب الشابّ، وجلس ديونيسودوروس على جانبي الأيسر وجلس الباقون في أيّ مكان. حيّيت الأخوين اللذين لم أرهما منذ وقت طويل؛ وقلت لكلينياس بعدئذ: هنا، يا كلينياس، رجلان عاقلان، يوثيديموس وديونيسودوروس، عاقلان ليس بطريقة صغيرة، بل بطريقة كبيرة للحكمة لأنّهما يعرفان كلّ شيء عن الحرب ـ كلّ ذلك الذي يجب أن يعرفه القائد العسكري الفذّ عن تنظيم وإمرة الجيش وفنّ الصراع في العدّة الحربيّة. وهما يستطيعان أن يعلّما الرجل كيف يدافع عن حقوقه في محاكم العدل عند تعرّضه للأذى.

[سمعاني أقول هذا، واستخفّا بي. لاحظت أنّهما تطلّعا أحدهما إلى الآخر، وضحكا؛ وقال يوثيديموس بعدئذ]: تلك، يا سقراط، هي المسائل التي لم نتعقبها بشكلٍ جدّيٍّ لفترة خلت؛ بل نعتبرها مهناً ثانوية.

سقراط: [قلت لهما بتعجّب]، حقاً، إذا اعتبرتما هذه المهن وكأنها مهن ثانوية، فما يجب أن تكون المهن الرئيسيّة التي تجيدانها؟ أخبراني، ألتمس منكما القول، ما هي تلك الدراسة النبيلة؟

يوثيديموس: الفضيلة، يا سقراط، ونعتقد أنّنا نستطيع أن ننقلها أفضل وأسرع من أي إنسان، ولأيّ إنسان.

سقراط: يا للسّماء، ما هذا الشيء الرائع! أين وجدتما هذا الكنز غير المتوقّع؟ إنّني لا أزال أفكر، كما كنت قائلاً لتوّي، أنّ إنجازكما الرئيسي كان فنّ القتال في العدّة الحربيّة؛ واعتدت أن أقول هكذا، لأنّي كما أتذكّر، أنتما أعلنتما هذا عندما كنتما هنا قبلاً. لكن الآن إذا كانت لديكما المعرفة الأخرى بحقّ، أوه سامحاني: أنا أخاطبكما كما أخاطب المخلوقات الأسمى وأسألكما

أن تغفرا لي جحود تعبيراتي السابقة. لكن هل أنتما متأكدان من هذا يا ديونيسودوروس ويا يوثيديموس؟ إنّ الوعد لفسيح، وإنّ الشك لطبيعيّ فقط.

يوثيديموس: يمكنك أن تعتبر كلمتنا، يا سقراط، مثل اعتبارك الحقيقة.

سقراط: إذن فإنّني أعتقد بأنّكما سعيدان في حيازة كنزٍ كهذا أكثر من الملك العظيم في امتلاكه لمملكته. وأخبراني من فضلكما إذا ما كنتما تقصدان عرض حكمتكما أو ماذا ستفعلان؟

يوثيديموس: نحن أتينا إلى هنا لهذا السبب، يا سقراط؛ وغرضنا ليس أن نعْرض حكمتنا فقط، بل لنعلم أيّ شخص يحب أن يتعلم أيضاً.

سقراط: لكنّني أقدر أن أعدكما أنّ كلّ شخص غير فاضل سيريد أن يتعلّم. وسأكون أنا أوّل المتعلّمين؛ وهنا الفتى كلينياس، وكتاسيبوس؛ وهناك عديد آخرون كذلك. وأشرت إلى محبّي كلينياس الذين بدأوا التجمّع حولنا. وكان كتاسيبوس جالساً على مسافة ليست بعيدة من كلينياس، وعندما انحنى يوثيديموس إلى الأمام بينما كان يتكلم معي، حجب رؤياه عن كلينياس الذي كان بيننا؛ وهكذا لأنّه أراد أن ينظر إلى جيبه بشكل جزئي، ولأنّه كان متشوّقاً له أيضاً قفز من مكانه ووقف قبالتنا. وأتى كلّ معجبي كلينياس الآخرين، كما أتى مريدو يوثيديموس وديونيسودوروس كذلك ووقفوا حولنا عندما رأوه يتحرّك من مكانه. وهؤلاء هم الأشخاص الذين عرضتهم ليوثيديموس، وأخبرته أنّهم كلهم متشوقون ليتعلّموا منه. صادق على هذا كتاسيبوس وجميعهم بصوتٍ حماسيٍّ واحد وطلبوا منه أن يعرض قوّة حكمته.

قلت بعدئذ: أوه يا يوثيديموس وديونيسودوروس، إنّني ألتمس منكما بجديّة أن تسديا المعروف لي وللجماعة ككلّ، وتعرضا هذا الكنز. أعرف أنّه

سيكون عملاً شاقّاً جدّاً لكما أنْ تمنحانا تقديماً شاملاً عنه، لكن أخبراني شيئاً واحداً ـ هل تستطيعان أن تخلقا إنساناً صالحاً مِنَ الذي اقتنع مسبقاً أنه يجب أن يتعلم منكما، أو من الذي لم يقتنع، لأنّه يتصوّر إمّا أنّ الفضيلة شيء لا يمكن أن يعلَّم على الإطلاق، أو أنّكما لستما معلّميها؟ أيكون هذا عملاً واحداً وللفنّ عينه لتقنعا مَن يكون مِنَ المزاج العقلي الأخير، وهي أنّ الفضيلة يمكن أنْ تُعلَّم، وأنّكما أنتما الرجلان اللذان سيتعلمها منكما بشكل أفضل معاً في وقت واحد؟

ديوروس[١٤]: نعم يا سقراط، أعتقد على الأصحّ أنّنا لكذلك، وفنّنا سيقوم بكليهما.

سقراط: وأنت وأخوك، يا ديونيسودوروس، تكونان من بين كلّ الرجال الأحياء الآن الأكثر احتمالاً كي تحفزاه ليتجه إلى الفلسفة وإلى دراسة الفضيلة.

ديوروس: بكلّ تأكيد، يا سقراط.

سقراط: أرغب منك إذن أن تكون طيباً وترجىء الجزء الآخر من الإيضاح وتقصر بحثك على النقطة الأساسيّة. أَقنع الفتى الذي تراه هنا بأنّه يجب أن يكون فيلسوفاً وأن يدرس الفضيلة. إفعل ذلك، وستنعم عليَّ بمعروف عظيم، وعلى كلّ شخص حاضر. الحقيقة أنني، وكل الموجودين هنا، متلهفون لأقصى حدّ لأن يصبح هو خيِّراً بحقّ. إسمه كلينياس، وهو ابن اكسيوخوس، وحفيد ألسيبيادس المسنّ، إبن عم ألسيبيادس الموجود الآن. إنّه فتيٌّ تماماً، ونحن خائفون بشكل طبيعي من أن يوجه شخص ما معنا، عقله في الاتجاه الخاطىء، ويمكن أن يهلك حينئذ. إنّ زيارتك، لذلك، هي الأسرُّ توقيتاً؛ وإنّني لآمل في أنك ستخلق محاولةً لأجل هذا الإنسان الفتيّ، وتتحاور معه في حضورنا، إذا لم يكن لديك اعتراض.

[كانت هذه هي العبارات التي استعملتها على وجه التقريب؛ وأجاب يوثيديموس في نبرة رجولة وكلّها ثقة بالنفس في الوقت عينه أجاب قائلاً: لا اعتراض، يا سقراط، إذا ما كان الإنسان الفتيّ على استعداد لأن يجيب على الأسئلة].

سقراط: إنه لمعتاد على أن يفعل ذلك تماماً لأنّ أصدقاءَه يأتون إليه غالباً ويسألونه أسئلة ويتحاورون معه؛ ولهذا فهو سيجيب على الأسئلة بشكل تامّ.

ماذا تبع، يا كريتون، وكيف أقدر أن أقصّ المحاورة بشكل جيّد؟ إنّ العمل الشاقّ ليس طفيفاً في تعديد الحكمة اللامحدودة، ولهذا السبب، يجب أن أستهلّ روايتي بابتهالٍ إلى التذكّر وآلهة الشعر، مثل الشعراء. والآن ابتدأ يوثيديموس بسؤال الفتى كما يلي تقريباً، إذا ما كنت أتذكر جيداً: أوه، يا كلينياس، هل أولئك الذي يتعلمون هم العقلاء، أو الجهلة.

أُخضِع الفتى بالسؤال، واحمرّ وجهه خجلاً، ثم تطلّع إليّ للمساعدة في حين كان مرتبكاً؛ ولاحظت أنّه تحيّر. قلت له: تشجّع، يا كلينياس، وأجب بما تفكر به كالرجل؛ فأنا أتخيّل أنك في طريق الحصول على النفع الأكبر.

ديوروس: أيّهما يجيب، إنّني أتنبأ بأنّه سيُنقض، يا سقراط. [قال هذا بعد أن انحنى باتّجاهي إلى الأمام حتى اقترب من أذني، وكان وجهه طافحاً بالضحك].

[بينما كان يتكلّم هو معي، أعطى كلينياس جوابه. ولهذا السبب لم يكن لديَّ وقت لأُحذّره كي يحترس، وأجاب أنّ أولئك الذي يتعلّمون هم العقلاء].

تابع يوثيديموس: هناك الذين ستسمّيهم أساتذة. أليس كذلك؟

كلينياس: أوافق.

يوثيديموس: وهم الأساتذة لأولئك الذين يتعلمون ـ معلّم القواعد، ومعلم العزف

على العود تعوَّد على أن يعلمك وأن يعلِّم الأولاد الآخرين؛ وأنتم كنتم المتعلمين؟

كلينياس: نعم.

يوثيديموس: وعندما كنتم متعلمين لم تعرفوا وقتها الأشياء التي كنتم تتعلّمونها؟

كلينياس: لا.

يوثيديموس: وهل كنتم عقلاء حينئذ؟

كلينياس: لا، حقاً.

يوثيديموس: لكنّكم إذا لم تكونوا عقلاء فأنتم جهلة؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

يوثيديموس: أنتم إذن، تتعلمون ما لم تعرفوه، وكنتم جهلة حين كنتم تتعلمون؟

[أومأ الفتى برأسه دليل الموافقة].

يوثيديموس: إذن فإنّ الجهلة هم الذين يتعلّمون، وليس العقلاء، يا كلينياس، كما تتصوَّر.

[ضحك وهتف لهذه الكلمات أتباع يوثيديموس وديونيسودوروس، مثلما تفعل مجموعة المغنين عندما يأمرهم قائدهم بالغناء. عندئذ، وقبل أن يُتاح للفتى أن يلتقط أنفاسه بشكلٍ كامل، تلقَّاه ديونيسودوروس بيديه، وقال: نعم، يا كلينياس؛ وعندما يملي عليكم معلم القواعد أيّ شيء، هل كنتم الأولاد العقلاء أو الجهلة الذين تعلموا الإملاء؟]

كلينياس: كنّا العقلاء.

ديوروس: ورغم كل شيء فالعقلاء هم المتعلّمون وليس الجهلة. [وكان جوابك الأخير ليوثيديموس خطأً].

[عندئذ ومرَّة ثانية فإنّ المعجبين بهذين البطلين، وفي نشوة حكمتهما، اطلقوا عاصفة أخرى من الضحك. في حين كنا، نحن الباقين صامتين

ومذهولين. أما يوثيديموس، فلم يَرِقَّ للفتى عندما لاحظ ما حصل؛ وكان راغباً في أن يصعِّد تأثيره؛ وواصل طرح الأسئلة الملتوية مثل الاستدارة المضاعفة لراقص ماهر] وقال: هل أولئك الذين يتعلّمون يتعلّمون ما يعرفونه، أو ما لا يعرفونه؟

[همس في أذني ديونيسودوروس: ذلك، يا سقراط، سؤال آخر من النوع عينه تقريباً].

سقراط: يا للسماء، وكان سؤالك الأخير هكذا جيداً.

ديوروس: إنه مثل كل أسئلتنا، يا سقراط، لا مخرج منها.

سقراط: إنّني أرى السبب لماذا أنتما في هكذا سمعة طيبة بين أتباعكما.

[في غضون ذلك أجاب كلينياس على سؤال يوثيديموس أنّ أولئك الذين تعلموا يتعلمون ما لا يعرفونه؛ ووضعه هو في سلسلة من الأسئلة من النوع عينه، كما فعل به قبلاً].

يوثيديموس: ألا تعرف الحروف؟

كلينياس: بلى.

يوثيديموس: كل الحروف؟

كلينياس: نعم.

يوثيديموس: وحينما يملي عليك المعلم، ألا يملي عليك حروفاً؟

كلينياس: أوافق على ذلك أيضاً.

يوثيديمُوس: إذا عرفت كل الحروف إذن، فإنّه يملي عليك جزءاً ممّا تعرف؟

كلينياس: أعترف بهذا.

يوثيديموس: إذن، أنت لا تتعلّم ما يمليه عليك؛ بل مَنْ لا يعرف الحروف يتعلّم فقط؟

كلينياس: لا، بل إنّني أتعلّم.

يوثيديموس: إذن، أنت تتعلّم ما تعرف، إذا عرفت الحروف كلّها؟

كلينياس: أعترف بذلك.

يوثيديموس: إذن، كنت أنت مخطئاً في إجابتك؟

[ما كاد يتفوّه بهذه الكلمة حتى بادر ديونيسودوروس إلى الإمساك بالمحاورة، مثل الكرة التي التقطها، ورمى بها الفتى مرة أخرى وقال له]: يا كلينياس، إنّ يوثيديموس ليس إلاّ خادعاً لك. وأخبرني الآن، أليس العلم هو اكتساب المعرفة لذلك الذي يتعلمه الشخص؟

كلينياس: أصادق على هذا.

ديوروس: ويكون العارف ممتلكاً المعرفة في الوقت؟

كلينياس: أعترف بذلك.

ديوروس: وهل أولئك الذين ينالون تلك المعرفة هم الذين يمتلكون أو لا يمتلكون شيئاً؟

كلينياس: أولئك الذين يمتلكون.

ديوروس: أو لم تعترف أنّ أولئك الذين لا يعرفون هم عدد أولئك الذين لا يمتلكون؟

كلينياس: أوافق.

ديوروس: إذن، يا كلينياس، إنّ أولئك الذين لا يعرفون يتعلمون، وليس أولئك الذين يعرفون؟

[تهيّأ يوثيديموس كي يسبّب للفتى كبوة ثالثة أخرى؛ غير أنّني عرفت بأنه في ماءٍ عميق، ولذلك بما أنّي رغبت أن أعطيه فترة راحة خشية أن تهن عزيمته، قلت له بمواساة]: يجب أن لا تُفَاجأ، يا كلينياس، في ميزة أسلوبهما الكلامي الفريدة. أقول هذا لأنّه لا يمكنك أن تفهم ما يفعله الغريبان بك؛ إنّهما يلقّنانك المبادىء الأولى لعلمهما على غرار أسلوب

الكوريبانتيين للطقوس الدينيّة السرّيّة؛ ويتطابق هذا مع التتويج الذي سيكون كما ستعرف، إذا ما كنت قد اطلعت على الأسرار هذه أبداً، سيكون مترافقاً بالرقص وألعاب الرياضة. والآن فهما يثبان ويرقصان مرحاً في لعبٍ حولك، .وسيتقدمان تالياً ليطلعاك على الأسرار الخفيّة. تصوَّر آنئذ أنّك قاسيت خلال القِسم الأوّل من مجموعة الطقوس السوفسطائية التي تبتدىء بتعليم الاستعمال الصحيح للمصطلحات، كما يقول بروديكوس. إنّ السيّدين الغريبين، مع علمهما أنك لم تعرف، أرادا أن يشرحا لك أنّ الكلمة « لتتعلم » لها معنيان، وتُستعمل أوّلاً في معنى كسب معرفةٍ لمسألةٍ ما لم يكن لديك معرفة بها مسبقاً، وأيضاً عندما تمتلك المعرفة في معنى مراجعة هذه المسألة عينها، سواء أكان الشيء مفعولاً أو منطوقاً. على ضوء هذه المعرفة الحديثة تدعى الأخيرة بشكل عام « فهماً » بدلاً من « علم »، غير أنّ الكلمة « علماً » تُستعمل أيضاً؛ وأنت لم ترَ كما شرحا لك أنّ الاصطلاح يُستخدَم لنوعين متضادّين من الرجال: لأولئك الذين يعرفون ولأولئك الذين لا يعرفون. هناك خدعة مماثلة في السؤال الثاني، عندما سألاَك إذا كان الرجال يتعلمون ما يعرفونه أو ما لا يعرفونه. إنّ هذه الأقسام من التعليم ليست خطيرة، ولذلك أقول إنّ السيدين ليسا جدِّيين في طرحها، لكنّهما يلعبان معك فقط لأنّ الإنسان إذا امتلك ذلك النوع من المعرفة التي كانت أبداً، فلن يكون الأعقل بشأن حقائق الأشياء على الإطلاق؛ إنّه سيكون قادراً على أن يلهو مع الرجال محاولاً إيقاعهم في الخطأ وقاصداً إزعاجهم لتمييز الكلمات. إنّه سيشبه الشخص الذي يسحب الكرسي من تحت رجل ما عندما يكون على وشك الجلوس عليها، وبعدئذ يضحك ويصخب على منظر صديقه الذي وقع وانطرح على ظهره. وأنت يجب أن تعتبر أنّ كلّ الذي جرى بينك وبينهما حتى الآن كأنّه مجرد تسلية ولعب. لكنّني متأكّد

أنّهما سيعرضان لك قصدهما الجدّي فيما سيتبع، وسيحافظان على وعدهما لي. « أنا سأريهما كيف يكون ذلك ». غير أنّني أفترض أنّهما ظنّا بأنّه يجب عليهما أن يقوما بلعبة معك. والآن يا يوثيديموس وديونيسودوروس، أعتقد أنّنا امتلكنا كفاية من هذا. هل ستدعاني أراكما مثقّفَين وحاثّين الإنسان الشابّ على أن ينكبَّ على دراسة الفضيلة والحكمة؟ وأنا سأبيّن لكما أوّلاً ما أتصوره على أنّه طبيعة هذا العمل الشاقّ، وأيُّ نوعٍ من الحديث أرغب سماعه؛ وإذا فعلتُما هذا في أسلوب غير فنيٍّ ومضحك، لا تضحكا عليَّ، فأنا سأجازف لأجد حلاً سريعاً للمشكلة قبلكما لأنّني مشتاق لأسمع حكمتكما. ويجب عليَّ لهذا السبب أن أسألكما وأسأل مريديكما أن تقلعوا عن الضحك. والآن، أوه يا ابن اكسيوخوس، دعني أطرح عليك سؤالاً واحداً من تلك الأسئلة التي كنت خائفاً أن أطرحها لتوّي، من أن أجعل نفسي مُضحِكاً بسؤاله، والذي يجب أن لا يسأله إنسان ذو إدراك، إذ أيّ مخلوق إنساني لا يرغب السعادة؟

كلينياس: كلّ شخصٍ يرغبها.

سقراط: حسناً إذن، بما أنّنا كلّنا نرغب السعادة، كيف يمكننا أن نكون سعداء؟ ذلك هو السؤال التالي. ألن نكون سعداء إذا امتلكنا أشياء عديدة خيّرة؟ وهذا السؤال لربّما يكون حتى أكثر سهولة من السؤال الأوّل، لأنّه لا مجال للشك.

كلينياس: أوافق.

سقراط: وأيُّ الأشياء نحن نعتبرها خيّرة؟ إنّنا لا نحتاج لحكيمٍ جليل ليخبرنا هذا، والذي يمكن إجابته بسهولة لأنّ كل شخص سيقول إنّ الصحّة خير.

كلينياس: بالتأكيد.

سقراط: أليست الصحّة والجمال خيرات، وكذلك المواهب الشخصيّة الأخرى؟

كلينياس: بلى.

سقراط: أيمكن أن يكون هناك أيّ شك في أنّ الولادة الصالحة، والقوة، والتكريمات لشخصٍ في وَطنه، هي خيرات؟

كلينياس: أصادق على ذلك.

سقراط: وما هي الخيرات الأخرى الموجودة؟ وماذا نقول عن الاعتدال، العدل، الشجاعة، ألا تعتقد صدقاً وحقاً، يا كلينياس، بأنّنا سنكون محقّين أكثر في تصنيفها كخيرات مِنْ أن لا نصنّفها كذلك؟ إذ لا يمكن أن ينشأ جدل بشأن هذا بشكلٍ محتمل. فماذا تقول حينئذ؟

كلينياس: إنّها خيرات.

سقراط: حسناً جدّاً، وأين سنجد نحن في المجموعة مكاناً للحكمة: بين الخيرات أو ليس بينها؟

كلينياس: بين الخيرات.

سقراط: والآن فكّر إذا ما كنا قد تركنا أيّة خيرات جديرة بالاعتبار.

كلينياس: لا أعتقد أنّنا فعلنا.

سقراط: إذاً، فأنا تذكّرت شيئاً ما، إنّني خائف حقّاً من أنّنا تركنا الأعظم منها كلها.

كلينياس: حقّاً.

سقراط: [أضفت تفكيراً فوق تفكيرٍ ثانٍ قائلاً]: أوه يا ابن اكسيوخوس، كيف هربنا أنت وأنا بدقّةٍ من جعل نفسينا أضحوكة للغريبين؟

كلينياس: لماذا تقول ذلك؟

سقراط: لماذا، لأنّنا ضمّنّا الحظّ السعيد مسبقاً، وما نحن إلاّ مردّدين نفسينا.

كلينياس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنّه يوجد شيء ما مضحك في وضع الحظ السعيد مقدّماً مرّة ثانية،

والذي كان له مكان في اللائحة سابقاً، وفي قول الشيء عينه مرّتين ثانية.

[سألني كلينياس ماذا كان معنى هذا وأجبته أنّ الحكمة هي حظّ سعيد بالتأكيد؛ حتى الطفل، يمكنه معرفة ذلك].

[كان الشابّ البسيط العقل مندهشاً؛ وبعد أن راقبت ذهوله هذا، قلت له]: ألا تعرف، يا كلينياس، أنّ لاعبي الناي هُمُ الأكثر حظاً ونجاحاً في العزف عليه؟

كلينياس: أعرفُ هذا.

سقراط: في وسط البحر، أيكون أيّ شخصٍ أكثر حظاً على العموم من الربابنة الحكماء؟

كلينياس: لا أحد، بكلّ تأكيد.

سقراط: وإذا كنت مشغولاً في الحرب، فبِرفقة مَنْ تفضِّل أن تواجه فرص الأخطار ـ في صحبةِ اللواء العاقل، أو مع الإنسان الجاهل؟

كلينياس: العاقل.

سقراط: أنت تعتقد أنّك ستمتلك حظّاً أفضل مع إنسانٍ عاقل من إمتلاكك له مع إنسان جاهل؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: إذن، فإنّ الحكمة تجعل الرجال محظوظين على الدوام لأنّ الحكمة لا يمكن أن تخطىء قطّ، ولذلك يجب أن تفعل دائماً بحقّ وأن تنجح، أو لا تكون حكمة بعد اليوم؟

[وجدنا وسيلة بطريقة ما أو بأخرى أخيراً، لنتّفق على استنتاجٍ عامّ، وهو أنّ من امتلك الحكمة لا تتملّكه حاجة للحظّ كذلك. ذكّرته أنا في حالة السؤال السابقة حينئذ، وقلت له]: هل تتذكّر، يا كلينياس، إدلاءَنا بالاعتراف بأنّنا يجب أن نكون سعداء ومحظوظين إذا كانت لدينا أشياء خيِّرة؟

كلينياس: أتفق معك.

سقراط: أوَ يجب أن نكون سعداء بسبب وجود الأشياء الخيِّرة، إذا نفعتنا، أو إذا لم تنفعنا؟

كلينياس: إذا نفعتنا.

سقراط: وهل ستنفعنا، إذا امتلكناها ولم نستعملها؟ كمثال، إذا كان لدينا كمية كبيرة من الطعام ولم نأكل، أو كمّية هائلة من الشراب ولم نشرب، فهل سننتفع؟

كلينياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وهل سيكون صاحب الحرفة الذي يمتلك كل الأدوات الضرورية لعمله ولا يستعملها، هل سيكون أفضل في اقتنائها؟ كمثال، إذا حاز نجّار على كل الأدوات وعلى وفرة من الخشب، لكنّه لم يشتغل، فهَل سيحصل على أيّة منفعة من حيازتها؟

كلينياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وإذا امتلك شخص ثروة، وحصل على كلّ الخيرات التي تكلّمنا عنها لتوِّنا، ولم يستعملها، فهل سيكون سعيداً لأنّه امتلكها؟

كلينياس: لا حقّاً، يا سقراط.

سقراط: إذن فإنّ الرجل الذي سيكون سعيداً يجب أن لا يمتلك الأشياء الخيِّرة فقط، بل عليه أن يستعلمها أيضاً؛ وإلاّ فليس هناك منفعة في حيازتها؟

كلينياس: حقّاً.

سقراط: حسناً، يا كلينياس، لكن إذا كان لديك الاستعمال كما الامتلاك للأشياء الخيِّرة، أيكون هذا كافياً لتمتلك السعادة؟

كلينياس: نعم، في رأيي.

سقراط: عندما يستعملها الشخص بحقّ؟ أو حينما يستعملها بالخطأ أيضاً؟

كلينياس: عليه أن يستعملها بحق.

سقراط: إنّ ذلك لحقيقي تماماً. ويكون استعمال الشيء خطأً أسوأ من عدم استعماله لأنّ الأول يكون، والآخر ليس خيّراً ولا شرّاً. هل ستعترف بهذا؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: والآن في شغل واستعمال الأخشاب، أليس مَن يعطي الاستعمال الحقيقي هو خبرة النجار بكلّ بساطة؟

كلينياس: لا شيء آخر.

سقراط: وبكلّ تأكيد، ففي صناعة المراكب، المعرفة هي تلك التي تعطي الطريقة الصحيحة لصنعها؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: وفي استعمال الخيرات التي تكلّمنا عنها بادىء ذي بدء: الثروة، الغنى، والجمال، أليست المعرفة هي التي تهدينا إلى الاستعمال الصحيح لها، وتنظِّم ممارستنا بشأنها على نحو قويم؟

كلينياس: أصادق على هذا.

سقراط: إذن في كل امتلاكٍ وكلّ استعمالٍ، تكون المعرفة تلك هي التي تعطي الإنسان ليس الحظّ السعيد فقط بل النجاح؟

كلينياس: أصادق على هذا ثانية.

سقراط: وأخبرني،[قلتُها بجدّيّة]، ماذا تنفع إنساناً ممتلكاتُه والتملّكات، إذا لم يكن لديه لا فهم جيد ولا حكمة؟ هل سيكون إنساناً أفضل، ممتلكاً وفاعلاً أشياء عديدة بدون حكمة، أو أشياء قليلة بحكمة؟ أنظر إلى المسألة هكذا: إذا فعل هو أشياء أقلّ ألاَ يتسبّب بأخطاء أقلّ؟ وإذا تسبَّب هو بأخطاء أقلّ ألاَ يحوز حظوظاً أقلّ؟ وإذا حاز حظوظاً أقلّ ألاَ يكون أقلّ شقاءً؟

كلينياس: بالتأكيد.

سقراط: ومن سيفعل الأقلّ: إنسان فقير أو رجل غني؟

كلينياس: إنسان فقير.

سقراط: إنسان ضعيف أو رجل قويّ؟

كلينياس: إنسان ضعيف.

سقراط: إنسان ذو رتبة عالية أو رجل سافل؟

كلينياس: رجل سافل.

سقراط: وسيفعل جبانٌ أقلّ من إنسان شجاع ومعتدل؟

كلينياس: نعم.

سقراط: ورجل خامل أقلّ من إنسان نشيط؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: ورجل بطيء أقلّ من إنسانٍ سريع؛ وإنسان ضعيف النظر وخفيف السمع أقل من الذي لديه أثقبها وأحدُّها؟

كل هذه أجزناها بشكلٍ مشترك.

سقراط: إذن، يا كلينياس، يبدو أن مجمل المسألة هو أن أيّاً من الخيرات التي تكلمنا عنها سابقاً لا يمكن اعتبارها كخيرات في أنفسها، لكن درجة الخير والشرّ فيها تتوقّف على إذا ما كانت تحت هداية المعرفة أمْ لا. أمّا إذا كانت تحت هداية الجهل، فإنّها شرور أعظم من مضادّاتها لأنّها تكون أفضل قدرة لتمدَّ يد العون إلى مبدأ الشرّ الذي يحكمها؛ وعندما تكون تحت هداية الحكمة والفهم الجيد، فهي تكون خيراتٍ أعظم. لكنّها في أنفسها لا تمتلك هي ولا مضادّاتها أيّة قيمة.

كلينياس: يبدو ذلك أنّه مبرهن.

سقراط: ما هي إذن نتيجة ما قد قيل؟ أليست نتيجة هذا ـ أنّ الأشياء الأخرى غير هامة، وأنّ الحكمة هي الخير الوحيد، والجهل هو الشرّ فقط؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: دعنا نلاحق المحاورة إلى نهايتها آخذين بعين الاعتبار أنّ كل الرجال يرغبون السعادة. والسعادة، كما قد أُبين أنّها تُكتسب، باستعمالٍ على نحوٍ قويم لأشياء الحياة، وأنّ الاستعمال الحقيقي لها والحظّ السعيد في استعمالها يُعطَيانِ بالمعرفة ـ الاستنتاج هو بكلّ تأكيد أنّ كلّ شخصٍ يجب أن يجعل نفسه عاقلاً بقدر ما يستطيع مهما كلّف الأمر.

كلينياس: نعم.

سقراط: وعندما يعتقد إنسانٌ أنّ عليه أنْ يحصل على هذا الكنز أكثر بكثير من حصوله على المال من أبٍ أو أوصياء أو أصدقاء « متضمّنين أولئك الذين يعلنون أنهم أحباؤه »، سواء أكانوا مواطنين أو غرباء، فإنّ رغبته المتّقِدة وصلواته لهم أنّهم سينقلون الحكمة إليه وهذه ليست إهانة، يا كلينياس، ولا يُلام أيّ شخصٍ في تسليم نفسه لها كأنّها كانت خادمة وأمةً لحبيبه أو لأيٍّ شخصٍ آخر، إنَّه مستعدّ ليقوم بأيّة خدمة شريفة في شوقه لينال الحكمة. هل توافق على هذا؟

كلينياس: نعم، إنّني أوافق تماماً، وأعتقد أنّك محقّ في ما تقول.

سقراط: نعم، يا كلينياس، إنْ يُستطَعْ تعليم الحكمة فقط، ولا تأتي إلى الانسان تلقائيّاً؛ لأنَّ هذه هي نقطة أساسيّة ما زال علينا أن نتأمّلها مليّاً، ولم يتمّ التوافق عليها بيننا حتى الآن ـ

كلينياس: لكنّني أعتقد، يا سقراط، أنّ الحكمة يمكن تعليمها.

سقراط: يا أفضل الرّجال، أكون مسروراً لأسمع منك هذا؛ وإنّني مقرٌّ لك بالجميل أيضاً لأنّك أنقذتني من تحقيق طويلٍ في المشكلة وهو سواء أأمكن أن تُعلَّم الحكمة أم لا. لكن الآن، بما أنّك تعتقد أنّ الحكمة يمكن أن تُعلَّم، وأنّها وحدها يمكن أن تجعل الإنسان سعيداً ومحظوظاً، ألن تعترف

بأنّنا كلّنا يجب أن نعشق الحكمة، وتنوي أنت أن تفعل هكذا على انفراد؟

كلينياس: بالتأكيد، يا سقراط، إنّني سأفعل أفضل ما أستطيع.

سقراط: [كنت مسروراً لسماع هذا. واستدرت إلى ديونيسودوروس ويوثيديموس وقلت]: إنّ ذلك مثال، وأعترف بأنّه غير رشيق وممِلّ، مثالٌ من النوع الناصح الذي أريدكما أن تهباه؛ وآمل أنّ واحداً منكما سيوضح ما قد قلته في أسلوبٍ أكثر فنّاً. إذا لم يُسرَّكما هذا الاقتراح، تابِعا هذا التساؤل حيث تركته على الأقلّ وتقدَّما لتُظهرا للفتى إذا ما كان عليه أن يمتلك المعرفة كلّها أو إذا ما كان يوجد نوع واحد من المعرفة فقط سيجعله خيِّراً وسعيداً، وما هو ذلك. فكما كنت قائلاً بادىء ذي بدء، إنّ بلوغ الفضيلة والحكمة من قِبَل هذا الإنسان الشابّ هي مسألة لها في قلوبنا حيِّز كبير جداً.

[هكذا تكلّمت، يا كريتون، وكنت كلّي انتباهٌ إلى ما سيأتي. أردت أن أرى كيف سيقتربان من السؤال، وأين سيبدآن في عظتهما إلى الإنسان الشابّ كي يمارس الفضيلة والحكمة. تكلّم أوّلاً ديونيسودوروس، وهو الأكبر سنّاً. إتجهت نحوه عيون كلّ شخص، في اعتقادهم أنّ شيئاً ما رائعاً يمكن توقُّعه منه قريباً. وبكلّ تأكيد فهم لم يخطئوا كثيراً؛ لأنّ الرجل، يا كريتون، بدأ محادثة غير عاديَّة جديرة جدّاً بسماعك، ومقنعة بشكل رائع إذا اعتُبرت كعظةٍ للفضيلة].

ديوروس: أخبرني، ياسقراط ويا أيّها الحاضرون الذين تقولون أنكم تريدون لهذا الفتى الشابّ أن يصبح عاقلاً، هل أنتم تسخرون وجديّون في الواقع؟

[هذا القول جعلني أتصوّر أنَّهما توهَّما أنّنا كنّا ساخرين عندما سألناهما ليتحادثا مع الشابّ بنفسيهما، وأنّ هذا جعلهما يهزآنِ ويلعبان، وكونهما تحت هذا الانطباع كنت أكثر تصميماً في القول لهما إنّنا كنا في غاية الجديَّة].

ديوروس: تأمّل مليّاً، يا سقراط؛ يمكنك أن تنكر كلماتك.

سقراط: إنّني تأمّلت مليّاً، ولن أنكر كلماتي مطلقاً.

ديوروس: حسناً، وهكذا أنت تقول إنّك تريد أن ترغب أن يصبح كلينياس عاقلاً؟

سقراط: بدون شكّ.

ديوروس: وهل هو عاقلٌ الآن أوْ لاَ؟

سقراط: على الأقلّ إنّ تواضعه لا يسمح له ليقول أنّه يكون.

ديوروس: ترغب أنت أن يصبح عاقلاً وأن لا يكون جاهلاً.

سقراط: نريد ذلك.

ديوروس: تريده أن يصبح ما ليس بهو، ولا أن يكون ما هو بعد اليوم؟

سقراط: [كنت مرمياً في ذُعرٍ بما قاله].

ديوروس: [متّخذاً منفعة من ذعري] أضاف: ترغب أن لا يكون ما هو عليه بعد اليوم، وهذا يمكن أن يعني فقط أنّك تتمنّى أن يهلك. يجب أن يكونوا أحبّاء وأصدقاء ممتازين أولئك الذين يريدون قبل كل الأشياء الأخرى أن يفنى محبوبهم؟

[عندما سمع كتاسيبوس هذا غضب جدّاً « كما يمكن لمحبٍّ أن يفعل » وقال: يا غريباً من ثوري - إذا كان التهذيب سيسمح لي، عليَّ أن أقول، لعنة الله عليك! ما الذي جعلك تقول كذبة كهذه عنّي وعن الآخرين، والتي أحبّ أن أردّدها بصعوبة، وكأنّني أتمنّى أن يموت كلينياس].

يوثيديموس: وهل تعتقد، يا كتاسيبوس، أنّه يمكنك قول كذبة؟

كتاسيبوس: نعم، إنّني سأكون مجنوناً لأقول أيّ شيء آخر.

يوثيديموس: وفي قول كذبة، هل تقول الشيء الذي تتكلمه أوْ لاَ؟

كتاسيبوس: إنّك تقول الشيء الذي تتكلّمه.

يوثيديموس: والذي يقول، يقول ذلك الشيء الذي يقوله، ولا شيء آخر؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: ويكون ذِلك شيئاً متميّزاً منفصلاً عن الأشياء الأخرى؟

كتاسيبوس: بالتأكيد.

يوثيديموس: والذي يقول ذلك الشيء يقول ذلك الذي يكون؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: والذي يقول ذلك الذي يكون، يقول الحقيقة. ولهذا السبب إذا قال ديونيسودوروس ذلك الذي يكون، فهو يقول الحقيقة عنك وليس الكذب.

كتاسيبوس: نعم، يا يوثيديموس؛ لكنه في قوله هذا يقول ما لا يكون.

يوثيديموس: وذلك الذي لا يكون لا يكون؟

كتاسيبوس: صدقاً.

يوثيديموس: وذلك الذي لا يكون لا يوجد في مكان؟

كتاسيبوس: لا يوجد في مكان.

يوثيديموس: وهل يستطيع أيّ شخص أن يفعل أيّ شيء بشأن ذلك الذي لا يمتلك وجوداً؟ أيقدر أيّ شخص، كائناً من كان، أن يعمل على أشياء لا توجد في أيّ مكان؟

كتاسيبوس: لا أعتقد ذلك.

يوثيديموس: حسناً، لكن ألا يفعل علماء الكلام شيئاً، عندما يتكلمون في الجمعيَّة العامة؟

كتاسيبوس: لا، إنّهم يفعلون شيئاً ما.

يوثيديموس: والفعل هو العمل؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: إذن، يكون الكلام الفعل والعمل كليهما؟

كتاسيبوس: أوافق.

يوثيديموس: إذن، لا أحدِ يقول ذلك الذي لا يكون، لأنّه في قوله ما لا يكون سيكون عاملاً على شيء ما؛ واعترفت أنت سابقاً أن لاِ شخص يستطيع أن يعمل على ما لا يكون. ولذلك، وبناءً على تبيينك الخاصّ، لا أحد يقول ما هو باطل. لكن إذا قال ديونيسودوروس أيّ شيء، فهو يقول ما يكون حقيقياً وما يكون.

كتاسيبوس: نعم، يا يوثيديموس لكنّه يقول ما يكون في طريقة وأسلوب محدَّدين وليس كما يكون بحقّ.

ديوروس: لماذا، يا كتاسيبوس، هل تعني أنّ أيّ شخصٍ يتكلّم عن الأشياء كما تكون؟

كتاسيبوس: نعم، - كلّ الأسياد والأشخاص الصادقين.

ديوروس: أليست الأشياء الصالحة صالحة، والأشياء الطالحة طالحة؟

كتاسيبوس: أوافق.

ديوروس: وتقول إنّ الأسياد يتكلمون عن الأشياء كما تكون؟

كتاسيبوس: نعم.

ديوروس: يتكلم الخيّرون إذن شرّاً عن الأشياء الطالحة، إذا تكلموا عنها كما تكون؟

كتاسيبوس: نعم حقّاً، وهم يتكلمون شرّاً عن الرجال الأشرار. وإذا ما كان يمكنني أن أعطيك نصيحة صريحة، من الأفضل لك أن تحذر أن تكون واحداً من الأشرار، أو فالرجال الأخيار سيتكلمون شرّاً عنك. إنّني أؤكّد لك أنّ الأخيار يتكلمون شرّاً عن الأشرار.

يوثيديموس: وهل يتكلمون أشياء عظيمة عن العظيم، وأشياء حارّة عن الحارّ؟

كتاسيبوس: لتكن متأكّداً أنّهم يفعلون؛ وهم يتكلمون ببرودة عن التافه وعن الجدليين الباردين.

ديوروس: إنّك اعتسافي، يا كتاسيبوس، إنّك اعتسافي!

كتاسيبوس: إنّني لست محقّاً، يا ديونيسودوروس، فأنا أحبّك وأنصحك بصدق، وإذا استطعت سأقنعك بألاّ تقول في حضوري، كالشخص الفظّ، وهو أنّي أتمنى أن يفنى أولئك الذين هم الأكثر مودّةً عندي.

سقراط: [رأيت أنّهما قد أصبحا ساخطَيْن أحدهما على الآخر]. قلت لكتاسيبوس مازحاً: أعتقد أنّه إذا كان الغريبان عازمين على أن يتكلّما، ينبغي أن نقبل ما يقولانه في تعبيرهما الخاص، وأن لا نتخاصم معهما بشأن الكلمات. إذا عرفا كيف يدمّرا الرجال بطريقة كهذه كي يجعلاهم رجالاً أخياراً ومدركين بدلاً من رجال أشرار وأغبياء ـ سواء أكان هذا الاكتشاف يخصّهم، أو أنّهم تعلموا من شخص آخر هذا النوع الجديد من الموت والفناء الذي سيمكّنهما أن يمحقا إنساناً شرّيراً وأن يجدّداه واحداً خيّراً ـ إذا عرفا هذا « وهما يعرفانه ـ على كل حال فهما قالا لتوّهما الآن إنّ هذا كان سرّ فنّهم الجديد المكتشف » ـ دعهما، في لغتهما المميّزة، يهدمان الشاب ويخلقانه عاقلاً مرّة ثانية، وكلّنا معهما. لكن إذا كنتم لا تحبون أيها الرجال الشباب أن تأمنوا أنفسكم معهما، لتكن التجربة في جسدي الحيّ هذا حينئذ؛ فأنا إنسان مسنّ، وجاهز لأقبل المخاطرة. وهنا فإنّني أقدّم شخصي إلى ديونيسدوروس، كما أقدمه إلى ميديا الحديثة من كولخيس؛ دعه يقتلني، يغليني، ويفعل ما يحبّه بي، إذا ما كان يبعثني إنساناً خيّراً فقط.

كتاسيبوس: وأنا أيضاً، يا سقراط، جاهزٌ لأسلّم نفسي إلى الغريبين. يمكنهما أن يسلخا جلدي وأنا حيٌّ، إذا سرهما ذلك « وأنا مسلوخ من قبلهما الآن جيداً الى حد ما »، إذا ما جُعِل جلدي أخيراً فقط، ليس مثل جلد مارسياس، إلى قارورةٍ جلديّة، بل إلى قطعة من الفضيلة، ويكون هنا ديونيسودوروس الذي يتوهّم أنّني غاضب منه، في حين أنّني لست غاضباً منه حقيقة على الإطلاق؛ وأنا لا أفعل سوى نقضه عندما أعتقد بأنّه يتكلم

معي بشكلٍ غير لائق. وأنت لا ينبغي أن تخلط بين الشتم والنقض. أوه يا ديونيسودوروس الشهير؛ فَهما شيئان مختلفان تماماً.

ديوروس: نقض! أنت تتكلّم وكأنّه يوجد شيء كهذا.

كتاسيبوس: يوجد النقض بالتأكيد. لا يمكن إيجاد سؤال بشأن ذلك. هل لديك دليل على أنّه لا يوجد، يا ديونيسودوروس.؟

ديوروس: أنت لن تبرهن لي أبداً أنّك سمعت أيّ شخص ينقض أيّ شخص آخر.

كتاسيبوس: حقّاً، إنّني أبرهنها الآن إذن، بما أنّني أسمع نفسي ناقضاً ديونيسودوروس.

ديوروس: وهل أنت جاهز لتصنع ذلك الخير؟

كتاسيبوس: بكلّ تأكيد.

ديوروس: حسناً، ألا تمتلك كلّ الأشياء كلماتٍ معبرة عنها؟

كتاسيبوس: نعم.

ديوروس: عن وجودها أو عن عدمها؟

كتاسيبوس: عن وجودها.

ديوروس: نعم، يا كتاسيبوس، ونحن برهناً لتوّنا الآن، كما يمكنك أن تتذكّر، أن لا إنسان يستطيع أن يثبت سلبيّة؛ لأن لا أحد يقدر أن يؤكّد ذلك الذي لا يكون.

كتاسيبوس: وماذا يفيد ذلك؟ يمكننا، أنت وأنا، أن ننقض على الشكل المشار إليه مع ذلك.

ديوروس: لكن هل نستطيع أن ينقض بعضنا بعضاً، حينما يكون كلٌّ منا معبِّراً عن الشيء عينه؟ يلزم حينئذ أن نكون متكلّمَين عن الشيء عينه بالتأكيد؟

كتاسيبوس: أوافق.

ديوروس: أو عندما لا يكون كل منّا معبِّراً عن الشيء عينه؟ لأنّه عندئذ لا أحد منا يقول كلمة عن الشيء على الإطلاق؟

كتاسيبوس: أمنحك هذه الفرضيَّة.

ديوروس: لكن عندما أعبِّر أنا عن شيء ما وأنت عن شيءٍ آخر، أو أقول أنا شيئاً ما وأنت لا تقول شيئاً ـ أيكون هناك أي نقض؟ كيف يستطيع من يتكلَّم أن ينقض من لا يتكلّم؟

سقراط: [كتاسيبوس هنا كان صامتاً؛ وقلت أنا مندهشاً]: ماذا تعني، يا ديونيسودوروس؟ إنّني سمعت غالباً، وقد كنت مندهشاً لأسمع فرضيتك هذه، التي يدافع عنها ويوظّفها أتباع بروتاغوراس، والآخرون قبلهم؛ ظننتها تعليماً مدهشاً على الدوام، انتحاري كما أنّه تدميري، وأعتقد أنّني الأكثر ترجيحاً لأسمع الحقيقة عنه منك. فالقول المأثور هو أنّه لا يوجد هكذا شيء مثل الباطل؛ إنسانٌ يجب أن يقول ما يكون حقيقيّاً أو أن لا يقول شيئاً. أليس هذا موقفك؟

ديوروس: أوافق.

سقراط: لكن إذا كان لا يستطيع أن لا يتكلم بزيفٍ، ألا يمكنه أن يفكر بزيفٍ؟

ديوروس: لا إنّه لا يقدر.

سقراط: إذن لا يوجد هكذا شيء كالرأي الباطل؟

ديوروس: لا.

سقراط: إذن، لا يوجد هكذا شيء كالجهل، أو رجالٌ هم جهلة؛ إذ أليس الجهل، إذا وُجد هكذا شيء، سوء فهم بشأن الحقيقة؟

ديوروس: بالتأكيد.

سقراط: ويكون هذا مستحيلاً؟

ديوروس: مستحيل.

سقراط: هل أنت قائل هذا كمفارقة، يا ديونيسودوروس، أو أنّك تؤكّد بجديَّة أن لا إنسان يكون جاهلاً؟

ديوروس: أنقضني.

سقراط: لكن كيف أستطيع أن أنقضك، إذا، كما تقول، يكون شيئاً مستحيلاً لتقول باطلاً؟

يوثيديموس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: ألم يأمرني ديونيسودوروس لتوّه الآن لأنقضه إذن؟

يوثيديموس: لا، إذ كيف يستطيع أيُّ شخص أن يأمر ذلك الذي لا يكون؟ أتقدر أنت؟

سقراط: أوه يا يوثيديموس، أنا لا أمتلك إلاّ تصوراً مملاً لهذه الوسائل اللطيفة والممتازة للحكمة. وأخشى أنّني أفهمها بالكاد، وينبغي أن تسامحني لذلك إذا سألتك سؤالاً غبيّاً بالأحرى: إذا كان لا يوجد بهتان ولا رأي باطل ولا جهل، لا يمكن وجود هكذا شيء كالعمل الخاطىء لأنّ إنساناً لا يستطيع أن يخفق في عمل ما يكون عامله ـ ذلك هو ما تعنيه.

يوثيديموس: نعم.

سقراط: والآن، سأسألك سؤالي الغبيّ: إذا كان لا يوجد هكذا شيء في المأثرة، الكلمة، أو الفكر، إذن وباسم الصّلاح، ماذا أتيتما هنا لتعلّما؟ أوَلم تقولا لتوّكما أنّكما تقدران على أن تعلّما الفضيلة أفضل ممّا يعلمها الرجال كلهم ولأيٍّ شخص يكون مستعداً لأن يتعلّم؟

ديوروس: وهل أنت هكذا مسنٌ أبله، يا سقراط، لتعرض الآن ما قلته أنا في البداية ـ وإذا قلت أيَّ شيء آخر السنة، أفترض أنّك ستعرضه أيضاً ـ لكنّك مرتبك في الكلمات التي تفوّهت بها منذ برهة؟

سقراط: لماذا، إنّها ليست كلمات يسهل الإجابة عليها لأنّها كلمات رجالٍ حكماء. وحقّاً لا أعرف ماذا سأصنع بهذه الكلمة « مرتبك »، التي استعملتها أخيراً. ماذا تعني بها، يا ديونيسودوروس؟ يجب أن تعني أنّني لا

أستطيع نقض محاورتك. أخبرني إذا كان في العبارة « إنّني مرتبك في كلماتك » أيّ معنى أو إحساسٍ آخر؟

ديوروس: لا، إنّها تعني ما تقول، والآن أجب.

سقراط: ماذا أمامك، يا ديونيسودوروس؟

ديوروس: أجب.

سقراط: وهل يكون ذلك عدلاً؟

ديوروس: نعم، عدلٌ تامّ.

سقراط: على أيّة قاعدة؟ إنّني أستطيع أن أفترض فقط أنّك أتيت إلينا مع كلّ الحكمة لجدليّ عظيم، وتعرف متى تجيب ومتى لا تجيب ـ والآن لن تفتح فمك على الإطلاق، لأنّك تعرف أنّه لا ينبغي عليك فتحه.

ديوروس: أنت تثرثر، بدلاً من الإجابة، لكن إذا اعترفت بأنّي حكيم، يا سيّدي الصالح، أجبني كما أقول.

سقراط: إفترض بأنَّ عليَّ أن أطيع، فأنت معلّم. اطرح السؤال.

ديوروس: هل الأشياء التي تمتلك إحساساً حيّة أو ميتة؟

سقراط: إنّها حيّة.

ديوروس: وهل تعرف أيّة كلمة تكون حيّة؟

سقراط: إنّني لا أعرف بالتأكيد.

ديوروس: إذن، لماذا سألتني أيّ إحساسٍ كان لدى كلماتي؟

سقراط: لماذا؟ لأنّني كنت غبيّاً وارتكبت خطأً. ولربّما كنت محقّاً مع ذلك برغم كلّ شيء في قول إنّ الكلمات لها إحساس. ماذا تقول، أيّها الرجل الحكيم؟ إذا لم أقع في الخطأ، فلن تقدر حتى أنت أن تنقضني. إذن أنت مخطىء مرّة ثانية في القول إنّه لا يوجد هكذا شيء كالخطأ ـ وهنا أنا لست مشيراً إلى شيء ما قيل آخر السنة. إنّني ميّالٌ لأعتقد، على كلّ حال،

يا ديونيسودوروس ويوثيديموس، أنّ هذه المحاورة تتمدَّد حيث كانت؛ وفي التعبيرِ القديم لمدرسة المصارعة، ترمي الآخرين أرضاً وتسقط نفسها - إنّه مصيرُ الذي لم يكتشف حتى الآن كيف يتجنب فنّك، مع كل دقّة حكمته الخارقة.

كتاسيبوس: يا رجالاً من خيوس، ثوري، أو مهما وكيف تدعوان نفسيكما، إنّني أتعجّب منكما، لأنّكما يبدو أن لا مانع عندكما من التكلّم بإسفاف.

سقراط: [خفت أن يخلق هذا الكلام ردَّ فعل عنيف، سعيت مرة ثانية لأهدِّىء كتاسيبوس]، وقلت له: عليّ أن أردِّد لك، يا كتاسيبوس، ما قلته لكلينياس سابقاً: إنّك لا تفهم الأسلوب الرائع لحكمة زائرَينا. إنّهما لا يهتمّان كي يعطيانا عرضاً جديًّاً، بل هما مثل الساحر المصري، بروتيوس، يتخذان أشكالاً مختلفة ويخدعاننا بسحرهما. ودعنا نرفض، مثل مينيلوس، أن نتركهما يذهبان قبل أن يعرضا نفسيهما لنا في جدّيّة حقيقيّة وسيظهر جمالهما الحقيقيّ عندما يبدآن الكلام غيرها هازلَيْن. دعنا إذن نستعطفهما ونتوسَّل لهما ونلتمس إليهما أن يتألّقا ضياءً. وإنّني أعتقد بأنّ من الأفضل أن أعرض لهما مرّة أخرى الشكل الذي أُصلّي كي يشاهداه ويمكن أن يكون لهما دليلاً. لهذا السبب سأواصل المحاورة حيث تركتها، بقدر ما أستطيع، على أمل أنّه يمكنني أن أُغْريهما ليتكلّما بحريَّة، وذلك عندما يريا جهدي وجديَّتي العميقة يمكن لقلبيهما أن يُلامَسَا بها ويتحركا للشّفقة، ويمكن أن يكونا كلاهما جديين. وأنت، يا كلينياس، سوف تذكّرني في أية نقطة نحن تركنا المحاورة. ألم نتّفق على أنّ الفلسفة يجب أن تُدرس؟ أو لم يكن هذا استنتاجك؟

كلينياس: نعم.

سقراط: والفلسفة هي اكتساب المعرفة؟

كلينياس: نعم.

سقراط: وأيّة معرفة علينا أن نكتسب؟ ألا يمكننا أن نجيب ببساطة المعرفة التي ستجلب لنا الخيرَ؟

كلينياس: بالتأكيد.

سقراط: وهل سنكون أفضل بأيّة حال إذا عرفنا كيف نطوف مكتشفين الأمكنة حيث يُخبَّأ أكثر الذهب في الأرض؟

كلينياس: لربّما علينا عمل ذلك.

سقراط: لكن ألم نبرهن مسبقاً، أنّنا لن نكون أيسر حالاً على الإطلاق، حتى إذا استخرجنا كلّ الذهب الموجود في باطن الأرض بدون جهد وامتلكناه؟ وإذا عرفنا كيف نحوّل الصخور إلى ذهب، فالمعرفة لن تكون ذات قيمة لنا ما لم نعرف كيف نستعمل الذهب أيضاً. ألا تتذكّر ذلك؟

كلينياس: إنّني أتذكّر تماماً.

سقراط: لا ولن تكون أيّة معرفة أخرى ذات خير لنا، سواء أكانت لحيازة المال، أو الطب، أو أيّ فنٍّ آخر للذي يعرف كيف يصنع شيئاً، ولا يعرف كيف يستعمله عند صنعه. ألست محقّاً في ذلك؟

كلينياس: إنّك لمحق.

سقراط: وإذا وُجدت معرفة قادرة على أن تجعل الرجال خالدين بدون إعطائهم معرفة الطريقة ليستعملوا الخلود، فلا فائدة في ذلك، إذا كنا سنحاور في القياس التمثيلي لأمثلتنا السابقة؟

كلينياس: أوافق على كل هذا.

سقراط: إذن، يا ولدي العزيز، إنّ نوع المعرفة التي نريد هي واحدة التي تستعمل كما تصنع؟

كلينياس: حقّاً.

سقراط: ولا تكون رغبتنا لنكون صنّاع عود مهرة، أو فنانين من هذا النوع ـ إنّها أبعد من ذلك بكثير. فمعهما الفنّ الذي يصنع هو واحد، والفنّ الذي يستعمل آخر. بالرغم من هذا هما يجب أن يفعلا بالشيء عينه، إنّهما مقسمان لأنّ الفنّ الذي يصنع العود والفنّ الذي يعزف عليه يختلفان ـ بعضهما عن بعض بشكلٍ واسع. ألست محقاً؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: ونحن لا نريد الفنّ لصانع النّاي بوضوح؛ إن هذا هو فنّ آخر من النوع عينه فقط؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: لكن إفترض، أنّنا كنا سنتعلّم فنّ تأليف الخطب ـ أسيكون ذلك هو الفنّ الذي سيجعلنا سعداء؟

كلينياس: عليّ أن أقول لا.

سقراط: ولماذا عليك أن تقول ذلك؟

كلينياس: إنّني أرى أنّه يوجد بعض مؤلّفي الأحاديث الذين لا يعرفون كيف يستعملون الأحاديث التي يصنعونها بأنفسهم، تماماً مثل صنّاع العيدان الذين لا يعرفون كيف يستعملونها؛ وبعضٌ آخر أيضاً ليسوا بقادرين على أن يؤلّفوا خطباً بأنفسهم، لكنهم قادرون على أن يستعملوا الخطب التي يصنعها الغير لهم. ويبرهن هذا أنّ فنّ صناعة الخطب ليس الشيء عينه كفنّ استعمالها.

سقراط: نعم، وإنّني أتبنّى كلماتك لتكون برهاناً كافياً على أنّ تأليف الخطب ليس وحده الذي يجعل الإنسان سعيداً. ومع ذلك لم أعتقد أنّ المعرفة التي كنا نبحث عنها لفترة طويلة يمكن أن تكتشف في ذلك الاتجاه لأنّ مؤلّفي الخطب، كلما قابلتهم ظهروا لي أنّهم رجال استثنائيون على الدوام، يا كلينياس، وفنّهم هذا سامٍ وإلهي، ولا عجب في ذلك. ففنّهم هو جزء

من فنّ السحر العظيم، وهو أقلّ أهميّة منه بالكاد، إذا كان ذلك مطلقاً. وحيث إنّ فنّ الساحر يكون صيغةً لسحر الأفاعي والعناكب والعقارب والآفات والمخلوقات الأخرى، فإنّ فنّهم يفعل فعله على القضاة ورجال الدين وعلى اجتماعات الرجال الآخرين الضخمة، لسحرهم وتطييب خاطرهم. هل توافقني؟

كلينياس: نعم، أعتقد أنّك محق تماماً.

سقراط: أين سنذهب بعدئذ، ولأيّ فنّ سنلجأ لطلب المساعدة؟

كلينياس: إنّني لا أرى الطريق.

سقراط: لكنّني أعتقد بأنّي أراه.

كلينياس: وما هي فكرتك؟

سقراط: أعتقد أنّ فنّ القائد العسكري يكونْ فوق كل الفنون الأخرى. إنه الوحيد الذي يكون امتلاكه هو الأكثر احتمالاً ليجعل الإنسان إنساناً سعيداً.

كلينياس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: لِمَ لا؟

كلينياس: إنّه بين فنون الصيد بالتأكيد، إنّه يصيد الرجال.

سقراط: ماذا عن ذلك؟

كلينياس: لماذا، لا فنّ صيدٍ يمتدّ إلى ما وراء الصيد والأسر؛ وعندما تُلتقط الفريسة فإنّ الصيّاد أو صائد السمك لا يستطيع استعمالها، بل يسلمها إلى الطاهي. بشكل مماثل فإنّ علماء الهندسة والنجوم والحساب « الذين يخصُّون كلّهم الطبقة الصائدة، هم لا يصنعون رسومهم التخطيطيّة، بل يكتشفون ما يكون هناك بشكل مسبق » - أقول، هُم كونهم غير قادرين على أن يستعملوا فريستهم بل أنْ يلتقطوها فقط، يسلّمون اكتشافاتهم إلى عالِمِ الجدل لتُستعمل من قِبَلِه، إذا ما كان لديهم أيّ إدراك.

سقراط: جيّد، يا كلينياس الأعقل والأعدل، وهل ما تقوله حقيقيٌّ؟

كلينياس: بالتأكيد، تماماً كما لو استولى القائد العسكري على مدينة أو معسكر يسلّم كسبه الجديد إلى رجل الدولة لأنّه لا يعرف كيف يستعمله بنفسه؛ أو مثل آسر طائر السمان يحوّل ما أسره إلى الذي يحتفظ به. إذا كنا باحثين عن الفنّ الذي سيجعلنا محظوظين، والذي يكون قادراً على أن يستعمل ذلك الذي يصنعه أو يأسره، فإنّ فنّ القائد العسكري ليس الفنّ المرتجى، ولهذا السبب يجب إيجاد فنٍّ آخر.

كريتون: وهل تعني، يا سقراط، أنّ الأفتى قال كل هذا؟

سقراط: هل أنت ميّالٌ إلى الشكّ بذلك، يا كريتون؟

كريتون: حقاً إنّني لكذلك؛ إذ لو قال ذلك، فإنّه لا يحتاج إلى يوثيديموس ولا إلى أيّ شخص آخر ليكون مثقّفاً له في رأيي حينئذ.

سقراط: يا سلام، لربّما أنسى، وكان هو كتاسيبوس.

كريتون: كتاسيبوس! هراء.

سقراط: على كل حال، إنّني متأكّد بأنّني سمعت هذه الكلمات، وأنّ هذه الكلمات لم يتفوه بها لا يوثيديموس ولا ديونيسودوروس. أجرؤ القول، يا خيِّري كريتون، إنّها ربّما حكاها شخصٌ سامٍ في هذه المجموعة. لكنّني متأكّد بأنّني سمعتها.

كريتون: نعم، حقاً، يا سقراط، شخصٌ وافر السّموّ، كما سأكون ميالاً لأعتقد. لكن هل حُمِلت أنت على البحث إلى ما هو أبعد، وهل وجدت الفنّ الخاصّ الذي كنت عنه تبحث؟

سقراط: أجد؟ يا سيدي العزيز؛ لا حقّاً. ونحن قسّمنا رسماً توضيحياً متواضعاً؛ ونحن مثل الأطفال في تعقّبهم للقبّرات كنّا على وشك أن نلتقط فنّاً ما، كان يفلت منّا على الدوام. لكن لماذا سنردِّد القصّة بمجملها؟ إنّنا وصلنا

أخيراً إلى الفنّ الملكي، وتساءَلنا إذا ما وهب ذلك الفنّ السعادة وسبّبها، وأصبحنا بعدئذ في التّيه، وعندما فكرنا أنّنا شارفنا على النهاية حقّاً، استدرنا وعدنا إلى البداية مرّة ثانية، ولا زلنا في مدارة البحث بمقدار ما كنا في أيِّ وقت.

كريتون: كيف حدث ذلك، يا سقراط؟

سقراط: يبدو أنّ كل الفنون تقدّم ضبط إنتاجها الذي برعت فيه، إلى هذا الفنّ الملكي أو السياسي بما في ذلك فنّ القائد العسكري، كون ذلك هو الفنّ الوحيد الذي عرف كيف يستعملها. هناك كان الفن الذي كنا عنه باحثين بالتحديد ـ الفنّ الذي هو مصدر الحكومة الخيّرة، والذي يمكن أن يوصف، في لغة آيسخيلوس، كأنّه الوحيد الجالس في مقبض دفّة مركب الدولة، هادياً وحاكماً كلّ الأشياء أو مستفيداً منها.

كريتون: أوَ لم نكن محقين، يا سقراط؟

سقراط: ستحكم أنت، يا كريتون، إذا ما كنت عازماً لأن تسمع ما يلي. برغم أنّنا استأنفنا البحث، وسألنا سؤالاً من هذا النوع: هل يفعل الفنّ الملكي أيّ شيء لنا بما أنّ لديه هذه السلطة السامية؟ وكان الجواب، لتكن متأكّداً أنّه يفعل. أولن تقول الشيء عينه، يا كريتون؟

كريتون: نعم، إنّني سأقول.

سقواط: وماذا تعتقد أنَّ الفن الملكي يفعل؟ إفترض أنّني سألتك سؤالاً: ماذا ينتج فنّ الطبّ بكل سلطته السامية في مجاله الخاص؟ أنت ستقول، إنّه ينتج الصحة.

كريتون: سأقول هذا.

سقراط: وماذا عن فنّك الزراعي الخاص؟ إنَّ له سلطة عظيمة في ميدانه المختص به ـ فماذا يفعل؟ ألاَ يمدّنا بفواكه الأرض؟

كريتون: نعم.

سقراط: وماذا يفعل الفنّ الملكي، الذي له نفوذ كبير في ميدانه الخاص؟ لربما لست جاهزاً لإعطاء الجواب؟

كريتون: حقّاً إنّني لست جاهزاً، يا سقراط.

سقراط: ونحن لسنا بجاهزين أكثر منك، يا كريتون. لكن على كل حال تعرف أنت أنّه إذا كان هذا هو الفنّ الذي نبحث عنه، يجب أن يكون نافعاً.

كريتون: بالتأكيد.

سقراط: وينبغي أن يُنعِم علينا بخيرٍ ما بكلّ تأكيد؟

كريتون: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: ووصلنا إلى الاستنتاج، كلينياس وأنا، وهو أنّ معرفةً منْ نوعٍ ما هي الخير الوحيد.

كريتون: نعم، ذلك ما كنّا قائلين.

سقراط: كانت كل النتائج الأخرى التي يمكن أن تُنسب إلى السياسات، وهي كثيرة، كمثال، الغنى، الحريّة، السكون، كانت كلها لا خيّرة ولا شريرة في أنفسها؛ لكن العلم السياسي يلزم أن يجعلنا حكماء، وأن يمنحنا المعرفة، إذا كان هذا هو العلم الذي يُحتمل أن يفعل لنا الخير ويجعلنا سعداء.

كريتون: نعم؛ كان ذلك هو الاستنتاج الذي وصلت إليه طبقاً لتقريرك عن المحادثة.

سقراط: وهل يجعل الفنّ الملكي الرجال حكماء وأخياراً؟

كريتون: لِمَ لا؟

سقراط: ماذا، كلّ الرجال، وفي كل اتجاه؟ ويعلّمهم كل الفنون: فنّ التجارة وفنّ الأسكفة وبقيّة الفنون؟

كريتون: لا أعتقد ذلك، يا سقراط.

سقراط: لكن إذن، ما هي هذه المعرفة، وماذا ستفعل بها؟ إنّها ليست المصدر لأيّة

أعمال لا تكون صالحة ولا طالحة، ولا لأن تهب أيّة معرفة بل المعرفة عينها؛ ماذا يمكن أن تكون آنئذ، وماذا سنفعل بها؟ هل سنقول، يا كريتون، أيّها تكون المعرفة التي سنجعل بها الرجال الآخرين أخياراً؟

كريتون: مهما كلّف الأمر.

سقراط: وفي ماذا سيكونون أخياراً ونافعين؟ هل سنكرّر القول إنّهم سيجعلون الآخرين أخياراً، وإنّ هؤلاء الأخيار الآخرين سيجعلون الآخرين أخياراً مرّة ثانية بدون أن يعزموا أبداً في ماذا سيكونون أخياراً؛ لأنّنا نحن وضعنا جانباً النتائج للسياسات، كما تسمّى. إنّ هذه هي الأغنية القديمة مرّة ثانية؛ ونحن بعيدون عن معرفة الفنّ أو علم السعادة، تماماً كما كنّا أبداً، إذا لم نكن أبعد.

كريتون: حقاً، يا سقراط، يبدو أنّك أصبحت في حيرة كبيرة.

سقراط: وبناءً على ذلك، يا كريتون، مشاهداً أنّني كنت على وشك الغرَق، رفعت صوتي، وناشدت ورجوت الغريبين بجديّة كي ينقذاني وينقذا الفتى من دوّامة المحاورة. إنّهما كانا لنا نيّر التوأمين ورأسي التوأم المؤخّر ويجب أن يكونا غير هازلين بشكل تامّ، وأن يبيّنا لنا في جدّيّة رصينة ماذا كانت تلك المعرفة التي ستمكّننا من أن نقضي بقية حيّاتنا في السعادة.

كريتون: وهل سيريك يوثيديموس هذه المعرفة؟

سقراط: نعم، حقاً. تقدّم في أسلوب سامٍ نتيجة لِمَا أوردته وقال: هل ستفضِّل، يا سقراط، أنْ أريك هذه المعرفة التي شككْتَ بها، أو هل سأبرهن لك أنّك تحوزها الآن؟

قلت له: هل أنت محظوظ بقوّة كتلك؟

يوثيديموس: إنّني لكذلك حقّاً.

سقراط: سأفضّل أكثر بكثير إذن أن تبرهن لي أنّني أمتلك هكذا معرفة؛ سيكون أسهل عليّ أن أتعلّم في هذه المرحلة من عمري.

يوثيديموس: أخبرني، هل تعرف أيّ شيء؟

سقراط: نعم، إنّني أعرف عدة أشياء، لكن ليس أي شيء بذي قيمة.

يوثيديموس: سيفي ذلك بالحاجة، وهل ستعترف بأنّ أيّ شيء يمكنه أن يكون ما هو، وأن لا يكون ما هو في الوقت عينه؟

سقراط: لا بالتأكيد.

يوثيديموس: أوَ لم تقل إنّك عرفت شيئاً ما؟

سقراط: نعم فعلت.

يوثيديموس: إذا عرفت، فأنت عارف.

سقراط: بالتأكيد، تلك المعرفة التي أمتلكها.

يوثيديموس: ذلك لا يسبب تبايناً. أوَلاَ يجب عليك، إذا كنت عارفاً، أن تعرف كلّ الأشياء؟

سقراط: لا بالتأكيد، لأن هناك أشياء عديدة أخرى لا أعرفها.

يوثيديموس: وإذا كنت لا تعرف فأنت لست عارفاً؟

سقراط: نعم، يا صديقي، عن ذلك الذي لا أعرفه.

يوثيديموس: يبقى أنّك لا تعرف، ولقد قلت لتوّك الآن أنّك كنت عارفاً؛ ولهذا السبب أنت تكون ولا تكون ذاتك، في الوقت عينه وبشأن الأشياء عينها.

سقراط: هذا حديث صاخبٌ منك، كما يقول الرجال، يا يوثيديموس! وهل ستشرح كيف أمتلك تلك المعرفة التي كنّا عنها باحثين؟ هل تعني أنّه بقدر ما يكون مستحيلاً للشيء عينه أن يكون وأيضاً أن لا يكون، يتبع ذلك بما أنّني أعرف شيئاً واحداً فأنا أعرفها جميعاً، لأنّه لا يمكنني أن أكون عارفاً وأن لا أكون عارفاً في الوقت عينه. وإذا عرفت كلّ الأشياء، يجب عليَّ أن أحوز المعرفة عن ذلك الذي نبحث عنه عندئذ ـ أيمكنني أن أفترض أنّ هذه هي فكرتك البارعة؟

يوثيديموس: من فمك أدينك، يا سقراط، إنّك لمُدان.

سقراط: حسناً، لكن، يا يوثيديموس، ألم يحدث لك على الإطلاق؟ لأنّني إذا كنت معك ومع محبوبنا ديونيسودوروس بالحالة عينها، فلا أستطيع أن أشتكي. أخبراني إذن، أنتما الإثنين، ألا تعرفان الأشياء عينها، ولا تعرفان الأخرى؟

ديوروس: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: ماذا تعني، ألا تعرف شيئاً؟

ديوروس: لا، نحن نعرف شيئاً ما.

سقراط: إذن، أنتما تعرفان كل شيء، إذا عرفتما أيّ شيء؟

ديوروس: نعم، كلّ الأشياء، وهذا حقيقي عنك كما هو بالنسبة لنا.

سقراط: أوه، حقاً! ما هذا الشيء الرائع، وما هذه النعمة العظيمة! وهل يعرف كل الرجال الآخرين كلّ الأشياء أو لا يعرفون بعض الأشياء أو لا يعرفون شيئاً؟

ديوروس: طبعاً، لا يستطيعون هم أن يعرفوا بعض الأشياء ولا يعرفون الأشياء الأخرى ويكونون عارفين وغير عارفين في الوقت عينه.

سقراط: ما هو الاستنتاج حينئذ؟

ديوروس: إنّهم يعرفون كل الأشياء، إذا عرفوا شيئاً واحداً؟

سقراط: أرى الآن، يا ديونيسودوروس، أنّك جادٌّ فيما تقول؛ ولم أصل إلى هذه النقطة الرئيسيّة إلاّ بصعوبة. وهل تعرف بحقٍّ وصدق كلّ الأشياء، بما فيها النجارة وقصّ الجلد؟

ديوروس: بالتأكيد.

سقراط: وهل تعرفان الخياطة كلاكما؟

ديوروس: نعم، أحلف بأنّنا نعرفها، ونعرف الأسكفّة أيضاً.

سقراط: وهل تعرفان هكذا أشياء كعدد النجوم وعدد حبّات الرمال؟

ديوروس: بالتأكيد؛ هل ستعتقد بأنّنا سنقول لا لذلك؟

[قال كتاسيبوس مقاطعاً]: إنّني أستحلفكما، أعطياني برهاناً ما يجعلني قادراً لأعرف إذا ما كنتما تتكلمان الحقيقة.

ديوروس: أيّ برهان سأعطيك؟

كتاسيبوس: هل ستخبرني كم سِنّاً يمتلك يوثيديموس؟ وسيخبرني يوثيديموس عدد أسنانك.

ديوروس: ألن تتقبّل كلمتنا أنّنا نعرف كل الأشياء؟

كتاسيبوس: لا بالتأكيد. يجب أن تخبرانا هذا الشيء الوحيد علاوة على ذلك، وسنعرف بعدئذ أنّكما تتكلّمان الصدق، فسنصدِّق بقية ما قلتما.

[توهّما أن كتاسيبوس كان يلعب معهما، ورفضا عرضه، وكانا يقولان كجوابٍ على كل سؤال من أسئلته، إنّهما يعرفان كل شيء. أخيراً بدأ كتاسيبوس التخلص من كل تحفظاته؛ ولم يكن أيّ سؤالٍ سيِّءٍ بالنسبة له ليسأله في الواقع؛ إنّه سيسألهما إذا عرفا أتفه الأشياء، وهما مثل الخنازير البريَّة، انقضّا عليه بسرعة، وأجاباه بدون خوف إنّهما يعرفان. في النهاية، يا كريتون، فقدت السيطرة على تصديقي إياهما ، وسألت ديونيسودوروس إذا ما كان يقدر أن يرقص].

ديوروس: بالتأكيد.

سقراط: وهل تقدر أن تقفز بين السيوف، وتدور على الدولاب، في سنِّك؟ هل وصلت إلى حذقٍ رفيعٍ مثل هذا؟

ديوروس: إنّني أتمكن من فعل أيّ شيء.

سقراط: هل تعرفان أنتما الاثنين كل شيء على الدوام؟

ديوروس: على الدوام.

سقراط: يوم كنتما طفلين، وحين ولادتكما؟

[ديوروس: قال هو ويوثيديموس أنّهما يفعلان].

[لم نستطع تصديق هذا]، وقال يوثيديموس: إنّك ميّالٌ إلى الشكّ، يا سقراط.

سقراط: نعم، ويمكنني أن أميل إلى الشكّ بالتمام، إذا لم أُسلِّم بأنّكما رجلان عاقلان.

يوثيديموس: لكنّك إذا أجبت، فسأجعلك تعترفُ أيضاً بهذه المعجزات عينها.

سقراط: حسناً، لا يوجد أيّ شيء سأحبه أفضل من أن أكون مداناً ذاتياً، لأنّني إذا كنت إنساناً حكيماً بحقّ، ولم أكن أعرفه سابقاً، وستبرهن لي بأنني أعرف وأنّني عرفت كلّ شيء على الدوام، فلن أتمكّن من مقابلة ضربة الحظ السعيدة هذه بأكبر منها في حياتي كلها.

يوثيديموس: أجب إذن.

سقراط: إسألني، وسأجيبك.

يوثيديموس: هل تعرف شيئاً ما، يا سقراط، أو لا تعرف شيئاً؟

سقراط: أعرف شيئاً ما.

يوثيديموس: وهل تعرف بماذا تعرف، أو أنك تعرف بشيءٍ ما آخر؟

سقراط: بماذا أعرف. إفترض أنّك تعني أنّني أعرف بروحي؟

يوثيديموس: ألست بمستحٍ، يا سقراط، لتسألَ عندما تُسألُ سؤالاً؟

سقراط: حسناً، لكن ماذا سأفعل إذن؟ فأنا سأفعل ما تأمر؛ وعندما لا أفهم ما تسألني، هل ستأمرني لأجيبك برغم ذلك، وأن لا أسألك مرّة ثانية؟

يوثيديموس: لماذا؟ أنت تمتلك فكرة ما لِمَا أعنيه.

سقراط: نعم.

يوثيديموس: حسناً إذن، أجبني طبقاً لتصوّرك لمعنى فكرتي.

سقراط: نعم؛ لكنّني إذا فهمت السؤال الذي تسألني إيّاه في معنى واحد وأجبتك

عليه بمعنى آخر، هل سيسرك ذلك، إذا أجبت بما لا يدخل في صميم الموضوع؟

يوثيديموس: سيسرّني ذلك بشكلٍ جيّد؛ لكنّه لن يسرّك جيداً بنفس المقدار، كما أتصور.

سقراط: إنّني لن أجيبك بالتأكيد إلاّ إذا فهمت سؤالك.

يوثيديموس: إنّك لن تجيب طبقاً لتصوّرك للمعنى، لأنّك تستمرّ في لعب دور الغبي، وأنت أكثر حماقة ممّا تكون بحاجة إليه.

سقراط: [والآن رأيت أنّه أصبح غاضباً عليَّ لاستخلاص التمييز في الكلام، في حين أنّه أراد أن يوقعني في فخٍّ من الكلمات. وتذكرت أنّ كونوس كان يغضب مني على الدوام عندما أضادّه، وحينها أهملني لأنّه اعتقد بأنّي غبي. وبما أنّني عزمت لأن أذهب إلى يوثيديموس كتلميذ، فكّرت ملياً ورأيت من الأفضل أن أدعه يتّبع الطريقة التي يريد لأنّه يمكن أن يعتقد بأنّي بطيء الفهم ويرفض قبولي كتلميذ]. قلت هكذا: إذا كانت هذه طريقتك في الكلام فلا بأس. إنّك عالم منطقٍ أفضل منّي بكثير، يا يوثيديموس، لأنّني لم أتّخذ هذا الفنّ كمهنةٍ أبداً. إسأل أسئلتك مرّة ثانية من البداية، وأنا سأجيبك.

يوثيديموس: أجبني مرّة أخرى إذن، إذا ما كنت تعرف ما تعرف بشيء ما، أو بلا شيء.

سقراط: نعم، إنّني أعرف بروحي.

يوثيديموس: الرجل سيجيب على أكثر من السؤال؛ أنا لم أسألك بماذا تعرف، بل إذا ما كنت تعرف بشيء ما.

سقراط: أجبت بسبب الجهل مرّة ثانية على أكثر من السؤال، غير أني آمل أنك ستسامحني، والآن سأجيبك ببساطة أنّني أعرف دائماً ما أعرفه بشيء ما.

يوثيديموس: وهل يكون ذلك الشيء الـ « ما » الشيء عينه، أو بعض المرات شيئاً واحداً، وشيئاً آخر بعض المرات.

سقراط: عندما أعرف دائماً، أعرف بهذا.

يوثيديموس: مرّة ثانية، توقّف عن تحديد أجوبتك.

سقراط: خوفي أن تقحمنا هذه الكلمة « دائماً » في مشكل.

يوثيديموس: أنت، لربّما، لكن ليس نحن بالتأكيد. وأجبني الآن: هل تعرف بهذا دائماً؟

سقراط: دائماً؛ بما أنّني محتاج لأسحب الكلمات « عندما أعرف ».

يوثيديموس: أنت تعرف بهذا دائماً، أو، على الدوام عارفاً، هل تعرف بعض الأشياء بهذا، وبعض الأشياء بشيءٍ ما آخر، أو أنك تعرف كلّ الأشياء بهذا؟

سقراط: كل الذي أعرفه، أعرفه بهذا.

يوثيديموس: هناك تذهب مرّة ثانية، يا سقراط، للتحديد عينه!

سقراط: حسناً، إذن، سأقصي الكلمات « الذي أعرف ».

يوثيديموس: لا، لا تقصِ أيّ شيء؛ لا أرغب منّةً منك؛ لكن دعني أسأل: هل ستكون قادراً على أن تعرف كل الأشياء، إذا لم تعرف كل شيء؟

سقراط: مستحيل تماماً.

يوثيديموس: وبعدُ يمكنك أن تضيف مهما تريد، لأنّك تعترف أنّك تعرف كلّ شيء؟

سقراط: إفترض أنّني فعلت، إذا لم يكن التحديد « الذي أعرف » سليماً؛ وهكذا فأنا أعرف كلّ شيء.

يوثيديموس: أوَ لم تعترف بأنّك عرفت دائماً كلّ الأشياء بذلك الذي تعرف، سواء تسبّب الإضافة « عندما تعرفها »، أو أيّة إضافة أخرى؟ واعترفت أنت بأنّك عارف دائماً وفي الحال بكلّ شيء، ذلك لتقول، حينما كنت طفلاً، فأثناء

ولادتك، وخلال تربيتك، وقبل أن توجد، وقبل خلق السماء والأرض، أنت عرفت كلّ شيء، إذا عرفته على الدوام. وأنّني أقسم بأنّك ستواصل لتعرف كلّ شيء على الدوام، إذا اتخذتُ قراراً لأجعلك هكذا.

سقراط: لكنّني آمل أنّك ستكون ميّالاً لذلك، يا يوثيديموس المبجّل، إذا كنت تتكلّم الحقيقة بصدق. ومع ذلك فإنّ لديَّ شكاً في أنّك ستحقّق بما تقول إلاّ إذا امتلكت مساعدة أخيك ديونيسودوروس؛ يمكنك أن تفعل ما تقول عندئذ. أخبراني الآن كلاكما، مع أنّني لا أقدر أن أحاور ضدّ تصوُّر أنّي أعرف كلّ الأشياء بشكل رئيسيّ، عندما يخبرني رجال لهما هكذا حكمة مدهشة مثلكما ـ كيف أستطيع أن أقول بأنّني أعرف أشياء كهذه، يا يوثيديموس، مثل أنّ الأخيار لا يكونون ظالمين. تعالَ، هل أعرف أنا ذلك أو لا أعرفه؟

يوثيديموس: أنت تعرفه، بالتأكيد.

سقراط: ماذا أعرف؟

يوثيديموس: تعرف أنّ الأخيار لا يكونون ظالمين.

سقراط: حقيقيّ تماماً، وإنّني قد عرفته لزمن طويل، لكنّ السؤال هو، أين تعلّمت أنا أن الأخيار يكونون ظالمين؟

ديوروس: لم تتعلّمه في أيّ مكان.

سقراط: إذن، لا أعرف هذا.

[قال يوثيديموس لديونيسودوروس: إنّك تخرّب المحاورة لأنّ سقراط سيبرهن أنّه لا يعرف، وبعد كلّ ذلك سيكون عارفاً وغير عارفٍ في الوقت عينه

واحمرّ وجه ديونيسودوروس خجلاً].

سقراط: [إستدرت إلى يوثيديموس، وقلت له]: ماذا تعتقد، يا يوثيديموس؟ هل يظهر لك أخوك العالم بكل شيء أنّه مخطىء؟

أجاب ديونيسودوروس في لحظة: هل أنا أخو يوثيديموس؟

سقراط: قلْ له بناءً على ذلك من فضلك أن لا تقاطعنا، يا صديقي الصالح، أو تمنع يوثيديموس من البرهنة لي أنّني أعرف الخيْر ليكون ظالماً؛ درسٌ كهذا يمكنك أن تسمح لي أن أتعلّمه على الأقلّ.

ديوروس: إنّك تتهرّب من المحاورة، يا سقراط، وترفض أن تجيب.

سقراط: لا عجب، فأنا لست نظيراً لواحدٍ منكما وضعيفاً في علم الكلام. يجب أن أهرب من الاثنين. أنا لست هرقل؛ وحتّى هرقل لم يستطع أن يحارب ضدّ الهيدرا سوفسطائية التي كانت لها القدرة على إطلاق عدّة رؤوس جديدة من المحاورة عند قطع إحداها، خاصة حينما رأى هو مخلوقاً غريباً ثانياً لسرطان البحر الذي كان سوفسطائياً أيضاً، ويظهر أنّه وصل حديثاً من رحلةٍ بحريّة. وعندما أصبح الحيوان الغريب مزعجاً، منقضّاً عليه من اليسار، فاغراً فاه، عاضّا إياه، عندها استدعى ابن أخيه ايولوس لمساعدته، الذي أسعفه بمقدرة؛ لكن إذا أتى أيولوس الذي يخصني، فسيجعل العمل السيء أسوأ.

ديوروس: والآن بما أنّك أنقذت نفسك من هذا الإلقاء الملحون، هل ستخبرني إذا ما كان أيولوس ابن أخي هرقل أكثر من أنه ابن أخيك.

سقراط: افترض أنّه من الأفضل أن أجيبك، يا ديونيسودوروس، لأنّك ستصرُّ على السؤال ـ ذلك ما أعرفه تماماً ـ وهذا من حسدك لي كي تمنعني من أن أتعلّم الحكمة من يوثيديموس.

ديوروس: أجبني إذن.

سقراط: حسناً إذن، أستطيع أن أجيبك فقط أن أيولوس لم يكن ابن أخي على الإطلاق، بل إبن أخي هرقل؛ وأباه لم يكن أخي يا باتروكلس، لكن ايفيكليس، الذي كان إسمه مثل ذلك على الأصحّ، وكان أخا هرقل.

ديوروس: وهل باتروكلس أخوك.

سقراط: نعم، إنّه أخي من أمّي، وليس من أبي.

ديوروس: إذن هو أخوك وليس بأخيك؟

سقراط: ليس من الأب نفسه، يا رجلي الطيب، لأنّ تشايراديموس كان أباه، وأبي كان سافرونيسكوس.

ديوروس: وهل كان سافرونيسكوس أباً، وتشايراديموس أيضاً؟

سقراط: نعم، السابق كان أبي، واللّاحق كان أباه.

ديوروس: إذن، فتشايراديموس كان غيراً من أب؟

سقراط: غيراً من أبي.

ديوروس: لكن هل كان هو أباً، كونه غيراً من أب؟ أو تكون أنت الشيء نفسه كالحجر؟

سقراط: إنّني لا أعتقد بأنّني حجر بكلّ تأكيد، ومع هذا فأنا أخشى أنّه بإمكانك أن تبرهن بأني حجر.

ديوروس: ألست أنت غيراً من الحجر؟

سقراط: إنّني لكذلك.

ديوروس: وكونك غيراً من حجر، فأنت لست حجراً؛ وكونك غيراً من ذهب، فأنت لست ذهباً؟

سقراط: حقيقي تماماً.

ديوروس: وهكذا تشايراديموس، كونه غيراً من أب ليس أباً؟

سقراط: إفترض أنّه ليس أباً.

[قال يوثيديموس بعد أن استلم المحاورة]: لأنّه إذا كان تشايراديموس أباً، عندئذ فإنّ سافرونيسكوس، كونه غيراً من أب، ليس أباً؛ وأنت تكون بلا أب، يا سقراط؟

[استلم كتاسيبوس المحاورة هنا، وقال]: أوَ لاَ يكون أبوك في الحالة عينها، لأنّه غيرٌ من أبي؟

يوثيديموس: لا بالتأكيد.

كتاسيبوس: إذن فهو يكون الشيء عينه؟

يوثيديموس: إنّه الشيء عينه.

كتاسيبوس: الفكرة لا تسرّني؛ أيكون هو أبي فقط، يا يوثيديموس، أو أنّه هو أبٌ لكلّ الرجال الآخرين؟

يوثيديموس: لكلّ الرجال الآخرين. هل تفترض أنّ الشخص نفسه يكون أباً وليس أباً؟

كتاسيبوس: بالتأكيد، إنّني أتصوّر هكذا.

يوثيديموس: وهل تفترض أنّ الذهب لا يكون ذهباً، وأنّ إنساناً لا يكون إنساناً؟

كتاسيبوس: إنّهمَا لا يكونان « في نسبة مادية » In pari materia، يا يوثيديموس. ومن الأفضل أن تكون حذراً لأنّه يكون شذوذاً لتفترض أنّ أباك هو أبو الجميع.

يوثيديموس: لكنّه يكون أبا الجميع.

كتاسيبوس: ماذا، أب للرجال فقط، أو للأحصنة، ولكلّ الحيوانات الأخرى؟

يوثيديموس: إنّه أبٌ للكل.

كتاسيبوس: وهل أمك أمٌّ للجميع أيضاً؟

يوثيديموس: نعم، ووالدتنا كذلك.

كتاسيبوس: وهل تمتلك أمّك حينئذ ذريّة بَحْرِيَّةً من أولاد الشوارع الأشقياء؟

يوثيديموس: نعم وأمّك أيضاً.

كتاسيبوس: وهل يكون سمك القوبيون النهري وجراء الكلاب وصغار الخنازير إخوتك؟

يوثيديموس: وإخوتك كذلك.

كتاسيبوس: وهل أبوك خنزير بريّ وكلب؟

يوثيديموس: وكذلك أبوك.

ديوروس: سأستخرج قريباً الاعترافات عينها منك، إذا ما كنت ستجيب على أسئلتي، يا كتاسيبوس، هل لديك كلب؟

كتاسيبوس: وكلب وَغْدٌ.

يوثيديموس: وهل له جراءٌ صغيرة؟

كتاسيبوس: نعم، وهي تشبهه إلى حدّ بعيد.

يوثيديموس: والكلب أبوها؟

كتاسيبوس: نعم، إنّني رأيته بالتأكيد يتصل مع أمّ جراء الكلاب الصغيرة.

يوثيديموس: أليس هوَ ملكك؟

كتاسيبوس: إنّه ملكي، لتكن متأكّداً.

يوثيديموس: ما دام الأمر كذلك فهو أبٌ، وهو ملكك؛ إذن، فهو أبوك، وجراء الكلب الصغيرة هي أخوتك.

[وقال ديونيسودوروس مقاطعاً بسرعة، دعني أسألك سؤالاً صغيراً واحداً أكثر، كي لا يتمكن كتاسيبوس من أن يرد على السؤال بكلمة]: هل تضرب كلبك؟

[قال كتاسيبوس ضاحكاً]: إنّني أضربه حقّاً؛ بما أنّني لا أستطيع أن أضربك.

ديوروس: إذن فأنت تضرب أباك؟

كتاسيبوس: عليَّ أن أمتلك سبباً أكثر لأضرب أباك. بماذا كان يفكر هو عندما أنجب هذين الولدين العاقلين؟ إنّ أباكما هذا قد استخرج خيراً كثيراً منكما ومن أخوتكما جراء الكلاب الصغيرة ومن حكمتكما هذه.

ديوروس: لكن لا أنت ولا هو، يا كتاسيبوس، تتملككما أيّة حاجة لخير كثير.

كتاسيبوس: وأنت ألا تتملكك أيّة حاجة لها، يا يوثيديموس؟

يوثيديموس: لا أنا ولا أيّ رجل آخر. وأخبرني الآن، يا كتاسيبوس، إذا ما كنت تعتقدها خيراً أو شرّاً لإنسان يكون مريضاً ليشرب الدواء عندما يريده أو لأن يذهب للحرب مسلّحاً مفضّلاً ذلك على أن يكون أعزلَ من السلاح؟

كتاسيبوس: خيراً. ومع ذلك فأنا أتخيّل بأنّني ذاهب للوقوع في فخ واحدٍ من لُغزكَ الساحرة.

يوثيديموس: ستكتشف ذلك إذا أجبت. بما أنّك تعترف أن الدواء هو خير لإنسانٍ ليشربه عند حاجته، ألا يجب عليه أن يشرب من هذا الشراب الجيّد بقدر ما يمكن؟ أو لن يكون الشيء الفعليّ له إذا ما سُحِق وخُلِط ما مقداره مثقال عربة من نبات الخربق لمنفعته؟

كتاسيبوس: هكذا تماماً، يا يوثيديموس، ذلك لتقول، إذا كان الذي يشربُ كبيراً مثل التمثال الموجود في معبد دلفي.

يوثيديموس: ومع اعتبار أن امتلاك السلاح في الحرب هو شيء جيّد، فيجب عليه أن يحوز عدّة حراب ومجنّات قدر الإمكان؟

كتاسيبوس: حقيقي جداً، وهل تعتقد، يا يوثيديموس، أنّه يجب أن يحوز مجنّاً واحداً فقط، وحربة واحدة؟

يوثيديموس: إنّني أفعل.

كتاسيبوس: وهل ستسلّح جيريون وبراياروس في تلك الطريقة؟ آخذاً بعين الاعتبار أنّك ورفيقك تحاربان في العدّة الحربيّة. إعتقدت أنّك ستعرف أفضل من ذلك .... [هنا يوثيديموس لزم لصمت، لكن ديونيسودوروس عاد إلى جواب كتاسيبوس السابق] وقال: ألا تعتقد أنَّ حيازتك للذهب شيء جيد؟!

كتاسيبوس: نعم، وأكثرُهُ أفضله.

ديوروس: ويجب على الإنسان أن يمتلك أشياء جيّدة على الدّوام وفي كل مكان؟

كتاسيبوس: بدون ريب.

ديوروس: وتعترف أنت بأنّ الذهب شيء جيّد؟

كتاسيبوس: اعترفت بهذا.

ديوروس: أولاً يجب على الإنسان حينئذ أن يحوز على الذهب في كل مكان وعلى الدوام، وبقدر ما يمكنه في نفسه، أو لاَ يمكن اعتباره أسعد الرجال مَن لديه ثلاث « تالِنات » من الذهب في بطنه، « وتالِن »[١٥] في رأسه، وديناراً مدينياً[١٦] في كلا عينيه؟

كتاسيبوس: نعم، يا يوثيديموس، ويحسب السكيثيون أنّ أولئك الذين يمتلكون الذهب في جماجمهم ليكونوا أسعد وأشجع الرجال « إنّ ذلك مثل آخر لأسلوبك الكلاميّ عن الكلب والأب »، وما يبقى أكثر روعة، إنّهم يشربون من جماجمهم الذهبيّة، ويرون ما بداخلها، ويمسكون رؤوسهم بأيديهم.

يوثيديموس: وهل يرى السكيثيون والآخرون ذلك الذي له خاصيّة الرؤية، أو ذلك الذي لا يمتلكها؟

كتاسيبوس: ذلك الذي له خاصيّة الرؤية، بوضوح.

يوثيديموس: وهل ترى أنت ذلك الذي له خاصيّة الرؤية؟

كتاسيبوس: نعم، إنّني أفعل.

يوثيديموس: إذن، هل ترى أنت ملابسنا؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: إذن، فملابسنا لها خاصيّة الرؤية؟

كتاسيبوس: الأكثر تأكيداً.

يوثيديموس: ماذا تعني؟

كتاسيبوس: فقط أنّه يمكنك لربّما أن تتصوّر في براءتك أنّها لا تمتلك رؤية. « أنّك

لا تراها ». إنْ هكذا، يا يوثيديموس، فأنت تبدو لي أنّك أُخذت على حين غرة عندما لم تكن نائماً، وأنّه إذا كان ممكناً لتتكلم ولتقول لا شيء ـ إنّك فاعل هكذا.

ديوروس: أوَلاَ يمكن وجود متكلم الصمت.

كتاسيبوس: مستحيل.

ديوروس: أو صمت المتكلّم؟

كتاسيبوس: يبقى ذلك أكثر استحالة.

ديوروس: لكنّك عندما تتكلم عن الأحجار، والأخشاب، القضبان الحديدية، ألا تتكلم عن الصامت؟

كتاسيبوس: ليس حينما أمُرُّ أمام دكّان الحدَّاد، لأن القضبان الحديدية ستبعث حينها ضجة هائلة وصيحة عالية إذا لُمِسَت. وهكذا فإنّ حكمتك قادتك هنا إلى غلطة كبيرة. أخبرني، من فضلك على كل حال، كيف يمكنك أن تكون صامتاً عندما تتكلم [ظننتُ أن كتاسيبوس كان مُستَحَثَّاً على بذل أقصى جهده بسبب وجود كلينياس].

يوثيديموس: عندما تكون صامتاً، ألا يكون ذلك صمتاً لكل الأشياء؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: لكن إذا كانت الأشياء المتكلِمة مُشتَمَلةً في كل الأشياء، يوجد حينها صمت للأشياء المتكلِمة؟

كتاسيبوس: ماذا، ألاَ تكون كلّ الأشياء صامتة عندئذ؟

يوثيديموس: لا بالتأكيد.

كتاسيبوس: إذن، يا صديقي الطيب، هل تتكلّم كلّها؟

يوثيديموس: نعم، تلك التي تتكلّم.

كتاسيبوس: لا، لكن السؤال الذي أسأله هو ما إذا كانت كل الأشياء صامتة أو أنّها تتكلّم؟

ديوروس: لا هذا وكلاهما، مقاطعاً بسرعة؛ إنّني متأكّد بأنّك ستكون « مرتبكاً » في ذلك الجواب.

[هنا كتاسيبوس، وكما كان تصرفه، انفجر في قهقهةٍ من الضحك؛ وقال إنّ أخاك هذا، يا يوثيديموس، قد أوصل جوابه إلى الغموض. إنّ كلّ شيء انتهى معه. أبهج هذا الكلام كلينياس، الذي جعل ضحكة كتاسيبوسَ أكثر صخباً بعشر مرات. لكنّني لم أستطع إلاّ أن أعتقد بأنّ المحتال وجب أنه إلتقط هذه الإجابة منهما لأنه لم يوجد أية حكمة كحكمتهما في زمننا]. وقلت أنا لكلينياس: لماذا تضحك، يا كلينياس، على أشياء جليلة وجميلة كهذه؟

ديوروس: لماذا، يا سقراط، ألم ترَ أبداً شيئاً جميلاً؟

سقراط: نعم، يا ديوروس، إنّني قد رأيت العديد منها.

ديوروس: هل كانت هي غيراً من الجميل، أو الشيء عينه كالجميل؟

[والآن كنت في مأزقٍ كبير لأجيب على هذا السؤال واعتقدت بأنّني كنت أدّيت عملاً حقيقياً لو لم أفتح فمي على الإطلاق. وقلت على كلّ حال، إنّها ليست الشيء عينه كالجمال المطلق، لكنّها تمتلك جمالاً موجوداً في كلٍّ منها].

ديوروس: وهل أنت ثور إذا وجد ثور معك، أو أنت ديونيسودوروس لأنّني أنا حاضر معك؟

سقراط: لا سمح الله.

ديوروس: لكن كيف سيكون شيءٌ واحدٌ شيئاً آخر، بسبب أنّ شيئاً واحداً كونه موجوداً معه؟

سقراط: أتكون تلك صعوبتك؟ [فأنا ابتدأت لأقدّر براعتهما التي عقدت العزم عليها].

ديوروس: طبعاً، أنا وكلّ العالم نكون في صعوبة بشأن اللاوجود.

سقراط: ماذا تعني، يا ديونيسودوروس؟ ألا يكون الشريف شريفاً والدنيء دنيئاً؟

ديوروس: يكون ذلك كما يسرّني.

سقراط: وهل تُسرّ؟

ديوروس: بدون ريب.

سقراط: وهل ستعترف أنّ الشيء عينه يكون الشيء عينه، وأنّ الغير غيرٌ؛ لأنّ الغير لا يكون الشيء عينه بكلّ تأكيد. عليّ أن أتصوّر أنّه حتّى الطفل سينكر بصعوبة أنّ الغير يكون غيراً. غير أنّي أعتقد، يا ديونيسودوروس أنّك تجنَّبت الإجابة على السؤال الأخير عن قصد. وبشكل عامّ فأنت وأخوك تبدوان لي عاملين بارعين في فرعكما الخاص، وأنّكما تعملان عمل عالِم الجدل بشكل ممتاز.

ديوروس: ما هو عمل العامل البارع؟ أخبرني، أوّلاً، لمن يكون العمل بالمطرقة؟

سقراط: للحداد.

ديوروس: ولمن صناعة القدور؟

سقراط: للخزّاف.

ديوروس: ومن يذبح ويسلخ ويفرم ويسلق ويشوي؟

سقراط: الطاهي.

ديوروس: وإذا فعل إنسان عمله فهو يفعله على نحوٍ ملائم؟

سقراط: بالتأكيد.

ديوروس: ويكون عمل الطاهي ليقطِّع ويسلخ؛ إنّك اعترفت بهذا؟

سقراط: نعم، اعترفت بذلك، لكن ينبغي عليك أن لا تكون قاسياً عليّ.

ديوروس: إذن، إذا كان شخص ما ليذبح، يفرم، يسلق، ويشوي الطبخ، فسيعمل عمل الطبّاخ. وإذا كان هو يضرب الحداد بالمطرقة ويصنع من الخزّاف قِدراً فسيعمل هو عملهما؟

سقراط: يا سماء ويا أرض! أهذه قمّة حكمتكما حقاً! وهل أستطيع أن آمل في امتلاك حكمة كهذه؟

ديوروس: وهل ستكون قادراً، يا سقراط، على أن تدرك هذه الحكمة عندما تصبح ملكك؟

سقراط: بالتأكيد إذا سمحت لي.

ديوروس: ماذا، هل تعتقد بأنّك تعرف ما هو خاصّ بك؟

سقراط: نعم، إنّني أفعل، ويتوقّف ذلك على تصحيحكما؛ فأنت القاعدة، ويوثيديموس هو القمّة، لكلّ حكمتي.

ديوروس: أليس ما تعتبره خاصّاً بك، هو ما تمتلكه بقوّتك الخاصة، والذي ستكون قادراً على أن تستعمله كما سترغب؟ كمثال، ثورٌ، وحملٌ تستطيع بيعه أو تهبه والتضحية به لأيّ إله تريد ـ ألن تعتقد أنّ ذلك ملكك، وإذا لم تكن لك تلك السلطة عليه فلن تعتقد أنّه خاص بك؟

سقراط: نعم، قلت له [لأنني كنت متأكّداً من أنّ شيئاً ما صالحاً سيُنجز بقوة بهذه الأسئلة، التي نفد صبري كي أسمعها]؛ نعم؛ تلك الأشياء فقط هي ملك لي.

ديوروس: وهل ستعني بالحيوانات المخلوقات الحيّة؟

سقراط: نعم.

ديوروس: توافق إذن، أنّ تلك الحيوانات تخصك فقط والتي بها تمتلك القوّة لتفعل كلّ هذه الأشياء التي سمّيتها لتوّي؟

سقراط: أوافق.

ديوروس: [بعدئذ، وبعد صمتٍ فنيٍّ مؤقت، تصنّع أثناءه الاستغراق في تأمّلٍ روحيٍ لشيء عظيم ما]، قال: أخبرني، يا سقراط، هل لديك سَلَفٌ لزيوس؟ [ظننت أنّ هذه هي الحركة الأخيرة، وخامرني الشعور بهذا الوقت

مثل الشخص الذي وقع في الشرك، والذي أطلق التواءً يائساً ذلك كي يتمكن من الإفلاتِ]، قلت: لا، يا ديونيسودوروس، إنّني لا أمتلك.

ديوروس: أيّ رجل بائس يجب أن تكون عندئذ أنت لست أثينياً على الإطلاق إذا لم يكن عندك أسلاف آلهة أو هياكل أو أيّة علامة أخرى لنبل المحتِد.

سقراط: بلطفٍ، من فضلك، وعامل تلميذك بخشونةٍ أقلّ؛ إنّني أمتلك هياكل ومعابد في نطاق الدين محليَّةً ووراثيَّة، وكل ذلك الذي يحوزه الأثينيون الآخرون.

ديوروس: ألا يمتلك الأثينيون سلفاً لزيوس؟

سقراط: لا يوجد ذلك الاسم بين الأيونيين، سواء كانوا مستعمرين من قِبَل أثينا أو مواطنين فيها؛ هناك سلف لأبولو، الذي يكون أباً لإيون، وعائلة زيوس، وزيوس حارس العشيرة، وأثينا حارسة العشيرة. لكن إسم سلف زيوس غير معروف من قِبَلِنا.

ديوروس: لا بأس، فأنت اعترفت أنّ عندك أبوللو، زيوس، وأثينا؟

سقراط: بالتأكيد،

ديوروس: وهم آلهتك؟

سقراط: نعم، أسلافي وأسيادي.

ديوروس: على كل حال هم ملكك، ألم تعترف بذلك؟

سقراط: إنّني فعلت؛ ماذا يمكن أنْ يحدث لي؟

ديوروس: أليس هؤلاء الآلهة حيوانات؟ فأنت اعترفت أنّ كلّ الأشياء التي تمتلك حياة هي حيوانات؛ أو لاَ يمتلك هؤلاء الآلهة حياة؟

سقراط: إنّهم يمتلكون حياة.

ديوروس: إذن، هم ليسوا حيوانات؟

سقراط: إنّهم حيوانات.

ديوروس: واعترفت أنت أنّ الحيوانات تلك هي ملكك تستطيع أن تهبها أو تبيعها أو تقدمها تضحية لأيّ إلهٍ يسرُّك؟

سقراط: إعترفت بذلك، يا يوثيديموس، وليس عندي أيّ طريق للهرب.

يوثيديموس: أخبرني في الحال إذن، إذا اعترفت أنّ زيوس والآلهة الآخرين هم – ملكك، فهل تقدر أن تبيعهم أو تهبهم أو تفعل بهم كما ستفعل بالحيوانات الأخرى؟

سقراط: [أُصِبتُ بهذا بالبَكَم تماماً، يا كريتون، وصرت منهكاً. وأتى كتاسيبوس لإنقاذي ممّا أنا فيه].

كتاسيبوس: مرحى، يا هرقل، شجاعة كلماتك.

ديوروس: مرحى هرقل، أو يكون هرقل مرحى؟

كتاسيبوس: يا للسماء! ما هذه الألمعيّة! إنّني لن أسألهما أي شيء، إنَّ الثنائي لا يغلب.

بعدئذ، يا عزيزي كريتون، وُجِدَ استحسانٌ شامل للمتكَلِميْن ولكلامهما، وكان الحاضرون منهكين بالضحك والغبطة والتصفيق تقريباً؛ لأنّه حتى الآن فإنّ المعجبين بيوثيديموس هتفوا فقط « والذي فعلوه بامتياز » عند كلّ ضربة ناجحة. لكن الآن كانت وكأنَّ الصفوف الطويلة في قاعة المناقشات العامّة استحسنت ما قاله الثنائي في فرحٍ جَذِلٍ. كنت متأثّراً بنفسي لهكذا درجة، لذلك ألّفت خطاباً، اعترفت فيه بأنّني لم أرَ مثلهما في الحكمة؛ إنّي كنت خادمهما المخلص، وشرعت في الثناء عليهما والإعجاب بهما. يا أيّها الثنائي المحترم، قلت لهما، هكذا الموهوبان بالطبيعة وبشكل مدهش كي تنالا هذا الكمال العظيم في وقت قصيرٍ كهذا! هناك شيء كثير في كلماتكما لأُعجب به حقاً، يا يوثيديموس وديونيسودوروس، لكن لا يوجد أيّ شيء أكثر رفعة من عدم اعتباركما الإجمالي لأيّ رأي - سواء كان للكثرة أو

للسادة الهامِّين المبجَّلين - إنّكما تعتبران أولئك الذين يشبهونكما. وإنّني أعتقد من غير ريب بأنّه يوجد القليل جدّاً من أمثالكما، والذين سيوافقون على محاوراتٍ كهذه. إنَّ أغلبية الجنس البشري جاهلون بقيمتها، وإنّهم سيكونون بالتأكيد أكثر خجلاً لاستعمَالها في دحض الآخرين من أن يُدحضوا بها. إنّي أرى أيضاً ميزة أخرى - نوعاً من الشعور الديموقراطي العطوف، عندما تنكران كل الفوارق، سواء كانت للخير أو الشرّ، الأبيض والأسود، أو لأيّ شيء آخر. والذي تكون نتيجته، كما تقولان، أنّ كلّ فم يكون مغلقاً، ولا يُستثنى من ذلك فمكما الذي يتبع مثال الآخرين ببشاشة حقيقية؛ وهكذا تُزال كل أرضيَّة دفاعيَّة. لكن ما يظهر لي أنّه أكثر من كل هذا، وهو أنّ هذا الفنّ وهذا الاختراع الخاصَّيْن بكما أنتما قد استنبطماه وبهكذا إبداع، وأنكما تستطيعان نقله لأيّ شخص في وقت قصير جداً. إنّني لاحظت أنّ كتاسيبوس تعلَّم تقليدكما بدون أي عناء. والآن فإنّ براعتكما في هذه الناحية باهرة، لكنها ليست مناسِبةً لشرحٍ عامّ. إذا قبلتما نصيحتي فسوف تتحاشيان الاجتماعات الحاشدة التي يمكن للذين يحضرونها أن ينسوكما ويشكروكما إذا تعلّموا بسرعة. إنّها ستكون أفضل إذا قصرتما المحادثة على نفسيكما. لكن إذا وجب أن يكون هناك حضور، فالذي يعتزم أن يدفع لكما أتعاباً دعاه يحضر فقط - ينبغي عليكما الانتباه لهذا - وإذا كنتما عاقلين، فستأمران أتباعكما أيضاً أن لا يتحادثوا مع أيّ انسانٍ إلا معكما ومع أنفسهم، لأنّ ما يكون نادراً يكون ثميناً، و« الماء » الذي قال بيندار إنّه « أفضل الأشياء كلّها » هو الأرخصُ أيضاً. والآن ما عليَّ إلاَّ أن ألتمس منكما بأن تقبلاني وكلينياس بين تلاميذكم.

هكذا كانت المباحثة، يا كريتون؛ وبعد أن تحدّثنا بكلماتٍ قليلة ذهب كلٌّ منا في طريقه. آمل أنّك ستذهب إليهما معي، بما أنّهما يقولان بأنّهما قادران

على أن يعلّما أيّ شخص يدفع لهما بدل أتعابهما؛ وليس العمر ولا الافتقار للقدرة العقلية عائقاً لامتصاص حكمتهما بسهولة. ويجب عليَّ أن أردِّد أنَّ تعليم فنّهما لا يتعارض مطلقاً مع عمل حيازة المال.

كريتون: بحق، يا سقراط، مع أنّني محبّ للاستطلاع وجاهز لأتعلّم، ومع ذلك فأنا أخاف من أنّني لست من العقلية عينها التي ليوثيديموس، لكنّ من النوع الآخر الذي كما كنت قائلاً، سيفضِّل أن يُنقض بهكذا محاورات من أن يستعملها لنقض الآخرين، ويمكن أن أكون مضحكاً مع ذلك في المجازفة لأحذِّرك بشأن هذا. أعتقد أنّه يمكنك أن تسمع أيضاً ما قيل لي من قِبَل إنسانٍ ذي حججٍ جديرةٍ بالاعتبار تماماً ـ كان متخصصاً في الخطابة الجدليّة ـ ابتعد عنك وأتى إليَّ بينما كنت أتمشى صعوداً ونزولاً، قال لي: « يا كريتون، ألا تنتبه لهذين الرجلين الحكيمين؟ » قلت له: « لا، حقاً، إنّني لم أستطع الاقتراب منهما لأسمعهما ـ كان هناك جمهورٌ كبير ». أجاب: « لو قدرت على الدنوّ منهما لكنت سمعت شيئاً جديراً بالسماع ». قلت له: « وماذا كان ذلك؟ » أجابني: « كنت سمعت أهمّ المعلّمين في فنّ علم المنطق يتباحثان ». قلت: « وماذا فكرت عنهما ». أجاب: « ماذا فكرت عنهما؟ » ـ « إنّ بحثهما كان نوعاً من البحث الذي يمكن لواحد أن يسمعه في أيّ وقت من رجلين كهذين الناطقين بالهراء، محدِثَيْن ضجة كبيرة لأمرٍ تافه ». كان هذا هو التعبير الذي استعمله في وصفهما. قلت له: « إنّ الفلسفة شيء رائع، بكلّ تأكيد ». قال هو: « رائع، أيّة بساطة تتكلّم بها؟ إنّ الفلسفة هي لا شيء. وأعتقد أنّك لو قد حضرت لأستحيت بصديقك ـ إنّ تصرّفه كان غريباً جداً لوضع نفسه تحت رحمة الرجلين اللذين لا يعتنيان بما يقولان ويمسكان كلّ كلمةٍ تقال بإحكام. فهذان، كما أخبرتك، يُفترض أنّهما الأستاذان الأكثر شهرة في عصرهما. لكنّ الحقيقة،

يا كريتون، أنّ الدراسة عينها والرجال الذين يتابعونها هم حقيرون ومضحكون ». والآن يبدو لي أنّ توجيه اللوم لهذا الاهتمام، يا سقراط، سواء أتى منه أو من الآخرين، يبدو لي أنّه غير مُستَحَقّ؛ لكن بالنظر إلى عدم التناسب لعقد محادثة عامّة مع هكذا رجلين، أعترف أنّه كان على حقّ هناك، في رأيي.

سقراط: إنّ رجالاً كهذين الرجلين هم مذهلون، يا كريتون! لكن ماذا كنت ذاهباً لأقول؟ دعني أعرف قبل كلّ شيء، أيّ نوع من الإنسان كان الذي أتى إليك ولام الفلسفة؛ أكان هو الخطيب نفسه الذي يمارس الخطابة في محاكم العدل، أو معلم الخطابيّين الذين يؤلفون الخُطب والتي بها يحاربون؟

كريتون: إنّه ليس خطيباً بالتأكيد، وأشكّ أنّه كان في محكمة قطّ؛ لكنّهم يقولون إنّه يجيد هذا العمل، وهو رجل حاذق ويؤلّف خطباً حسنة الأفكار.

سقراط: أفهم الآن، يا كريتون؛ أنّه واحد من النوع الذي كنت على وشك أن أذكره ـ واحد من أولئك الذين يصفهم بروديكوس وكأنّهم على الحد الفاصل بين الفلاسفة ورجال الدولة ـ هم يعتقدون بأنّهم أعقل الرجال كلّهم، وأنّهم مميّزون بشكل واسع؛ لا يؤمنون بشيء، لكن المخاصمة للفلاسفة تمنع هذا الاعتراف من أن يصبح شاملاً. وهكذا فهم من الرأي القائل أنّهم إذا استطاعوا أن يبرهنوا أنّ الفلاسفة لا يصلحون لشيء فلا أحد يقدر على معارضة لقبهم للفوز بالحكمة لأنّهم هم أنفسهم الأعقل حقّاً، مع ذلك فهم مُعرّضون لأن يُعامَلوا من قِبل يوثيديموس وأصدقائه بخشونة ووحشيّة عندما يُمسكون بهم في محادثة. إنّ هذا الرأي الذي يتسلّون به عن حكمتهم الخاصة يكون طبيعيّاً؛ يبدو أنّه طبيعي جدّاً ومعقولٌ لأن يضمّوا مقداراً محدّداً من الفلسفة ومقداراً من السياسات؛ وهم يجادلون أنّهم يمتلكون كفاية منهما كليهما. وهكذا فهم يبتعدون عن طريق كلّ المخاطر والنزاعات ويجنون أطايب حكمتهم.

كريتون: هل تعتقد أن هناك شيئاً فيما يقولون، يا سقراط؟ هناك شيء ما مموّه في آدّعائهم ذلك بكلّ تأكيد.

سقراط: نعم، يا كريتون، هناك تمويه أكثر من الحقيقة؛ إنّه لا يمكن جعلهم يفهمون طبيعة المتوسطات. إنّ كلّ الأشياء أو الأشخاص الذين يكونون وسطاً بين شيئين آخرين، ويشتركون فيهما كليهما ـ إذا كان واحد من هذين الشيئين صالحاً والآخر طالحاً. فهم أفضل من أحدهما وأسوأ من الآخر. لكنهم إذا كانوا في وسطٍ بين شيئين صالحين لا يميلان نحو الغاية عينها، فإنّهم سيقصّرون عن كلا المبادىء المركّبة في الحصول على غايتهما. إنّ المركّب يكون أفضل من عنصريه المركّبين فقط في الحالة التي يكون فيها هذان العنصران المركّبان سيّئين ولا يميلان نحو الغاية عينها. والآن، إذا كانت الفلسفة والأعمال السياسية كلاهما صالحين، لكنّهما يميلان إلى غاياتٍ متباينة، والأشخاص الذين نتكلّم عنهم يشتركون فيهما كليهما، وهم في وسط بينهما، حينئذ فهما يكونان متكلمين بإسفاف لأنّهما أسوأ منهما كليهما. أو إذا كان أحدهما صالحاً والآخر طالحاً، فهما أفضل من أحدهما وأسوأ من الآخر. لكن على افتراض أنّ كلاً منهما يكون شرّاً يمكن أن توجد حقيقة فيما يقولان فقط. إنّني لا أعتقد بأنّهم سيعترفون إمّا أن تكون ملاحقتهما شراً، أو أن يكون أحدها شرّاً والآخر خيّراً؛ غير أنّ الحقيقة هي أنّ هؤلاء الفلاسفة ـ السياسين الذين يتبعونهما كليهما يقصّران عنهما كليهما في الحصول على الغايات التي تعطي قيمة للسياسات والفلسفة، كلّ بحسب ذكره، وهم يُرتّبون في المركز الثالث حقيقة برغم أنّهم سيحبّون أن يُنسّقوا كأوّل. لا حاجة، على كل حال، لتكون غاضباً على طموحهم هذا الذي يمكن الصفح عنه؛ لأنّه يجب على كل إنسانٍ أن يحبّ من يقول ويتعقّب ويحقّق في أيّ شيء يتاخم الحكمة. في الوقت عينه سنفعل جيّداً لنراهم كما هم حقاً.

كريتون: أخبرتك غالباً، يا سقراط، بأنّني في حَرَجٍ دائم بشأن ولديَّ، ماذا سأفعل بهما؟ لا عجلة بخصوص الأفتى الذي ما يزال طفلاً فقط؛ لكن الآخر، كريتونبولوس، يكبر وهو بحاجة لشخصٍ ما يحسنه. إنّي لا أستطيع إلاَّ التفكير، عندما أسمعك تتكلّم، أنّ هناك نوعاً من الجنون في العديد من قلقنا بشأن أطفالنا. في المقام الأوّل، بخصوص اقترانهما بزوجةٍ ذات عائلة صالحة لتكون أمّاً لهما، وبعدئذ بشأن جمع المال لهما ـ ومع هذا عدم عنايتنا بخصوص تعليمهم. لكن مرّة ثانية، عندما أتأمّل مليّاً أيّاً من أولئك الذين يدَّعون بأنّهم يعلّمون الآخرين، فإنّني أتعجّب. إذا تكلّمت يمكنني أن أصرّح لك بالحقيقة، كلهم يبدون لي أنّهم مخلوقات فاحشة. وهكذا فإنّي لا أعرف كيف أستطيع أن أنصح الشباب ليدرسوا الفلسفة.

سقراط: يا عزيزي كريتون، ألا تعرف أنّ في كلّ مهنة يوجد النوع الأسوأ هم كثرة ولا يصلحون لشيء، وأنّ الصالحين قلّة وليس لهم ثمن. كمثال، أليست الألعاب الرياضيّة وعلم الكلام واكتساب الثروة وفنّ القائد العسكري، أليست فنوناً نبيلة؟

كريتون: إنّها لكذلك بالتأكيد، في حكمي.

سقراط: حسناً، أوَ لاَ ترى أنَّ في كلٍّ من هذه الفنون تكون الغالبية العظمى ممثلين مضحكين؟

كريتون: نعم، حقّاً، تلك هي حقيقة تامّة.

سقراط: وهل ستتجنّب كل هذه الملاحقات لهذا السبب وترفض أن تسمح بها لولديك؟

كريتون: سيكون هذا معقولاً، يا سقراط.

سقراط: كن معقولاً، يا كريتون، ولا تهتمّ سواء أكان أولئك الذين يتعقبون الفلسفة أخياراً أو أشراراً، بل فكِّر في الفلسفة عينها فقط. إختبرها جيداً

وبحقّ، وإذا كانت سيّئة، حاول أن تبعد كل الرّجال عنها، وليس ولديك فقط. لكن إذا كانت كما أعهد منها، فاتبعها عندئذ واخدمها أنت وكل أهل بيتك، كما يكون القول المأثور، وكن سعيداً.

محاورة مينَون

افكار المحاورة الرئيسيَّة

يبدأ مينون المحاورة بسؤال سقراط، إذا ما كانت الفضيلة تُكتسب بالتعليم أو بالممارسة، وإذا كانت لا تُنالُ بكليهما، سواء أأتت إلى الإنسان بالطبيعة عندئذ، أو أنّها تكتسب بأيّة طريقة أخرى. أجابه سقراط: كيف أستطيع إجابتك على أسئلتك، يا مينون، عندما لا أعرف ما هي الفضيلة حرفياً، وأقلّ من ذلك بكثير إذا كانت تُكتسب بالتعليم أوْ لاَ. وأعترف لك بأنّني لا أعرف ما هي الفضيلة بادىء ذي بدء كي أجيبك على سؤالك. أوَ لم تقابل أبولوجي، يا سقراط، عندما كان في أثينا؟ أوَ لم تعتقد بأنّه عرف ذلك؟ أجرؤ على القول، يا مينون، بأنّه يعرف وأنك تعرف ما قاله. ذكّرني، من فضلك بتعريفه للفضيلة، لأنّي أشتبه بأنّكما تفكران بشأن ذلك بشكل متشابه، وسأجد نفسي محظوظاً إذا كنت أنا مخطئاً، وظهرت أنت وأبولوجي أنّكما تمتلكان هذه المعرفة بحقّ.

لا صعوبة في الإجابة على سؤالك، يا سقراط. توجد فضيلتان، فضيلة للرّجل وأخرى للمرأة. واجب الأول معرفته بإدارة الدولة، وفي إدارتها سينفع أصدقاءه ويؤذي أعداءَه. وعليه أن يكون محترساً بأن لا يقاسي هو نفسه الأذى. أمّا المرأة، فواجبها أن تنظّم عائلتها وأن تحافظ على ما في داخل بيتها بشكلٍ مناسب، وأن تطيع زوجها. إنّ لكل عمرٍ، لكل حالةٍ في الحياة، للشاب أو للرجل المسن، للذّكر أو للأنثى، للعبد أو للحرّ، لكلٍّ فضيلةً مختلفةً. توجد فضائل لا تحصى، وبالتالي توجد صعوبة بشأن تعريفاتها، لأنّها توجد فضيلة ذات صلة بأعمال وأعمار كلٍّ منا في كل ما نفعل، وأحسب أنّه يمكن قول الشيء عينه عن الرذيلة، يا سقراط.

كم أنا محظوظٌ، يا مينون، عندما أسألك عن فضيلةٍ واحدة، تقدّم لي أسراباً

منها. إفترض أنّني أحمل صورة السّرب، وأسألك، ما هي طبيعة النحل؟ وتجيب أنت، أنّ هناك عدة أنواع مختلفة منه. ورددت أنا عليك: لكن هل توجد أنواع مختلفة من النحل بسبب أنّها تختلف بوصفها نحلاً؛ أو أنّها تتباين بوصفها كذلك. هل هي تتميّز عن بعضها بشيءٍ ما آخر، بنوعيّةٍ ما كالجمال، أو الحجم، أو علامة مميّزة أخرى كتلك؟ فكيف ستجيبني؟

سأجيبك، يا سقراط، أنّ النحل لا يختلف عن بعضه بعضاً بوصفه نحلاً. وسأسألك بالتالي: ما هي النوعية التي لا يتباين النحل فيها، بل يكون كلّه متشابهاً، يا مينون، فمن المفترض أنّك ستقدر على أن تجيب على سؤالي. وهكذا أريدك أن تجيبني عن الفضائل، مهما يمكن أن تكون عديدة ومتباينة، فإنّ لها كلها شكلاً مشتركاً يجعلها فضائل. وعلى هذا فإنّ مَن سيجيب على هذا السؤال، « ما هي الفضيلة؟ » سيفعل جيّداً إذا ركّز عينه على الهدف. هل تفهم؟

إنّني بدأت أفهم، يا سقراط. لكنّي لم أستوعب سؤالك حتى الآن كما أتمنى وأرغب.

سأوضح لك ما أعنيه، عندما تقول إنّه توجد فضيلة للرجل، وأخرى للمرأة، وهكذا دواليك. هل ينطبق هذا على الفضيلة فقط، أو هل أنّك ستقول الشيء عينه عن الصحّة والحجم والقوة الجسديّة؟ أو هل تكون طبيعة الصحة هي الشيء عينه، سواء كانت للرجل أو المرأة؟

أجيبك، يا سقراط، أنّ الصحّة هي الشيء عينه، في الرجل والمرأة كليهما. أليست الفضيلة، يا مينون، كفضيلة، هي الشيء عينه سواء كانت في طفلٍ أو في رجلٍ مسنّ، في امرأةٍ أو في رجل؟

لا أقدر إلاّ أن أشعر، يا سقراط، أنّ هذه الحالة مختلفة عن الحالات الأخرى. لكن ماذا، يا مينون، ألم تقل إنّ فضيلة الرجل كانت لتنظّم الدولة، وكانت فضيلة المرأة لتنظّم بيتها من الداخل؟ أوَ يمكن لكلا البيت والدولة أو لأيّ شيء آخر أن

يُنظِّم جيداً بدون الاعتدال وبدون العدل؟ وما دام الرجل أو المرأة لا يستطيعان أن ينظِّما أيّ شيء بدون العدل والاعتدال، يجب أن يمتلكا هذه الفضائل إذا ما قدر لهما أن يكونا صالحَين، وليس مفرطَيْن أو ظالمَيْن. لذلك فكل المخلوقات الإنسانيّة تكون صالحة بالطريقة عينها، وتصبح صالحة بامتلاك الفضائل نفسها أيضاً، ولا يمكنهم أن يكونوا أخياراً إلاَّ إذا كانت لهم هذه الفضائل. نعم، نعم، يا سقراط، لا يمكنهم بدون ذلك.

والآن، يا مينون، فإنّ الشيء عينه للفضائل قد تمّت برهنته، حاول وتذكّر ما قاله أبولوجي، وأنت معه، بأنَّ الفضيلة تكون.

ذلك ما أريده بحقّ، لكن تأمّل، يا مينون، هذه النقطة الأساسية، هل تقدر أو يمكن للفضيلة كما تعرّفها الآن أن تكون فضيلة طفلٍ أو عبد؟ هل يستطيع الطفل أن يحكم أباه، أو العبد سيّده؟ وهل سيكون من حكم عبداً بعد اليوم؟ أوَلاَ ينبغي أن نضيف للعبارة التي قلتها أنت « قوة الحكم »، نضيف عبارة مهمة وهي « بعدل وليس بظلم ». وبعد أن قلت لي إنّ الفضائل هي الشجاعة والاعتدال والعدل والحكمة وطرق الحياة النبيلة، وإنّ هناك فضائل عديدة أخرى، وبعد أن كنّا باحثين، يا مينون، عن فضيلة واحدة وجدنا منها فضائل متعدّدة، ومع ذلك ليس في الطريقة عينها كما وجدناها قبلاً، ولم نقدر أن نجد الفضيلة المشتركة لها جميعاً؛ وبعد أن بحثنا سويّاً في الأشكال والألوان والهندسة المجسّمة والمسطحة، وحدَّثتُ لك معنى الشكل واللون، وذلك بعد وعدك لي بأنّك ستقول ما هي الفضيلة بكلمة واحدة ونهائيّة وفي شكل شامل، وأن لا تجعل المفرد في الجمع، بدل أن تبقي على الفضيلة كلاًّ وسليمة حينما تخبرني عن طبيعتها، ولقد أعطيتك النموذج.

حسناً، يا سقراط، إنّ الفضيلة كما أظنّها، هي أنّه عندما يرغب إنسانٌ الأشياءَ التي تكون جميلة؛ أن يكون قادراً على أن يزوّد نفسه بها. هكذا يقول الشاعر،

وأردِّدُ أنا أيضاً أنّ « الفضيلة هي رغبة الأشياء الجميلة، مع القدرة على نيلها ».

لكن، يا مينون، ألا يتمنى الخيرَ أيضاً مَنْ يرغب الأشياء الجميلة؟ وأنّ الكلّ يريدون الخير، حتى رغم جهلهم بطبيعته؟ وبعد كل الذي بحثناه فلقد ظهر أنّ الفضيلة هي القدرة على نيل الخير، وأنّ الخير طبقاً لك، هو الصحّة والثروة، وامتلاك الذهب والفضة، وحيازة المنصب والشرف في الدولة. لكن هل تعتقد، يا مينون، أنّ هذه يجب أن تكتسب بالتقوى والعدل؟ إذن، فإنّ العدل أو الاعتدال، أو التقوى أو جزءاً ما من الفضيلة، يجب أن يلازم نيلها، وبدونها لن يكون مجرّد حيازة الخيرات فضيلة. لكنك بعد أن قدَّمت لي كلّ الاعترافات ظهرت بأنّك لم تفِ بوعدك، بل عرضت الفضيلة مجزَّأةً وقطعاً، وما عليَّ إلاَّ أن أسألك مرّة أُخرى لتشرح ما هي الفضيلة، وما هي طبيعتها؟

أوه، يا سقراط، تعوَّدت أن أُخبرَ عنك، قبل أن أعرفك،بأنّك تشكّك بنفسك دائماً وتجعل الآخرين يشكّون بأنفسهم. والآن فأنت تلقي عليَّ بسحرك، ولقد أصبحت مسحوراً ومفتنًّا بك بكلّ بساطة، وفي نهاية ذكائي. وإذا ما أمكنني المغامرة كي أداعبك، فأنت تبدو لي في مظهرك وفي سلطتك على الآخرين مثل سمك الرعّاد الكهربائي الذي يخدِّر الذين يقتربون منه ويلمسونه، تماماً مثلما خدَّرتني الآن، وكما أعتقد ذلك، لأنّ روحي ولساني مخدَّرين تماماً؛ وأنا لا أعرف كيف أجيبك، ومع هذا فإنني قد ألقيت العديد من الخطب المتنوعة اللّامحدودة عن الفضيلة قبل الآن، ولأشخاصٍ عديدين، وكانت خطباً جيدة جداً، كما اعتقدت. غير أنّني في هذه اللحظة لا أستطيع حتى أن أقول ما هي الفضيلة. وأعتقد بأنّك حكيم جداً في عدم ترحالك وسفرك من موطنك الأثيني، لأنّك إذا فعلت في الأماكن الأخرى ما تفعله في أثينا، فستُرمى في السجن كساحر.

إذا كانت سمكة الرعّاد الكهربائيّة نفسها خدرةً، كما أنها سبب الخدَر في الآخرين، فإنّني أكون حينها هكذا حقّاً، يا مينون، لكن ليس من نوعٍ آخر. فأنا

أربك الآخرين، ليس لأنّني لست واضحاً، بل بسبب ارتباكي الذاتي. والآن فأنا لا أعرف ما هي الفضيلة، وتبدو أنت لي أنّك في الحالة عينها، برغم أنّك عرفت مرّة لربما قبل أن تلمسني. ومع ذلك فليس لديَّ اعتراض كي أنضمَّ إليك في البحث والتحقيق.

وكيف ستتحرّى، يا سقراط، ذلك الذي لا تعرف عنه أيّ شيء على الإطلاق؟ أين تتمكّن من إيجاد نقطة انطلاق في منطقة المجهول؟ وحتى إذا حدث أنّك أصبحت ممتلئاً بما تريد، كيف ستعرف أنّ هذا هو الشيء الذي لم تعرفه؟

إنّني أعرف، يا مينون، ما تعنيه؛ لكن أنظر أيّ جدالٍ تامّ تدخله في المناقشة. تحاور أنت أنّ إنساناً لا يستطيع أن يبحث لا بشأن ذلك ما يعرف، ولا بشأن ما لا يعرف لأنّه إذا عرف فلا حاجة للبحث. وإذا جَهِل، فلا يستطيع أن يبحث لأنّه لا يعرف الموضوع المحدَّد الذي سيبحث فيه. وفي كلا الحالين فأنا لا أعتقد بأنّ حجّتك سليمة، لأنني سمعت كهنة وكاهنات جاهدوا ليعطوا تعليلاً معقولاً عن الاشياء التي اهتموا هم أنفسهم بها، سمعتهم يقولون: إنّ روح الإنسان خالدة، ولها نهاية في وقت واحد، يدعى موتاً، وتولد مرّة ثانية في وقت آخر، لكنها لا تفنى أبداً. أمّا المناقبية فهي أنّ على الإنسان أن يحيا في تقوى كاملة على الدوام. وكون الروح خالدة فلا عجب أن تتذكّر كلَّ ما عرفته عن الفضيلة، وعن كل شيء؛ لأنّها كما تكون الطبيعة كلّها مجانسةً، والروح تعلمت كلّ الأشياء، لا توجد صعوبة في أن يستخرج إنسانٌ تذكّراً مفرداً لكلّ الباقي ـ سُمّيت هذه العملية تعليماً بشكل عامّ ـ إذا كان هذا الإنسان نشيطاً ولا يضعف، لأنّ كل العلم وكل التساؤل يكون تذكراً فحسب. وبناء عليه علينا أن نستمع لهذه المحاورة المتّسمة بالجدال بشأن استحالة التساؤل لأنّها ستجعلنا متراخين وكسالى، وهي عذبة إلى من يتّسمُ بذلك. لكنّ التعليم الآخر سيجعلنا مفعمين بالنشاط ومحبّين للبحث والتحقيق. سأبحث معك في طبيعة الفضيلة بتلك الثقة وكلّي حُبور.

نعم، يا سقراط، لكن ماذا تعني بالقول إنّنا لا نُعلَّم، وإنّ ما نسمّيه علماً هو عملية تذكّر فقط؟

إنّها لن تكون عمليةً سهلاً شرحها، يا مينون؛ غير أنّني على استعداد لأنْ أفعل أفضل ما أقدر عليه لأجلك. إفترض أن تستدعي واحداً من مرافقيك العديدين، اختر من شئت، كي أتمكّن من إقامة الدليل على أنّه يتذكّر من خلال أسئلتي له. ألا ترى بعد كل الأسئلة التي طرحتها عليه والتي أجاب عليها قدر ما يعرف وأجاب بثقة، كما إذا عرف، ولم يشعر بالصعوبة؟ والآن فهو مُحرَج ببعض الأسئلة الأخيرة لأنّه لا يعرف ولا يتوهم بأنّه يعرف. ألا يكون هو في حالةٍ أفضل لمعرفة جهله؟ وهل فعلنا له أيّ أذى إذا جعلناه يشكّ وأعطيناه « صدمة سمك الرعّاد الكهربائي »؟ لكنّه برغم ذلك، وإذا سُئل الأسئلة عينها على نحوٍ متكرّر وبأشكال مختلفة، وبعد أن تُثار فيه تلك الأفكار لتوّها، كما في حلم، فإنّه سيعرفها أخيراً بدقةٍ كما يعرفها أيّ شخص آخر، وقد تمّ برهان ذلك. وهذه المعرفة التي يمتلكها الآن، ألا يجب أنّه اكتسبها في وقتٍ، وإلاّ فإنّه امتلكها على الدوام؟ وإنْ ذلك، فسيكون على الدوام عارفاً؟ وإذا بقيت حقيقةُ عن كل الأشياء في الروح على الدوام، حينئذ تكون الروح خالدة. ولهذا السبب كن فرحاً، وحاول أن تكتشف بالتذكّر ما تعرفه الآن، أو على الأصح ما لا تتذكّره، يا مينون. وبعد أن وصلنا إلى هذا الحد من التفاهم، دعنا نعود إلى سؤالنا الأساسي وهو ما هي طبيعة الفضيلة؟ أقول، إذا ما كان علينا أن نكتسب الفضيلة، علينا أن نعتبرها إمّا أنّها تُعلَّم، أو أنّها هدية من الطبيعة، أو أنّها تُحضَر إلى الرجال بطريقة أخرى. والآن دعنا أن نعطي فرضيّة ونسأل: إذا كانت الفضيلة قابلةً لأن تُعلَّم أمْ لا، فأيُّ نوع من الخير النفساني ينبغي لها أن تكون، كي يمكنها أن تُعلَّمَ أو لا تُعلَّم؟ إفترض أنّ الفضيلة لا تكون في نطاق نوع « المعرفة » ففي تلك الحالة هل ستُعلَّم أو لا تُعلَّم؟ أو كما كنا لتوّنا قائلين « متذكّرة »، أو على الأصح ألا يرى الإنسان أنّ المعرفة وحدها

يمكن أن تعلَّم؟ إذن، إذا كانت الفضيلة نوعاً من المعرفة، فإنّها ستُعلَّم، وإلاّ فلا؟ وبما أنّنا اعترفنا بأنّ الفضيلة خير، لكن إذا وُجد خير ما آخر منفصل عن المعرفة، فلا تكون الفضيلة نوعاً من المعرفة بالاحتمال أيضاً؛ غير أنّه إذا احتوت المعرفة كلّ الخيرات، سنكون محقّين عندئذ في افتراض أنّ الفضيلة تكون نوعاً من أنواع المعرفة. إذا كانت الفضيلة نوعية الروح حينئذ، ويثبت أنّها نافعة، يجب أن تكون حكمة وجودٍ وإدراك ما دام أيٌّ مِنْ أشياء الروح لا يكون نافعاً أو ضارّاً بنفسه، بل هي مجعولة كلّها نافعة أو ضارّة بإضافة الحكمة أو الغباء. لذلك إذا كانت الحكمة نافعة، ينبغي أن تكون الفضيلة نوعاً من الحكمة. وهكذا وصلنا إلى استنتاج أنّ الفضيلة هي إمّا كليّاً أو جزئياً حكمة.

إنّ هذا لحقيقي، يا سقراط. لكن إذا كان هذا حقيقياً، يا مينون، فإنّ الأخيار حينئذ لا يكونون أخياراً بالطبيعة. إذن، هل يُجعلون أخياراً بالتعليم؟

يظهر أنه لا يوجد خيارٌ آخر، يا سقراط، على افتراض أنّ الفضيلة تكون معرفة. لا يمكن وجود أيّ شكٍّ في أنّ الفضيلة تُعلَّم.

وماذا إذا كان هذا الافتراض مغلوطاً، يا مينون؟ إنّ المبدأ الذي له أيّة قيمة ومتانة، عليه أن يقف بثبات ليس الآن فقط، بل أبداً على الدوام. تأمّل مليّاً وقل إذا ما كان ينبغي للفضيلة، وليس لها وحدها، بل لأيِّ شيء يُعلَّم، إذا ما كان يجب أن يمتلك معلّمين وتلامذة.

لكن هل تعتقد بأنّه لا يوجد معلمون للفضيلة، يا سقراط؟

إنّني حقّقت غالباً بكلّ تأكيد، يا مينون، إذا ما كان لها معلمون، وبعد أن قاسيت الآلام العظيمة لأجدهم، لم أنجح في ذلك قطّ؛ وشاركني رفاق عديدون في استقصائي هذا، بتفضيل الأشخاص الذين اعتقدت بأنّهم يمتلكون خبرةً أكثر في هذا الاتجاه. وثمّة في هذه اللحظة أنيتوس الجالس بجانبنا، وستكون نصيحة جدُّ خيِّرة لنا جميعاً إذا ما سألناه لينضمَّ إلينا في بحثنا هذا عندما نكون بحاجة

إليه. إنه ابنٌ لأبٍ غنيّ وحكيم، ولقد تلقّى علوماً عالية وجيّدة. من فضلك يا أنيتوس، أن تساعدني وتساعد صديقك مينون في الإجابة على سؤالنا. من هم معلمو الفضيلة؟ أليس السوفسطائيون هم الذين يدّعون ذلك ويتقاضون أجوراً لأجله؟

باسم السماء، يا سقراط، أمسك عن الكلام! إنّني آمل فقط أن لا يكون صديق أو قريب ممن يخصّني هكذا مجنوناً ويسمح لنفسه أبداً أن يُفسد بهم، سواء أكان من هذه المدينة، أو من أيّة مدينة أخرى؛ ولأنّهم مُصابون بمرض الطاعون بشكل جديّ، وهم ذوو تأثير ضارٌ على أولئك الذين يتعاملون معهم. وأؤكد لك أنّ الرجال الشباب الذين يعطونهم مالهم هم المعتوهون، وأنّ أقاربهم والقيّمين عليهم الذين يدعون فتيانهم إلى عناية هؤلاء الرجال لا يزالون هم الأكثر جنوناً. نرد على ذلك أنّ المدن التي تسمح لهم بدخولها، ولا تطردهم خارجها، فإنّ مواطنيها وغرباءها مجانين بشكل مشابه.

إذا كان السوفسطائيون جميعاً، كما تقول، يا أنيتوس، فإنّني أسألك أن تخبرنا فقط من هم الموجودون في هذه المدينة العظيمة الذي سيعلّمون مينون كي يصبح بارعاً في الفضيلة التي وصفتها لتوّي.

إنصحه، يا سقراط، أن يذهب إلى أسيادها الذي علّموا من سبقه وسيعلّمونه كما علّموهم.

نعم بدون ريب، يا أنيتوس، وُجِدَ العديد من رجال الدول الصالحين ولا يزال، في مدينة أثينا. لكنّ السؤال هو سواء إذا وُجد معلمون صالحون بفضيلتهم الخاصة ـ ليس وجود رجالٍ أخيارٍ أم لا في هذا الجزء من العالم، بل إذا أمكن تعليم الفضيلة. ألا تعترف بأنّ ثيموستوكلوس كان إنساناً صالحاً؟ وكذلك أريستايدس وبريكلس رجل الدولة، وثيسيدايدس، وميلسياس، وستيفانوس، وكلهم علموا أولادهم حسبما يرغبون، وغيرهم كثير. وإذا كانت الفضيلة تعلّم، فلماذا لم يعلّموهم إيّاها بل سمحوا لهم بتعلّم الفنون الأخرى؟

يا سقراط، أعتقد بأنّك مستعد أكثر من اللازم لأن تتكلّم شرّاً عن الرجال، وإذا ما كنت ستأخذ بنصيحتي، فأنا أنصحك لتكون حذراً. لربّما لا توجد مدينة لا يكون من السهلَ إيذاء الرجال فيها بدلاً من أن تفعل لهم خيراً، وهذه هي الحال في أثينا بالتأكيد، كما أعتقد بأنّك تعرف ذلك.

أعتقد، يا مينون، بأنّ أنيتوس في نوبة من الغضب الشديد، ويمكنه جدّاً أن يكون كذلك. يعتقد هو أوّلاً، أنّني أشهّر بهؤلاء الأسياد؛ وثانياً، يرى أنّه هو ذاته واحد منهم. لكنّه الآن لا يعرف ما هو معنى التشهير، وإذا ما عرف فإنّه سيسامحني. سأعود إليك في غضون ذلك، يا مينون، فأنا أفترض بأنّه يوجد أسيادٌ في منطقتك، وهل هم يعلّمون الشباب أو يدَّعون بأنّهم معلمون؟ وهل يوافقون على أن الفضيلة يمكن تعليمها؟

لا، يا سقراط، إنّهم يقولون أيّ شيء ما عدا الموافقة على ذلك حقاً. يمكنك أن تسمعهم يقولون في وقت واحد إنّ الفضيلة يمكن تعليمها، ويقولون العكس بعدئذ.

أوَ نقدر، يا مينون، على تسمية من لا يقرُّون بإمكانية مهنتهم الخاصة معلمين؟ أما السوفسطائيون، فهل هم معلمون للفضيلة؟

إنّني غالباً ما أتعجب، يا سقراط، من أن أنيتوس نفسه لم يُسمع أبداً واعداً بتعليم الفضيلة، وعندما يسمع الآخرين واعدين بتعليمها، فإنّه يضحك عليهم فقط؛ لكنّه يعتقد أنّ على الرجال أن تُعلَّم لتتكلّم.

وهل نستطيع وبأيّ شبهة من الحق، يا مينون، أن نقول عن هكذا رجال، الذين أفكارهم في اضطّرابٍ كهذا إنهم المعلمون حقاً؟ وإذا لم يكن أحدهم معلّماً للفضيلة، فلا يمكن أن يوجد هنا أي معلّمين لها بجلاء؟ ولا يوجد من يتعلّمها كذلك؟ إذن، فإنّ الفضيلة لا يمكن تعليمها.

لكنّني، يا سقراط، لا أستطيع الاعتقاد بأنّه لا يوجد رجال أخيار؛ وإذا وُجدوا، فكيف أتوا إلى الوجود؟

لنعد إلى الوراء قليلاً، يا مينون. فنحن اعترفنا قبلاً بأنّه يوجد رجال أخيارٌ هم نافعون بالضرورة، لكنّنا عندما قلنا إنّ الإنسان لا يستطيع أن يكون هادياً حقيقيّاً إلاّ إذا امتلك المعرفة، نبدو أنّنا أدخلنا اعترافاً مغلوطاً في هذا، وسأشرح لك معنى الهادي الصالح. إنّ الهادي الصّالح هو الذي يمتلك رأياً صالحاً بشأن ذلك الذي يعرفه الآخرون، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ مَنْ يعرف الحقيقة. والرأي الحق يكون صالحاً بالصّلاح عينه كي يصحِّح العمل كما تصحّحه المعرفة. وكانت هذه هي النقطة الأساسية التي أسقطناها في تأمّلنا بشأن طبيعة الفضيلة، عندما قلنا إنَّ المعرفة هي مرشدة العمل الصحيح فقط؛ في حين أنّه يوجد رأي حقٌّ أيضاً، وهو ليس بأقلّ نفعاً من المعرفة، وسيكون محقّاً مَن يمتلكه على الدوام، ويبقى خيراً إذا تثبَّت بفهمٍ منطقيٍّ للأسباب. وهذا التثبّت، أيّها الصديق مينون، هو التذكّر، كما اتفقنا على تسميته. لكنّه عندما يُقيَّد فإنّه يبلغ ليكون معرفة، في المقام الأول؛ وهو يقيم في الروح في المقام الثاني. ومن أجل ذلك تكون المعرفة أكثر تمجيداً وامتيازاً من الرأي الصحيح لأنّها مثبّتة بسلسلة. ولهذا السبب فإنّ الرجال الأخيار يصبحون أخياراً ونافعين في دولهم « إذا فعلوا » - ليس لأنّهم يحوزون معرفة فقط، بل لأنّهم يمتلكون رأياً صحيحاً. ولا تُعطى المعرفة ولا الرأي الصحيح بالطبيعة أو تكتسب به. إنَّ الهاديَيْن الحقيقيَّين للمخلوقات الإنسانية هما المعرفة والرأي الحقّ - إنَّ الأشياء التي تسير على نحوٍ صحيح بصدفةٍ سعيدة ما لا تفعل هذا بدليلٍ إنساني - وعندما يقود الدليل الإنسانيّ على نحوٍ قويم، يجب أن تكون الهداية بواحدٍ من هذين الاثنين، الرأي الحق والمعرفة. وإذا كانت الفضيلة لا تُعلَّم فهي ليست معرفة، ولذلك ليست بأيّة حكمة. ولا بسبب أنّهم كانوا حكماء، حكم ثيميستوكلس وأولئك الرجال الآخرون الذين تكلم عنهم أنيتوس دولهم. كان هذا هو السبب الذي من أجله كانوا غير قادرين على أن يجعلوا الآخرين كأنفسهم لأنّ فضيلتهم لم تكن مرتكزة على المعرفة - وإنْ ليس بالمعرفة، فالخيار الوحيد الباقي هو أنّ رجال الدول يُرشدون دولهم بالرّأي الصحيح. إنّهم يحلُّون في

الصّلة عينها إلى الحكمة كما يحلّ المتنبئون والأنبياء الذين يقولون أشياء عديدة بحقّ كذلك عندما يكونون ملهمين، غير أنّهم لا يعرفون ما يقولون. وكذلك طائفة الشعراء فإنّ شأنهم في ذلك شأن رجال دولهم.

والآن دعنا نلخص التحقيق، يا مينون، والنتيجة هي، إذا ما كنا محقّين في سير محاورتنا، فإنّ الفضيلة ليست طبيعيّة، ولا تُنقل بالتعليم، بل هي مقدرة طبيعية يمنحها الله لأولئك الذين تُعطى لهم. وليست مقدرة طبيعيّة مترافقة بسبب، إلاّ إذا أمكن الافتراض أنّه يوجد بين رجال الدول شخص ما يكون قادراً على تعليم رجال الدول. وإذا وُجد هكذا شخص، يمكن القول عنه إنّه يكون بين الأحياء ما يقوله هوميروس أنّ تيرسياس كان بين الأموات: « إنّه الوحيد الذي يمتلك فهماً. لكنّ الباقين ظلال متنقّلة بسرعة من مكان إلى آخر ». سيكون هو فيمَا يخصّ الفضيلة حقيقة بين الأشباح في نمطٍ مماثل.

إنَّ ذلك لممتاز، يا سقراط.

إنَّ الاستنتاج الاخير، يا مينون، هو أنَّ الفضيلة تأتي بهبة الله لأولئك الذين تأتي إليهم. لكنّنا لن نعرف أبداً الحقيقة الأكيدة حتّى نَعُدَّ أنفسنا لنحقق في طبيعة الفضيلة الجوهرية، قبل أن نسأل كيف تُعطى الفضيلة.

أخشى أنَّ عليَّ أنْ أذهب، وبما أنّك أنت قد اقتنعت بما استنتجناه، أقنع صديقنا أنيتوس، ولا تدعه ساخطاً هكذا. وإذا استطعت أن تستميله، فستقدّم خدمةً جليلةً إلى الشعب الأثيني.

محاورة مينون

اشخاص المحاورة

مينون　　عبدُ مينون

سقراط　　أنيتوس

مينون: هل تقدر أن تخبرني، يا سقراط، إذا ما كانت الفضيلة تُكتسب بالتعليم أو بالممارسة؛ وإذا لا تُنال بهما، سواء إذا أتت إلى الإنسان بالطبيعة عندئذ، أو أنها وصلت إليه بأيّة طريقة أخرى؟

سقراط: مضى زمن، يا مينون، عندما كان الصقليّون مشهورين بين الهيلينيين الآخرين بغناهم وفروسيّتهم؛ لكنْ الآن، إذا لم أكن مخطئاً، هم مشهورون بحكمتهم أيضاً، خاصّة في مدينة لاريسا، التي هي موطن صديقك آريستيبوس. ويكون هذا العمل عمل أبولوجي؛لأنّه حينما أتى إلى هناك، تشرّب حبّ الحكمة مع زهرة الأليواداي، وكان بينهم أريستيبوس المعجب به، والرؤساء الصقليّون الآخرون. وقد علّمك عادةَ الإجابة على الأسئلة بأسلوبٍ رائع وجريء يعتبر طبيعياً لأولئك الذين يعرفون، ويمكن توقّعه من واحد يكون هو نفسه جاهزاً وعازماً على أن يُسأل في أيّ موضوع يطرحه أيُّ هيليني، وعليه أن يجيب على كل الأسئلة التي يطرحها الآتون إليه. كم هو مختلف خطنا عن خطِّه، يا عزيزي مينون. هناك ندرة من هذه البضاعة هنا في أثينا، ويبدو أنّ الحكمة كلّها هجرتنا إليكم. إنّني متأكد بأنّك إذا سألت أيّ أثيني، ما إذا كانت الفضيلة طبيعيّة أو مكتسبة، فإنّه سيضحك في وجهك، ويقول: « أيّها الغريب، إنّ لديك عني رأياً موغلاً في جودته،

إذا اعتقدت بأنّي أقدر على أن أجيب على أسئلتك. فأنا لا أعرف ما هي الفضيلة حرفيّاً، وأقلّ من ذلك بكثير إذا ما كانت تُكتسب بالتعليم أوْ لاَ ».
وأنا نفسي، يا مينون، أحيا كما أحيا في هذه المنطقة الفقيرة فقيراً مثل بقية الناس وأخجل باعترافي بأني لا أعرف أيّ شيء عن الفضيلة حرفيّاً. وعندما لا أعرف « المضغة » لأي شيء كيف أستطيع أن أعرف « السلوى »؟ كيف، إذا لم أعرف أيّ شيء عن مينون على الإطلاق، أقدر أن أقول بأنّه وسيم، أو ضد ذلك، غني أو نبيل، أو عكس الغني والنبيل؟ هل تعتقد بأنّني أستطيع فعل ذلك؟

مينون: لا، حقاً، لكن هل أنت جديّ، يا سقراط، في قولك بأنّك لا تعرف ما هي الفضيلة؟ وهل سأنقل عنك هذا التقرير عند عودتي إلى صقلية؟

سقراط: ليس ذلك فقط، يا ولدي العزيز، بل يمكنك أن تقول أبعد من ذلك، وهو أنّني لم أتقابل مع أيّ شخص آخر عرف الفضيلة في رأيي.

مينون: إذن، أنت لم تقابل أبولوجي قطّ عندما كان في أثينا؟

سقراط: نعم، قابلته.

مينون: أعتقد بأنّه عرف ذلك.

سقراط: إنّني لا أمتلك ذاكرة جيّدة، يا مينون، ولذلك فأنا لا أقدر أن أخبرك الآن ماذا فكّرت عنه في ذلك الوقت. أجرؤ على القول إنّه يعرف، وإنّك أنت تعرف ما قال. أرجو، لهذا السبب، أن تذكّرني بما قاله؛ أو إذا كنت تفضل، أخبرني وجهة نظرك الخاصّة لأنّي أشتبه بأنّكما تُفكّران بشكلٍ متشابهٍ كثيراً.

مينون: حقيقيّ جدّاً.

سقراط: إذن، بما أنّه ليس هنا الآن، لا تبالِ به، وأخبرني. إنّني أناشدك، يا مينون، كن كريماً، وأخبرني ما هي الفضيلة. فأنا سأعتبر نفسي محظوظاً حقّاً إذا

وجدت أنّني قد كنت مخطئاً، وأنّك وأبولوجي تمتلكان هذه المعرفة بحقّ، في حين أنّي قلت بأنّني لم أتقابل أبداً مع أيّ شخص امتلكها.

مينون: لا صعوبة، يا سقراط، في الإجابة على سؤالك. دعنا نأخذ أوّلاً فضيلة الرجل - هو سيعرف كيف يدير الدّولة، وفي إدارتها سينفع أصدقاءه ويؤذي أعداءه؛ وعليه أن يكون محترساً أيضاً أن لا يقاسي هو نفسه الأذى. ثمّ توجد فضيلة المرأة؛ إذا رغبتَ أن تعرف عن ذلك، يمكن وصفها بكل سهولة أيضاً. إنّ واجبها هو أن تنظّم عائلتها وأن تحافظ على ما في داخل بيتها بشكل مناسب، وأن تطيع زوجها. إنّ لكلّ عمرٍ، لكل حالة في الحياة، للشابّ أو المسنّ، للذكر أو للأنثى، للعبد أو للحرّ، لكلٍّ فضيلةً مختلفةً. توجد فضائل لا تحصى، وبالتالي لا صعوبة بشأن تعريفاتها لأن هناك فضيلة ذات صلة بأعمال وأعمار كلٍّ منّا في كل ما نفعله. وأحسب أنّه يمكن قول الشيء عينه عن الرذيلة، يا سقراط[١٧].

سقراط: كم أنا محظوظ، يا مينون! عندما أسألك عن فضيلة واحدة، تقدم لي أسراباً منها[١٨]، هي التي في عهدتك. إفترض أنّني أحمل صورة السّرب، وأسألك، ما هي طبيعة النحل؟ وأجبتُ بأنّ هناك عدة أنواعٍ مختلفة منها. ورددت عليك: لكن هل كريتون أنواع عديدة مختلفة من النحل بسبب أنها تختلف بوصفها نحلاً؛ أو أنّها لا تتباين بوصفها كذلك. هل هي تتميّز عن بعضها بعضاً بشيء ما آخر، بنوعيّة ما كالجمال، أو الحجم، أو أية علامة مميّزة أخرى كتلك؟ فكيف ستجيبني؟

مينون: سأجيبك أنّ النحل لا يختلف بعضه عن بعض بوصفه نحلاً.

سقراط: وإذا تابعت في الكلام وقلت: ذلك ما أرغب أن أعرف، يا مينون؛ أخبرني ما هي النوعيّة التي لا يتباين فيها النحل، بل يكون كلّه متشابهاً؛ - من المفترض أنّك ستكون قادراً على أن تجيب.

مينون: يجب ذلك.

سقراط: وهكذا عن الفضائل، مهما كانت عديدة ومتباينة، فإنّ لها شكلاً مشتركاً يجعلها فضائل؛ وعلى هذا فإنّ من سيجيب على السؤال، « ما هي الفضيلة؟ » سيفعل حسناً إذا ركّز عينيه على الهدف. هل تفهم؟

مينون: إنّني بدأت أفهم، لكنّني لم أستوعب السّؤال حتى الآن كما أتمنّى وأرغب.

سقراط: عندما تقول، يا مينون، إنّ هناك فضيلة للرجل، وأخرى للمرأة، وهكذا دواليك، هل ينطبق هذا على الفضيلة فقط، أو هل ستقول الشيء عينه عن الصحة والحجم والقوة الجسدية؟ أو هل تكون طبيعة الصحة الشيءَ عينه، سواء أكانت في الرجل أو المرأة؟

مينون: عليّ أن أقول إنّ الصحة هي الشيء عينه في الرجل والمرأة كليهما.

سقراط: أليس هذا حقيقيّاً عن الحجم والقوة الجسدية؟ إذا كانت امرأة قويةً بالجسد، ستكون قوية بسبب الشكل عينه والقوة الجسدية عينها الموجودة فيها والتي توجد في الرجل. أعني أنّ القوّة الجسدية، كقوة جسدية، سواء أكانت للرجل أو المرأة، هي الشيء عينه. هل يوجد أي فرق بينهما؟

مينون: لا أعتقد ذلك.

سقراط: أو لن تكون الفضيلة، كفضيلة، الشيء عينه، سواء أكانت في طفلٍ أو في رجلٍ مسنّ، في امرأة أو في رجل؟

مينون: لا أقدر إلاّ أن أشعر، يا سقراط، أنّ هذه الحالة مختلفة عن الحالات الأخرى.

سقراط: لكن لماذا؟ ألم تقل إنّ فضيلة الرجل كانت لتنظّم الدولة، وكانت فضيلة المرأة لتنظّم بيتها من الداخل؟

مينون: إنّني قلت ذلك.

سقراط: أوَ يمكن للبيت أو للدولة أو لأي شيءٍ آخر أن يُنظّم جيّداً بدون الاعتدال وبدون العدل؟

مينون: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن، فإن الذين ينظّمون دولة أو بيتاً باعتدالٍ وبعدل ينظمونهما بالاعتدال والعدل؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: إذن، فالرّجال والنساء جميعهم، إذا ما وجب أن يكونوا صالحين، عليهم أن يمتلكوا فضائل العدل والاعتدال عينها؟

مينون: بوضوح.

سقراط: وهل يستطيع الرجل شاباً كان أو مسنّاً أن يصبح صالحاً، وهو مفرط وظالم؟

مينون: لا بالتأكيد.

سقراط: يجب أن يكون معتدلاً وعادلاً.

مينون: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ كلّ المخلوقات الإنسانية تكون صالحة بالطريقة عينها، وتصبح جيّدة بامتلاك الفضائل عينها؟

مينون: هذا هو الاستنتاج.

سقراط: وهم ليسوا، ولا كانوا صالحين في الطريقة عينها، إلاّ إذا كانت فضيلتهم هي عينها؟

مينون: لا يمكنهم بدون ذلك.

سقراط: الآن إذن، فإنّ الشيء عينه للفضائل قد تمّت برهنته، حاول وتذكّر ما قاله أبولوجي، وأنت معه، بأنّ الفضيلة تكون.

مينون: إنّني لا أعرف ما أقول، سوى أنّ الفضيلة هي قوّة حكم الجنس البشري، إذا أردت حقّاً أن تمتلك تحديداً واحداً لها جميعاً.

سقراط: ذلك ما أريده بحقّ. تأمّل مليّاً هذه النقطة الأساسيّة الآن؛ هل تستطيع

الفضيلة، كما تعرِّفها الآن، أن تكون فضيلة طفلٍ أو عبد، يا مينون؟ أيقدر الطفل أن يحكم أباه أو العبد سيّده؟ وهل سيكون من حكم عبداً بعد اليوم؟

مينون: لا أعتقد، يا سقراط.

سقراط: لا، حقّاً؛ لسبب صغير في ذلك، ومع هذا ومرّة ثانية، يا صديقي العادل، فإنّ الفضيلة تكون، طبقاً لك « قوّة الحكم »؛ لكن ألا ينبغي أن نضيف « بعدلٍ وليس بظلم »؟

مينون: نعم، يا سقراط؛ أتفق معك بهذا؛ فالعدل هو فضيلة.

سقراط: هل ستقول « فضيلة »virtue يا مينون، أو « فضيلة واحدة » a virtue؟

مينون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني كما يمكنني أن أقول عن أيّ شيء إنَّ الاستدارة، كمثال، هي « شكل واحد » a figure وليس « شكلاً » figure بكل بساطة، وأنا سأتبنّى هذا الأسلوب في الكلام لأن هناك أشكالاً أخرى.

مينون: حقيقيّ تماماً؛ وهذا هو ما أقوله عن الفضيلة - ثمّة فضائل أخرى إضافة إلى العدل.

سقراط: ما هي هذه الفضائل؟ أخبرني عن أسمائها، كما أنّني سأخبرك أسماء الأشكال الأخرى إذا ما سألتني.

مينون: يبدو لي أنّ الشجاعة والاعتدال والحكمة وطرق الحياة النبيلة هي فضائل؛ وهناك فضائل عديدة أخرى.

سقراط: نعم، يا مينون؛ ومرّة ثانية فنحن في الحالة عينها.ففي بحثنا عقب فضيلة واحدة وجدنا عدداً منها، مع ذلك ليس في الطريقة عينها كما وجدناها قبلاً؛ لكنّنا كنا غير قادرين على أن نجد الفضيلة المشتركة التي تسري خلال جميعها.

مينون: لماذا، يا سقراط، حتى الآن فأنا غير قادر على أن أساعدك في تساؤلك وأصل إلى فكرة عامّة واحدة للفضيلة كما في الحالات الأخرى.

سقراط: لا عجب في ذلك؛ لكنّني سأحاول كي نصبح أقرب إذا استطعت. أنت ـ تفهم لربّما أنّ التعقّل في هذا الموضوع يُستعمل عموماً.إفترض أنّ شخصاً ما سألك السؤال الذي سألته قبلاً: يا مينون، ما هو الشكل؟ إذا أجبت « مستديراً »، فسيرد عليك، في طريقتي للكلام، بسؤال ما إذا كان المستدير « شكلاً » FIGURE أو « شكلاً واحداً » A FIGURE؛ وأنت ستجيب، بالطبع، « شكلاً واحداً ».

مينون: بالتأكيد.

سقراط: ولهذا السبب ـ فثمة أشكال أخرى؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا تقدّم هو ليسأل، ما هي الأشكال الأخرى الموجودة؟ فإنّك ستخبره.

مينون: سأخبره.

سقراط: إذا سألك بشكل مماثل ما هو اللون، وأجبت أنت أنّه الأبيض، وتابع السائل سؤاله قائلاً: هل ستقول أنّ الأبيض هو لون أو لون واحد؟ سترّد عليه، لون واحد، لأن هناك ألواناً أخرى أيضاً.

مينون: سأفعل ذلك.

سقراط: وإذا قال، أخبرني ما هي؟ فإنت ستخبره عن الألوان الأخرى التي هي ألوان تماماً بقدر ما هو الأبيض.

مينون: نعم.

سقراط: وإفترض أنّه كان ليتعقّب المسألة في طريقتي، فسيقول: نحن وقعنا في الخصوصيات حالاً وعلى الدوام، لكن ليس هذا ما أريد. أخبرني إذن، بما أنّك تسمّيها باسم مشترك، وتقول إنّها كلّها أشكال حتى عندما يناقض

بعضها بعضاً، فما هي تلك الطبيعة التي تعيّن كشكل ـ التي تحتوي المستدير ليس بأقلّ من المستقيم، وتقول أنت، إنّها، لا تخصّ الواحد أكثر ممّا تخصّ الآخر ـ سيكون ذلك أسلوبك في الكلام.

مينون: نعم.

سقراط: وفي قولك هذا، هل تعني أنّ المستدير ليس أكثر استدارة من المستقيم، أو المستقيم أكثر استقامة من المستدير؟

مينون: طبعاً لا.

سقراط: تؤكد أنت فقط أنّ الشكل المستدير هو شكل ليس أكثر من المستقيم، ولا المستقيم أكثر من المستدير؟

مينون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لماذا نحن نعطي اسم الشكل إذن؟ حاول وأجِبْ. إفترض أنّه حينما سألك شخص هذا السؤال إمّا عن الشكل أو اللون، كنت لتجيب: يا سيّدي الصّالح، أنا لا أعرف ما تريد، ولا أعرف ماذا تعني. سيبدو هو مشدوهاً بالأحرى ويقول: ألا تفهم أنّني أبحث عن ذلك الذي يكون متطابقاً في كلّ الخصائص؟ وعندها يمكنه أن يطرح السؤال في شكلٍ آخر كأن يقول: يا مينون، ماذا يوجد متطابقاً في المستدير، المستقيم، وفي كلّ شيء آخر تسميه شكلاً؟ ألا يمكنك أن تجيب على ذلك السؤال يا مينون؟ أتمنّى أن تحاول؛ فالمحاولة ستكون تمريناً جيّداً للإجابة عن الفضيلة.

مينون: أُفضّل أن تجيب أنت، يا سقراط.

سقراط: هل سأتساهل معك؟

مينون: مهما كلّف الأمر.

سقراط: ولسوف تخبرني عن الفضيلة بعدئذ؟

مينون: سأخبرك.

سقراط: ينبغي أن أفعل أفضل ما أقدر عليه إذن لأن هناك جائزة لتكتشف.

مينون: بالتأكيد.

سقراط: حسناً، إنّني سأحاول وأشرح لك ما هو الشكل. ماذا تقول في جوابك؟ ـ إنّ الشكل هو الشيء الوحيد الذي يلازم اللّون. هل ستكون قانعا به، كما سأكون أنا إذا ما دعوتني لأمتلك تحديداً مشابهاً للفضيلة؟

مينون: لكنّه، يا سقراط، جواب ساذج.

سقراط: لماذا هو ساذج؟

مينون: لأن الشكل هو، طبقاً لك، ذلك الذي يلازم اللون على الدوام. حسناً جدّاً؛ لكن إذا قال شخص إنّه لا يعرف ما هو اللون، أكثر ممّا يكون الشكل، بأيّ جواب ستجيبه؟

سقراط: سأجيبه بالحقيقة، في رأيي. وإذا كان فيلسوفاً من النوع الجدالي والكثير الخصام، فسوف أقول له: سأعطيك رأيي، وإذا كنت مخطئاً، فعملك هو أن تتابع المحاورة وتنقضني. لكن إذا كنا أصدقاء، وكنّا متكلّمين كما نتكلّم أنت وأنا الآن، يجب عليَّ أن أجيبه في أسلوب ألطف بالطبع وأكثر في مزاج العالِم الجدلي؛ يعني، عليَّ أن لا أقول الحقيقة فقط، بل يلزم أن استعمل المقدّمات المنطقيّة التي سيكون الشخص المستجوَب مستعدّاً للاعتراف بها. وهذه هي الطريقة التي سأسعى أن أدنو بواسطتها منك. إنّك ستعترف، ألن تفعل ذلك، بأنّه يوجد هكذا شيء كالغاية، أو النهاية، أو الطرف؟ كلّ الكلمات التي استعملها لها المعنى عينه، لكنّني أتصوّر، أنّك ستبقى تتكلم عن شيء منتهٍ أو منقضٍ ـ إنّ ذلك هو كل الذي أقول ـ لا شيء بارعاً.

مينون: نعم، إنّني سأتكلّم؛ وأعتقد بأنّي أفهم معناك.

سقراط: وستتكلّم أنت عن المسطّح والمجسّم، كمثال في الهندسة.

مينون: نعم.

سقراط: حسناً إذن، أنت الآن في حالة كي تفهم تعريفي للشكل، أعرِّف الشكل ليكون على الدوام ذلك الذي يجد فيه المجسَّم نهاياته؛ أو أكثر اختصاراً، إنّه حدّ المجسَّم.

مينون: والآن ما هو اللون، يا سقراط؟

سقراط: أنت فظيع، يا مينون، في تعذيبك هذا لرجلٍ فقير مسنّ كي يعطيك جوابا، في حين أنّك لا تتحمّل الإزعاج لتتذكّر ما هو تعريف أبولوجي للفضيلة.

مينون: سأخبرك، يا سقراط، عندما تجيبني على ما سألتك إيَّاه.

سقراط: إنَّ إنساناً معصوب العينين عليه أن يسمعك تتكلّم، وسيعرف هو أنّك مخلوق جميل وأنّه لا يزال لديك محبّون.

مينون: لماذا تعتقد هكذا.

سقراط: لماذا، لأنّك تتكلّم في صيغة الأمر على الدوام، مثل الجمالات المتكبرة التي تحكم بقوّة ما دامت في ريعانها. وإنّني أشتبه أيضاً بأنّك اكتشفت أنّ لديَّ ضعفاً نحو الجمال، ولهذا السبب، ولكي أداعبك، ينبغي أن أجيب.

مينون: إفعل من فضلك.

سقراط: هل ستحبّ أن أجيبك على غرار أسلوب أبولوجي الذي يمكن أن تجد فيه الطريقة الأسهل لتتبعني؟

مينون: لا شيء أحبّ إليّ من ذلك.

سقراط: ألا تقول أنت وهو وايمبادوكلوس أنّه تدفّق محدد من الأشياء الموجودة؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: وممرّات يمر التدفّق فيها ومن خلالها؟

مينون: بالضبط.

سقراط: وينطبق بعض التدفق على الممرّات، ويكون بعضها صغيراً جدّاً أو كبيراً جداً؟

مينون: حقاً.

سقراط: ويوجد هكذا شيء كالبصر؟

مينون: نعم.

سقراط: والآن، كما يقول بيندار، « إقرأ معناي » ـ يكون اللون تدفقاً للأشكال، متكافئاً مع البصر، وواضحاً للحسّ.

مينون: يبدو لي ذلك أنّه جواب مدهش، يا سقراط.

سقراط: لماذا، نعم، لأنّه حدث أنّه كان واحداً هو الذي قد تعوّدت سماعه؛ وإنّني أتوقّع وستكتشف فطنتك، من أن تتمكن أن تشرح لي طبيعة الصوت والشمّ في الطريقة عينها، وكذلك ظواهر أخرى عديدة متشابهة.

مينون: حقيقي تماماً.

سقراط: كان الجواب، يا مينون، في لغة المأساة الرزينة، ولذلك كان أكثر قبولاً بك من الجواب الآخر عن الشكل.

مينون: نعم.

سقراط: ومع ذلك، يا ابن ألكسيديموس، لا سبيل لي إلا التفكير بأنّ الجواب الآخر كان أفضل؛ وأعتقد بأنّك ستكون من الرأي عينه، إذا كنت ستبقى فقط وتُلقّن مبادىء الموضوع، ولن تُجبر، كما قلت البارحة، على أن ترحل قبل اطّلاعك على الأعراف السريّة الخاصة.

مينون: لكنّني سأبقى، يا سقراط، إذا كنت ستعطيني عدة أجوبة كهذه.

سقراط: حسناً إذن، إنّني سأفعل أفضل ما أستطيع من أجلي كما من أجلك؛ لكنّني خائف من أن لا أكون قادراً كي أعطيك أجوبة عديدة جيّدة كتلك. والآن، عليك أن تفي بوعدك بدورك، وتخبرني ما هي الفضيلة بشكل

شامل؛ ولا تجعل المفرد في الجمع، كما يقول الساخر دائماً عن أولئك الذين يكسرون شيئاً، بل أبقِ الفضيلة كلاً وسليمة عندما تخبرني عن طبيعتها. لقد أعطيتك النموذج.

مينون: حسناً إذن، يا سقراط، إنّ الفضيلة، كما أظنّها، هي أنّه عندما يرغب من يريد الأشياء التي تكون جميلة، أن يكون قادراً على أن يزوّد نفسه بها؛ هكذا يقول الشاعر. وأنا أقول أيضاً إنّ « الفضيلة هي رغبة الأشياء الجميلة، مع القدرة على نيلها ».

سقراط: وهل الذي يرغب الأشياء الجميلة يتمنى الخير أيضاً؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: إذن أيوجد بعض ممّن يرغبون الشر وآخرون ممّن يتمنّون الخير؟ ألا يرغب كلّ الرجال بالخير، يا سيّدي العزيز؟

مينون: لا أعتقد ذلك.

سقراط: هناك بعضهم الذين يتوقون إلى الشرّ؟

مينون: نعم.

سقراط: هل تعني أنّهم يظنّون الشرور التي يرغبونها خيراً؛ أو أنّهم يعرفون أنّها شرّ، ومع ذلك فهم يتوقون إليها؟

مينون: أعتقد بالافتراضين كليهما.

سقراط: وهل تتصوّر حقيقة، يا مينون، أنّ إنساناً يعرف أنّ الشرور شرور ويرغبها على الرغم من ذلك؟

مينون: إنّني أفعل بالتأكيد.

سقراط: أهي رغبة التملك؟

مينون: نعم، التملّك.

سقراط: وهل يعتقد هو أنّ الشرور تفعل الخير لمن يتملّكها، أو أنّه يعرف أنّ وجودها يؤذيه؟

مينون: هناك الذين يعتقدون أنّ الشرور تجلب لهم الخير، وهناك آخرون الذين يعرفون أنّها شرور.

سقراط: وفي رأيك، هل أولئك الذين يعتقدون أنّها تفعل لهم الخير يعرفون أنّها شرور؟

مينون: لن أذهب إلى ذلك الحد، يا سقراط.

سقراط: أليس واضحاً أنّ أولئك الذين هم جاهلون طبيعتها لا يتوقون لها، بل يرومون ما يفترضون أنّها خيرات مع أنّها تكون شروراً في الواقع؛ ولذلك إذا افترضوا الشرور لجهلهم أنّها خيرات فهم يرغبون الخيرات حقاً؟

مينون: لا شكّ في تلك الحالة.

سقراط: مرّة ثانية، إنّ أولئك الذين يرغبون الشرور، كما تقول، ويعتقدون أنّها ضارة للّذين يحوزونها، يعرفون بالاحتمال أنّهم سيتعرّضون للأذى بسببها؟

مينون: يجب أن يعرفوها.

سقراط: أوَ لاَ ينبغي أن يفترضوا أنّ أولئك الذين يتعرّضون للأذى هم أشقياء بنسبة الأذى الذي أُنزل عليهم؟

مينون: كيف يمكن أن تكون غيراً من هذا.

سقراط: لكن أليس الشقيّ سيّء الطالع؟

مينون: نعم، حقاً.

سقراط: وهل يرغب أيّ شخص أن يكون شقيّاً وسيّىء الطالع؟

مينون: إنّني سأقول لا، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا كان لا يوجد أيّ شخص يتوق لأن يكون شقيّاً، لا يوجد شخص، يا مينون، يروم الشرّ؛ إذ ماذا يكون الشقاء إلاّ الرغبة في امتلاك الشرّ؟

مينون: يبدو أن ذلك هو الحقيقة، يا سقراط، وأنّني أعترف أن لا أحد يرغب الشرّ.

سقراط: ومع ذلك ألم تقل لتوّك منذ برهة أنّ الفضيلة هي الرغبة والقدرة على امتلاك الخير؟

مينون: نعم، إنّني قلت هكذا.

سقراط: لكنّ جزءاً واحداً من هذا التعريف، الرغبة، مشترك للجميع، ولا رجل أفضل من الآخر في تلك النقطة؟

مينون: بوضوح.

سقراط: إنه جليّ أنّه إذا كان رجل واحد أفضل من الآخر، يجب أن يكون أفضل في قوة اكتساب الخير؟

مينون: بالضبط.

سقراط: إذن، طبقاً لتعريفك، ستظهر الفضيلة أنّها القوّة لنيل الخير؟

مينون: إنّني أصادق بشكل كامل، يا سقراط، على الأسلوب الذي تدرس به هذه القضيّة.

سقراط: دعنا نرى إذن إذا كان ما تقوله أنت الآن حقيقياً من وجهة نظرٍ أخرى لأنّه يمكنك أن تكون محقّاً على الأرجح. تؤكّد أنت أنّ الفضيلة هي القوّة لاكتساب الخيرات؟

مينون: نعم.

سقراط: والخيرات التي تعنيها تكون هكذا كالصحّة والثروة؟

مينون: وتملُّك الذهب والفضّة، وحيازة المنصب والشرف في الدولة.

سقراط: أتكون تلك ما ستسميها خيرات؟

مينون: نعم، إنّني سأضمنها كلّها.

سقراط: إذن، طبقاً لمينون، الذي هو الوريث الصديق للملك العظيم، تكون الفضيلة قوّة اكتساب الفضّة والذهب. وهل ستضيف أنّها يجب أن تُكتسب بالتقوى والعدل، أو هل تعتبر أنّ هذه ليست بذات عاقبة؟ وهل

تُعتبر أيّة طريقة للاكتساب، حتى إذا كانت ظالمة، أنّها فضيلة بشكلٍ متساوٍ؟

مينون: إنّها ليست فضيلة، يا سقراط.

سقراط: لكنّها رذيلة؟

مينون: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ العدل أو الاعتدال أو التقوى، أو جزءاً ما آخر للفضيلة، كما سيبدو، يجب أن تلازم الاكتساب، وبدونها لن يكون مجرّد اكتساب الخيرات فضيلة؟

مينون: لماذا، كيف يمكن أن يكون هناك فضيلة بدونها؟

سقراط: على الجانب الآخر، إنّ الإخفاق في كسب الذهب والفضّة لشخصٍ أو لآخر بطريقة ظالمة، أو بكلمات أخرى التوق إليها بشدّة، يمكن أن يدعى فضيلة بشكلٍ متساوٍ؟

مينون: حقّاً.

سقراط: إذن، فإنّ اكتساب هكذا خيرات لا يكون فضيلة بعد الآن بدلاً من عدم اكتسابها والتوق إليها بشدّة. لكن يبدو أنّ ما يُلازم بالعدل أو الأمانة يكون فضيلة، وما يكون خلواً من أيّة نوعية كهذه يكون رذيلة.

مينون: لا يمكن أن تكون غيراً من ذلك، في حكمي.

سقراط: ألم نقل لتوّنا إنّ العدل، الاعتدال، وما شابه، كان كلٌّ منها جزءاً من الفضيلة؟

مينون: نعم.

سقراط: وهكذا، يا مينون، هذه هي الطريقة التي تخدعني بها؟

مينون: لماذا تقول ذلك، يا سقراط؟

سقراط: لماذا، لأنّني سألتك منذ وقت قصير مضى أن لا تجزّىء الفضيلة وتقدّمها

إليَّ في أجزاء صغيرة، وقدَّمت لك نماذج، والَّتي طبقاً لها كنت تشكِّل جوابك؛ وأنَّك نسيت ذلك مسبقاً، وتخبرني الآن أنّ الفضيلة هي قوة اكتساب الخيرات بالعدل؛ وتعترف أنّ العدل هو جزء من الفضيلة.

مينون: نعم.

سقراط: يتبع من اعترافك بعدئذ، أنّ الفضيلة تكمن في العمل بجزء واحد منها مهما قام إنسان بفعله لأنّك قلت إنّ العدل وما شابه هي أجزاء للفضيلة، كلّ منها وكلّها جميعاً. دعني أشرح ما هو أبعد من ذلك. ألم أسألك لتخبرني طبيعة العدل ككلّ؟ وأنت بعيد جدّاً من إخباري هذا، بل تعلن أنّ كلّ عملٍ يُفعل بجزء من الفضيلة هو فضيلة منها؛ وكأنّك أخبرتني طبيعة الفضيلة ككلّ، إلى حدّ أنني سأتعرف عليها حتّى عندما تصهرها في قطع صغيرة. ولهذا السبب، يا عزيزي مينون، إنا أخشى أن ابتدىء مرّة ثانية وأردّد السؤال عينه: ما هي الفضيلة؟ وإلاّ فأنا أستطيع أن أقول إنّ كل عمل فُعل بجزءٍ من الفضيلة يكون فضيلة فقط. وما هو المعنى الآخر للقول إنّ كل عملٍ فُعِلَ بالعدل يكون فضيلة؟ ألا ينبغي عليّ أن أسألك السؤال مرّة أخرى فوق ذلك؟ إذ هل يستطيع أيّ شخص لا يعرف طبيعة الفضيلة أن يعرف جزءاً منها؟

مينون: لا ـ أنا لا أقول إنّه يقدر.

سقراط: هل تتذكّر كيف رفضنا، في مثال الشكل، أيّ جواب أُعطي في عباراتٍ لم تكن مشروحة أو غير معترفٍ بها لحدّ الآن؟

مينون: نعم، يا سقراط؛ وكنا محقّين تماماً.

سقراط: لكن بعدئذ، يا صديقي، لا تفترض أنّها بينما تكون طبيعة الفضيلة ككلّ فهي لا تزال غير محدَّدة، لا تفترض أنّك تستطيع أن تشرحها لأيّ شخص بالإشارة إلى جزءٍ ما من الفضيلة أو لأنْ تشرح حقّاً أيّ شيء في تلك

الطريقة على الإطلاق. علينا أن نسأل مرّة ثانية فقط السؤال القديم: ما هي فضيلتك هذه؟ ألست محقاً؟

مينون: أعتقد بأنّك محقّ في ما تقول.

سقراط: إبتدىء مرّة ثانية إذن، وأجبني، ما هو تعريف الفضيلة، طبقاً لك ولصديقك أبولوجي؟

مينون: أوه يا سقراط، تعوّدت الإخبار عنك، قبل أن أعرفك، أنّك كنت تشكّك بنفسك دائماً وتجعل الآخرين يشكّون. والآن فأنت تلقي عليّ بسحرك، ولقد أصبحت مسحوراً ومفتتناً بكلّ بساطة، وفي نهاية ذكائي. وإذا ما أمكنني أن أغامر بمداعبتك، فأنت تبدو لي في مظهرك وفي سلطتك على الآخرين كليهما مثل سمك الرّعّاد الكهربائي، الذي يخدّر أولئك الذي يقتربون منه ويلمسونه، تماماً كما خدّرتني الآن، وكما أعتقد ذلك لأنّ روحي ولساني مخدّران تماماً، وأنا لا أعرف كيف أجيبك؛ ومع ذلك فإنّني قد ألقيت العديد من الخطب المتنوّعة اللامحدودة عن الفضيلة قبل الآن، ولأشخاص عديدين ـ وكانت خطباً جيدة جداً، كما اعتقدت ـ غير أنّني في هذه اللحظة لا أستطيع حتى أن أقول ما هي الفضيلة. وأعتقد بأنّك حكيم جدّاً في عدم ترحالك وسفرك من موطنك الأثيني، لأنّك إذا فعلت في الأماكن الأخرى ما تفعله في أثينا، فسترمى في السجن كساحر.

سقراط: أنت محتال، يا مينون، ولم تفعل سوى الإمساك بي.

مينون: ماذا تعني، يا سقراط.

سقراط: إنّني أستطيع أن أقول لماذا تخلق تشبيها عني.

مينون: لماذا؟

سقراط: كي يمكنني أن أخلق تشبيها آخر عنك. فأنا أعرف أنّ كلّ الشباب الجميلين يحبّون أن يحوزوا تشابيه تُصنع عنهم ـ كما يمكنهم بجمال. وبما

أنّ الصور الجميلة، وأنا أتقبّلها، تُثار بالجمال بشكل طبيعي ـ لكنّني لن أعيد الإطراء وفيما يتعلق بكوني سمكة رعَّادٍ كهربائية، إذا كانت سمكة الرعَّاد الكهربائية نفسها مخدّرَة كما أنها سبب الخدر في الآخرين، فإنّي أكون حينها سَمَكَة رعَّادٍ كهربائية حقّاً، لكن ليس من نوع آخر. فأنا أربك الآخرين، ليس لأنّني لست واضحاً، بل بسبب أنّي أنا نفسي مرتبك. والآن لا أعرف ما هي الفضيلة، وتبدو أنت لي في الحالة عينها، برغم أنّك عرفت مرّة، لربّما قبل أن تلمسني. ومع ذلك، فليس لديَّ اعتراض كي أنضمَّ إليك في التساؤل.

مينون: وكيف ستتحرى، يا سقراط، ذلك الذي لا تعرف عنه أيّ شيء على الإطلاق؛ أين تتمكّن أن تجد نقطة انطلاقٍ في منطقة المجهول؟ وحتّى إذا حدث لتصبح ممتلئاً بما تريد، كيف ستعرف أبداً أنّ هذا هو الشيء الذي لم تعرفه؟

سقراط: إنّني أعرف، يا مينون، ماذا تعني؛ لكن أنظر أيّ جدالٍ تام تدخله في المناقشة. تحاور أنت أنَّ إنساناً لا يستطيع أن يبحث إمَّا بشأن ذلك الذي يعرف، أو بخصوص ذلك الذي لا يعرف لأنّه إذا عرف، فلا حاجة به ليبحث. وإذا كان لا يعرف فلا يستطيع أن يبحث لأنّه لا يعرف الموضوع المحدَّد الذي سيبحث بشأنه[١٩].

مينون: حسناً، يا سقراط، أليست الحجّة سليمة؟

سقراط: لا أعتقد.

مينون: لِمَ لا؟

سقراط: سأخبرك لماذا؛ إنّني سمعت من رجالٍ محدَّدين ومن نساءٍ حاذقات في الأشياء الإلهيّة أنَّ...

مينون: ماذا قالوا؟

سقراط: تكلّموا عن الحقيقة المتألّقة الرائعة، كما أتصوّر.

مينون: ما هي هذه الحقيقة، ومن هم المتكلّمون عنها؟

سقراط: بعضهم كهنة وكاهنات جاهدوا ليتعلّموا كيف يعطون حساباً معقولاً عن الأشياء التي اهتمّوا بها. ثمة شعراء أيضاً مثل بيندار، والعديد الآخرون الذين هم ملهمون. وهم يقولون: ـ سجّل الآن، وانظر إذا ما كانت كلماتهم حقيقية ـ يقولون إنّ روح الإنسان خالدة، ولها نهاية في وقت واحد، يدعى موتاً، وهي مولودة مرّة ثانية في وقت آخر، لكنّها لا تفنى أبداً. وتكون المناقبيّة أنّ على الإنسان أن يحيا في تقوى كاملة على الدوام « لأنّ بيرسيفون تُرجِع في السنة التاسعة أرواح أولئك الذين تلقّت منهم العقاب على جريمة غَابرة، ترجعها مرّة ثانية من تحت إلى نور الشمس العليا، وهؤلاء هم الذي يصبحون ملوكاً نبلاء ورجالاً أشدّاء وعظماء في حكمتهم ويُدعون أبطالاً ورعين إلى الأبد ». الروح، إذن، كونها خالدة وقد وُلدت ثانية مرّات عديدة، ورأت كلّ الأشياء التي توجد، سواء أكانت في هذا العالم أو في العالم السفلي. لها معرفة عنها كلها. ولا عجب في أنّها ستكون قادرة كي تستدعي إلى الذاكرة كل ذلك الذي عرفته عن الفضيلة، وعن كل شيء، إذ كما تكون كلّ الطبيعة مجانسة، والروح تعلمت كلّ الأشياء، فلا صعوبة في إنسانٍ يستخرج تذكراً مفرداً لكلّ الباقي ـ سُمِّيتْ هذه العملية « تعليماً » بشكل عامّ ـ إذا كان هذا الإنسان نشيطاً ولا يضعف لأنّ كلّ التساؤل وكلّ العلم هو تذكّر فحسب. وبناء عليه علينا أن لا نستمع لهذه المحاورة المتّسِمة بالجدال بشأن استحالة البحث والتحقيق لأنّها ستجعلنا متراخين كُسالى، وهي تكون عذبة للكسول. لكنّ التعليم الآخر سيجعلنا مفعمين بالنشاط ومحبّين للبحث والتحقيق. بتلك الثّقة، سأبحث معك في طبيعة الفضيلة بكلّ حبور.

مينون: نعم، يا سقراط؛ لكن ماذا تعني بقولك إنّنا لا نتعلّم، وأنّ ما نسميه علماً هو عملية تذكّر فقط؟ هل تقدر أن تعلّمني كيف تكون هذه؟

سقراط: لقد أخبرتك، يا مينون، لتوّي بأنّك محتال، وتسأل الآن إذا ما كنت أقدر أن أعلّمك، عندما أقول بأنّه لا يوجد تعليم، بل تذكُّرٌ فقط. وهكذا فأنت تتصوّر أنّكَ ستوقعني في التناقض.

مينون: حقاً، يا سقراط، إنّني أحتجّ لأنّه لم يكن لديَّ قصد كهذا، بل سألت السؤال من عادة؛ لكنك إذا استعطعت أن تبرهن لي أنَّ ما تقوله حقيقة، أتمنى أن تفعل ذلك.

سقراط: إنّها ليست بمسألة سهلة. غير أنّني على استعدادٍ لأن أفعل أفضل ما أقدر لأجلك. إفترض أنْ تستدعي واحداً من مرافقيك العديدين، اختر من أحببت، كي أتمكّن من إقامة الدليل على ما أقول بالتحدّث معه.

مينون: بالتأكيد، تعالَ إلى هناك، يا ولد.

سقراط: إنّه يوناني، ويتكلّم اليونانية، أليس كذلك؟

مينون: نعم، حقّاً؛ وراقب إذا ما كان يتعلم مني أو يتذكّر فقط.

مينون: إنّني سأفعل.

سقراط: أخبرني، أيّها الصبي، هل تعرف أنّ شكلاً كهذا هو شكل مربّع؟

الولد: أجل، أعرف.

سقراط: وهل تعرف أنّ الشكل المربّع له هذه الخطوط الأربعة متساوية؟

الولد: بالتأكيد.

سقراط: وهذه الخطوط التي رسمتها خلال وسط المربع هي متساوية أيضاً؟

الولد: نعم.

سقراط: يمكن أن يكون مربّعاً من أيّ حجم؟

الولد: بدون ريب.

سقراط: وإذا كان ضلعاً واحداً للشّكل طوله قدمان، والضلع الآخر طوله قدمان، كم سيكون الكلّ؟ دعني أشرح: إذا كانت المساحة طولها قدمان في اتجاه واحد، فالمسافة كلها ستكون قدمين اثنين مضروبة مرّة؟

الولد: نعم.

سقراط: لكن بما أنّ هذا الضلع يكون قدمين اثنين أيضاً، يوجد قدمان اثنان مرتين؟

الولد: يوجد.

سقراط: يكون المربع إذن قدمين اثنين مرتين؟

الولد: نعم.

سقراط: وكم يكون القدمان اثنين مرّتين؟ أحسب وقل لي.

الولد: أربعٌ، يا سقراط.

سقراط: أوَ لاَ يمكن أن يوجد شكل آخر أكثر من هذا مرتين، لكن من النوع عينه، وله مثل هذا كلّ الأضلاع متساوية؟

الولد: نعم.

سقراط: وكم قدماً سيكون ذلك؟

الولد: ثمانية أقدام.

سقراط: والآن حاول وقل لي ما هو طول الخط الذي يشكل ضلع ذلك المربّع المضاعف: يكون هذا قدمين اثنين، فماذا سيكون ذلك؟

الولد: بوضوح، يا سقراط، إنّه سيكون مضاعفاً.

سقراط: هل تلاحظ، يا مينون، أنّني لا أعلّم الولد أيَّ شيء، بل أطرح عليه أسئلة فقط؛ والآن فهو يتخيّل أنّه يعرف كم يكون طول الضّلع ضروريّاً كي يبرز شكلاً ذا أقدام ثمانية مربعة؛ ألا يفعل ذلك؟

مينون: نعم.

سقراط: وهل يعرف هو بحقّ؟

مينون: لا بالتأكيد.
سقراط: إنّه يتخيَّل أنّ المربع يكون مضاعفاً. فالضلع يكون مضاعفاً؟
مينون: حقاً.
سقراط: والآن شاهده كونه مُحضَّراً خطوة خطوة كي يتذكَّر في حالة منتظمة.
[إلى الولد]: قل لي، أيّها الولد، هل تؤكّد أنّ ضعف المساحة يأتي من ضلعٍ مضاعف؟ تذكّر أنّني لا أتكلّم عن شكل مستطيل، بل عن شكلٍ متساوٍ بكلّ طريقة، وضعف الحجم لهذا ـ بكلمة أخرى ثمانية أقدام؛ وأنني أريد أن أعرفَ ما إذا كنت باقياً على قولك إنّ مربعاً مضاعفاً يأتي من ضلعٍ مضاعف؟
الولد: نعم.
سقراط: لكن ألا يصبح هذا الضلع مضاعفاً إذا أضفنا هكذا ضلعاً آخر هنا؟
الولد: بالتأكيد.
سقراط: وأربعة أضلاع كهذه، تقول أنت، ستخلق مساحة محتوية على ثمانية أقدام؟
الولد: نعم.
سقراط: دعنا نصف شكلاً كهذا: ألن تقول إنّ هذا الشكل هو من أربعة أقدام؟
الولد: نعم.
سقراط: أولاً توجد هذه التقسيمات الأربعة، التي يكون كل منها مساوياً للشكل ذي الأربعة أقدام؟
الولد: حقاً.
سقراط: أليس ذلك أربعة ضرب أربعة؟
الولد: بالتأكيد.
سقراط: أليس ذلك أربع مراتٍ مضاعفة؟

الولد: لا، حقاً.

سقراط: لكن كم يكون؟

الولد: أربع مرات مثل هذا.

سقراط: بسبب ذلك فإنّ ضعف الضلع، أيّها الولد، أعطى مساحة، ليست مرّتين، بل أربع مرّات مثل هذا.

الولد: حقاً.

سقراط: أربعة ضرب أربعة تكون ستة عشر ـ أليس كذلك؟

الولد: نعم.

سقراط: أيّ ضلع سيعطيك مساحة ثمانية أقدام ـ فإنّ ذلك يعطي مساحة رباعيّة لستة عشر قدماً، ألا يفعل ذلك؟

الولد: نعم.

سقراط: وتحدُثُ هذه المساحة للأقدام الأربعة من هذا الضلع النصفي؟

الولد: نعم.

سقراط: جيّد؛ أليست مساحة ثمانية أقدام ضعْفي حجم هذا ونصف حجم الآخر؟

الولد: بدون ريب.

سقراط: هكذا مساحة، إذن، ستُكمل بخطٍّ أكثر من هذا الضلع، أو أقلّ من ذلك الضلع؟

الولد: نعم؛ إنّني أعتقد هكذا.

سقراط: جيّد جداً؛ أحبّ أن أسمعك تقول ما تعتقد. وأخبرني الآن، أليس هذا ضلعاً لقدمين اثنين وذاك لأربعة؟

الولد: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ الضلع الذي يشكل الضلع لمساحة ثمانية أقدام يجب أن يكون أكثر من الضلع لقدمين وأقلّ من الآخر ذي الأربعة أقدام؟

الولد: يجب ذلك.

سقراط: حاول وأبصر إذا استطعت أن تقول لي كم سيكون.

الولد: ثلاثة أقدم.

سقراط: إذاً، إذا أضفنا نصفاً لهذا الضلع الإثنيني، سيكون ذلك ضلعاً من ثلاثة. يوجد هنا اثنان وهناك واحد؛ وعلى الجانب الآخر، هنا يوجد اثنان أيضاً وهناك واحد. وذلك يخلق الشكل الذي تتكلّم عنه؟

الولد: نعم.

سقراط: وإذا وجدت ثلاثة أقدام في هذا الطريق وثلاثة أقدام في تلك الطريق، فستكون المساحة بمجملها ثلاثة أقدام ضرب ثلاثة؟

الولد: إنّ ذلك لجلي.

سقراط: وكم تكون ثلاثة أقدام ضرب ثلاثة؟

الولد: تسعة.

سقراط: وماذا كان عدد الأقدام في المربّع المضاعف؟

الولد: ثمانية.

سقراط: إذن، لا تكون مساحة الأقدام الثمانية متمّمة بضلع من ثلاثة أقدام؟

الولد: لا.

سقراط: لكن من أيّ ضلع؟ أخبرني بالضبط؛ وإذا لم تفضِّل أن تحسب، حاول وأرني الضلع.

الولد: إنّني لا أعرف، حقّاً، يا سقراط.

سقراط: هل ترى، يا مينون، أيّ تقدم قد أحرزه هو بقوة تذكّره؟ إنّه لم يعرف في البدء، وهو لا يعرف الآن، ماذا يكون ضلع شكلٍ من ثمانية أقدام. لكنّه فكّر أنّه عرف بعدئذ، وأجاب بثقة كما إذا عرف، ولم يشعر بصعوبة. والآن فهو يشعر بالحرج، فهو لا يعرف ولا يتوهّم أنّه يعرف.

مينون: صدقاً.

سقراط: ألا يكون هو في حال أفضل في معرفة جهله؟

مينون: أعتقد أنّ ذلك أفضل له.

سقراط: إذا جعلناه يشكّ، وأعطيناه « صدمة سمك الرعّاد الكهربائي »، فهل فعلنا له أيّ أذىً بذلك؟

مينون: إنّني لا أعتقد هذا.

سقراط: إنّنا ساعدناه بكلّ تأكيد، كما سيبدو، على اكتشاف الحقيقة في درجة ما. والآن فهو سيروم معالجة جهله، لكنّه عندئذ عليه أن يكون جاهزاً لأن يقول للعالم كلّه ثانية وثانية إنّ المساحة المضاعفة ستمتلك ضلعاً مضاعفاً.

مينون: حقاً.

سقراط: لكن هل تفترض أنّه سيبدأ أبداً ليتساءَل أو ليتعلم ما توهّم أنّه عرف، مع أنّه كان جاهلاً به حقّاً، إلى أن وقع في الحيرة تحت فكرة أنّه لم يعرف، وأنّه تاق لأن يعرف؟

مينون: إنّني لا أعتقد ذلك، يا سقراط.

سقراط: إذن، كان من الأفضل له أن يختبر ملامسة سمك الرعّاد الكهربائي؟

مينون: إنّني أعتقد هكذا.

سقراط: سجّل الآن التطوّر الأبعد. إنّني سأسأله فقط، ولن أعلّمه، وهو سيقاسمني التساؤل: وهل ستراقب وترى إذا وجدتني مخبراً أو شارحاً أيّ شيء له، بدلاً من استخراج رأيه. أخبرني، أيّها الولد، أليس هذا الذي رسمته هو مربع من أربع أقدام.

الولد: بلى.

سقراط: والآن فأنا أضيف مربّعاً آخر مساوياً للمربّع السابق؟

الولد: نعم.

سقراط: ومربّعاً ثالثاً، مساوياً لكلٍّ منهما؟

الولد: نعم.

سقراط: إفترض أنّنا سنملأ الزاوية الخالية؟

الولد: جيد جداً.

سقراط: هنا، إذن، توجد أربع مساحات متساوية؟

الولد: نعم.

سقراط: وبكم مرة تكون هذه المساحة أكبر من هذه المساحة الأخرى؟

الولد: بأربع مرات.

سقراط: لكنّنا أردنا نحن واحدة فقط أكبر بمرتين، كما ستتذكر؟

الولد: حقاً.

سقراط: والآن ألاَ يشطر هذا الخطّ، الممتدّ من الزاوية إلى الزاوية، كلاًّ من هذه المساحات؟

الولد: نعم.

سقراط: أولاَ توجد هنا أربعة خطوط تحتوي هذه المساحة؟

الولد: توجد.

سقراط: أنظر وشاهد كَمْ تكون هذه المساحة؟

الولد: إنّني لا أفهم.

سقراط: ألم يقطع كل خطّ داخليّ نصف المساحات الأربع؟

الولد: بلى.

سقراط: وكم توجد مساحات كهذه في هذا القسم؟

الولد: أربع.

سقراط: وكم في هذه؟

الولد: إثنتان.

سقراط: وكم تكون الأربعة مضروبة باثنتين؟

الولد: مرتين.

سقراط: هكذا، فكم قدماً تكون هذه المساحة؟

الولد: ثمانية أقدام.

سقراط: ومن أيّ خطٍّ تحصل على هذا الشكل؟

الولد: من هذا.

سقراط: يكون ذلك، من الخطّ الذي يمتدّ من الزاوية إلى الزاوية للشكل ذي الأقدام الأربعة؟

الولد: نعم.

سقراط: ويكون ذلك هو الخط الذي يسمّيه المتعلّم الخطّ القطريّ، وإذا كان هذا هو الإسم المناسب، حينئذ تكون أنت، يا عبد مينون، جاهزاً لتؤكّد أنّ ضعف المساحة يكون المربّع للخطّ القطري؟

الولد: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: ماذا تقول عنه، يا مينون؟ ألم تصدر كلّ هذه الأجوبة من رأسه الذي يخصّه؟

مينون: نعم، إنّ كلّ هذه الأجوبة تخصّه.

سقراط: ومع ذلك، وكما كنّا قائلين لتوّنا، فهو لم يعرف؟

مينون: حقاً.

سقراط: لكنه لا يزال ممتلكاً تلك الأفكار التي له، فيه ـ ألم يزل يحوزها؟

مينون: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ من لا يعرف يمكنه أن يبقى يمتلك أفكاراً حقيقية عن ذلك الذي لا يعرفه؟

مينون: على ما يبدو.

سقراط: وفي الوقت الحاضر فإنّ تلك الأفكار قد أُثيرت فيه لتوّها، كما في حلم. لكنّه إذا سُئل الأسئلة عينها على نحوٍ متكرّر، بأشكالٍ مختلفة، فإنّه سيعرف أخيراً بدقّة كما يعرفها أيّ شخص آخر.

مينون: أجرؤ على القول.

سقراط: ومن غير أن يعلّمه أحد، فهو سيستعيد معرفته بنفسه إذا سُئِلَ أسئلة بشكلٍ مجرّد.

مينون: نعم.

سقراط: وهذه الاستعادة التلقائية للمعرفة فيه هي التذكّر؟

مينون: حقاً.

سقراط: وهذه المعرفة التي يمتلكها الآن، ألا يجب أنّه إمّا اكتسبها في وقت ما، وإلاّ فإنّه امتلكها على الدوام؟

مينون: نعم.

سقراط: لكنّه إذا امتلك هذه المعرفة على الدوام فسيكون عارفاً بشكل دائم؛ أو إذا نال هو المعرفة، فلا يمكنه اكتسابها في هذه الحياة، ما لم يكن قد تعلّم علم الهندسة. ويمكن جعله فعلاً للشيء عينه بكلّ علم الهندسة وبكلّ فرع من فروع المعرفة إذا ما علّمه أيّ شخص كلّ هذا أبداً. ينبغي عليك أن تعرف عنه، إذا كان كما تقول، قد وُلِدَ وترعرع في بيتك؟

مينون: إنّني متأكّد من أنّ أحداً لم يعلّمه قط.

سقراط: ومع ذلك فهو يمتلك هذه الأفكار.

مينون: إنّ الحقيقة لا يمكن إنكارها، يا سقراط.

سقراط: لكنّه إذا لم يفز بها في هذه الحياة، يجب أنّه تعلّمها في زمنٍ ما آخر.

مينون: يجب بكلّ وضوح.

سقراط: الذي يلزم أنّه قد كان الزمن الذي لم يكنْ هو أثناءه رجلاً؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا وُجدت فيه أفكار حقيقية على الدوام، بينما يكون وحينما لم يكن رجلاً، والتي يحتاج إيقاظها إلى معرفةٍ بوضع الأسئلة له فقط. إنّ روحه ينبغي أن تبقى متملكة لهذه المعرفة بشكل دائم، إذ يجب عليه أن يكون أو أن لا يكون رجلاً على الدوام.

مينون: بوضوح.

سقراط: وإذا بقيت الحقيقة عن كل الأشياء في الروح دائماً، تكون الروح خالدة حينئذٍ. ولهذا السبب كن فرحاً، وحاول أن تكتشف بالتذكّر ما لا تعرفه الآن، أو على الأصح ما لا تتذكّر.

مينون: أشعر، بطريقة أو بأخرى، أنّني أحبّ ما تقول

سقراط: وأنا أحبّ ما أقول أيضاً. قلت بعض الأشياء التي لست على ثقة بها تماماً. لكنّنا سنكون أفضل وأشجع وأقلّ عجزاً إذا اعتقدنا بأنّه ينبغي علينا أن نتساءَل، بدلاً ممّا قد كنا إذا افتكرنا بأنّه لا يوجد معروف ولا افتراضٌ كي ننشد أن نعرف ما لم نعرفه. ذلك هو الإيمان الذي أكون مستعدّاً لأحارب من أجله، في الكلمة والمأثرة، بأقصى قوتي.

مينون: هناك مرّة ثانية، يا سقراط، تبدو لي كلماتك ممتازة.

سقراط: إذن، بما أنّنا متفقون على أنّ الإنسان يجب أن يتساءَل عن ذلك الذي لا يعرفه، هل سنبذل جهداً، أنت وأنا، لنتساءَل معاً في طبيعة الفضيلة؟

مينون: مهما كلّف الأمر، يا سقراط، ومع ذلك سأفضّل كثيراً العودة إلى سؤالي الأساسي، وهو إذا ما كان علينا في محاولتنا لأن نكتسب الفضيلة أن نعتبرها كشيءٍ يمكن تعلّمه، أو كهدية من الطبيعة، أو كحضورٍ إلى الرجال في أية طريقة أخرى.

سقراط: إذا كان لي الأمر عليك كما على نفسي، يا مينون، فما كان علينا أن

نتساءل إذا ما كانت الفضيلة مُعطاةً بالتعليم أوْ لاَ، إلى أن نتحقّق بادىء ذي بدء « ما هي ». لكن بما أنّك لا تعتقد بضبط النفس أبداً - هكذا كون فكرتك عن الحرية - بل تعتقد بالسيطرة عليَّ فقط وأنت تسيطر عليَّ بالفعل، ينبغي أنْ أُذعِنَ لك، لأنّك لا تُقاوَم. ولهذا السبب يبدو أنَّ علينا أن نحقّق في نوعيّات شيءٍ لا نعرف طبيعته حتى الآن، على كلّ حال. هل سترخي الأعِنَّة قليلاً، وتسمح بالسؤال « إذا ما كانت الفضيلة تُعطى بالتعليم، أو بأيّة طريقة أخرى »، كي نتحاور على فرضيّة؟ دعني أشرح لك: مثل عالِم الهندسة، عندما يُسأل إذا ما كان مثلثٌ محدَّدٌ قابلاً لأن يُرسَمَ في دائرة محدَّدة، سيجيب: « إنّني لا أستطيع أن أخبرك لحدّ الآن، لكنّني سأقدم فرضيّة يمكن أن تساعدنا في تشكيل استنتاج: إذا كان الشكل مثل ذلك حينما أبرزت ضلعاً معطىً منه، فإنّ المساحة المعطاة للمثلّث تنقص بمساحة متماثلة إلى الجزء المقدَّم، عندئذ فإنّ نتيجة واحدة تلي، وإذا كانت هذه مستحيلة فستعطي فرضية أخرى بعدئذ. دعني أفترض فرضية أخرى هكذا، وإنّني لعلى استعداد لأخبرك إذا كان هذا المثلّث قابلاً لأن يُرسَم في الدائرة: « تكون تلك فرضيّة هندسية ». ونحن أيضاً، بما أنّنا لا نعرف طبيعة الفضيلة ونوعياتها، يجب أن نسأل، إذا كانت الفضيلة، أوْ لا، قابلة لأن تُعلَّم، على فرضية ما، كهذه: أيّ نوع من الخير النفساني يلزم للفضيلة أن تكون كي يمكنها أن تُعلَّم أو لا تُعلَّم؟ دع الفرضية الأولى أن لا تكون الفضيلة في نطاق نوع « المعرفة ». في تلك الحالة هل ستُعلَّم أو لا تُعلَّم؟ أو كما كنّا قائلين لتوّنا، « مُتذكَّرة »؟ إذ لا نفعَ في الجدال بشأن الإسم. لكن هل تُعلَّم الفضيلة أو لا تعلَّم؟ أو على الأصحّ، ألا يرى كل إنسانٍ أنّ المعرفة وحدها يمكن تعليمها؟

مينون: إنّني أوافق.

سقراط: إذن، إذا كانت الفضيلة نوعاً من المعرفة، فإنّها ستُعلَّم؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: لقد أوجدنا نهاية سريعة لهذا السؤال الآن إذن: إذا كانت الفضيلة من طبيعة كهذه، فإنّها ستُعلَّم، وإلاَّ، فلا؟

مينون: بلا شكّ.

سقراط: السؤال التالي هو، إذا كانت الفضيلة معرفة أو من جنس آخر.

مينون: نعم، يبدو أن ذلك هو السؤال الذي يلي في نظام.

سقراط: حسناً جداً إذن؛ ألا نقول نحن إنّ الفضيلة تكون خيراً؟ ـ إنّ هذه الفرضية تبقى ثابتة؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: والآن، إذا وُجد خيرٌ ما آخر يكون منفصلاً عن المعرفة، أفلا تكون الفضيلة نوعاً من المعرفة بالاحتمال أيضاً؟ لكن إذا إحتوت المعرفة كلّ الخيرات، سنكون محقّين عندئذ في افتراض الفضيلة على أنّها نوع من المعرفة؟

مينون: حقاً.

سقراط: وتكون الفضيلة تلك التي تجعلنا صالحين؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا كنّا صالحين، فنحن نافعون حينئذ لأنّ كلّ الأشياء الصالحة تكون نافعة؟

مينون: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ الفضيلة نافعة؟

مينون: إنّ ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: إذن دعنا الآن نأخذ أمثلة معيّنة عن الأشياء التي تفيدنا: الصحة والقوة والجمال والثروة ـ هذه، وما شابهها، نسمّيها نحن نافعة.

مينون: صدقاً.

سقراط: ومع ذلك يمكن لهذه الأشياء عينها أن تؤذينا بعض المرّات أيضاً. ألا تعتقد ذلك؟

مينون: نعم.

سقراط: وما هو المبدأ الهادي الذي يجعلها نافعة أو يجعلها عكس ذلك؟ أليست نافعة عندما تُستعمل بشكل مستقيم، ومؤذيةً حينما لا تُستعمل على نحو صائب؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: بعد ذلك، دعنا نتأمّل مليّاً خيرات الروح. إنّها الاعتدال، العدل، الشجاعة، سرعة الفهم، الذاكرة، طرق الحياة النبيلة، وما شابه.

مينون: بدون ريب.

سقراط: وتكون أمثال هذه، بما أنها ليست معرفة، بل هي من نوع آخر، تكون نافعة بعض المرات ومؤذية في بعضها الآخر. كمثال، تحتاج الشجاعة لجودة الإدراك، التي هي نوع من الثقة فقط. وعندما لا يمتلك الإنسان إدراكاً جيداً فإنّه سيتأذّى بثقة كهذه، لكنه عندما يحوز الإدراك فإنّه سينتفع.

مينون: حقاً.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الاعتدال وسرعة الفهم مهما كانت الأشياء المتعلَّمَةُ أو المُدارة بالفهم ناجحة، لكنّها بدون الفهم فهي ضارّة.

مينون: حقيقي تماماً.

سقراط: وبشكل عامّ، فكلّ ذلك تهتم به الروح وتتحمّله عندما تكون تحت هداية الحكمة التي تنتهي في السعادة. لكنّها عندما تكون تحت دليل الحماقة ففي الشقاء.

مينون يبدو أن ذلك حقيقي.

سقراط: إذا كانت الفضيلة نوعية الروح حينئذ، ويُثبتُ أنّها نافعة، يجب أن تكون حكمةً وجودةَ إدراك، بما أنّ أيّاً من أشياء الروح لا يكون ضارّاً أو نافعاً لنفسه، بل هي مجعولةٌ كلّها كذلك بإضافة الحكمة أو الغباء؛ لذلك إذا كانت الحكمة نافعة، ينبغي أن تكون الفضيلة نوعاً من الحكمة.

مينون: إنّني أوافق تماماً.

سقراط: والخيرات الأخرى، كالصحّة وما شابه، التي كنا قائلين لتوّنا إنّها خيرات بعض المرات وبعض المرات شرور، ألا تصبح هي نافعة أو ضارّة أيضاً، كما تهديها الروح وتستعملها على نحو مستقيم أو على نحوٍ ظالم وفقاً لذلك، تماماً كما تصبح أشياء الروح نفسها نافعة عندما تكون تحت هداية الحكمة وضارّة حينما تُرشَد بالغباء؟

مينون: حقاً.

سقراط: والروح الحكيمة ترشدها على نحوٍ مستقيم، والروح الغبيّة على نحوٍ ظالم؟

مينون: نعم.

سقراط: أليس هذا حقيقياً عن الطبيعة الإنسانية عموماً؟ كلّ الأشياء الأخرى تتمسّك بالروح، والأشياء الروحية عينها تتمسّك بالحكمة، إذا ما كان عليها أن تكون صالحة. وهكذا تُستنتج الحكمة على أنّها هي التي تنفع، والفضيلة، كما نؤكّد، تكون نافعة.

مينون: بدون شكّ.

سقراط: وهكذا نصل نحن إلى استنتاج أنّ الفضيلة هي كليّاً أو جزئياً حكمة.

مينون: إنّني أعتقد بأنّ ما تقوله، يا سقراط، قول حقيقي.

سقراط: لكن إذا كان هذا حقيقياً حينئذ فإنّ الأخيار لا يكونون أخياراً بالطبيعة؟

مينون: لا أعتقد.

سقراط: إذا كانوا كذلك، فسيكون بيننا من يميّز الشخصيات بكلّ تأكيد، والذين

سيعرفون رجالات مستقبلنا العظام، وسنتبنّى أفكارهم بناءً على ما يكتشفونه من حقائق، ونحتفظ بهم في المأمن بعيداً عن أيّ أذىً يلحق بهم، وقد وضعنا عليهم علامة أفضل من تلك الموضوعة على قطعة من الذهب كي لا يجرؤ أحدٌ على العبث بهم؛ وذلك حينما يكبرون يمكنهم أن يكونوا مفيدين للدولة.

مينون: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ ذلك هو الطريق الصحيح.

سقراط: إذا لم يكن الأخيار أخياراً بالطبيعة إذن، فهل يُجعلون أخياراً بالتعليم؟

مينون: يظهر أنه لا يوجد أيّ خيار آخر، يا سقراط، على افتراض أنّ الفضيلة هي معرفة. لا يمكن أن يوجد هناك شكّ في أنّ الفضيلة تُعلَّم.

سقراط: نعم، حقّاً؛ لكن ماذا لو كان الافتراض مغلوطاً؟

مينون: إعتقدت لتوّي الآن بأنّنا كُنّا محقّين.

سقراط: نعم، يا مينون، لكن المبدأ الذي له أيّة متانة، عليه أن يقف بثبات ليس الآن فقط بل أبداً على الدوام.

مينون: حسناً؛ ولماذا أنت صعب هكذا، وهكذا بطيء لتعتقد أنّ الفضيلة معرفة؟

سقراط: إنّني سأحاول وأقول لك، يا مينون. أنا لا أسحب التأكيد وهو إذا كانت الفضيلة معرفة يمكنها أن تُعلَّم، لكنّني أخشى من أن لديَّ سبباً ما في الشكّ إذا كانت الفضيلة معرفة. تأمّل الآن وقل إذا ما كان ينبغي للفضيلة، وليس لها فقط، بل لأيِّ شيء يُعلَّم، إذا كان ما يجب أن يمتلك معلّمين وتلامذة؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: وبشكل عكسي، ألاَ يمكن للفنّ الذي ليس له معلمون وتلامذة أن يُفترض بأنّه غير قابل لأن يُعلَّم؟

مينون: حقّاً، لكن هل تعتقد بأنّه لا يوجد معلمون للفضيلة؟

سقراط: إنّني حققت غالباً بكلّ تأكيد إذا ما كان هناك أيّ معلمين، وبعد أن

قاسيت الآلام العظيمة لأجدهم، لم أنجح في ذلك قطّ؛ وشاركني رفاق عديدون في بحثي هذا، بتفضيل الأشخاص الذين اعتقدت بأنّهم يمتلكون خبرة أكثر في هذا الاتجاه. وها هو أنيتوس الجالس بيننا في هذه اللحظة سنسأله عندما نكون بحاجة إليه، وستكون نصيحته جدّ خيرة لنا جميعاً إذا ما طلبنا منه أن ينضم إلينا في بحثنا هذا. إنّه إبن أبٍ غنيّ وحكيم، في المقام الأول. وأبوه هو انثيميوم، الذي اكتسب ثروته ليس بالهبة أو بدون جهد، مثل اسمينياس الثيبي « الذي أصبح غنيّاً مثل بوليكرايتس حديثا »، بل إنّه اكتسب هذه الثروة بحذقه الخاصّ ومثابرته، وهو رجل حسن الخلق ومتواضع. إنّه ليس متغطرساً، ولا مستبدّاً، ولا مزعجاً. فضلاً عن ذلك فإنَّ ابنه هذا تلقّى علوماً جيّدة، كما يظهر أنّ الشعب الأثيني يفكّر بهذا بكلّ تأكيد، لأنّهم اختاروه كي يملأ أعلى المراكز في مدينة أثينا. وهؤلاء هم نوعية الرجال الذين يجب علينا أن نتحقّق بمساعدتهم إذا ما كان يوجد أيُّ معلمين للفضيلة، ومن هم هؤلاء المعلمون. من فضلك، يا أنيتوس، أن تساعدني وتساعد صديقك مينون في الإجابة على سؤالنا من هم المعلمون؟ تأمّل مليّاً المسألة هكذا: إذا أردنا أن يكون مينون طبيباً كفؤاً، لمن سنرسله؟ ألا يجب أن نرسله إلى الأطبّاء؟

انيتوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: أو إذا أردناه أن يكون إسكافياً بارعاً، ألا ينبغي أن نرسله إلى الأساكفة؟

انيتوس: نعم.

سقراط: وهلمّ جرّا.

انيتوس: نعم.

سقراط؛ دعني أزعجك بسؤال واحد لا أكثر. عندما نقول بأنّنا يجب أن نكون محقّين في إرساله إلى الأطبّاء إذا أردناه أن يكون طبيباً كفؤاً، هل نعني أنّنا

سنكون محقّين في إرساله إلى أولئك الذين يمارسون الفنّ، بدلاً من أولئك الذين لا يمارسونه، ولأولئك الذين يطلبون مقابلاً لتعليم الفنّ، ويتقدّمون بشكلٍ علنيّ ليعلّموه لأيّ شخص يختار ليأتي ويتعلّم؟ وإذا كانت هذه مبرّراتنا، ألا يلزم أن نكون محقّين في إرساله؟

انيتوس: نعم.

سقراط: أوَ لاَ يمكن قول الشيء عينه عن العزف على النّاي، وعن الفنون الأخرى؟ هل سيرفض إنسان يريد أن يجعل إنساناً آخر عازفاً على الناي، هل سيرفض أن يرسله إلى أولئك الذين يَعِدون بتعليم الفن ويتلقون مالاً مقابل تعليمه، وأنّ يدعه يتجول مزعجاً الأشخاص الآخرين كي يعلّموه، والذين لا يكونون أساتذة متضَلّعين، والذين لم يكن لديهم قطّ مريد فرد في ذلك الفرع من المعرفة الذي نتوقّع منهم أن يعلموه إياه ـ أليس تصرّف كهذا قمّة الغباء؟

انيتوس: بالتأكيد الأكثر، وقمّة الجهل أيضاً.

سقراط: جيّد جداً، والآن أنت في موقع لتنصح وأنا كذلك بشأن صديقنا مينون. لقد قال لي منذ وقت ليس قصيراً، يا أنيتوس، إنّه يتوق لأن ينال ذلك النوع من الحكمة والفضيلة اللذين بهما ينظّم الرجالُ الدولةَ أو تدبير المنزل، وبهما يكرّمون آباءَهم، ويعرفون كيف يستقبلون المواطنين والغرباء، ويعيدونهم على طريقهم كما ينبغي على مضيفٍ صالح أن يفعل. والآن، لمن عليه أن يذهب ليتمكّن من تعلّم الفضيلة؟ ألا تدلّ المحاورة السابقة ضمناً وبكل وضوح أنّه يجب علينا أن نبعث به لأولئك الذين يعلنون أنّهم يعلّمون الفضيلة والذين طرحوا تعليمهم بشكل علنيّ ومفتوح لأيّ هيليني يرغب ويختار ليأتي إليهم ويدفع لهم أجوراً يحدّدونَها هم؟

انيتوس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: أنت تعرف بالتأكيد، ألا تفعل، يا انيتوس؟ أنّ هؤلاء هم الأناس الذين يدعوهم الجنس البشري السوفسطائيين.

انيتوس: باسم السّماء، أمسك عن الكلام![3] إنّني آمل فقط أن لا يكون صديق أو قريب ممّن يخصني مجنوناً هكذا ويسمح لنفسه أبداً أن يُفْسِده، سواء أكان هو من هذه المدينة أو من أية مدينة أخرى لأنّهم يكونون مصابين بمرض الطاعون بشكل جليّ، وهم ذوو تأثير مفسد على أولئك الذين يتعاملون معهم.

سقراط: ماذا، يا انيتوس؟ هل تعني أنّ من بين كلّ الأناس الذي يعلنُون أنّهم يعرفون كيف يفعلون الخير للرجال، هل تعني أنّ هؤلاء هم الأشخاص الوحيدون الذين لا يفعلون لهم الخير فقط، بل يفسدون أولئك الذين يؤتمنون عليهم بشكل قاطع، وفي مقابل هذه الإساءَة، لديهم الجرأة كي يطلبوا المال؟ حقاً، إنّني لا أستطيع تصديقك لأنّني أعرف عن رجل مفرد وحيد، بروتاغوراس، الذي جنى من حرفته أكثر ممّا جناه فايدياس اللامع، والذي أبدع أعمالاً نبيلة، أو عن عشر نحاتين آخرين. كيف يمكن أن يكون ذلك؟ كيف يمكن لمصلح الأحذية القديمة، أو لرتّاء الأثواب، الذي أعاد الأحذية والأثواب تلك في حالة أسوأ من الحالة التي استلمها، كيف يمكنه أن يبقى ثلاثين يوماً بدون أن يُكتشف، وأن يموت جوعاً قريباً جدّاً؟ في حين أنّه خلال أكثر من أربعين سنة، كان بروتاغوراس مفسِداً كلّ هيلاس، وباعثاً مريديه في حالة أسوأ ممّا استلمهم، ولم يُكتشف. إنّ عمره كان حوالى السبعين سنة حين وفاته، إذا لم أكن مخطئاً، أمضى منها أربعين سنة في مزاولة مهنته؛ وأثناء كل هذا الوقت كان له الصيت الحسن، والذي لا يزال يحتفظ به حتى اليوم بالتحديد. وليس هذا ممّا يشتهر به بروتاغوراس فقط، بل عديد آخرون ممّن هم ذائعو الشهرة ـ بعضهم من عاش قبله، والآخرون الذين لا يزالون أحياء. والآن، عندما تقول إنّهم يخدعون ويفسدون الشباب، هل نفترض أنّهم يفعلون ذلك بإدراكٍ أو بدون إدراك؟ أيقدر هؤلاء الذين

يُعتبرون من قِبَل العديد أنّهم أعقل الرجال، أتقدرون أن يكونوا معتوهين؟

انيتوس: معتوهون! لا، يا سقراط؛ إنّ الرجال الشباب الذين يعطون مالهم إليهم هم المعتوهون، وإن أقاربهم والقيّمين عليهم الذين يعهدون بفتيانهم الى عناية هؤلاء الرجال لهم أكثر جنوناً. وأكثر من كل هذا، إنّ المدن التي تسمح لهم بدخولها، ولا تطردهم خارجها، فمواطنوها وغرباؤها هم مجانين بشكل متشابه.

سقراط: هل آذاك أيٌّ من السوفسطائيين، يا انيتوس؟ ما الذي يجعلك هكذا غاضباً معهم.

انيتوس: لا، حقاً، فهم لم يؤذوني ولم يؤذوا أحداً من عائلتي قطّ، ولم أسمح لهم بأن يحوزوا أيَّ شيء ليفعلوه معهم؟

سقراط: إذن، يا صديقي العزيز، بما أنّك لا تمتلك معرفة شخصية بالمهنة مهما كانت، فكيف يمكنك أن تعرف ما إذا كان فيها أيّ خير أو شرٍ؟

انيتوس: حسناً تماماً؛ إنّني متأكّد بأنّي أعرف أيّ نمط من الرجال هم هؤلاء، سواء كنت ملمّاً بهم أوْ لا.

سقراط: يجب أن تكون متنبّئاً، يا أنيتوس، لأنّني لا أستطيع أن أثبت غير ذلك. كيف تعرف عنهم بحقّ، حاكماً على ذلك من كلماتك الخاصّة. لكنّني لن أتساءَل معك عمّن يكون الأساتذة الذين سيفسدون مينون « دعهم يكونون السوفسطائيين، إذا أردت ». إنّي أسألك أن تخبرنا فقط مَنْ الموجودون في هذه المدينة العظيمة الذين سيعلّمون مينون كيف يصبح حاذقاً في الفضيلة التي وصفتها لتوّي. إنّه صديق عائلتك، وأنت ستتفضل عليه بجميل.

انيتوس: لماذا لا تخبره أنت بنفسك، يا سقراط؟

سقراط: إنّني أخبرته عمّن أعتقدهم معلّمي هذه الأشياء. لكنّني أتعلّم منك بأنّي على خطأ بشكل مطلق، وأجرؤ على القول بأنّك محقّ. والآن فأنا أرغب

منك أن تخبرني، من ناحيتك، إلى أيّ الأثينيين عليه أن يذهب. من ستسمي، يا انيتوس؟

انيتوس: لماذا ستختار أفراداً؟ أيّ سيّد أثيني، كائناً من كان، سيفعل بشكل أكثر جودة وسيؤدّي له ما يريد أكثر بكثير من السوفسطائيين، إذا كان مينون سيفعل وفق نصيحته.

سقراط: وهل ترعرع هؤلاء الأسياد بأنفسهم، وبدون أن يكونوا قد تعلّموا من أيّ شخص؟ ألم يكونوا قادرين برغم ذلك على أن يعلّموا الآخرين ذلك الذي لم يتعلّموه بأنفسهم قطّ؟

انيتوس: أتصوّر أنّهم تعلّموا من أسياد الجيل السابق. ألم يوجد العديد من الرجال الأحياء في هذه المدينة؟

سقراط: نعم، بدون ريب، يا انيتوس؛ وقد وُجد العديد من رجال الدولة الصالحين ولا يزال، في مدينة أثينا. لكنّ السؤال هو إن كان قد وُجد أيضاً معلمون صالحون بفضيلتهم الخاصة ـ ليس سواء يوجد أو قد وجد رجال أخيار في هذا الجزء من العالم، بل إذا ما أمكن تعليم الفضيلة. هو السؤال الذي قد بحثناه. والآن، هل تعني أنّ الرجال الأخيار الذين يخصوننا ورجال الأزمان الأخرى عرفوا كيف ينقلون إلى الآخرين تلك الفضيلة التي امتلكوها أنفسهم؟ أو هل تكون الفضيلة شيئاً غير قابل لأن ينقله شخص إلى آخر؟ إنّ ذلك هو السؤال الذي قد تجادلنا بشأنه أنا ومينون. أنظر إلى المسألة في طريقتك الخاصة: ألا تعترف بأنّ ثيميستوكلوس كان إنساناً صالحاً؟

انيتوس: بالتأكيد، لا إنسان أفضل منه.

سقراط: أوَ لاَ ينبغي أنّه قد كان معلّماً كفؤاً، إذا ما كان أيّ إنسان معلماً صالحاً لفضيلته الخاصة أبداً؟

انيتوس: بدون شك، ـ إذا أراد أن يكون هكذا.

سقراط: لكنّه لم يُرِدْ أن يكون؟ فإنّه، على كل حال، كان يرغب في أن يجعل ابنه رجلاً صالحاً وسيّداً. إنّه قد استطاع أن يكون غيوراً منه بالكاد، وامتنع عن نقل فضيلته الخاصّة له عمداً. ألم تسمع أبداً أنّه جعل ابنه كليوفانتوس فارساً جيّداً؛ وعلّمه أن يقف منتصباً على ظهر الحصان، ويقذف بالرمح، وأن يفعل العديد من الأشياء الأخرى المدهشة؛ وكان هو حاذقاً في أيّ شيء يمكن أن يتعلّمه من أساتذة بارعين. ألم تسمع عنه من كبار السنّ عندك؟

انيتوس: إنّني سمعت.

سقراط: وهكذا لا أحد يستطيع أن يتّهمه بعدم الكفاءَة؟

انيتوس: محتمل جدّاً أنْ لا.

سقراط: لكن هل قال أحدٌ أبداً على مسمعك، أكان هو شابّاً أو مسنّاً، أنَّ كليوفانتوس بن ثيميستوكلس، هل قال بأنّه كان حكيماً أو إنساناً صالحاً في النواحي عينها كما كان أبوه؟

انيتوس: إنّني لم أسمع بكلّ تأكيد أيّ شخص يقول هكذا قط.

سقراط: ولو كان تعليم الفضيلة مستطاعاً، فهل كان أبوه ثيميستوكلس راغباً أن يدرّبه في هذه الإنجازات الثانوية، وسامحاً له أن لا يكون أفضل من جيرانه في تلك النوعيّات التي امتاز فيها هو ذاته، وهو ابنه الخاصّ؟

انيتوس: حقّاً، حقّاً، إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: يوجد هنا معلّم للفضيلة الذي تعترف أنّه من بين أفضل رجالات الماضي. دعنا نأخذ رجلاً آخر: اريستايدس بن ليسيماخوس. ألا تعترف بأنّه كان إنساناً صالحاً؟

انيتوس: عليَّ أن أعترف، لتكن متأكّداً.

سقراط: أوَ لم يدرِّب هو ابنه ليسيماخوس أفضل من أيّ أثيني آخر في كل ذلك الذي يمكن عمله له بمساعدة الأساتذة؟ لكن ماذا كانت النتيجة؟ أيكون هو

أفضل بقليل من أيّ إنسانٍ آخر؟ إنّه أحد معارفك الشخصيين، وأنت ترى كيف هو. هناك بريكلس، مرّة ثانية، رائعاً في حكمته؛ وهو كما تدرك، ربّى ولدين، بارالوس وأكسانثيبوس.

انيتوس: إنّني أعرف.

سقراط: وتعرف أنت أيضاً أنّه علّمهما ليكونا فارسين لا يُضارَعان، ودرَّبهما على الموسيقى والألعاب الرياضيّة وعلى كل أنواع الفنون ـ كانا في هذه النقاط على المستوى عينه مع الأفضل ولم يكن لديه أيّة رغبة لجعلهما رجلين صالحين؟ لا، بل ينبغي أنّه تاق إلى ذلك. لكنّ الفضيلة، كما أشتبه، لا يمكن أن تُعلَّم. وأنت لا يمكن أن تفترض أنّ الأساتذة غير المؤهلين قد كانوا فقط النوع الأقلّ جدارة من الأثينيين وقلةً في العدد. تذكّر مرة ثانية أن ثيسيدايدس ربّى ولدين، ميليسياس وستيفانوس، اللذين بجانب إعطائهما تعليماً جيداً في الأشياء الأخرى، درَّبهما في المصارعة، وكانا أفضل مصارعين في أثينا. تعهَّد أحدهما رعاية أكسانثياس، وتعهَّد الآخر رعاية يودوروس الذي احتفل به كأمهر مصارعي تلك الأيام. هل تتذكرهما؟

انيتوس: إنني سمعت عنهما.

سقراط: والآن أيمكن أن يوجد هناك شكّ من أن ثيسيدايدس، الذي تعلَّم أطفاله أشياءَ والذي أنفق عليهما المال من أجل التعليم، أيمكن أن يكون هناك شكّ في أنّه سيعلّمهما ليكونا رجلين صالحين، والذي لم يكن ليكلّفه شيئاً، إذا أمكن للفضيلة أن تُعلَّم؟ هل سترِدُّ بأنّه كان رجلاً لا أهميّة له، ولم يمتلك العديد من الأصدقاء بين الأثينيين والحلفاء؟ لا، بل إنّه كان من عائلة عظيمة، ورجلاً ذا تأثير في أثينا وفي هيلاس كلها، وإذا كانت الفضيلة ممكن تعليمها، كان بوسعه أن يجد أثينياً ما أو غريباً ليجعل ولديه رجالاً صالحين، إذا كان ينقصه الوقت اللازم لهما لعنايته بالدولة. مرّة أخرى،

إنّني أشتبه، يا صديقي أنيتوس، أنّ الفضيلة ليست شيئاً يمكن أن يُعلَّم.

انيتوس: يا سقراط، أعتقد بأنّك مستعد أكثر من اللازم كي تتكلّم بالسوء عن الرجال. وإذا ما كنت ستأخذ بنصيحتي، فأنا سأنصحك أن تكون حذراً. لربّما ليس هناك مدينة لا يكون أسهل من إيذاء الرجال فيها بدلاً من أن تفعل لهم خيراً، وهذه هي الحال في أثينا بالتأكيد، كما أعتقد بأنّك تعرف ذلك.

سقراط: أعتقد، يا مينون، أنّ أنيتوس هو في نوبة من الغضب الشديد، ويمكنه جداً أن يكون كذلك. فهو يعتقد، في المكان الأوّل، أنّني أشهّر بهؤلاء الأسياد؛ وفي المقام الثاني، هو يرى نفسه واحداً منهم. لكنّه لا يعرف الآن ما هو معنى التشهير، وإذا ما عرف قطّ، فإنّه سيسامحني. سأعود إليك في غضون ذلك، يا مينون؛ إفترض أنّه يوجد أسيادٌ في منطقتك أيضاً.

مينون: يوجد بدون ريب.

سقراط: وهل سيُقدّمون ليعلموا الشباب؟ وهل يدّعون أنّهم معلّمون؟ وهل يوافقون على أنّ الفضيلة يمكن تعليمها؟

مينون: لا، حقّاً يا سقراط، إنّهم يفكرون بأيّ شيء ما عدا الموافقة؛ يمكنك أن تسمعهم حيناً يقولون إنّ الفضيلة يمكن تعليمها، ويقولون بعدئذ العكس مرّة ثانية.

سقراط: أنقدر أن نسمّي أولئك معلّمين، وهم لا يقرّون حتى بإمكانيّة مهنتهم الخاصة؟

مينون: إنّني لا أعتقد ذلك، يا سقراط.

سقراط: وماذا تفكّر بهؤلاء السوفسطائيين الذين هم الأساتذة فقط؟ هل يبدون لك أنّهم معلمو الفضيلة؟

مينون: إنّني غالباً ما أتعجّب، يا سقراط، من أنّ جورجياس لم يُسمع أبداً واعداً

بتعليم الفضيلة، وعندما يسمع الآخرين واعدين بتعليمها فإنّه يضحك منهم فقط؛ لكنّه يعتقد بأنّ على الرجال أن تُعلَّم لتتكلم.

سقراط: تعتقد أنت إذن أنّه لا هو ولا السوفسطائيون هم المعلّمون.

مينون: لا أستطيع أن أخبرك، يا سقراط؛ مثلي في ذلك مثل بقية العالم. إنّني في شكّ، وأعتقد بعض المرّات أنّهم المعلّمون وبعض المرّات لا.

سقراط: وهل أنت دارٍ بأنّك لست أنت فقط ولا السياسيون الآخرون الذين يساورهم الشكّ إذا ما كان يمكن للفضيلة أن تُعلَّم أو لا، بل إن ثيوجينز الشاعر يقول الشيء عينه بالتحديد؟

مينون: أين يقول ذلك؟

سقراط: في هذه المقاطع الرثائيّة:

« كل واشرب واجلس مع القويّ، واجعل نفسك مقبولاً بهم، لأنّك ستتعلّم من الخيِّر ما يكون خيراً، لكنك إذا اختلطت بالشرّير فستخسر الذكاء الذي تمتلكه مسبقاً ».[٢٠]

هل تلاحظ أنّه يبدو هنا بأنّه يعني ضمناً أنّ الفضيلة يمكن تعليمها؟

مينون: بوضوح.

سقراط: لكنّه يتحوّل في مقاطع أخرى ويقول:[٢١]

« إذا أمكن للفهم أن يُخلق ويُوضع في إنسان فحينئذ هُمْ »، القادرون على أن يؤدُّوا هذا العمل المجيد. « سيكتسبون جوائز كبيرة ».

ومرّة ثانية:

« لن يتحدَّر أبداً ابنٌ شرّير من أبٍ صالح، فهو سيسمع صوت التعليم؛ غير أنّه ليس بالعلم ستخلق رجلا شرّيراً ورجلاً خيِّراً ».

وهذا، كما تلاحظ، يناقض تماماً ما قاله سابقاً.

مينون: بجلاء.

سقراط: وهل يوجد أيّ شيء آخر يُعترف فيه أنّ هؤلاء الأساتذة هم جهلة أنفسهم، بعيداً عن كونهم معلّمين للآخرين، وأنّهم غير مؤهّلين في هذا الموضوع، وبالتحديد الذين يدّعون تعليمه؟ أو هل يوجد أيّ شيء آخر المعترف بهم أنّهم على وشك امتلاكه، في هذه الحال فإنّ هؤلاء « الأسياد » يقولون بعض المرات إنّ « هذا شيء يمكن تعليمه » والعكس بعض المرات؟ هل تستطيع أن تقول إنّهم هم المعلمون حقاً في أيّ منطق حقّ تكون أفكارهم في اضطراب كهذا؟

مينون: عليّ أن أقول، لا بكلّ تأكيد.

سقراط: لكن إذا لم يكن مينونون ولا الأسياد المعلمون، فلا يمكن أن يوجد هناك أي معلمين للفضيلة بجلاء.

مينون: لا.

سقراط: وإذا كان لا يوجد معلمون، فلا يوجد مريدون؟

مينون: موافق.

سقراط: واعترفنا نحن أنَّ الشيء الذي ليس له معلمون ومريدون لا يمكن أن يُعلَّم؟

مينون: اعترفنا.

سقراط: ولا يوجد معلّمون للفضيلة يمكن اكتشافهم في أيّ مكان؟

مينون: لا يوجد.

سقراط: وإذا لم يوجد معلمون، ليس هناك طلبة؟

مينون: أعتقد أنّ ذلك حقيقي.

سقراط: إذن الفضيلة لا يمكن تعليمها؟

مينون: ليس إذا تناقشنا بحقّ. لكنّني لا أستطيع الاعتقاد، يا سقراط، بأنّه لا يوجد رجالٌ أخيار. وإذا وُجدوا، فكيف أتوا إلى الوجود؟

سقراط: إنّي خائف، يا مينون، من أنّك أنت وأنا لا نصْلح لشيء كثير، وأنّ

جورجياس كان معلّماً فاشلاً لك كما قد كان بروديكوس لي. إنَّ علينا أنْ نُعنى بأنفسنا بكلّ تأكيد، وأن نحاول ايجاد شخصٍ ما ليساعدنا بطريقة أو أخرى كي نحسّن أنفسنا. أقول هذا، لأنّني ألاحظ، وبشكل منافٍ للمنطق كفاية، أنّه لا أحد منا راقب في المحادثة السابقة وهو أنّ العمل المحقّ والصالح يكون ممكناً لرجلٍ تحت هداية أخرى غيراً من تلك التي للمعرفة. لربّما كان ذلك هو السبب الذي من أجله أخفقنا في اكتشاف كيفيّة انتاج الرجال الأخيار.

مينون: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّك سترى ان الرجال الأخيار نافعون بالضرورة؛ ألم نكن محقّين في اعترافنا بهذا؟ يجب أن يكون كذلك.

مينون: نعم.

سقراط: وفي الافتراض أنّهم سيكونون نافعين، إذا كانوا مرشدين حقيقيين لنا في العمل - هناك كنا محقّين أيضاً؟

مينون: نعم.

سقراط: لكنّنا عندما قلنا إنّ الإنسان لا يستطيع أن يكون هادياً صالحاً إلا إذا امتلك المعرفة نبدو في هذا أنّنا أدخلنا اعترافاً مغلوطاً.

مينون: ماذا تعني بـ « الهادي الصالح »؟

سقراط: إنّني سأشرح لك. إذا عرف إنسان الطريق إلى لاريسا، أو إلى أيّ مكانٍ آخر، وذهب هو إلى المكان وقاد الآخرين إلى هناك، ألن يكون هو هادياً صالحاً وخيّراً؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: وسيكون هادياً صالحاً الشخص الذي كان له رأي صحيح بشأن الطريق، لكنّه لم يكن هناك أبداً ولم يعرفه، أليس كذلك؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: وبينما يمتلك هو الرأي الصحيح بخصوص ذلك الذي يعرفه الآخرون، فإنّه سيكون هادياً صالحاً بالصلاح عينه ذلك تماماً إذا ما اعتقد بالحقيقة فقط، مَثَله في ذلك مَثَلُ من يعرف الحقيقة.

مينون: بالضبط.

سقراط: إذن فإنّ الرأي الحقّ يكون صالحاً بالصلاح عينه تماماً كي يصحّح العمل كما تصحّحه المعرفة؛ وتلك هي النقطة الأساسيّة التي أسقطناها في تأمّلنا بشأن طبيعة الفضيلة عندما قلنا بأنّ المعرفة تُرشِد العمل الصحيح فقط، في حين أنّه يوجد رأي حقّ أيضاً.

مينون: يبدو هكذا.

سقراط: إذن فإنّ الرأي الحقّ لا يكون أقلّ نفعاً من المعرفة؟

مينون: ثمّة فرق، يا سقراط؛ إنّ من يحوز المعرفة سيكون محقّاً على الدوام، لكن من يمتلك الرأي الصحيح سيكون محقّاً بعض المرات، وبعض المرات لا يكون.

سقراط: ماذا تعني؟ أيمكن أن يكون مخطئاً مَنْ لديه الرأي الصحيح وما فتىء يمتلكه؟

مينون: إنّني أعترف بقوة حجّة محاورتك المقنعة، ولذلك، يا سقراط، فإنّي أتساءَل أنّ المعرفة يجب أن تُكافأ أبداً بكثير ممّا يُكافأ الرأي الصحيح ـ أو لِمَ هما سيتباينان قط؟

سقراط: وهل سأشرح لك تساؤلك هذا؟

مينون: أخبرني.

سقراط: إنّك لن تتساءَل إذا ما راقبت تماثيل دايدالوس قط(٢٢)؛ لكن لربما لم تحصلوا عليها في بلادكم؟

مينون: وما علاقتها بالسؤال؟

سقراط: لأنّها تحتاج للإثبات كي تُصان، وإذا لم تُثبَّت فإنّها ستهرب مثل العبيد الآبقين.

مينون: حسناً، وماذا عن ذلك؟

سقراط: أعني أنّها ليست باقتناءٍ ثمينٍ جداً، مِثلُها مِثلُ العبيد الهاربين، إذا كانوا مُطلَقي الحريّة، لأنّهم سيأخذون ما ليس لهم. لكنها عندما تُثبَّت فإنّ قيمتها كبيرة لأنّها تكون عملاً فنيّاً رائعاً بحقّ. والآن هذه هي صورة توضيحيّة لطبيعة الآراء الحقيقية: طالما تقيم معنا فإنّها جميلة ومثمرة ولا شيء سوى أنّها خيِّرة، لكنّها تهرب خارجَ الروح الإنسانيّة ولا تهتمّ بأن تبقى فيها طويلاً، ولذلك فهي ليست ذات قيمة كثيرة أو إذا تثبّتت بفهم منطقي للأسباب. وهذا التثبيت لها، أيّها الصديق مينون، هو التذكّر، كما اتفقنا أنا وأنت على تسميتها. لكنها عندما تُقيَّد فإنها تبلغ لتكون معرفة، في المقام الأوّل؛ وفي المقام الثاني فإنّها تقيم في الروح. ومن أجل هذا تكون المعرفة أكثر تمجيداً وامتيازاً من الرأي الصحيح لأنّها مثبّتة بسلسلة.

مينون: حقاً، يا سقراط، يبدو أنّ شيئاً ما من هذا النوع يكون محتملاً.

سقراط: أنا أيضاً أتكلّم جهلاً بالأحرى؛ إنّني أخمّن فقط. ومع ذلك فإنّ تلك المعرفة تختلف عن الرأي الصحيح وهذه ليست بمسألة تخمينيّة بالنسبة لي. ليس هناك أشياء عديدة أدّعي أنّني أعرفها، لكن هذه من بين المسائل الأكثر تأكيداً.

مينون: نعم، يا سقراط؛ وأنت محقّ تماماً في قولٍ كهذا.

سقراط: أو لست محقّاً أيضاً في القول إنّ الرأي الحقّ الذي يهدي الطريق يتمّم أيَّ عمل كما تكمّله المعرفة تماماً؟

مينون: هناك مرّة ثانية، يا سقراط، أعتقد بأنّك محقّ.

سقراط: إذن لا يكون الرأي الصحيح للعمل أدنى ذكاءً من المعرفة، ولا أقل نفعاً. ولا يكون الرجال الذين يمتلكون رأياً صحيحاً أدنى ممّن يمتلك معرفة.

مينون: صدقاً.

سقراط: ولقد اعترفنا بأنّ الإنسان الصالح يكون نافعاً بكلّ تأكيد.

مينون: نعم.

سقراط: مشاهدين عندئذ أنّ الرجال يصبحون أخياراً أو نافعين للدول « إذا فعلوا »، ليس لأنّهم يحوزون معرفة فقط، بل لأنّهم يمتلكون رأياً صحيحاً، ولا تُعطى المعرفة ولا الرأي الصحيح للإنسان بالطبيعة أو تُكتسب به ـ هل تتصوّر أنّ أحدها يُعطى بالطبيعة؟

مينون: لست أنا.

سقراط: اذا لم يعطيا بالطبيعة إذن، فلا يكون الخيِّر بالطبيعة خيِّراً؟

مينون: لا بكلّ تأكيد.

سقراط: وكون الطبيعة مُسْتَبْعَدَة، يأتي السؤال التالي بعدئذ وهو إذا ما كانت الفضيلة مكتسبة بالتعليم؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا كانت الفضيلة حكمة عمليّة، يمكن تعليمها عندئذ، كما فكّرنا؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا أمكنَ تعليمها فهي كانت حكمة؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: وإذا وجد أساتذة، أمكن تعليمها؛ لكن إذا لم يوجد أساتذة، فلا؟

مينون: حقاً.

سقراط: غير أنّنا اعترفنا بكلّ تأكيد أنّه لا يوجد معلمون للفضيلة.

مينون: نعم.

سقراط: هكذا فإنّنا اعترفنا بأنّها لا يمكن تعليمها، وأنّها ليست حكمة.

مينون: بالتأكيد.

سقراط: واعترفنا بأنّها كانت خيراً مع ذلك.

مينون: نعم.

سقراط: وذلك الذي يهدي على نحوٍ قويم يكون نافعاً وخيِّراً.

مينون: بدون ريب.

سقراط: وأنّ الهاديَيْن الحقيقيَّين للمخلوقات الإنسانية هما المعرفة والرأي الحقّ ـ الأشياء التي تسير على نحو صحيح بصدفةٍ سعيدةٍ ما لا تفعل هكذا بدليلٍ إنساني ـ وعندما يقود الدليل الإنساني على نحوٍ قويم، يجب أن تكون الهداية بواحدٍ من هذين الاثنين، الرأي الحقّ والمعرفة.

مينون: إنّني أعتقد هكذا أيضاً.

سقراط: لكن إذا كانت الفضيلة لا تعلَّم، فإنها لا تكون معرفة.

مينون: لا بوضوح.

سقراط: إذن لقد وُضع جانباً واحد من بين شيئين اثنين صالحين ونافعين، ولا يمكن افتراض أنّه مرشدنا في الحياة السياسيّة.

مينون: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: ولذلك ليس بأيّة حكمة، ولا بسبب أنّهم كانوا حكماء، فعل ثيميستوكلس وأولئك الآخرون الذين تكلّم عنهم أنيتوس أنّهم يحكمون دولهم. كان هذا هو السبب الذي من أجله كانوا غير قادرين لأن يجعلوا الآخرين كأنفسهم ـ بسبب أنّ فضيلتهم لم تكن مرتكزة على المعرفة.

مينون: من المحتمل أن يكون ذلك حقيقيّاً، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا ليس بالمعرفة، فإنّ الخيار الوحيد الباقي هو أنّ رجال الدول يرشدون دولهم بالرأي الصحيح. إنّهم يحلُّون في الصلة عينها للحكمة، كما

يحلّ المتنبئون والأنبياء الذين يقولون أشياء عديدة كذلك بحقّ عندما يكونون ملهمين، غير أنّهم لا يعرفون ما يقولون.

مينون: افترض هكذا.

سقراط: أوَ لاَ يمكننا أن نسمّي أولئك الرجال، يا مينون، « متنبئين »، ليس لديهم فهم، وهم ينجحون في العديد من المآثر والكلمات العظيمة مع ذلك؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: سنكون محقّين إذن أيضاً في تسمية المتنبئين، أولئك الذين كنا متكلمين عنهم لتوّنا، كمتنبئين وأنبياء، بمن فيهم كلّ قبيلة الشعراء. نعم، ويمكننا أن نصنّف رجال الدول مع هؤلاء ليس بأقلّ من متنبئين وملهمين، كونهم مُمْتَلكِينَ بالله وممتلئين بروحه، والذين يقولون في حالتهم تلك العديد العديد من الأشياء العظيمة غير عارفين ما يقولون.

مينون: نعم.

سقراط: والنساء أيضاً، يا مينون، يدعونَ الرجال متنبئين ـ ألاَ يفعلنَ هنَّ ذلك؟ وعندما يثني الاسبرطيُّون على إنسانٍ خيِّر، يقولون « أنه يكون إنساناً متنبئاً ».

مينون: وأعتقد، يا سقراط، بأنّهم محقّون؛ مع أنّه يمكن لصديقنا أنيتوس بالاحتمال الجدّي أن يستنتج إساءَة في الكلمة.

سقراط: إنّني لا أبدي اهتماماً بذلك؛ فيما يتعلّق بأنيتوس فستسنح فرصة أخرى للتحدث معه. دعنا نلخص التحقيق ـ يبدو أنّ النتيجة هي، إذا ما كنا محقّين في سير محاورتنا، أنّ الفضيلة ليست طبيعية ولا منقولة بالتعليم، بل هي مقدرة طبيعيّة يمنحها الله لأولئك الذين تُعطى لهم، وهي ليست مقدرة طبيعيّة مترافقة بسبب، إلاَّ إذا أمكن الافتراض أنّه يوجد بين رجال الدول شخص ما قادر على تعليم هؤلاء الرجال. وإذا وجد شخص كهذا يمكن القول عنه إنّه يكون بين الأحياء. ما يقوله هوميروس إنّ تيرسياس كان بين

الأموات، « أنّه الوحيد الذي يمتلك فهماً، لكنّ الباقين هم ظلال متنقلة بسرعة من مكان إلى مكان ». سيكون هو فيما يخصّ الفضيلة حقيقة بين الأشباح في أسلوب مماثل.

مينون: إنّ ذلك لممتاز، يا سقراط.

سقراط: الاستنتاج إذن، يا مينون، هو أنّ الفضيلة تأتي بهبة الله لأولئك الذين تأتي إليهم. لكنّنا لن نعرف أبداً الحقيقة الأكيدة حتى نَعدَّ أنفسنا لنتساءَل في طبيعة الفضيلة الجوهريّة قبل أن نسأل كيف تُعطى هي. أخشى من أنّني ينبغي أن أذهب. لكن بما أنك أنت نفسك مقتنع، أقنع صديقنا أنيتوس. ولا تدعه يكون ساخطاً هكذا إذا استطعت أن تستميله، فستقدّم خدمةً جليلةً إلى الشعب الأثيني.

محاورة يوثيفرو

افكار المحاورة الرئيسيَّة

يلتقي سقراط بيوثيفرو صدفةً في ردهة مبنى الملك آرخون، ويسأل الثاني الأوّل عن سبب وجوده في هذا المكان، وابتعاده عن قاعة المناقشات العامَّة، وعمّا يفعل هنا، فهو لا يستطيع أن يشترك في شكوى أمام الملك بالتأكيد، مثلما يفعل يوثيفرو.

إنّني لست بمشتكٍ على أحد، يا يوثيفرو، بل أنا المدَّعى عليه.

ماذا، من ادّعى عليك، يا سقراط؟

إنّه رجل شابّ معروف قليلاً، يا يوثيفرو، وأكاد لا أعرفه؛ إسمه ميليتوس، له أنف بشكل منقار، شعره سبطٌ، ولحيته نامية بشكل سيّىء. إنّه يتّهمني بأنّي أفسد عقول الشباب.

إنّ الصحيح سيثبت في النهاية، يا سقراط، وأعتقد بأنّه في مهاجمته لك إنّما يسدّد ضربةً إلى قلب الدولة. لكن كيف يقول إنّك تفسد الشباب؟

يقول إنّني أبتدع آلهة جديدة وأُنكر وجود القديمة، هذا هو أساس اتهاماته.

أفهم بأنّه يهاجمك، يا سقراط، بخصوص الإشارة الإلهيَّة المعتادة التي تأتي إليك من حين إلى آخر، كما تقول. إنّه يعتقد بأنّك تستعمل ألفاظاً بمعنىً جديد وهو ذاهب ليستدعيك إلى محكمة العدل بسبب ذلك. يعرف هو بأنّ تهمة كهذه سيتقبّلها العالم باستعداد، كما أعرف هذا من نفسي جيّداً جداً؛ لأنّني عندما أتحدث في الجمعية العامة عن الأشياء الإلهيّة، وأتنبّأ بالمستقبلية منها يسخرون مني ويعتقدون بأنّني مجنون. مع ذلك فإنّ كلّ كلمة أقولها هي حقيقية. لكنهم يغارون منا جميعهم؛ وينبغي علينا أن نكون شجعاناً وأن لا نستكين لهم. وأجرؤ على

القول بأنّ الأمر سينتهي إلى لا شيء، وأنّك سترِبح دعواك. وأعتقد بأنّي سأربح دعواي كذلك.

وما هي شكواك، يا يوثيفرو، وهل أنت المهاجِم أو المدافع؟

إنّني المهاجِم، يا سقراط، والمطارَد هو أبي، وأنا أتّهمه بقتل عبده. سأروي لك قصّة، وقصة ذلك وسببه. إنّ الضحيّة رجل فقير وتابع لي، وقد اشتغل معنا كعاملٍ في الحقل داخل مزرعتنا في ناكسوس، وحصل خصام ذات يوم بينه وبين أحد خدّامنا في البيت. وبينما كان هو سكران وفي نوبةٍ انفعالية ذبحه. بعد ذلك قيّده أبي بيديه ورجليه ورماه في حفرة عميقة، ثم أرسل رسولاً إلى أثينا كي يسأل شارح القانون الديني ماذا سيفعل به. في هذه الأثناء، لم يسهر أبي على خدمته ولم يعتنِ به لأنّه اعتبره قاتلاً؛ وظنَّ أنّه لن يحصل له ضرر كبير حتى لو مات. وهذا هو ما حدث تماماً. توفّي العبد بتأثير البرد والجوع وألم القيد قبل أن يعود الرسول من رحلته وأخذ رأي شارح القانون الديني. إنّ أبي والعائلة غضبوا عليَّ لوقوفي بجانب القاتل ـ المقتول ومقاضاة أبي. يقولون إنّ أبي لم يقتل العبد، وإنّه وإنْ فعل، فالرجل الميّت لم يكن إلا قاتلاً، وما ينبغي عليَّ أن أبدي أيّة ملاحظة لأن آبناً يقاضي أباه للقتل عمداً، إنّما هو ولد عاق. يُظهر ذلك، يا سقراط، قلّة معرفتهم بما يفكر به الآلهة بشأن التقوى والعقوق.

يا للسماء يا يوثيفرو! وهل تكون معرفتك عن الدين وأشياء التقوى والعقوق هكذا دقيقة جداً؟ وافترض أنّ الظروف هي كما تعرضها، أَلَستُ بخائفٍ من عدم قدرتك على فعل شيء عاقّ بتوجيه عملٍ كهذا ضد أبيك؟

إنّ الذي ميّز يوثيفرو والأفضل عن الدهماء، يا سقراط، هو معرفته الدقيقة بهذه الأشياء ككلّ. وكيف سأصلح لأيِّ شيءٍ بدونها؟

يا صديقي النادر! أعتقد بأنّني لا أستطيع عمل شيء أفضل من أن أكون تلميذك. إذنْ وقبل كلّ شيء فإنّني سأتحدّى ميليتوس عندما تأتي المحاكمة، وسأقول

له بأنّ لديّ اهتماماً عظيماً في القضايا الدينية على الدوام. والآن بما أنّه يتّهمني بتخيّلات متهوّرة وببدَع دينية، فأنا أصبحت أحد مريديك. وأنت، يا ميليتوس، كما سأقول له، تعترفَ بأنّ يوثيفرو هو عالم باللاهوت مهم، وهكذا يلزمك أن ترضى عليّ، وأن لا تقودني إلى محكمة العدل؛ وإلاّ فأنت ستبدأ باتهام من هو معلّمي، ومن سيكون سبب الدمار، ليس للشباب فقط، بل للمسنّين. وأقصد نفسي التي علّمها، وكذلك أبوه المسنّ الذي يؤنّب ويؤدّب. وإذا رفض ميليتوس أن يستمع إليّ واستمرّ في الوصول إلى هدفه، ولم يتحوّل الاتهام منّي إليك، فأنا لا أستطيع أن أفعل أفضل من أن أكرّر هذا التحدّي في محكمة العدل.

نعم، حقاً، يا سقراط؛ وإذا حاول هو أن يتّهمني فإنّي سأكون مخطئاً إنْ لم أجد فيه عيباً. إنَّ محكمة العدل ستكون مشغولة به لوقتٍ طويل قبل أن تأتي إليّ.

بما أنّ هذا الميليتوس، يا يوثيفرو، قد اكتشفتني عيناه الثاقبتان، واتهمني بالعقوق، لهذا السبب، فإنّني أستحلفك لتقول لي ما هي طبيعة التقوى والعقوق، وما هما اللذان قلت بأنّك تعرفهما هكذا جيّداً. أليس أحدهما ضد الآخر؟

إنّ التقوى، يا سقراط، هي عمل ما أنا فاعل. بمعنى، متهماً أيّ شخص يذنب بجريمة القتل عمداً، ويقوم بتدنيس المقدّسات وانتهاك حرماتها، أو أيّة جريمة أخرى مشابهة ـ سواء كان أباك أو أمّك، أو غيرهما ـ ليس هناك فرق؛ أمّا العقوق فهو أن لا تتّهمهم وأن لا تقاضيهم. يجب أن يُعَاقب العاقّ هكذا، وهذا ما أكّدته الآلهة وعلى رأسهم زيوس. ولذلك أعرّف التقوى بأنّها تلك التي تكون عزيزة على الآلهة، والعقوق هو الذي لا يكون عزيزاً عليهم.

بعد أن ناقشنا تحديدك للتقوى والعقوق، يا يوثيفرو، إتفقت وإياك على تعريفٍ جديد، ولهذا السبب أقول، إنّ ما يكرهه الآلهة هو العقوق، والذي يحبّونه هو التقي المقدّس؛ وما يحبّه بعضهم ويكرهه البعض الآخر كليهما أو لا يكون سواهما. هل سيكون هذا تعريفنا للتقوى والعقوق؟

لِمَ لا، يا سقراط.

لِمَ لا، بالتأكيد، بقدر ما يخصّني، يا يوثيفرو، لا يوجد سبب لعدم كون ذلك. لكن إذا ما كانت هذه المقدّمة مقدّمة منطقيّة فستساعدك في تعليمي بشكل كبير، كما وعدتني، وهذا ما أعتبره عملاً شاقّاً. دعنا نحقق في هذا التعريف الجديد ونرى إذا ما كان سيصمدُ لاختبار التحقيق هذا. لنسأل، هل يكون التقيّ أو المقدّس محبوباً من الآلهة لأنه تقيّ، أو تقياً لأنّه محبوب من الآلهة؟ وبعد أن سقط هذا التعريف في اختبار التحقيق، تبدو لي، يا يوثيفرو، بأنّني عندما أسألك سؤالاً وهو: ما هي طبيعة التقوى، فأنت تقدِّم لي صفةً فقط، وليس جوهراً ـ الصفة كونه محبوباً بالآلهة كلهم. لكنك لم تشرح لي بعد طبيعة القداسة. ولهذا، إذا تفضّلت، فإنّني أسألك أن لا تخفي كنزك، بل أن تبدأ مرّة ثانية، وتقول لي بصراحة، ما هي التقوى أو القداسة حقاً، وما هو العقوق؟

إنّني لا أعرف حقّاً، يا سقراط كيف أعبّر عمّا أعنيه، لأنّه بطريقة ما أو بأخرى، فإنّ التعريفات التي تقدِّم، وعلى أيّما قواعد نركّزها، تبدو أنّها تدور دائريّاً وتفلت منا على الدوام. وبعد أن أعطيتك أمثلةً عديدة، يا يوثيفرو، فهل لك أن تعرِّف لي معنى القداسة، وأن لا تخفي عنّي حكمتك؟

إنّ التقوى أو القداسة، يا سقراط، تبدو لي بأنّها ذلك الجزء من العدل الذي يختصّ بالرجال، وهي نوع من الخدمة الكهنوتيّة للآلهة. لكن بعد أن وقعت في الخطأ في هذا التعريف، أقول مجدّداً، إنّ التقوى أو القداسة هي تَعلُّم كيف ترضي الآلهة في القول والعمل، بالصلوات والتضحيات. إنّ تقوى كتلك هي خلاص العائلات والدول، والعقوق هو عكس ذلك كالأعمال والأقوال التي لا ترضي الآلهة، وهذا هو دمارها وخرابها.

وهل تعني أنّ التقوى، يا يوثيفرو، هي نوع من علم الصلاة والتضحية، وهي علم التماسٍ وعطاء للآلهة. أخبرني لذلك من فضلك، ما هي طبيعة هذه الخدمة؟

لقد ظهرت أنّها الفن الذي تمتلكه الآلهة والرجال للتجارة مع بعضهم بعضاً، بعد جولة من البحث. وتقول أنت إنّ هذه الهبات هي تقدمات إجلال واحترام، وهي ما يرضيهم، لكنّها ليست مفيدة أو عزيزة عليهم. أقول لك إنّ كلّ التعريفات التي أعطيتها لم تصمد أمام المقدّمات المنطقية، لهذا السبب سأسألك مرّة أخرى كي تخبرني ما هي التقوى وما هو العقوق. وإذا لم تكن عارفاً بطبيعتهما، فإنّني لمتأكّد بأنّك لن تتّهم أباك المسنّ بالقتل عمداً، وذلك بالنيابة عن فلاح أرض.

سأخبرك في وقت آخر، يا سقراط، لأنّي بعجلةِ الآن، وينبغي أن أذهب.

واحسرتاه! يا صديقي، وهل ستتركني في اليأس؟ كنت آمل أن تخبرني عن طبيعة التقوى والعقوق لأتثقف بها؛ وحينئذ يمكنني أن أُبرّىء نفسي من ميليتوس وتهمته. كنت سأخبره أنّ يوثيفرو نوّرني، وأنّي أعطيت أفكاراً متسرّعة وتأمّلات انغمست فيها بسبب الجهل فقط، أمّا الآن فأنا على وشك أن أحيا حياة أفضل.

محاورة يوثيفرو

أشخاص المحاورة

سقراط. يوثيفرو

المشهد: ردهة مبنى الملك آرخون.

يوثيفرو: ما الممكن حدوثه، يا سقراط، حتى تبتعد عن قاعة المناقشات العامّة؟ ماذا تفعل في ردهة مبنى الملك آرخون؟ لا يمكن أن تشترك أنت في شكوى أمام الملك، مثلي أنا، بكلّ تأكيد؟

سقراط: ليس في شكوى، يا يوثيفرو، إنّ الكلمة التي يستعملها الأثينيون هي، « إدّعاء ».

يوثيفرو: ماذا! أفترض أنّ شخصاً ما قد ادّعى عليك لأنّي لا أستطيع التصديق أنّك أنت المدّعي على الآخرين.

سقراط: لا بالتأكيد.

يوثيفرو: إذن فإنّ شخصاً ما قد ادّعى عليك؟

سقراط: نعم.

يوثيفرو: ومن هو؟

سقراط: إنّه رجل شاب وقليلاً ما يُعرف، يا يوثيفرو، وأنا لا أكاد أعرفه. إسمه ميليتوس، وهو من مقاطعة بيثيس. لربّما يمكنك أن تتذكّر مظهره. له أنف بشكل منقار، شَعره سَبْطٌ، ولحيته نامية على هيئة بشعة.

يوثيفرو: لا، إنّني لا أتذكّره، يا سقراط. لكن ما هي التهمة التي يسوقها ضدّك؟

سقراط: ما هي التهمة؟ حسناً، إنّها تهمة عظيمة على الأصحّ، تدل ضمناً على

درجةٍ من الفطنة أبعد من أن تكون جديرة بالازدراء في إنسان شابّ. يقول إنّه يعرف كيف يُفسَدُ الشباب، ويعرف مُفسِدهم. أتخيَّل أنّه يجب أن يكون رجلاً عاقلاً، ومشاهداً أنّني أكون عكس الإنسان الحكيم. فلقد اكتشفني، وهو في طريقه ليتّهمني بإفساد جيله، وأمّا أُمُّنا الدولة فستكون هي القاضي. إنّه الوحيد من بين كل رجالنا السياسيين الذي يبدو لي أنّه يبتدىء في الطريق الصحيح، ألا وهو زرع الفضيلة في الفتيان؛ هو مثل الزراع البارع، يجعل الشباب ذوي البراعم الجديدة من أولويات اهتماماته، ويبعدنا تماماً نحن الذين يتّهمنا بتدميرهم. إنّ هذه هي الخطوة الأولى؛ وبعدها فهو سيقوم بخدمة الأغصان الأكبر عمراً بكلّ تأكيد. وإذا ما واصل عمله كما ابتدأه، فإنّه سيكون محسناً شعبياً عظيماً جداً.

يوثيفرو: آمل أن يتمكَّن من ذلك؛ غير أنّني أخشى على الأصحّ، يا سقراط، أن تكون الحقيقة في النهاية عكس ذلك. رأيي أنّه في مهاجمته لك إنّما يسدّد ضربةً إلى قلب الدولة. لكن بأيّة طريقة يقول بأنّك تفسد الفتيان؟

سقراط: بطريقة عجيبة تثير الدهشة. في البدء يقول إنّني مبتدع آلهة، وإنّني أخترع آلهة جديدة وأنكر وجود القديمة. هذا هو أساس اتهاماته.

يوثيفرو: أفهم، يا سقراط بأنه يعني مهاجمتك بخصوص الإشارة المعتادة التي تأتي إليك من حين لآخر، كما تقول. يعتقد بأنّك تستعمل ألفاظاً ذات معنىً جديد، وسيستدعيك إلى محكمة العدل بسبب ذلك. إنّه يعرف أنَّ تهمة كهذه سيتقبَّلها العالم باستعداد وترحيب، كما أعرف هذا من نفسي جيّداً جداً لأنّني عندما أتحدَّث عن الأشياء الإلهيّة في الجمعيّة العامة، وأتنبّأ بالمستقبليّ منها، هُمْ يسخرون مني ويعتقدون أنّني رجل مجنون. مع ذلك فإنّ كلّ كلمة أقولها هي حقيقة، لكنهم يغارون منّا جميعاً وينبغي علينا أن نكون شجعان وأن لا نستكين لهم.

سقراط: إنّ سخريتهم، يا صديقي يوثيفرو، ليست بمسألةٍ ذات عاقبة كثيرة لأنّه يمكن لرجلٍ أن يُعتبر بأنّه حاذق؛ لكنّني أشتبه أنَّ الاثينيين لا يزعجون أنفسهم كثيراً بشأنه حتى يبتدىء بنقل حكمته إلى الآخرين. وحينئذ، لسببٍ ما أو لآخر، أوه لربّما من الغيرة، كما تقول، فهم يكونون غاضبين.

يوثيفرو: ليس لديّ رغبة كبيرة لأختبر مزاجهم نحوي بهذه الطريقة.

سقراط: لا شكّ بأنّهم يعتقدون أنّك متحفّظ في تصرّفك، ولا تريد أن تنقل حكمتك. لكنني مفطورٌ على حبّ الخير في إغداق ما بنفسي على كلّ شخص، وسأدفع المال حتّى لمن يستمع إليّ، وإنّني لأخشى أن يعتقدوني الأثينيون ثرثاراً أكثر ممّا ينبغي. والآن إذا كانوا سيضحكون عليّ فقط، كما أقول، وكما تقول أنت أنّهم يسخرون منك، فالوقت يمكن أن ينقضي بمرحٍ كافٍ مع المزاح والبهجة في المحكمة. وبعدئذ ماذا ستكون النهاية؟ فأنتم وحدكم أيّها المتنبئون تستطيعون أنْ تتنبّؤوا.

يوثيفرو: أجرؤ على القول بأنَّ الأمر سينتهي إلى لا شيء، يا سقراط، وستربح دعواك؛ وأعتقد بأنّي سأفوز بدعواي كذلك.

سقراط: وما هي شكواك، يا يوثيفرو؟ هل أنت المهاجِم أو المُدافِع؟

يوثيفرو: إنّني المهاجِم.

سقراط: لمن تهاجِم؟

يوثيفرو: عندما أخبرك، فإنّك سوف تعي سبباً آخر لزعم جنوني.

سقراط: لماذا، هل لدى الهارب أجنحة؟

يوثيفرو: لا إنّه ليس بقادرٍ جدّاً على الطيران في زمن حياته.

سقراط: من هو؟

يوثيفرو: إنّه أبي.

سقراط: يا سيّدي العزيز! أبوك حقّاً؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: وبماذا يُتّهم؟

يوثيفرو: بالقتل عمداً، يا سقراط.

سقراط: يا للسّماء! كم يعرف الجمهور العام قليلاً، يا يوثيفرو، عن طبيعة الحقّ والحقيقة! ينبغي على الإنسان أن يكون إنساناً غير عاديّ، وأن يكون متقدّماً في الحكمة بسرعة، قبل أن يتمكن من رؤية طريقةٍ ليقوم بعملٍ كهذا.

يوثيفرو: حقاً، يا سقراط، يلزمه عمل ذلك.

سقراط: أعتقد أنَّ الرجل الذي قتله أبوك كان واحداً من عائلتك ـ أنّه كان كذلك بوضوح؛ إذ لو كان غريباً لما فكر في قتله قطّ.

يوثيفرو: يسلّيني، يا سقراط، أن تميّز بين الشخص الذي هو عضو من العائلة وبين شخص مغاير لأنّ التدنُّس هو الشيء عينه في كلتا الحالتين بدون ريب، إذا تزاملت مع القاتل عمداً بمعرفةٍ منك في حين أنّه ينبغي عليك أن تطهِّر نفسك وتطهِّره بإقامة الدعوى عليه. إنّ السؤال الحقيقيّ هو إذا ما قد قُتِلَ الرجل الذي ذُبِحَ عمداً بعدل. إنْ بعدل، فواجبك أن تدع المسألة وشأنها. لكن إذا بظلم، فما عليك عندئذ إلاَّ أن تقيم الدعوى على القاتل عمداً. إذن، كيف تقول إنّه يعيش وإياك تحت سقف واحد ويأكل على الطاولة عينها. في الحقيقة، الرجل المتوفى كان فقيراً وتابعاً لي اشتغل معنا كعاملٍ في الحقل داخل مزرعتنا في ناكسوس. ويوماً ما حصل خصام بينه وبين أحد خدامنا في البيت بينما كان سكران وفي نوبةٍ انفعاليّة فذبحه. قيّده أبي بيديه ورجليه ورماه في حفرةٍ عميقة، وأرسل رسولاً لأثينا بعدئذ كي يسأل شارح القانون الديني ماذا سيفعل به. في غضون ذلك لم يسهر على خدمته ولم يعتنِ به لأنّه اعتبره قاتلاً وظنّ أنّه لا ضرر منه حتى وإن مات. وهذا ما حدث تماماً لأنّه كان تحت تأثير البرد والجوع وألم القيد، ومات قبل أن

يعود الرسول من رحلته وأخذ رأي شارح القانون الديني. إنّ أبي والعائلة غاضبون عليَّ لوقوفي بجانب القاتل ومقاضاة أبي. يقولون إنّه لم يقتله، وإنه وإن فعل، فالرجل الميّت لم يكن إلا قاتلاً، وما يجب عليَّ أن أبدي أيَّة ملاحظة لأنّ ابناً يقاضي أباه عمداً إنّما هو ولد عاق. يُظهر ذلك، يا سقراط، قلة المعرفة بما يفكر به الآلهة بشأن التقوى والعقوق.

سقراط: يا للسماء، يا يوثيفرو! وهل تكون معرفتك عن الدين وأشياء التقوى والعقوق جدّ دقيقة هكذا؟ وافترض أنّ الظروف هي كما تعرضها، ألست بخائفٍ لئلاّ يمكن أن تفعل شيئاً عاقاً بتوجيه عمل كهذا ضد أبيك؟

يوثيفرو: إنّ الذي ميّز يوثيفرو والأفضل، يا سقراط، عن الدهماء، هو معرفته الدقيقة بكلّ الأشياء كهذه. وكيف سأصلح لأيّ شيء بدونها؟

سقراط: يا صديقي النادر! أعتقد بأنّه ليس أفضل لي من أن أكون تلميذك. إذن وقبل أن تأتي المحاكمة مع ميليتوس فإنّني سأتحدّاه، وأقول له إنّ لديَّ اهتماماً كبيراً في القضايا الدينية على الدوام. والآن، بما أنّه يتّهمني بتخيلاتٍ متهوّرة وبِبِدَعٍ في الدين، فأنا أصبحت أحد مريديك. وأنت، يا ميليتوس، كما سأقول له، تعترف بأنّ يوثيفرو عالم لاهوتٍ مهم، وهكذا يلزمك أن ترضى عليّ، وأن لا تقودني إلى محكمة العدل؛ وإلاّ فأنت ستبدأ باتّهام من يكون معلّمي ومن سيكون سبب الدمار، ليس للشباب، بل للمسنّين؛ أقصد نفسي التي علّمها، وأبوه المسنّ الذي يؤنّب ويؤدّب. وإذا رفض ميليتوس أن يستمع إليّ واستمرّ في الوصول إلى هدفه، ولم يحوّل الاتهام مني لك، فأنا لا أستطيع أن أفعل أفضل من تكرار هذا التحدّي في محكمة العدل.

يوثيفرو: نعم، حقا، يا سقراط؛ وإذا حاول هو أن يتّهمني فإنّي سأكون مخطئاً إذا لم أجد عيباً فيه. إنّ محكمة العدل ستكون مشغولة به لوقت طويل قبل أن تأتي إليّ.

سقراط: وأنا عارف بهذا، يا صديقي العزيز، وكلّي أمل لأصبح أحد مريديك لأنّني ألاحظ أن لا أحد يبدو ليراقب هذا ـ ليس حتى هذا الميليتوس. غير أنَّ عينيه الثاقبتين اكتشفتني في الحال، واتهمني بالعقوق، ولهذا السبب، فإنّني أستحلفك أن تقول لي ما هي طبيعة التقوى والعقوق اللذين قلت إنّك تعرفهما جيّداً، وكذلك في نسبتهما إلى القتل عمداً وإلى الجرائم ضدّ الآلهة بشكل عامّ. أليست التقوى في كلّ عمل هي الشيء عينه على الدوام؟ أليس العقوق، مرّة ثانية، ضدّ التقوى دائماً، والشيء عينه مع نفسه أيضاً، وأن له كعقوق، فكرة أو شكلاً واحداً يشمل العقوق مهما يكن؟

يوثيفرو: لتكن متأكداً، يا سقراط.

سقراط: وما هي التقوى، وما هو العقوق؟

يوثيفرو: إنّ التقوى هي ما أنا فاعل، بمعنى أنّني الشخص المذنب بجريمة القتل عمداً، المذنبُ بتدنيس المقدّسات وانتهاك حرماتها، أو بأيّة جريمة أخرى مشابهة، سواء أكان أباك أو أمك، أو غيرهما لا فرق في ذلك. أمّا العقوق فهو أن لا تتّهمهم وأن لا تقاضيهم. ومن فضلك أن تتأمّل مليّاً، يا سقراط، أيّ برهان جدير ذكره سأعطيك، وأنّ هذا البرهان هو القانون، برهان أعطيته مسبقاً إلى الآخرين، ـ أعني البرهان الذي يرتكز على المبدأ وهو أنّه لا ينبغي أن يُترك العاقّ بدون عقاب أيّاً كان أو يمكن أن يكون. إذ، ألا يعترف الرجال بأنّ زيوس هو كأفضل وأكثر الآلهة صلاحاً؟ ومع ذلك فهم يعترفون بأنّه قيّد أباه « كرونوس » لأنّه قضى على أولاده بخبث، وأنّه عاقب أباه « أورانوس » لسبب مماثل، وفي أسلوب مجهول. وبرغم هذا فإنّي عندما أقيم دعوى ضدّ أبي، يغضبون منّي. ولذلك فهم غير منسجمين في طريقة كلامهم عندما يكون الآلهة هم المعنيّين، وحينما يعنيني أنا بالذات.

سقراط: ألا يمكن أن يكون هذا هو السبب، يا يوثيفرو، الذي من أجله أُتَّهَمُ

بالعقوق؟ ذلك لأنّني لا أتمكّن من احتمال هذه القصص عن الآلهة؟ أفترض أنّه يكون هذا حيث يعتقد الناس بأنّي أخطىء. لكن بما أنّك أنت المُخبِر عنهم بشكل جيّد توَافق على ما يقولون، وأنا لا أستطيع إلاّ أن أصادق على حِكمتك الأسمى. ما هو الشيء الآخر الذي أتمكن من قوله، معترفاً كما أفعل، بأنّي لا أعرف أيّ شيء عنهم؟ قل لي، بحبّ زيوس، إذا ما كنت تعتقد أنّها تكون هكذا بحقّ من غير ريب.

نعم، يا سقراط؛ ولا تزال هذه الأشياء هي الأكثر روعة، وهي التي جهلها الناس بشكل تامّ.

سقراط: وهل تعتقد حقاً أنّ الآلهة حارب بعضهم بعضاً، وعانوا من خصامات رهيبة، من معارك وما شابه، كما يقول الشاعر، وكما ترى أنت ذلك مصوَّراً في أعمال الفنانين الكبار؟ إنّ المعابد ممتلئة بأعمالٍ كتلك؛ وبشكل بارز رداء الآلهة أثينا، الذي حُمِلَ إلى الأكروبوليس في هيكل الآلهة العظيم، والمزخرف بها في كلّ مكانٍ منه. هل هذه القصص عن الآلهة حقيقية، يا يوثيفرو؟

يوثيفرو: نعم، يا سقراط؛ وكما كنت قائلاً، فإنّني أستطيع القول لك، إذا أحببت أن تسمع أشياء عديدة أخرى عن الآلهة والتي ستدهشك تماماً.

سقراط: أجرؤ على القول؛ وأنت سوف تخبرني عنها في وقت ما آخر حينما يكون عندي وقت للراحة. لكنّني سأفضّل بالأحرى في الوقت الحاضر أن أسمع منك جواباً أكثر دقّة، ذلك الذي لم تعطه على السؤال حتى الآن، يا صديقي. « ما هي التقوى »؟ عندما سُئلتُ أنت، أجبت فقط، « فاعلاً كما تفعل، متّهماً أباك بالقتل عمداً ».

يوثيفرو: وما قلته أنا كان حقيقياً، يا سقراط.

سقراط: لا شكّ، يا يوثيفرو؛ لكنك ستعترف بوجود العديد من الأعمال التقيّة الأخرى؟

يوثيفرو: صحيح.

سقراط: تذكَّر أنّني لم أسألك أن تعطيني مثالين أو ثلاثة أمثلة عن التقوى، بل لتوضح الإطار العامّ الذي يجعل كلّ الأشياء التقيّة تقيّة. ألا تتذكّر قولك إنّ الإطار الواحد هو عينه الذي يجعل العاقّ عاقاً والتقيّ تقيّاً؟

يوثيفرو: إنّني أتذكّر.

سقراط: أخبرني إذن ما هو شكل هذا الإطار، وسيكون لديَّ بعدئذ مقياسٌ لذلك الذي يمكنني النظر إليه والذي أقدر على أن أقيس الأعمال به، سواء أكانت تلك التي تخصّك، أو التي تخص أيّ شخصٍ آخر، وسأكون قادراً حينئذ أنْ أقول بأنَّ هكذا وهكذا عملاً هو عمل تقيّ، وأنّ آخر عكس ذلك.

يوثيفرو: إنّي سأقول لك، إذا أحببت.

سقراط: سأحبّ أن تخبرني كثيراً وكثيراً جداً.

يوثيفرو: التقوى، إذن، هي العزيزة على الآلهة، والعقوق هو ما ليس عزيزاً عليهم.

سقراط: جيّد جداً، يا يوثيفرو؛ إنّك أعطيتني الآن نوع الجواب الذي أردته. لكن إذا كان ما تقوله حقيقياً أو لا، لا أقدر أن أخبره لحدّ الآن، ومع ذلك فإنّ الشكّ لا يخالجني في أنّك ستستمرّ كي تبرهن حقيقة كلماتك.

يوثيفرو: طبعاً.

سقراط: تعالَ، إذن، ودعنا نختبر ما نقول، وهو أنَّ الشيء أو الشخص الذي يكون عزيزاً على الآلهة يكون تقيّاً، وأنّ الشيء أو الشخص المكروه منهم يكون عاقّاً. إن هذين الشيئين أحدهما ضد الآخر إلى أقصى حدّ.

يوثيفرو: إنّهما كانا ذلك.

سقراط: وقيل هذا بجودة؟

يوثيفرو: نعم، يا سقراط، أعتقد هكذا.

سقراط: وأبعد من ذلك، يا يوثيفرو، فلقد تم الاعتراف بأنّ بين الآلهة خصومات وعداوات وخلافات.

يوثيفرو: نعم، قيل ذلك أيضاً.

سقراط: وأيّ نوع من الخلاف يخلق العداء والغضب؟ إفترض كمثال أننا، يا صديقي الصالح، نختلف على السؤال وهو أيٌّ المجموعتين هي أكثر عدداً؛ فهل ستجعلنا فروقٌ من هذا النوع أعداء وترمينا بنزاع في ما بيننا؟ ألن نتقدم إلى العدّ في الحال ونضع نهاية لنزاعنا؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: وإفترض أنّنا نختلف بشأن الأجرام، ألا ننهي الخلاف بسرعة باللجوء إلى القياس؟

يوثيفرو: حقيقي جداً.

سقراط: وننهي الجدال بخصوص الثقيل والخفيف بالرّجوع إلى آلة الوزن؟

يوثيفرو: لتكن متأكّداً.

سقراط: لكن ما هي المسائل التي تنشأ بشأنها الاختلافات والتي لا يمكن تقريرها هكذا، ولهذا السبب تجعلنا غضاباً وتخلق بيننا خصومة؟ أجرؤ على القول إنّ الإجابة على هذا السؤال لا تخطر على بالك في هذه اللحظة، ولذلك فإنّي سأقترح بأنّ هذه العداوات ترتفع حدّتها عندما تكون قضايا الخلاف بشأن العادل والظالم، الخيّر والشرير، الشريف والخسيس. أليست هذه هي المواضيع التي يختلف بخصوصها الرجال والتي لسنا بقادرين على أن نحسم خلافاتنا بشأنها على نحوٍ مرضٍ. أنت وأنا وكلّنا نتخاصم، فمتى نتخاصم نحن(٢٣)؟

يوثيفرو: نعم، يا سقراط، إنّ طبيعة الخلافات التي نتخاصم بشأنها هي هكذا كما تصف.

سقراط: وعندما تحدث نزاعات الآلهة، يا يوثيفرو النبيل، تكون ذات طبيعة مشابهة؟

يوثيفرو: إنّها كذلك بدون ريب.

سقراط: إنَّ يختلفون رأياً، كما تقول، بشأن الخيِّر والشرير، العادل والظالم، الشريف والسافل. لن يكون هناك نزاعات بينهم، إذا لم تكن خلافات كهذه ـ فهل ستكون الآن؟

يوثيفرو: إنّك محقّ تماماً.

سقراط: ألا تحبّ كلّ فريق منهم ما يعتبره نبيلاً وعادلاً وخيِّراً، ويكره الأضداد؟

يوثيفرو: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن، كما تقول، فإنّ فريقاً منهم يعتبر عدلاً الأشياءَ عينَها التي يعتقد الفريق الآخر أنها ظلم ـ هم يتجادلون بخصوص هذه الأشياء؛ وبالتالي تنشأ الحروب هناك ويستعر القتال.

يوثيفرو: حقيقي جداً.

سقراط: إذن فإنّ الأشياء عينها تكون مكروهةً من الآلهة ومحببة إليهم، وهي كذلك ممقوتة منهم وعزيزة عليهم؟

يوثيفرو: يبدو هكذا.

سقراط: وبناءً على هذه النظريّة فإنّ الأشياء عينها، يا يوثيفرو، ستكون تقيّة وغير تقيّة أيضاً؟

يوثيفرو: عليَّ أن أفترض هكذا.

سقراط: إذن، يا صديقي إنّني ألاحظ بدهشة أنّك لم تجب على السؤال الذي طرحته. فأنا لم أسألك بكلّ تأكيد لتخبرني ما هو العمل الذي يكون تقيّاً وغير تقيٍّ في الوقت عينه؛ لكن سيبدو الآن أنّ ما يكون محبوباً من الآلهة هو مكروه منهم أيضاً. ولهذا السبب، يا يوثيفرو، فإنك في معاقبتك لأبيك يمكن أن تكون على الأرجح فاعلاً ما هو مقبول لدى زيوس لكنّه غير مقبول لدى كرونوس أو أورانوس، وما يكون مقبولاً لدى هيفياستوس لكنّه

غير مقبولٍ لدى هيرا، ويمكن أن يوجد آلهة آخرون لديهم. خلافات رأيٍ متشابهة.

يوثيفرو: لكنّني أعتقد، يا سقراط، أنّ كل الآلهة سيتفقون على معاقبة قاتلْ العمد. فلا مجال للخلاف في الرأي بشأن ذلك.

سقراط: حسناً، لكن دعنا نتكلم عن الرجال، يا يوثيفرو، هل سمعت أيّ شخص يجادل بأن القاتل عمداً يجب أن يترك وشأنه أو عن أيّ نوع آخر من فاعل الشرّ؟

يوثيفرو: عليّ أن أقول على الأصح إنّ هذه هي الأسئلة التي يتجادلون بشأنها، خاصة في محاكم القانون. هُمْ يرتكبون كل أنواع الجرائم، وليس هناك أي شيء يحجمون عن القيام به أو الإفصاح عنه في دفاعهم الخاص.

سقراط: لكن هل يعترفون هم بإثمهم، يا يوثيفرو، ويقولون إنّهم يجب أن لا يُعاقَبوا برغم ذلك.

يوثيفرو: لا، إنّهم لا يفعلون.

سقراط: يوجد إذن بعض الأشياء التي لا يجازفون في قولها وفعلها. فهم لا يخاطرون في أن يحاوروا في أنّهم إذا كانوا مخطئين سيمضون بدون عقاب، لكنّهم ينكرون خطيئتهم. ألا يفعلون ذلك؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: إذن فهم لا يحاورون في أن فاعل الشرّ يجب أن لا يُعاقب، لكنّهم يحاورون بشأن الحقيقة وهي من هو فاعل الشرّ، وماذا فعل ومتى؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: ويكون الآلهة في الحالة عينها، إذا هُمْ كما تؤكّد أنت، يتخاصمون بخصوص العدل والظلم، ويقول بعضهم إن الظّلم يُمارَسُ بينهم فيما ينكر البعض الآخر ذلك. فلا الله بالتأكيد ولا الإنسان سيجازف أن يقول إنّ فاعل الظلم لا تجب معاقبته.

يوثيفرو: إنّ ذلك حقيقي، يا سقراط، بصورة عامة.

سقراط: لكنّهم يتّخذون موقفين متعارضين بشأن الخصوصيات - الآلهة والرجال بالطريقة عينها، ذلك إذا تخاصم الآلهة على الإطلاق حقاً؛ إنّهم يتباينون بخصوص عمل ما يُطرح على بساط البحث، والذي يؤكّد بعضهم أنّه يكون عدلاً والبعض الآخر أنّه يكون ظلماً. أليس ذلك حقيقياً؟

يوثيفرو: حقيقي تماماً.

سقراط: حسناً إذن، يا صديقي العزيز يوثيفرو، أخبرني، لأجل تعليمي المتناسب ومعلوماتي، أيّ برهان لديك أنت، أنّ في رأي كلّ الآلهة مِنْ أنَّ خادماً يكون مذنباً بالقتل عمداً، وقُيِّد بالسلاسلِ من قِبَل سيّد الرجل الميّت، ومات بسبب تقييده في الأغلال قبل أن يتمكّن الذي كبّله من معرفة ما يجب عليه عمله من مفسّري القانون الديني، ما يجب عمله بذاك الرجل. أقول، ما برهانُك على أنّه قُتِل ظلماً. وأنّه نيابة عن شخص كهذا يجب على إبنٍ أن يقاضي أباه وأن يتّهمه بالقتل عمداً. كيف ستُظهِر أنت أنّ كلّ الآلهة يتفقون في المصادقة على هذا العمل بشكلٍ مطلق؟ أثبت بالبراهين في أنّهم يفعلون، وأنا سأطري على حكمتك ما دمت حيّاً.

يوثيفرو: لا شكّ بأنّه سيكون عملاً شاقاً؛ مع ذلك فأنا أستطيع أن أجعل المسألة واضحة لك جداً.

سقراط: إنّني أفهم؛ تعني بأنّي لست سريع الفهم كما هُمُ القضاة لأنّك ستتأكّد من البرهنة لهم أنَّ الفعل يكون فعلاً ظالماً ومكروهاً من كل الآلهة.

يوثيفرو: نعم حقاً، يا سقراط؛ إذا استمعوا لي على الأقلّ.

سقراط: لكنّهم سيكونون متأكّدين من أن يستمعوا لك إذا وجدوا أنّك متكلم حاذق. خطرت بذهني فكرة بينما كنت تتكلّم؛ قلت لنفسي: « حسناً، وماذا إذا برهن يوثيفرو لي أنَّ كلّ الآلهة اعتبروا أنَّ موت عبد الأرض

كالظلم، فكيف أعرف أيّ شيء أكثر عن طبيعة التقوى والعقوق؟ أو إذا منحنا ذلك وهو أنَّ هذا العمل يمكن أن يكون مكروهاً من الآلهة، مع هذا فإنّ التقوى والعقوق لا يزالان غير معرّفين بهذه التمييزات بشكلٍ كافٍ، لأنّه قد أُبين أنّ الذي يكون مكروهاً من الآلهة يكون عزيزاً عليهم أيضاً ». ولهذا السبب، يا يوثيفرو، أنا لا أسألك لتبرهن هذا؛ إنّني سأفترض، إذا أحببت، أنَّ كل الآلهة تدين وتمقت عملاً كهذا. لكنّني سأصلح هذا التحديد لهكذا بُعدٍ كي أقول، إنّ كلَّ ما يكرهه الآلهة يكون عاقاً، والذي يحبّونه يكون تقيّاً أو مقدَّساً؛ وما يحبّه بعضهم ويكرهه الآخرون يقبل الوجهين أو لا يقبلهما. فهل سيكون هذا تحديدنا للتقوى والعقوق؟

يوثيفرو: لِمَ لا، يا سقراط؟

سقراط: لِمَ لا! بالتأكيد، بقدر ما يخصّني، يا يوثيفرو، لا يوجد سببٌ لِمَ لا. لكن إذا ما كانت هذه المقدَّمة المنطقيّة ستساعدك بشكلٍ كبير في تعليمي، الذي هو عمل شاقّ، كما وعدتني، فتلك مسألة لك أن تتأمّلها مليّاً.

يوثيفرو: نعم، عليّ أنْ أقول إنَّ كلَّ ما يحبه الآلهة يكون تقيّا ومقدساً، وبالعكس فالذي يكرهونه كله، يكون عاقاً.

سقراط: أينبغي علينا أن نحقّق في صدق هذا القول، يا يوثيفرو، أو أن نقبله على مسؤوليتنا الخاصة، وأنَّ الآخرين يردّدون صدى التأكيدات المجرّدة؟ فماذا تقول؟

يوثيفرو: علينا أن نحقّق؛ وأعتقد بأنّ التصريح سيصمد لاختبار التحقيق.

سقراط: سنكون قادرين أن نقول ذلك أفضل عما قريب، يا صديقي الصالح. إنَّ النقطة الرئيسيّة التي عليّ أن أفهمها بادىء ذي بدء هي إذا ما كان التقيّ أو المقدَّس محبوباً من الآلهة لأنّه تقيّ، أو هو تقيٌّ لأنّه محبوب من الآلهة.

يوثيفرو: إنّني لا أفهم معناك، يا سقراط.

سقراط: سأحاول أن أشرح لك. نتكلم نحن عن الحَمْلِ وعنَ كون الشيء محمولاً، عن القيادة وعن كون المقاد، عن الرؤية وعن كون المرئي. تعرف أنت أن هناك فرقاً في حالاتٍ كهذه، وتعرف أين يقع التباين أيضاً.

يوثيفرو: أعتقد بأنّني أفهم.

سقراط: أليس المحبوب مميّزاً من ذلك الذي يحبّ؟

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: حسناً؛ والآن قل لي، أيكون ذلك الذي يُحمَل في هذه الحالة للحمل لأنّه يكون محمولاً، أو يكون لسبب ما آخر؟

يوثيفرو: لا؛ إنَّ ذلك هو السبب.

سقراط: والشيء عينه هو حقيقي عمّا يُرشَدُ ويُرى؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: وشيء واحد لا يُرى لأنّه مرئيّ، بل بالعكس، مرئيٌّ لأنه يُرى. ولا يكون شيئاً واحداً مُرشداً لأنّه يكون في حالة كونه مُرشداً، بل العكس لهذا. وأعتقد الآن، يا يوثيفرو، أنّ معناي سيكون مفهوماً؛ ومعناي هو أنَّ أيّة حالة للعمل أو الهوى تدلّ ضمناً على عملٍ أو هوىً سابق. إنّه لا يصبح لأنّه يكون مصبحاً، بل إنّه يكون في حالة المصبح لأنّه يصبح؛ ولا أنَّه يعاني لأنه يكون في حالة المعاناة، بل إنّه في حالة معاناة لأنَّه يعاني: ألا توافق؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: ألا يكون ذلك الذي يكون محبوباً في حالةٍ ما إمَّا صائراً أو معانياً؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: ويثبت الشيء عينه كما في الأمثلة السابقة؛ فحالة كونك محبوباً تلي الفعل لكونك محبوباً، وليس الفعل الحالة.

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: وماذا نقول عن التقوى، يا يوثيفرو؟ أليست التقوى محبوبة من كل الآلهة، طبقاً لتعريفك؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: ألأنّها تكون تقيّة ومقدّسة، أو لسببٍ آخر ما؟

يوثيفرو: لا، ذلك هو السبب.

سقراط: إنّها تكون محبوبة لأنّها مقدّسة، وليست مقدّسة لأنها محبوبة منهم؟

يوثيفرو: على ما يبدو.

سقراط: وهي تكون هدف حبّ الآلهة، وعزيزة عليهم، لأنها محبوبة بهم؟

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ ذلك الذي يكون عزيزاً على الآلهة، يا يوثيفرو، لا يكون مقدّساً، وذلك المقدّس ليس عزيزاً على الآلهة، كما تؤكّد؛ لكنّهما يكونان شيئين مختلفين.

يوثيفرو: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: أعني أنّ المقدّس قد اعترفنا به أنّه محبوب لأنّه مقدّس وليس مقدساً لأنه محبوب.

يوثيفرو: نعم.

سقراط: لكن ذلك الذي يكون عزيزاً على الآلهة هو عزيز عليهم لأنّه محبوب منهم وليس محبوباً بهم لأنه عزيز عليهم.

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: لكن، أيّها الصديق يوثيفرو، إذا كان ذلك الذي يكون مقدّساً الشيء عينه مع ذلك الذي يكون عزيزاً على الآلهة، وكان محبوباً لأنّه مقدس عندئذ فإنّ ذلك الذي هو عزيز على الآلهة سيكون محبوباً مثل كونه عزيزاً عليهم. لكن إذا كان ذلك الذي هو عزيز عليهم كان عزيزاً عليهم لأنّه محبوب

منهم، حينئذ فإنّ ذلك الذي يكون مقدّساً سيكون مقدّساً لأنّه محبوب منهم. لكنّك ترى الآن أنّ الحالة هي عكس ذلك، وأنّ الشيئين الإثنين هما مختلفان عن بعضهما بعضاً، لأنّ واحده هو من النوع الذي يُحبّ لأنه محبوب، أمّا الآخر فهو محبوب لأنّه من النوع الذي يُحبّ. هكذا تبدو أنت لي، يا يوثيفرو، عندما أسألك ما هي طبيعة التقوى، فأنت تقدّم صفة فقط، وليس جوهراً ـ الصفة كونها محبوبة من كل الآلهة. لكنّك حتى الآن، لم تشرح لي طبيعة التقوى، ولهذا السبب، إذا تفضلت، فإنّي أسألك أن لا تخفي كنزك، بل أن تبدأ مرّة ثانية وتقول لي بصراحة ما هي التقوى أو القداسة حقاً، إذا ما كانت عزيزة على الآلهة أوْ لا « لأنّ تلك مسألة لن نتخاصم بشأنها ». وقل لي كذلك ما هو العقوق.

يوثيفرو: إنّني لا أعرف حقّاً كيف أعبّر عمّا أعنيه، يا سقراط لأنّ التعريفات التي نقدّم بطريقة ما أو بأخرى، وعلى أيّما قواعد نركّزها، تبدو أنّها تدور في حلقة مفرغة وتفلت منّا على الدوام.

سقراط: إنّ كلماتك، يا يوثيفرو، هي مثل العمل اليدوي لسلفي دايدالوس؛ وإذا ما كنت أنا قائلها أو مقدّمها، يمكنك أن تجيب بسخرية من أنّ إنتاجي العقلي سيهرب ولن يبقى مثبّتاً حيث وُضِع لأنّي متحدر من دايدالوس. لكن الآن، بما أنّ هذه الفرضيات تخصّك، ينبغي عليك أن تجد تعبيراً آخر ما لأنّها تُري بالتأكيد، كما تسمح أنت نفسك، تُري ميلاً لتنتقل من مكانٍ إلى آخر.

يوثيفرو: لا، يا سقراط، أعتقد أنّ التعبير متصلٌ بالموضوع على نحوٍ وثيق، لأنّك، أنت الدايدالوس الذي يضع المحاورات في حركة ولست أنا بكلّ تأكيد، بل أنت الذي تجعلها تتحرّك أو تدور، إذ لا يمكنها أن تتحرك تحركاً بسيطاً، بقدر ما يخصّني.

سقراط: إذن ينبغي أن أكون أعظم من دايدالوس لأنّه صنع اختراعاته الخاصّة به لتتحرّك فقط، في حين أنّني أحرّك تلك التي للآخرين أيضاً. لكنَّ الجمال فيها هو أنّني لن أفعل ذلك بالأحرى. فأنا سأهبُ حكمة دايدالوس، وثراء تانتالوس، ليكونا قادرين على إعاقتها والاحتفاظ بها ثابتة. لكن كفايةً من هذا. إنّك مُفسَدٌ، كما أتصوّر، لذلك سأسعى لأبيّن لك كيف يمكنك أن تثقفني في طبيعة التقوى؛ وآمل أن لا تتذمَّر من جهدك هذا. أخبرني بعدئذ، أليس كلُّ تقيٍّ عادلاً بالضرورة؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: وكلّ تقيٍّ عادل، عندئذ؟ أو، أيكون التقيُّ عدلاً جميعُهُ، لكنّ العادل يكون تقيّاً في الجزء فقط، لكن ليس في الكل؟

يوثيفرو: إنّني لا أفهمك، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك فأنا أعرف أنّك أعقل منّي بكثير، لكونك أفتى. لكنّي، كما قلت لك، يا صديقي المبجّل، أنت مُفْسَد بسبب غزارة حكمتك. من فضلك أن تبذل جهداً لأن هناك صعوبة حقيقية في فهمي. إنّ ما أعنيه يمكنني شرحه بمثلٍ موضّح. يغني الشاعر « ستاسينوس »: « عن زيوس، المبدِع وخالق كلّ هذه الأشياء هو لن يتكلم عاراً؛ لأنّه حيث يوجد خوف توجد أيضاً مهابة ».

والآن أنا لا أتّفق مع هذا الشاعر. هل سأخبرك في أيِّ وجه؟

يوثيفرو: مهما كلف الأمر.

سقراط: عليَّ أن لا أقول إنّه حيث يوجد خوف توجد مهابةٌ أيضاً؛ إنِّي لمتأكّدٌ بأنّ أشخاصاً عديدين يخافون الفقر والمرض، والشرور المشابهة، لكني لا أتصوّر أنّهم يهابون بواعث خوفهم.

يوثيفرو: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن حيث توجد المهابة، يوجد خوف؛ لأن مَن يمتلك شعوراً بالمهابة والحياء بشأن ارتكاب أيّ عمل يخشى ويخاف من السّمعه السّيئة.

يوثيفرو: بدون شكّ.

سقراط: نحن مخطئون في القول إذن بأنّه حيث يوجد خوف توجد مهابة أيضاً؛ وعلينا أن نقول، إنّه حيث توجد مهابةٌ يوجد خوف أيضاً. لكن لا توجد مهابةٌ على الدوام حيث يوجد خوف؛ لأنّ الخوف هو فكرة أكثر امتداداً، والمهابة هي جزءٌ من الخوف، تماماً كما يكون الرقم المفرد جزءَاً من الأعداد، ويكون العدد فكرة أكثر امتداداً من الرقم المفرد. أفترض أنّك تتابعني بانتباهٍ.

يوثيفرو: حسناً تماماً.

سقراط: كان هذا هو نوع السؤال الذي عنيت أن أرفعه عندما سألتك إذا ما كان العادل هو التقي على الدوام، أو إذا ما كانت الحالة وهي أنّها حيث توجد التقوى يوجد العدل دائماً؛ لكن يمكن أن يوجد عدل حيث لا توجد تقوى لأنّ العدل هو الفكرة الأكثر امتداداً والذي تكون التقوى منه جزءاً. فهل تعارض ذلك؟

يوثيفرو: لا، أعتقد بأنّك محقّ تماماً.

سقراط: إذن، إذا كانت التقوى جزءاً من العدل، افترض بأنّه ينبغي علينا أن نتساءَل، أيُّ جزء هو؟ إذا تعقّبت أنت التحقيق في الحالات السابقة، كمثال، إذا ما سألتني ما هو الرقم المزدوج، وأيُّ جزء من العدد هو، فلا صعوبة عندي في الإجابة بأنّه الرقم الذي لا يفتقر إلى التناغم والانسجام، إذا جاز التعبير، بل يمثّل شكلاً له ضلعان متساويان. ألا توافق على هذا؟

يوثيفرو: نعم، إنّني أوافق تماماً.

سقراط: أريدك أن تقول لي في أسلوب مماثل أيّ جزء من العدل هي التقوى أو القداسة، كي يمكنني أن أخبر ميليتوس كي يمتنع عن ارتكاب الظلم بحقي،

أو أن يقاضيني بتهمة العقوق، كما ترشدني برأيك في طبيعة التقوى أو القداسة على نحوٍ وافٍ بالمراد، ومثلما تهديني إلى مضاداتها.

يوثيفرو: إنّ التقوى أو القداسة، يا سقراط، تبدو لي أنّها ذلك الجزء من العدل الذي يُعنى بالرجال.

سقراط: إنّ ذلك لجيّدٌ، يا يوثيفرو. تبقى نقطة صغيرة مع ذلك والتي أحبّ أن أعرفها أكثر. ما هو معنى « العناية »؟ لأنّ العناية يمكن استعمالها في المعنى عينه بالكاد عندما تدل ضمناً على الآلهة مثلما حينما تدلّ ضمناً على الأشياء الأخرى. هكذا نستعملها نحن، أليس كذلك؟ كمثال، يقال إنّ الأحصنة تحتاج إلى العناية، وإنَّ ليس كل شخص يقدر أن يقدِّم العناية لها، بل الشخص الحاذق في الفروسيّة، أليس كذلك؟

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: عليَّ أن أفترض أنّ فن الفروسية هو فن العناية بالأحصنة.

يوثيفرو: نعم.

سقراط: وليس كلّ شخص مؤهّلاً ليعتني بالكلاب، بل رجال الصيد فقط.

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: وعليَّ أن أتصوّر أيضاً أنَّ فنّ رجل الصيد هو فنّ خدمة الكلاب.

يوثيفرو: نعم.

سقراط: كما يكون فنّ خدمة الثيران هو فنّ السهر عليها.

يوثيفرو: حقيقي جداً.

سقراط: وفي أسلوب مماثل فإنّ القداسة أو التقوى هي فنّ خدمة الآلهة. إنّ ذلك هو ما تعنيه، يا يوثيفرو؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: أو ليست الخدمة مُصمَّمة دوماً لخير أو لمنفعة ذلك الذي تؤدى إليه؟

يمكنك أن تلاحظ، كما في حالة الأحصنة، أنّها عندما يؤدي الخدمة لها فنُّ رجل الفروسية فهي تنتفع وتتحسّن، أليس كذلك؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: وكما تنتفع الكلاب بفنّ رجل الصيد، والثيران بفنّ راعيها، كذلك هي كلّ الأشياء الأخرى التي يتولى أمرها شخص ما لخيرها وليس لأذيّتها.

يوثيفرو: لا يكون ذلك لأذيّتها، بالتأكيد.

سقراط: بل لخيرها.

يوثيفرو: طبعاً.

سقراط: أوَ لاَ تنفعها أو تحسّنها التقوى التي قد حُدِّدت أنّها فنّ خدمة الآلهة؟ هل ستقول إنّك عندما تفعل عملاً مقدَّساً تجعل أيّاً من الآلهة أفضل؟

يوثيفرو: لا، لا؛ إنّ ذلك ليس ما عنيته بكلّ تأكيد.

سقراط: وأنا، يا يوثيفرو، لم أفترض أبداً أنّك عنيته. سألتك هذا السؤال بشأن طبيعة الخدمة لأنّي فكّرت أنّك لم تعنِ ذلك.

يوثيفرو: إنّك تنصفني، يا سقراط؛ إنّ هذا النوع ليس نوع الخدمة التي أعنيها.

سقراط: جيد؛ لكنني يجب أن أبقى أسأل ما هي هذه الخدمة أو الاهتمام إلى الآلهة التي تسمّى تقوى.

يوثيفرو: إنّها كتلك التي يقدِّمها الخدم لأسيادهم، يا سقراط.

سقراط: أفهم - أنّها نوع من الخدمة الكهنوتيّة للآلهة.

يوثيفرو: بالضبط.

سقراط: إنّ الدواء هو نوع من المساعدة أو الخدمة، له فكرة في الوصول إلى هدفٍ ما. هل ستقول إنّه الصحّة؟

يوثيفرو: عليَّ أن أقول ذلك.

سقراط: مرّة ثانية، هناك الفنّ الذي يمدُّ يد العون إلى باني السفن بهدف الحصول على نتيجة ما.

يوثيفرو: نعم، يا سقراط، بهدف الحصول على بناءٍ باخرة.

سقراط: كما يوجد الفن الذي يمدُّ يد العون إلى المعماري بهدف بناء بيت.

يوثيفرو: نعم.

سقراط: والآن أخبرني، يا صديقي الصالح، عن الفنّ الذي يقوم بمهام الكاهن نحو الآلهة. أيُّ عمل يقوم بتلك المساعدة لإنجازه؟ يجب أن تعرف ذلك بدون ريب، إذا كنت أنت من بين كلّ الرجال الأحياء، كما تقول، الأفضل تثقيفاً في الدين.

يوثيفرو: وإنّي أقول الحقيقة، يا سقراط.

سقراط: قل لي إذن، أوه قل لي ما هو العمل العادل الذي يفعله الآلهة بمساعدة خدمتنا الكهنوتية؟

يوثيفرو: إنّها أعمال عديدة وجميلة، يا سقراط، تلك الأعمال التي يفعلون.

سقراط: لماذا يا صديقي؟ وهل تكون الأعمال كأعمال القائد الحربي لكن حصيلتها يُخبر عنها بسهولة. ألن تقول أنت إنّ حصيلة عمله هي الانتصار في الحرب؟

يوثيفرو: بدون ريب.

سقراط: إنّ أعمال المزارع هي عديدة وجميلة كذلك، إذا لم أكن مخطئاً؛ لكنّ حصيلتها هي إنتاج الغذاء من الأرض؟

يوثيفرو: بالضبط.

سقراط: وأما الأشياء المتعدّدة والجميلة التي يفعلها الآلهة، فما هي حصيلتها؟

يوثيفرو: أخبرتك مسبقاً، يا سقراط، أنّه سيكون شيئاً متعباً جداً أن تتعلّم كلّ هذه الأشياء بشكل دقيق. دعني أقول بكلّ بساطة إنّ التقوى أو القداسة هي تَعلُّم كيف تُرضي الآلهة في القول والعمل، بالصلوات والتضحيات. إنّ تقوىً كتلك هي خلاص العائلات والدول، كما أنّ العقوق، الذي لا يرضي الآلهة، هو سبب دمارها وخرابها.

سقراط: أعتقد أنّه كان بإمكانك الإجابة على جوهر أسئلتي بكلمات أقلّ كثيراً، إذا ما اخترت ذلك. غير أنّني أرى أنّك لا تميل إلى تعليمي بكلّ وضوح، وإلاَّ فلماذا أعَرضت عني، عندما وصلنا إلى النقطة الأساسيَّة؟ إنْ أجبتني فقط كان عليّ أن أتعلَّم منك طبيعة التقوى بهذا الوقت. لكن ينبغي عليّ أن أتبعك كما يجب على المحبّ أن يتبع الهوى المفاجىء لحبيبه. ولهذا السبب أستطيع أن أسأل مرَّة ثانية، ما هي التقوى، وما هو التقيّ؟ هل تعني أنّهما نوع من علم الصلاة والتضحية؟

يوثيفرو: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: والتضحية هي هبة إلى الآلهة، والصلاة هي التماسٌ لهم.

يوثيفرو: نعم، يا سقراط.

سقراط: بناءً على هذا التصوّر، إذن، فإنّ التقوى هي علم التماسِ وعطاء.

يوثيفرو: إنّك تفهمني على نحوٍ رائع، يا سقراط.

سقراط: نعم، يا صديقي؛ السبب في ذلك هو أنّني نصيرٌ متحمّس لعلمك، وأكرّس له كلّ تفكيري، ولهذا فإنّ لا شيء ممّا تقوله سيكون كلاماً تطرحه عليَّ من غير توكيد. أخبرني من فضلك بعدئذ، ما هي طبيعة هذه الخدمة للآلهة؟ هل تعني أنّك تفضِّل التماساتٍ وتقديم هدايا لهم؟

يوثيفرو: نعم، إنّني أفضّل.

سقراط: أليست الطريقة الأفضل للتضرّع أن نلتمس منهم ما نريد؟

يوثيفرو: بكلّ تأكيد.

سقراط: وأنّ طريقة العطاء الصحيحة هي أن تهبهم ما يريدون منّا بالمقابل، لا معنى في الفن الذي يعطي لأيّ شخصٍ ما لا يريده.

يوثيفرو: حقيقي جداً، يا سقراط.

سقراط: إنّ التقوى إذن، يا يوثيفرو، هي الفنّ الذي تمتلكه الآلهة والرجال للتجارة بعضهم مع بعض.

يوثيفرو: إنّ ذلك هو التعبير الذي يمكنك استعماله، إذا أحببت.

سقراط: لكن ليس لديَّ أيّ حبّ خاص لأيّ شيء إلاّ للحقيقة. أرغب أن تخبرني، على كلّ حال، أيّ نفع يحدث للآلهة من هِباتنا. لا شكّ فيما يتعلّق بما يمنحوننا إيّاه، إذ ليس هناك إلاّ الأشياء الخيرة التي يهبوننا إيّاها؛ لكنّهم كيف يحصلون على أيّة منفعة من هباتنا. فهذا بعيد عن أن يكون واضحاً بشكلٍ متساوٍ. إذا وهبونا كلَّ شيء وحصلوا على لا شيء منّا، يجب أن تكون تلك مقايضة لهم فيها المصلحة الأكبر جداً.

يوثيفرو: وهل تتصوّر، يا سقراط، أنّ أيّة منفعة تحدث للآلهة من عطايانا؟

سقراط: لكن إنْ لا، يا يوثيفرو، فما معنى الهبات التي نقدّمها للآلهة؟

يوثيفرو: هل هي أكثر من تقدمات إجلال واحترام؟ كما كنت قائلاً لتوّي الآن، إنّها ما يرضيهم.

سقراط: القداسة، إذن، مُرضِيَة للآلهة، لكنّها ليست مفيدة أو عزيزة عليهم؟

يوثيفرو: عليَّ أنْ أقول أنَّ لا شيء يمكنه أن يكون أعزّ.

سقراط: إنّي أكرّر التأكيد ثانية عندئذ، وهو أنّ القداسة هي تلك العزيزة على الآلهة.

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: وعندما تقول هذا، هل تقدر أن تتعجب لكلماتك التي لا تثبت بشكلٍ وطيد، بل إنّها تفلت؟ هل ستتهمني كوني الدايدالوس الذي يجعلها تهرب، بدون أن أتصوَّر أنّه يوجد فنّان آخر أعظم بكثير من دايدالوس الذي يصنع أشياء تدور في حلقة مفرغة، وهذا الفنان هو أنت نفسك. إنّ المحاورة، كما ستتصوّر، تدور في النقطة عينها. ألم نقل إنّ المقدس أو التقيّ ليس هو الشيء عينه المحبّب إلى الآلهة؟ هل نسيت ما قلته؟

يوثيفرو: إنّني أتذكّر جيداً.

سقراط: أو لست تقول الآن إنَّ ما يكون عزيزاً على الآلهة يكون مقدّساً؟ أو لا يكون هذا الشيء عينه مثلما هو محبوب من قِبَلهم - هل ترى ذلك؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: إذن إمّا نحن مخطئون في تأكيدنا السابق، أو، إذا كنا محقّين حينئذ، فنحن مخطئون الآن.

يوثيفرو: يبدو هكذا.

سقراط: يجب أن نبتدىء ونسأل إذن، ما هي التقوى؟ إنّه تحقيق لن أسأم من ملاحقته أبداً بقدر ما هو موضوع بي. وإنّني أستعطفك ألاّ تؤنّبني، بل أن تستعمل عقلك إلى أقصى حد، وأن تخبرني الحقيقة. لأنّه إذا ما كان هناك عارف، فأنت هو العارف؛ ولهذا السبب يجب أن أقبض عليك بسرعة، مثل بروتيوس، حتّى تخبرني. إذا لم تكن عارفاً طبيعة التقوى والعقوق بكلّ تأكيد، فإنّي على ثقة أنّك لم تتّهم أباك المسنّ بالقتل عمداً، بالنيابة عن فلاح أرض. إنّك لم تكن لتجازف بهكذا مخاطرة كي ترتكب الخطأ في نظر الآلهة، وكنت ستبدي احتراماً أكثر كثيراً لآراء الرجال. إنّني متأكّد، لهذا السبب، من أنّك تعرف طبيعة التقوى والعقوق. عبِّر عن رأيك بحريّةٍ إذن، يا عزيزي يوثيفرو، ولا تخبِّىء معرفتك عني.

يوثيفرو: في وقت آخر، يا سقراط، لأنّني على عجلة من أمري، وينبغي أن أذهب الآن.

سقراط: واحسرتاه! يا صديقي، وهل ستتركني في اليأس؟ أملت منك أن تثقفني في طبيعة التقوى والعقوق؛ وحينئذ يمكنني أن أبرّىء نفسي من ميليتوس وتهمته. كنت سأخبره أنّي تنوّرت بيوثيفرو، وأنّي أعطيت أفكاراً متسرّعة وتأمّلاتٍ انغمست فيها بسبب الجهل فقط، والآن أنا على وشك أن أحيا حياة أفضل.

محاورة الدفاع (أبولوجي)

افكار المحاورة الرئيسيَّة

لا أستطيع أن أخبر، أيّها الاثينيون، كيف تأثّرتم بمن اتهمني، بل أعرف أنهم جعلوني أَنسَى مَنْ كنت تقريباً. لقد تكلّموا بإقناع، وبرغم ذلك قلَّما تفوهوا بكلمة حقّ. لكنّ العديد من التزييفات والأكاذيب التي أخبروها، وهي أنّكم يجب أن تحترسوا من سقراط وأن لا تسمحوا لأنفسكم بأن تُخدعوا بكلماتي وقوّة بلاغتي. إنَّ كلّ هذا سينهار عندما أفتح شفتيَّ بالكلام، إلاَّ إذا عنوا بقوة البلاغة قوة الحقيقة، فإذا كان هذا ما يعنون، فأنا أعترف بأنّني بليغ وفصيح.

والآن اسمحوا لي بأن أدافع عن نفسي بأسلوبي المعتاد، وأن لا تقاطعوني، هذا الأسلوب الذي سمعتموه في كل مكان من أثينا. إنَّ لي من العمر سبعين سنة، وهذه هي المرَّة الأولى التي أظهر فيها في محكمة قانون. إنَّ لغة المكان غريبة عليَّ وأنا كذلك، لكنّني أقول باختصار: دع المتكلّم يتكلّم بالحق والقاضي يقرِّر بعدل.

إنَّ متهميَّ يقولون: « إنَّ سقراط هو فاعل للشرّ، إنّه المتأمّل الذي يبحث في أشياء تحت الأرض وفي السماء، ويجعل الأسوأ يبدو أنه القضية الأفضل، ويعلِّم التمارين المذكورة آنفاً للآخرين ». وهذا ما ورد في ملهاة أريستوفاينز، الذي قدَّم فيها رجلاً أسماه سقراط، لكنّ الحقيقة، أيّها الأثينيون، أنَّه لا شأن لي بهذه التأمّلات الطبيعية، وأنتم تسمعون جواب الحاضرين في المحكمة وهي صدىً لحقيقة كلماتي.

لكن إذا ما سألني أحدكم: « نعم، يا سقراط، لكن قل لنا ما هي مهنتك؟ وما هو أصل الاتهامات التي سيقت ضِدَّك؟ يجب أنّه قد وُجِدَ شيء ما غريب

فيما كنت فاعلاً؟ إنّ كلّ هذه الإشاعات وهذا الكلام عنك لم يكن ليحدث قط لو كنت مثل بقيّة الرجال. قل لنا إذن، ما هو سببها، إذ يؤسفنا أن نحكم عنك وعليك بتهوّر ». هذا هو تحدٍّ عادل، وسأحاول أن أشرح لكم السبب الذي من أجله سُمِّيتُ حكيماً وامتلكت شهرة سيئة كهذه. إنّ صيتي هذا أتى من نوعٍ محددٍ للحكمة التي أحوز، وإذا ما سألتموني أيّ نوع من الحكمة هي، سأجيبكم، بأنّها حكمة كتلك التي يمكن أن تُلازم بإنسان، وسأحيلكم في هذا إلى شاهدٍ جدير بالثقة. إنّ ذلك الشاهد سيكون إله معبد دلفي ـ هو سيخبركم عن حكمتي، إذا ما كان لديَّ منها، وأيّ نوع من الحكمة هي. ينبغي أنّكم عرفتم تشايرافون، وكما تعلمون، فإنّه كان رجلاً متهوّراً جدّاً، ذهب إلى معبد دلفي، وسأل الكاهن بشجاعة ليقول له إذا ما كان أيّ شخص أعقل مني، وأجابت النبيَّة البيثيَّة بأنّه لم يوجد إنسانٌ أعقل. إنّ تشايرافون قضى نحبه، لكنّ أخاه، الموجود هنا في المحكمة الآن، سيؤكّد حقيقة ما أقول.

أذكر هذا، لأنّني سأشرح لكم لماذا أحوز اسماً سيّئاً. عندما سمعت الجواب، قلت لنفسي، ماذا يمكن لله أن يعني؟ وما هو تفسير لُغزه؟ فأنا أعرف بأنّي لا أمتلك حكمة، صغيرة كانت أم كبيرة، فماذا يمكنه أن يعني حينما يقول بأنّي أعقل الرجال؟ ومع ذلك فهو إله، وكلامه كلام حقّ. فكَّرت أنّني إذا ما تمكّنت من إيجاد رجل أعقل منّي، يمكنني أن أذهب إليه ومعي نقضٌ لِمَا قاله. وهكذا ذهبت إلى رجال السياسة والشعراء وأصحاب الحرف وامتحنتهم جميعاً بقوّة المنطق والعقل، ولم أجد أحداً منهم أعقل منّي على الإطلاق، ونقضتهم في أكثر ما قالوه وما يعتقدون به. وهكذا أثَرتُ في نفوسهم كرهاً لي وحسداً. ومع خوفي ممّا حدث فلم أبالِ لأنّ الضرورة حتمت عليَّ القيام بما قمت به، وفكَّرت بأنّي يجب أن اعتبر كلمة الله فوق كل شيء. وأقول بصدق إنّني كنت أعقل منهم جميعاً في شيءٍ واحد. هم يتظاهرون بأنّهم يعرفون ما يعرفون وما لا يعرفون، أما أنا فلا

أعرف ولا أظنّ بأنّني أعرف شيئاً. والحقيقة، يا رجال أثينا، أنّ الله وحدهُ هو الحكيم. وأمّا مهنتي فإنها امتصتني تماماً، ولم يكن لديَّ متّسع من الوقت لأفعل أيّ شيء نافع لا في الشؤون العامة ولا في أيّ شيء يخصني، بل أنا في فقر مدقع بسبب إخلاصي لله وإطاعتي كلماته.

ومن ناحية أخرى، فإنّ الرجال الشباب من الطبقة الغنيّة، يقومون بما أقوم به ويحبّون أن يسمعوا الناس ممتحنين، ويقلّدونني في ذلك، ويكتشفون بسرعةٍ أنَّ مَنْ يقول منهم إنّه يعرف شيئاً، يبين أنّه لا يعرف إلاَّ القليل أو لا شيء في الحقيقة. وهؤلاء الممتَحَنون بدلاً من أن يغضبوا منهم يغضبون مني، ويقولون: هذا السّقراط البغيض، هذا النّذل الذي يضلّل الشباب! ـ وبعدئذ، إذا سألهم أيّ شخص، لماذا، وأيّ شرّ يزاول سقراط أو يعلّم؟ فهم لا يعرفون، ولا يستطيعون القول. وبما أنّهم في حيرة من أمرهم، يردّدون الاتهامات الجاهزة سلفاً، والتي تستعمل ضدّ الفلاسفة جميعهم بخصوص تعليم الأشياء العالية في السُحُب وتحت الأرض، وأنَّ ليس لهم آلهة، وأنّهم يجعلون القضية الأسوأ تبدو على أنّها الأفضل، إنّهم بقولهم هذا صمّوا آذانكم. وإنَّها لافتراءات جذورها راسخة، وهذا هو السبب الذي هاجمني من أجله بعنف متهميَّ الثلاثة، ميليتوس، أنيتوس، وليقون. إنّ الأوّل خاصمني بالنيابة عن الشعراء، وأنيتوس لمصلحة الحرفيّين والسياسيين، وليقون لأجل علماء الكلام. لهذا فأنا لا أتوقّع أن أتخلّص من افتراءٍ ضخم كهذا كليّةً في لحظة.

وبعد أن قلت ما فيه الكفاية جواباً على اتهام ميليتوس، فإنَّ أيَّ دفاع مفصَّل ليس ضرورياً. تعرفون أنتم الحقيقة جيّداً عن إفادتي، وهي أنّني جلبت لنفسي العديد من العداوات العنيفة، وهذا هو ما سيكون سبب هلاكي، إذا ما هلكتُ ـ فلا ميليتوس، ولا حتى أنيتوس، بل حسد الناس وحطّهم من قدري، هو الذي قد تسبَّب في وفاة العديد من الرجال الأخيار، وسيكون السبب في وفاة عديدين كثرٍ على وجه الاحتمال. فلا خطرَ في كوني آخر من يتعرّض لمثل هذا الاتهام.

وإذا قال شخص ما: أوَ لست بمستح، يا سقراط، في طريقة الحياة التي تحضرك إلى نهايةٍ في غير أوانها على الأرجح؟ يمكنني أن أجيبه بعدل: أنت مخطىء هناك، إنّ الإنسان الذي يكون خيّراً لأيّ شيء يجب عليه أن لا يحسب الفرصة للحياة أو الموت؛ ينبغي عليه أن يعتبر فقط ما إذا كان في فعله أيّ شيء يفعل الصحيح أو الخطأ، ممثّلاً دور إنسان الخير أو رجل الشرّ.

أوه، يا رجال أثينا، إنّ الله أمرني كي أُتمّم مهمة الفيلسوف للبحث في نفسي وفي نفوس الرجال الآخرين عن الحقيقة، وإذا ما كنت لأغادر موقعي بسبب الخوف من الموت، أو بسبب أيّ خوف آخر، فإنَّ ذلك سيكون غريباً حقّاً. ويمكن أن أُتّهم بعدلٍ في المحكمة لإنكاري وجود الآلهة، إذا عصيت الكاهن لأنّني كنت خائفاً من الموت. وما الخوف من الموت إلاَّ تظاهر بالحكمة وليس حكمة حقيقية. ولا أحد يعرف أن ذلك الموت الذي يخافه الرجال لأنهم يدركون أنه الشر الأكبر، ربّما يكون الخير الأعظم، وهذا الجهل هو من النوع الشائن وهو وهم عظيم.

أمّا إذا قلتم لي، بأنّنا لن نهتمّ هذه المرّة بما قاله أنيتوس، وسندعك حرّاً طليقاً، لكن بشرط واحد، وهو أن لا تحقّق ولا تبحث ولا تتأمّل في هذه الطريقة بعد اليوم، وأنّه إذا قبض عليك فاعلاً ذلك مرّة ثانية فإنّك ستموت؛ ـ إذا كان هذا هو شرطكم، فما عليَّ إلاَّ إجابتكم، بأنّني أجلّكم واحترمكم وأحبّكم، لكنّني سأطيع الله بدلاً من إطاعتي لكم، وما دامت لي الحياة والقوّة والعزيمة فلن أنقطع عن ممارسة وتعليم الفلسفة مطلقاً، ناصحاً ومحذّراً أيّ شخص منكم ممن أقابل، حاثّاً إيّاه على الاهتمام بالحقيقة والحكمة وتحسين الروح الأعظم، وليس بتكديس المال والحصول على الشرب والسمعة الحسنة. وسأقول لمن أتحاور معه، كيف يمكنه أن يبخس التقييم للشيء الأكثر نفاسة ويبالغ في تقييم الأخس. اعرفوا، يا رجال أثينا، أنّ هذا هو أمر الله، وأعتقد بأنّه لم يحدث في الدولة على الإطلاق خيرٌ أكبر من

خدمتي لله. وأقول ولكم، إنّ الفضيلة لا تُعطَى بالمال، بل إنّه من الفضيلة يأتي المال وكل خيرٍ للإنسان، عامّاً كان أو خاصّاً، وهذا هو تعليمي. وأنا لا أجادلكم من أجلي، كما تظنون، بل من أجلكم، كي لا يمكنكم أن تعصوا الله بادانتكم لي الذي أنا هبته لكم. إنّني مُهدىً من الله إلى الدولة، وإذا ما جاز لي استعمال صورة بلاغيّة مضحكة، فإنّني نوعٌ من النُعَرَة، وأنّ الدولة هي حصان كبير ونبيل، هو بطيىء في حركاته بسبب حجمه الضخم، ويحتاج لأن يُبعث إلى الحياة. وهذه النُعَرَة التي أرفقها الله بالدولة هي أنا، الذي أوقظكم وأقنعكم وألومكم، ولن تجدوا شخصاً آخر مثلي بسهولة. لذلك أنصحكم أن تُبقوا على حياتي. أمّا إذا قتلتموني، كما ينصح أنيتوس، فإنّكم ستنامون نوماً ثقيلاً لبقيّة حيواتكم، إلاّ إذا أرسل الله نُعَرَة أخرى عنايةً بكم.

وبخصوص الإشارة الإلهيّة التي تأتي إليّ، والتي يسخر منها ميليتوس، إنّ هذه الإشارة هي نوع من الصوت، ابتدأت تأتي إليّ عندما كنت طفلاً؛ إنّها تمنعني من وقت لآخر من فعل شيء هممت بالقيام به، لكنّها لا تأمرني بأيّ شيء. إنّ هذه الإشارة هي التي منعتني من أن أكون سياسياً. وأعتقد بحقّ، أنّني لو شاركت في السياسات، فما كان عليّ إلاّ أن أفنى منذ زمن بعيد، ولم أقم بأيِّ عملٍ خيِّر لا لكم ولا لنفسي. وأقول لكم، إنَّ مَنْ سيحارب من أجل الحق، عليه أن يمتلك موقعاً خاصاً وليس موقعاً عاماً. إنّ المنصب الوحيد الذي تسنّمته في الدولة، أوه يا رجال أثينا، كان منصب عضوٍ في مجلس الشيوخ. وقبيلة أنطيوخوس، وهي عشيرتي، كان لها مركز الرئاسة في محاكمة القادة العسكريين الذين لم يهتموا برفع جثث الموتى المذبوحين بعد معركة أرغينوساي، واقترحتم أنتم أن تحاكموهم على نحوٍ جماعي، خلافاً للقانون، كما فكّرتم كلّكم بعد ذلك. لكنّني كنت الوحيد الذي عارض هذا العمل، وصوّتُّ ضدّكم، وعندما هدّد المدّعون بأن يتّهموني أمام القضاء، وأنتم صحتم حينها وصرختم، عقدت النيّة على أن أتحمّل

المخاطرة، وإلى جانبي القانون والعدل، بدلاً من أن أكون شريككم في الظلم لأنّني خفت السجن والموت. حدث هذا في أيّام الديموقراطية، لكن عندما كانت الأوليغاركية الثلاثينية في السلطة، استدعوني مع أربعة آخرين إلى القاعة المستديرة وأمرونا أن نجلب ليون من سالاميس، لأنّهم أرادوا أن ينفّذوا فيه حكم الإعدام. كان هذا هو نموذج الأوامر التي أعطوها دائماً بقصد توريط أكبر عدد ممكن في جرائمهم. وحينئذ أبنتُ مرّة ثانية ليس بالكلمة فقط بل بالمأثرة أيضاً، أنّني لا أهتمّ بالموت قدر مثقال ذرّة، بل إنّ اهتمامي الوحيد والكبير هو الخشية من أن أفعل شيئاً غير صحيح وغير مقدّس وآثم. إنّ ذلك الساعد القوي لتلك القوة الجائرة لم يخفني كي أقوم بعمل الخطأ. وعندما خرجنا من القاعة المستديرة ذهب الأربعة الباقون إلى سالاميس وأحضروا ليون، أمّا أنا فعدت إلى البيت بهدوء. وكان يمكن لهكذا عمل أن يفقدني حياتي، لو لم تأتِ نهاية تلك القوّة الثلاثينيّة الغاشمة بعد ذلك بقليل. وسيشهد العديد على صدق كلماتي وحقيقتها.

إنّ أسلوبي في الدفاع، أوه يا رجال أثينا، يختلف عن أسلوب غيري من الرجال الذين يتضرّعون ويبكون ويحضرون أولادهم أمامهم كي ينجوا من الموت، أو يسألون القضاة التعاطف مع قضيتهم. أعتقد بأنّ هذا النوع من التصرف هو تصرف مشينٌ بحقّكم وحقّ الدولة، بل على الإنسان الحكيم أن يجابه قدره بصبرٍ ورباطة جأش، وأن لا يفعل ما يعتبره مخزياً وعاقّاً وآثماً. لذلك فإنّي سأدع قضيتي اليكم والى الله، كي تُقرّر في أفضل طريقة لي ولكم.

لم أُفاجأ، يا رجال أثينا، في تصويت الإدانة، بل توقّعته. وإنّني لمندهشٌ فقط لأنّ الأصوات كانت متساوية تقريباً وهي بفارق ثلاثين صوتاً، ولولاها لكان أُطلق سراحي. والآن فإنّ ميليتوس يقترح عقوبة الإعدام؛ وأنتم قد قبلتموها. إنّ العالم سيلومكم ويوبّخكم لقتلكم سقراط الإنسان الحكيم. لو تأخّرتم وانتظرتم وقتاً قصيراً فإنّ رغبتكم ستتحقّق من خلال مسار الطبيعة، فأنا متقدّم في السنّ جدّاً. إنّني

لست بنادمٍ على أسلوب دفاعي، وسأفضِّل أن أموت متكلّماً على غرار طريقتي، على أن أتكلم في نمطكم وأعيش، لأنّه لا يجب عليَّ ولا على أيِّ إنسانٍ آخر أن يستعمل كلّ وسيلة أمام المحاكم ليهرب من الموت، لا في الحرب ولا حتّى في المقاضاة. والآن فإنّي أغادر هذا العالم مداناً مِن قِبَلكم لأقاسي عقوبة الموت، هُمُ يمضون في طريقهم أيضاً مدانين من قِبَلِ الحقيقة كي يعانوا قصاص الجريمة والإثم إنّني سألتزم بمكافأتي، دعهم يلتزمون بما يخصّهم. أفترض أنَّ كلّ هذه الأشياء يمكن أن تُعتبر كأنها مقرَّرة بقضاءٍ وقدر، وأعتقد بأنّها جيدة.

والآن، أوه يا رجال أثينا، أريد أن أتوجه إلى الذين أدانوني منكم بوحي إلهي وبسرور؛ فأنا على وشك أن أموت، وفي ساعة الموت يُوهبُ الرجال قوّةً نبويَّة. أبشّركم وأتنبّأ لكم يا من قتلتموني عمداً، بأنّها تنتظركم بالتأكيد عقوبة أعسر وأبعد مشقَّة من تلك التي أنزلتموها عليَّ وذلك بعد مغادرتي حالاً. سيوجد من يدينكم بأقسى ممّا أدنتموني، وإذا ظننتم بأنّكم ستوقفون كلّ التقريع والتعنيف لحيواتكم الفاسقة بقتل الرجال فأنتم مخطئون. إنّ ذلك ليس هو طريق الهرب، إنّ الطريق الأسهل هو بتحسين أنفسكم. هذه هي النبوءَة التي أتوجه بها قبل مغادرتي إلى القضاة الذين أدانوني.

أمّا أنتم، يا أصدقائي، يا من رغبتم في إطلاق سراحي، يا من أستطيع تسميتكم بالقضاة الحقيقيين، أحب أن أقول لكم بشأن الذي سيحدث، وأن أريكم معنى هذا الحدث الذي وقع لي، وخاصة عن هذه الحادثة الرائعة. حتى الآن فإنّ القدرة الإلهيَّة، والتي منبعها وأصلها وسيط الوحي الداخلي، وقد كانت تعاكسني حتى بخصوص الأشياء التافهة وعلى الدوام؛ إذا ما كنت ذاهباً لأقوم بزلّةٍ أو خطأً في أيّة مسألة. والآن كما ترون، لقد حلَّ عليَّ ذلك ما يُعتبَرُ ويُظنُّ أنّه آخر وأسوأ الشرّ بشكل عام، لكنّ الكاهن أو وسيط الوحي لم يعطِ أيّة إشارة لمعارضة ذلك، لا عندما غادرت بيتي في الصباح، ولا حينما كنت في طريقي إلى المحكمة، ولا

أثناء دفاعي فيها. ومع ذلك فلقد أُوقَفتُ غالباً في منتصف كلامي، لكن الآن لم يعارضني وسيط الوحي. فما هو السّر في ذلك؟ إنّه تلميح بأنّ ما حدث لي هو خير، ولهذا السبب فإنّ أولئك الذين هم منا ويعتقدون بأنَّ الموت هو شرّ ينبغي أن يكونوا مخطئين. إنّ لديَّ هذا البرهان الحاسم. إنّ الإشارة الإلهيّة المعتادة وجب أن تعاكسني إذا ما قد كنت ذاهباً إلى الشرّ وليس إلى الخير.

دعونا نتأمل مليّاً في طريقة أخرى، ولسوف نرى أنّ هناك سبباً كبيراً لنا لنأمل في أنَّ الموت يكون خيراً، لأنّه واحدٌ من شيئين: إمَّا أنَّ الموت هو حالة عدم وعديم القيمة ولاوعي كليّ، أو، كما يقول الرجال، ثمّة تبديل وانتقال للروح من هذا العالم إلى العالم الآخر. والآن إذا افترضتم بأنّه لا يوجد وعي، بل نوم مثل النوم الذي لا يقلق حتى في الأحلام، فإنّ الموت سيكون كسباً لا يوصف، بل إنّه ربح أن تموت لأنّ الخلود يكون ليلة واحدة فقط. لكن إذا كان الموت رحلة من مكان إلى آخر، وهناك يسكن الموتى، كما يقول الرجال، فأيّ خير، أوه يا أُصدقائي وقضاتي، يمكن أن يكون أعظم من هذا؟ إنّ الإنسان حينما يصل إلى العالم الآخر، فإنّه يُنقَذ من مدّعينا الأرضيّين للعدل، ويجد القضاة الحقيقيين الذين يُقال بأنّهم يمنحون الحكم هناك حيث المعرفة الحقيقية وليس المزيَّفة. ومن أجل ذلك، كونوا مبتهجين جذلين بشأن الموت، واعلموا علم اليقين بأنّه لا شرّ يمكن أن يحدث لإنسانٍ خيِّر، لا في هذه الحياة ولا بعد الموت، أو إن الآلهة تهمله هو أو من يخصّه. لا ولم تحدث نهايتي القريبة الخاصّة بمحض صدفة؛ إنّني أرى بوضوح أنَّ الوقت قد حان عندما كان الأفضل لي أن أموت وأُعتق من الضيق. لهذا السبب فإنَّ وسيط الوحي لم يُعطِ أيّة إشارة، ولذلك فأنا لست غاضباً أبداً على مَن حكم عليَّ بالموت، ولا على مَن اتّهمني. لكن مع أنهم لم يفعلوا بي أيَّ أذى، فهم قصدوا إيقاعه بي، ولهذا يمكنني أن ألومهم بشكلٍ لائق. بقي عليَّ أن أقول لكم، إنّه عندما يكبر أولادي، سأطلب منكم أن تعاقبُوهم، وأريدكم أن تزعجوهم، كما

أزعجتكم. عاقبوهم إذا ما بدا أنهم يهتمون بالثروة، أو بأيّ شيء آخر أكثر من اهتمامهم بالفضيلة؛ أو إذا تظاهروا بأنّهم يكونون شيئاً ما في حين أنّهم ليسوا بشيء حقاً. وإذا فعلتم ذلك أكون قد تلقيت العدل على أيديكم، وهكذا سيتلقّاه أولادي من بعدي.

لقد حانت ساعة الانطلاق، ونحن سالكون طرقنا: أنا لأموت، وأنتم لتعيشوا. أيّنا الأفضل، الله وحده يعرف.

محاورة الدفاع (ابولوجي)

أوه، أيّها الاثينيون، كيف تأثّرتم بمن اتهمني، إنّني لا أستطيع إخبار ذلك؛ لكنّني أعرف أنهم جعلوني أَنسى من كنت تقريباً ـ لقد تكلّموا بإقناع؛ وبرغم ذلك قلّما تفوّهوا بكلمة حقّ. غير أنّ العديد من التزييفات التي أخبروها يجب أن تحترسوا منها وأن لا تسمحوا لأنفسكم بأن تُخدعوا بقوّة بلاغتي. لقد قالوا عنّي هذا، وهم متأكّدون أنهم سيُكتشفون حالما أفتح شفتَيّ وأَثبت نفسي لأكون أيّ شيء إلاّ متكلماً عظيماً، بدا لي هذا أنّه الأكثر وقاحة حقّاً ـ ما لم يعنون بقوة البلاغة قوة الحقيقة. إذ لو كان هذا هو معناهم، فإنّني أعترف بأنّني بليغ وفصيح. لكن كيف ذلك؟ إنّه بطريقة مختلفة عن وسائلهم! حسناً، وكما كنت قائلاً، هُم لم يتكلموا الحقيقة مطلقاً إلاّ نادراً؛ إنّكم ستسمعون منّي الحقيقة كاملة، لكنّها ليست موضوعة في أسلوبٍ كأسلوبهم المكوَّن من مجموعة خطبٍ مزخرفةٍ بكلمات ومقاطع جميلة، كما ينبغي. لا، بالسماء! إنّني سأستخدم الكلمات والمحاورات التي تحدث لي في هذه اللحظة، لأنّي واثق من عدالة قضيتي. أوه، يا رجال أثينا، ينبغي أن لا أظهر أمامكم، في هذه اللحظة من حياتي، في شخصيّة صبيّ يخترع أكاذيب. لا تدعوا أيّ شخص يتوقعها مني. ويلزم أن أستعطفكم بشكل خاصّ أن تمنحوني هذا المعروف: إذا دافعت عن نفسي بأسلوبي المعتاد، وسمعتموني مستعملاً الكلمات التي سمعني الكثيرون منكم أستخدمها في الساحة العامة بشكل اعتيادي، على طاولات الصّرّافين، وفي كل مكان آخر، فإنّني أسألكم أن لا تتعجبوا، وأن لا تقاطعوني لهذا السبب. لقد تجاوزت السبعين، وها أنا أظهر أمامكم الآن في محكمة القانون

لغريب عن لغة المكان تماماً؛ ولذلك أطلب منكم أن تعتبروني كما لو كنت غريباً حقاً، ستعفونه من اللوم إذا تكلّم بلهجة بلده، وبأسلوب بلاده. فهل أطلب منكم التماساً غير عادل؟ لا تهتموا بالأسلوب، الذي يمكن أن لا يكون جيّداً؛ بل فكّروا في حقيقة كلماتي فقط، وانتبهوا لذلك. دع المتكلم يتكلم بالحقّ ودع القاضي يقرّر بالعدل.

بادىء ذي بدء، عليّ أن أجيب على الاتهامات القديمة وعلى متهميّ الأُوَلْ، وبعدئذ سأذهب إلى الأشخاص المتأخّرين. كان عندي متّهمون كثيرون منذ القدم، اتهموني عندكم بباطل خلال سنين عدَّة، وإنّني أخشى منهم أكثر من خشيتي من أنيتوس وزملائه الذين هم خطرون أيضاً، على طريقتهم الخاصة. غير أنَّ الآخرين هم أكثر خطراً، والذين ابتدأوا اتّهاماتهم عندما كان أكثركم أطفالاً، واستولوا على عقولكم بأباطيلهم وكلماتهم المزيَّفة، مخبرين عن سقراط الواحد، الإنسان الحكيم، الذي تأمَّل بشأن السماء العليا، وبحث في الأرض السفلى، وجعل الأسوأ يبدو أنّه القضيَّة الأفضل. إنّ الرجال الذين لطّخوا سمعتي بهذه الإشاعة هم المتّهِمون الذين أخشاهم لأنّ سامعيهم معرضون كي يتوهّموا أنّ هكذا تساؤلات لا تعتقد بوجود الآلهة، وهم كثرة، واتهاماتهم ضدّي قديمة في الزمن، وقد اخترعوها يوم كان بعضكم حينها أكثر استعداداً لتقبُّلها مما أنتم عليه الآن. وهكذا لم يُجِبْ أحد عليها، لا في سنّ الطفولة، أو لربّما في زمن الشباب، وانقضت القضيّة بالإهمال. والأصعب من الجميع أنّي لا أعرف ولا أستطيع أن أخبر عن أسماء الذين اتّهموني ما لم تكن في حالة صدفةٍ لشاعرٍ هزليّ. كلّ الذين أقنعوكم فإنّما فعلوا ذلك بداعي الحسد والضغينة ـ إنّ كل هذا الصنف من الرجال هم الأكثر صعوبة للتعامل معهم؛ لأنّني لا أقدر أن أستدعيهم إلى هنا وأستجوبهم بدقّة، ولذلك يلزمني أن أحارب الظلال بكل بساطة في

دفاعي الخاص وأن أحاور عندما لا يوجد أيّ شخص ليجيب. إنّي سأسألكم بعدئذ كي تتقبّلوها مني وهو أنّ أخصامي من نوعين اثنين أحدهما حديث، والآخر قديم. وإنّي لآمل منكم أن تروا أدب جوابي للآخرين أوّلاً، أنتم سمعتم هذه الاتهامات قبل أن يسمعها الآخرون بوقت طويل، وأكثر منهم غالباً.

حسناً، إذن، ينبغي عليَّ أن أجهّز دفاعي، وأسعى لأن أزيل من عقولكم في وقتٍ قصير، افتراءً عليَّ صدّقتموه لوقتٍ طويل. أيمكنني أن أتقدّم بذلك، وإذا ما نجحت سيكون خيراً لي ولكم، أو أن يفيدني ذلك في قضيّتي بالاحتمال! إنّه لعملٌ شاقّ وهو ليس بالعمل السهل؛ وإنّني لأفهم طبيعته تماماً. وهكذا، تاركاً الحدث مع الله، سأقوم بدفاعي الآن امتثالاً للقانون.

سأبدأ من البداية، وأسأل ما هي التهمة التي تسبّبت في الافتراء عليَّ، وشجّعت ميليتوس لاختيار هذا الاتهام ضدّي في الحقيقة. حسناً، ماذا يقول مشوّهو سمعتي؟ إنّهم سيكونون المدّعين العامين، وهذه هي الاتهامات الرسميّة التي يؤكّدونها. يقولون: « إنَّ سقراط هو فاعل للشرّ. إنّه المتأمّل الذي يبحث في أشياء تحت الأرض وفي السماء، ويجعل الأسوأ يبدو أنه القضيّة الأفضل، ويعلّم التمارين المذكورة آنفاً للآخرين ». وهذه هي طبيعة اتّهامهم: إنّه هو ما رأيتموه بأنفسكم في ملهاة أريستوفاينز[٢٤]، الذي قدَّم فيها رجلاً ودعاه سقراط، المتأرجح عالياً والقائل إنّه يمشي في الهواء، والمتكلّم كميّة من السفاسف التي تخصّ قضايا لا أتظاهر بأنّني أعرف منها لا قليلاً ولا كثيراً ـ ولا أعني الكلام باستخفافٍ عن أيّ شخص يكون تلميذاً في الفلسفة الطبيعيّة. يمكن أنَّ ميليتوس لم يحضّر ضدّي قطّ العديد من هذه الاتهامات كي يجعلني أفعل ذلك! لكنّ الحقيقة هي، أوه أيها الأثينيّون، أنّه لا شأن لي كي أفعله بهذه التأمّلات الطبيعيّة. إنَّ أكثر

الحاضرين هنا شاهدون على حقيقة ما أقول، ولهم أحتكم. تكلّموا إذن، يا من سمعتموني، وقولوا لجيرانكم إذا ما كان أيٌّ منكم عرف قطّ أنّني أبدي رأياً بكلمات قليلة أو كثيرة بشأن المسائل تلك ... إنّكم تسمعون جوابهم، وستكونون قادرين على أن تحكموا على حقيقة ما تبقّى مِمّا يقولونه عن هذا القِسم من الاتهام.

بما أنّ هناك أساساً ضعيفاً لهذا التقرير الذي يقول إنّني معلمٌ، وأتلقّى مالاً لأجل ذلك؛ إنّ هذا الاتهام هو عارٍ عن الصحّة وليس فيه حقيقة أكثر ممّا في التقرير الآخر. ومع ذلك إذا قدر إنسان أن يعلّم الجنس البشري بحقّ، فإنّ هذا سيكون شرفاً عظيماً له، في رأيي. يوجد هنا أبولوجي من ليونتيوم، وبروديكوس من سيوس، وهيبياس من أليس، الذين يطوفون المدن، وهم قادرون على أن يقنعوا الرجال الشبّان بترك مواطنيهم الذين يمكنهم أن يتعلموا بواسطتهم دون مقابل، ويأتون اليهم ولا يدفعون لهم فقط، بل يكونون شاكرين إذا ما سُمِحَ لهم بالدفع لمعلميهم. ثمة في هذا الزمن فيلسوف باريني ساكن في أثينا، وقد سمعت عنه؛ وأصبحت أعرف عنه بهذه الطريقة: ـ التقيتُ صدفةً برجلٍ أنفق دراهم على السوفسطائيين أكثر مما أنفقه بقيّة الناس جميعهم. إنّه كالياس بن هيبونيكوس، وبما أنّني أعرف أنَّ عنده بنين، سألته: « يا كالياس »، « إذا كان ولداك فلوّتين أو عجلين، فلا صعوبة في إيجاد شخصٍ ما لتنصُّبهُ عليهما؛ علينا أن نستأجر مدرِّباً للأحصنة أو مزارعاً بالاحتمال، وهو سيحسنهما ويجعلهما كاملين في الفضيلة المناسبة والامتياز. لكن بما أنّهما مخلوقان إنسانيان، فمن تفكّر أن تنصِّب عليهما؟ هل هناك شخص يفهم الفضيلة الإنسانية والمدنيّة؟ لا شكّ أنّك فكّرت بشأن المسألة لأنّ لديك أبناءً، هل هناك أيّ شخص ليقوم بهذا العمل »؟ قال، « نعم ». أجبته « من هو؟ ومن أيّة بلاد؟ وكم يتقاضى

أجابني « إنّه إيفينوس الباريني إنّه رجل، وهو يتقاضى منّي خمس مينات[٢٥] ». قلت لنفسي، إنَّ إيفينوس هذا السعيد، إذا امتلك هذه الحكمة بحقّ، ويعلّم لقاء رسم معقول، إذا كان لي مالَهُ، فلست إلاّ فخوراً ومختالاً؛ لكنّ الحقيقة أنّني لا أمتلك معرفة من هذا النوع.

أجرؤ على القول، أيّها الأثينيون، أنَّ مِنْ بينكم مَنْ سيجيب « نعم، يا سقراط، لكن ما هي مهنتك؟ وما هو أصل الاتهامات التي وُجّهت إليك؛ لا شك أنّك ارتكبت عملاً غريباً؟ إنَّ كلّ هذه الإشاعات وهذا الكلام عنك ما كان ليحدث قط لو كنت مثل بقيّة الرجال. قل لنا، إذن، ما هو سببها، فنحن يؤسفنا أن نحكم عنك وعليك بتهوّر ». والآن فأنا أعتبر هذا أنّه تحدٍّ عادل، وسأحاول أن أشرح لكم السبب الذي من أجله سُمّيتُ حكيماً وامتلكت هذه الشهرة السيّئة. من فضلكم أن تصغوا إذن. ومع ذلك فإنّه يمكن لبعضكم أن يظن بأنّني هازىء. سأخبركم الحقيقة كاملة. يا رجال أثينا، إنّ صيتي هذا أتى من نوعٍ محدّدٍ للحكمة التي أمتلك. إذا ما سألتموني أيّ نوع من الحكمة هي، سأجيبكم، بأنّها حكمة كتلك التي يمكن أن تُلازَم بإنسان، رُبّما، لهذا المدى أميل لأعتقد بأنّي أكون حكيماً؛ في حين أنّ الأشخاص الذين تكلّمت عنهم يمتلكون نوعاً من الحكمة الإلهيّة، والتي لا أعرف كيف أصفها، لأنّني لا أمتلكها؛ والذي يقول أنّها لديَّ يتكلّم باطلاً، وما هو إلاّ سالبٌ مني شخصيّتي. وهنا، أوهِ يا رجال أثينا، أستعطفكم أن لا تقاطعوني، حتى إذا ظهر لكم أنّي أقول شيئاً مُفرطاً لأنّ الكلمة التي سأتفوّه بها ليست لي. إنّني سأحيلكم إلى الشاهد الذي يعتبر موضع الثقة. إنّ ذلك الشاهد سيكون إله معبد دلفي ـ هو سيخبركم عن حكمتي، إذا ما امتلكت أيّاً منها، وأيُّ نوعٍ من الحكمة هي. لا شك أنّكم عرفتم تشايرافون، وكما تعلمون، فإنّه كان رجلاً متهوّراً جدّاً في كل

أعماله، وذهب إلى معبد دلفي، وسأل الكاهن بشجاعة ليقول له إذا ما كان، كما كنت قائلاً يجب أنْ أستعطفكم أن لا تقاطعوني، أنّه سأل الكاهن ليقول له إذا ما كان أيّ شخص أعقل منّي حقاً، وأجابت النبيّة البيثيّة بأنّه لم يوجد إنسان أعقل. لقد قضى تشايرافون نحبه، لكنّ أخاه الموجود في المحكمة الآن سيؤكّد حقيقة ما كنت قائلاً.

لماذا أذكر هذا؟ لأنّني في طريقي لأشرح لكم السبب الذي من أجله أحوز إسماً سيئاً كهذا. حينما سمعت الجواب، قلت لنفسي، ماذا يمكن لله أن يعني؟ وما هو تفسير لُغزه؟ فأنا أعرف بأنّني لا أمتلك حكمة، صغيرة كانت أم كبيرة، ماذا يمكنه أن يعني إذن عندما يقول بأنّي أعقل الرجال؟ ومع ذلك فهو إله، ولا يستطيع الكذب؛ إنّ ذلك سيكون خلاف طبيعته. افتكرت بطريقة لاختبار السؤال بعد إرباكٍ طويل. تأمّلت مليّاً بأنّني إذا تمكّنت فقط من إيجاد إنسانٍ أعقل مني، يمكنني عندئذ أن أذهب ومعي النقض في يديَّ. عليَّ القول له: « هنا إنسان أعقل مني؛ لكنك قلت أنت بأنّي كنت الأعقل ». وَوفقا لذلك ذهبت إلى شخصٍ كانت له شهرة الحكمة وراقبته، لا داعي لذكر اسمه، إنّه كان رجلاً سياسياً؛ وفي عمليةٍ لاختباره والتحدث معه، كان هذا ما وجدت، يا رجال أثينا. لم أستطع الامتناع عن التفكير بأنّه لم يكن حكيماً بحقّ، مع أنّه كان في ظنّ العديد من الرجال أنه كذلك، وما زال يعتقد هو أنّه الأعقل. حاولت بناءً على ذلك أن أشرح له بأنّه ظنَّ نفسه حكيماً، لكنّه ليس كذلك حقاً؛ وكانت العاقبة أنّه كرهني، وشاركه كرهه لي العديد الذين كانوا حاضرين وسمعوا قولي. هكذا تركته وشأنه، قائلاً لنفسي عندما ابتعدت عنه: حسناً، مع أنّني لا أفترض بأنّ كلينا يعرف أيّ شيءٍ جديرٍ بالمعرفة في الواقع، فإنّي أعقل من هذا الشخص على الأقلّ ـ هو لا يعرف شيئاً ويظنّ أنّه يعرف؛ بالمقابل أنا لا أعرف ولا أظنّ

بأنّني أعرف. أبدو في هذه النقطة الصغيرة، إذن، أنّني أمتلك الأفضليّة عليه. ذهبت بعدئذ إلى شخصٍ آخر، كان لا يزال يدّعي الرّفعة في الحكمة، وكان استنتاجي الشيء عينه بالضبط. وإذ ذاك خلقت منه عدوّاً، ومن عدّة أشخاصٍ حواليه.

بعد ذلك أخذت أذهب إليهم، واحداً تلو الآخر، دون أن أدرك الحسد الذي أثرته لنفسي، ورثيت وخفت هذا. لكنّ الضرورة وضعت عليَّ ـ كلمة الله، فكّرت، أنّها يجب أن تُعتبر قبل كل شيء. وقلت لنفسي، ينبغي أن أذهب إلى جيمع من يبدون أنّهم يعرفون، وأكتشف المعنى الذي قصده الكاهن، وأقسم لكم، أيّها الأثينيّون ـ لأنّني يجب أن أخبركم الحقيقة ـ أنَّ نتيجة مهمتي كانت هذه تماماً: وجدت أنّ الرجال الذين هم الأكثر شهرة كانوا الأكثر غباءً تقريباً؛ وأنّ الآخرين الذين كانوا أقل تقديراً هم أقرب إلى الحكمة تقريباً. سأخبركم قصة تجوالي والمشقات « الهيراقليّة » كما يمكنني أن أسمّيها، والتي تحملتها فقط لأجد أخيراً أنَّ الكاهن لا يُدحض. ذهبت إلى الشعراء، بعد رجال السياسة؛ شعراء المأساة، الشعراء العمبقيّون، والشعراء من كل الأنواع. وهناك، قلت لنفسي، إنّك ستظهر على حقيقتك في الحال، يا سقراط؛ ستجد الآن أنّك أكثر جهلاً ممّا هم عليه. وَفقا لذلك، إضطّلعت بِمهمة القيام بفحص بعض المقاطع الاكثر إحكاماً في كتاباتهم الخاصة، وسألت ما هو معناها، معتقداً أنّ قائليها سيعلُمونني شيئاً ما. هل ستصدٌقونني؟ إنّني مستحٍ من الاعتراف بالحقيقة، لكن ينبغي عليَّ أن أقول إنّه ما من شخص موجود هنا ليس في وسعه أن يتكلم أفضل بشأن قصائدهم ممّا فعلوه هم أنفسهم. وهكذا فإنّه ليس بالحكمة يكتب الشعراء قصائدهم، بل بنوعٍ من العبقريّة والإلهام، مَثَلُهم في ذلك مَثَلُ الكهنة والمتنبّئين الذين يقولون أشياء جميلة وعديدة أيضاً؛ غير أنّهم لا يفهمون

معناها. يبدو الشعراء لي أنّهم يكونون كثيراً في الحالة عينها؛ ولاحظت أبعد من ذلك وهو بما أنَّ لشِعرهم ما له من القوة والتماسك اعتقدوا أنفسهم بأنّهم أعقل الرجال في الأشياء الأخرى التي لم يكونوا عقلاء فيها. وهكذا رحلت عنهم، متصوِّراً نفسي أنّني أسمى منهم للسبب عينه الذي كنت فيه أعلى من السياسيين.

ذهبت إلى الحرفيين أخيراً، لأنّني كنت مدركاً بأنّي لا أعرف شيئاً على الإطلاق، كما يمكنني أن أقول، وكنت متأكّداً أنّهم عرفوا العديد من الأشياء الجميلة. وكنت هنا مخطئاً، لأنّهم عرفوا أشياء كثيرة جهلتها، وكانوا في هذا أعقل ممّا كنت أنا بدون ريب. غير أنّي لاحظت أنّه حتى الحرفيون البارعون يقعون في الخطأ عينه مثل الشعراء. ولأنّهم كانوا عمالاً مهرة ظنُّوا أيضاً أنّهم عرفوا كلّ المسائل ذات الأنواع السامية. وهذا الخلل الذي يعتريهم حجب نور حكمتهم؛ ولهذا السبب سألت نفسي بالنيابة عن الكاهن، إذا كان يلزمني أن أكون كما كنت، لا حائزاً معرفتهم ولا جهلهم، أو مثلهم في كليهما. وأجبت بالنيابة عن الكاهن وعن نفسي أنّه من الأفضل لي أن أبقى كما كنت.

قادني هذا التحقيق لاستعداء كثيرين من النوع الأسوأ والأكثر خطراً وأعطى انبعاثاً للعديد من التّهم أيضاً، بما فيها تهمة اسم « الحكيم »؛ لأنّ مستمعيّ يتصوّرون دائماً بأنّي أمتلك الحكمة التي وجدتُ الآخرين يفتقرون لها. لكنّ الحقيقة هي، أوه يا رجال أثينا، أنّ الله هو الحكيم وحده، وأنّه يقصد بإجابته أن يُبيِّن أنّ حكمة الرجال تساوي قليلاً أو أنّها لا تساوي شيئاً. ومع ذلك عندما يتكلّم عن سقراط، فهو يستعمل إسمي بطريقة المثل الموضِّح فقط، كما وأنّه قال هو، يا رجال، إنَّ الأعقل هو من يعرف مثل سقراط، وإنَّ حكمته لا تساوي شيئاً في الحقيقة. وهكذا أطوف أنا العالم، بطاعةٍ إليه

وأبحث وأبعث التحقيق في الحكمة لأيّ شخص، سواء أكان مواطناً أو غريباً، والذي يبدو أنه حكيم؛ وإذا لم يكن حكيماً، فحينئذ وفي إثباتٍ لِمَا قاله الكاهن أريه أنَّه ليس بحكيم. وأما مهنتي فقد امتصَّتني تماماً، ولم يكن لديَّ متسع من الوقت لأفعل أيّ شيء نافع لا في الشؤون العامة ولا في أيّ شيء يخصّني، بل إنّني في فقرٍ مدقع بسبب إخلاصي لله.

هناك شيءٌ آخر: إنّ شُبّان الطبقات الغنيَّة، الذين لم يكن لديهم الكثير كي يقوموا به؛ يغيِّرون اتجاههم نحوي من غير إكراه؛ ويحبّون أن يسمعوا الناس ممتحنين، وهم غالباً ما يقلّدونني في ذلك، ويتقدّمون هم أنفسهم للقيام بعملٍ إخباريٍ ما. ما أكثر ما تكتشفون الجمع الغفير من الأشخاص الذين يعتقدون أنّهم يعرفون شيئاً ما؛ غير أنّهم في الحقيقة يعرفون قليلاً أو لا يعرفون شيئاً. وحينئذ فإنَّ هؤلاء الذين تمَّ امتحانهم بهم بدلاً من أن يغضبوا منهم يغضبون منّي، ويقولون: هذا السّقراط البغيض، هذا النّذل الذي يضلّل الشباب! - وإذا ما سألهم أيّ شخص بعدئذ، لماذا، وأيُّ شرٍّ يزاول سقراط أو يُعلِّم؟ فهم لا يعرفون ولا يستطيعون القول؛ لكن كي يمكن أن يبدو أنّهم في حيرة، يردِّدون الاتهامات الجاهزة سلفاً، والتي تُستعمل ضدّ الفلاسفة جميعاً بخصوص تعليم الأشياء العالية في السُحُب وتحت الأرض، وأنَّ ليس لهم آلهة، وأنّهم يجعلون القضيَّة الأسوأ تبدو على أنّها الأفضل. فهم لا يحبّون أنْ يعترفوا أنَّ في ادّعائهم بالمعرفة قد تمَّ اكتشافهم - وهو اكتشاف حقيقي؛ وبما أنّهم كثرة ويملأهم الطموح والنشاط، ويتكلّمون بلغةٍ إقناعيَّة وبحماس، صمُّوا آذانكم بافتراءاتهم الصاخبة الراسخة الجذور. وهذا هو السبب الذي هاجمني من أجله متهميَّ الثلاثة، ميليتوس، أنيتوس، وليقون. إنّ ميليتوس خاصمني بالنيابة عن الشعراء؛ أنيتوس، لمصلحة الحرفيّين والسياسيين؛ وليقون لأجل علماء الكلام. وكما قلت في البداية، فأنا لا

أتوقّع أن أتخلّص من افتراءٍ ضخمٍ في لحظة. إنّ هذه هي الحقيقة وكلّ الحقيقة، يا رجال أثينا. أنّني لم أُخفِ منها شيئاً، ولم أُرائي بأيّ شيء. وبرغم ذلك، فإن لديَّ شعوراً أكيداً بأنَّ سهولة حديثي إنّما تهيّج كراهيتهم لي، وليست كراهيتهم سوى برهان على أنّي أتكلّم الحقيقة؟ ـ من ثمَّ فإنّ الإجحاف والأذى ارتفعا ضدِّي، وهذا هو سببه. ستكتشفون ذلك في هذا البحث أو في بحثٍ مستقبلي آخر.

إنّني قلت ما فيه الكفاية في دفاعي ضدّ الصنف الأوّل من متهميَّ؛ وأستدير الآن إلى النوع الثاني منهم. إنَّ ميليتوس يرئسهم، ذلك الرجل الصالح والمحب الحقيقيّ لبلاده، كما يسمّي نفسه. يجب أن أحاول وأجهِّز دفاعاً ضدّ هؤلاء أيضاً. دعوا شهادتهم الخطيّة يليها قسَم. إنّها تحتوي على شيء من هذا النوع: يقولون فيها إنَّ سقراط هو فاعلٌ للشرّ، بقدر ما يفسد الشباب ولا يقيم وزناً للآلهة التي تؤمن بها الدولة، لكنّ له ديناً خاصاً به. هذا هو الاتهام؛ والآن دعونا نتفحّص الفقرات الاتهاميّة على وجه الخصوص. يقول هو بأنّني فاعل الشرّ، وأفسد الشباب. لكنّني أقول، أوه يا رجال أثينا، إنَّ ميليتوس هو الآثم وهو فاعل الشرّ، وإنّه في ذلك يقوم بتمثيل مسرحيّة هزليةٍ ساخرة، جالباً الرجال إلى المحاكمة من حماسةٍ مزعومة واهتمامٍ بمسائل ليس لها عنده أدنى اهتمام. وسأسعى كي أبرهن لكم حقيقة ما أقول.

تعالَ إلى هنا، يا ميليتوس ودعني أسألك سؤالاً. هل تعلّق أنت أهميةً كبرى على تحسين الشباب؟

نعم، إنّني أفعل.

قل للقضاة، من هو محسِّنهم لأنّك ينبغي أن تعرف ذلك، بما أنّك تبدي اهتماماً كهذا في الموضوع، واكتشفت مفسدهم، وأنت تدعوني للمثول أمام

القضاء وتتهمني في هذه المحكمة. تكلّم إذن، واخبر القضاة من هو محسِّن الشباب! ـ لاحظ، يا ميليتوس، أنّك صامت وليس لديك أيّ شيء لتقول. لكن أليس هذا خزياً لك وبرهاناً جديراً بالاعتبار لِمَا كنت قائلاً تماماً، وهو أنّه ليس لديك أيّ اهتمام بالقضية؟ تكلّم جهاراً، يا صديقي، وقل لنا من هو محسّنهم.

القوانين.

لكنّ ذلك، يا سيّدي الصالح، ليس سؤالي: ألا تستطيع أن تسمّي شخصاً ما، سيكون من مؤهّلاته الأولى أن يعرف القوانين؟

القضاة، يا سقراط، الحاضرون في المحكمة.

ماذا، هل تعني، يا ميليتوس، أنّهم قادرون على أن يعلّموا ويحسّنوا الشباب؟

إنّهم لقادرون بدون ريب.

ماذا، كلّهم، أو بعض منهم فقط وليس البعض الآخر؟

كلّهم.

حقاً، إنَّ تلك الأخبارُ أخبار سارّة! يوجد وفرة من المحسِّنين، إذن. وماذا تقول عن الحاضرين؟ هل هم يحسنونهم؟

نعم، إنهم يفعلون.

وأعضاء مجلس الشيوخ؟

نعم، إنَّ أعضاء مجلس الشيوخ يحسّنونهم.

لكن لربّما أعضاء الجمعيّة العموميّة يفسدونهم. أو هل هم يحسّنونهم أيضاً؟

إنّهم يحسّنونهم.

إذن فإنَّ كلَّ أثيني يحسّنهم ويقوّمهم؛ كلّهم يفعلون ذلك ما عداي؛ وأنا الوحيد الذي أُفسدهم. هل هذا ما تؤكّده؟

إنَّ هذا هو ما أصرّ على تأكيده.

إنّني لست محظوظاً جدّاً إذا كنت أنت محقّاً. لكن إفترض أنّي أسألك سؤالاً: هل يكون هذا هو الشيء عينه مع الأحصنة؟ هل يؤذيها إنسانٌ واحد ويفعل لها الخَير العالم كله؟ أليست الحقيقة هي عكس ذلك بالضبط؟ إنسانٌ واحدٌ هو قادرٌ على أن يفعل لها خيراً؛ أو على الأقل خيراً قليلاً جداً؛ - أعني هل يفعل مدرِّب الأحصنة لها خيراً لكنّ الرجل العادي يؤذيها إذا كان عليه أن يعاملها. أليس هذا حقيقياً، يا ميليتوس، عن الأحصنة، أو عن أيّة حيوانات أخرى؟ إنّ ذلك هو الحق الأكثر تأكيداً، سواء إذا قلت أنت أو قال أنيتوس لا. ستكون حالة الشباب سارّةً حقاً إذا كان لديهم مفسدٌ واحد فقط، وكان كلّ الباقين محسنين لهم. لكنك أنت، يا ميليتوس، أبنت بما فيه الكفاية أنّه لم يكن لديك أيّ تفكير بشأن الشباب. إنَّ لا مبالاتك تظهر بوضوح في عدم عنايتك بالأشياء المحدَّدة التي تحضرها ضدّي.

والآن، يا ميليتوس، إنّني أستحلفك أن تجيبني على سؤالٍ آخر: أيّهما أفضل، أن تحيا بين مواطنين أشرار أو بين الأخيار؟ أجب يا صديقي. أقول، إنَّ السؤال الوحيد الذي يمكن الإجابة عليه بسهولة هو: ألا يفعل الأخيار الخير لجيرانهم، والأشرار يفعلون لهم الشر؟

بالتأكيد.

هل يوجد أيُّ شخص يفضِّل أن يؤذيه المتعاملون معه بدل أن ينفعوه؟ أجب، يا صديقي الخيِّر. إنّ القانون يقضي عليك أن تجيب. هل يحبّ أيّ شخص أن يؤذيه أحد؟

لا بالتأكيد.

وعندما اتّهمتني بإفساد وإتلاف الشباب، هل تدَّعي بأنّني أفسدهم عمداً أو عن غير قصد؟

أقول، عمداً.

لكنّك اعترفت لتوّك أنَّ الخيِّر يفعل الخير لجيرانه، والشرير يفعل لهم الشرّ. والآن، أتكون تلك هي الحقيقة والتي ميَّزتها حكمتك الأسمى هكذا مُبكراً في الحياة، وهل أكون أنا نفسي وفي سنّي، في هكذا ظلامٍ وجهلٍ كي لا أعرف أنّه إذا أفسدني إنسان عليَّ أن أعيش معه، فإنّي سأكون موضع أذيته بالأحرى؛ ومع ذلك فأنا أفسده، وعن قصدٍ أيضاً. هذا ما تقوله أنت، مع أنّني لا أقتنع أنا ولا أيّ مخلوق إنساني آخر أبداً بما تقول ولو بالاحتمال. غير أني لا أفسدهم، أو إذا قمت بذلك فبشكلٍ غير مقصود؛ وفي كلا الرؤيتين لتلك الحالة أنت تكذب. إذا كانت إساءَتي غير متعمّدة، فإنّ القانون لا يمتلك اختصاصاً للنظر في الإساءَات غير المتعمَّدة. لا شك أنَّك أخذتني على حين غرّة بصورة شخصيَّة، وأنذرتني ولمتني؛ لأنّني إذا امتلكت التعليم والإرشاد، كان عليَّ أن أترك فعلٍ ما فعلته عن غير قصد - يلزمني فعل ذلك بدون شكّ؛ لكن لم يكن لديك شيء لتقوله لي ورفضت أن تعلِّمني. والآن فأنت تحضرني في هذه المحكمة، وهي ليست مكاناً للتهذيب والتعليم، بل مكان للعقاب.

سيكون واضحاً لكم، أيّها الأثينيون، كما كنت قائلاً، أنَّ ميليتوس لم يكن لديه أيّ اهتمامٍ واضح قطّ، كبيراً كان أو صغيراً، بشأن هذه القضيَّة. لكنّني لم أزل وسأحب أن أعرف، يا ميليتوس، بماذا يثبت عليَّ بأنّي أفسد عقول الشباب. أفترض بأنّك تعني، كما أستنتج من اتهامك، بأنّي أعلمهم كي لا يعترفوا بالآلهة التي تعترف بها الدولة بل بآلهة أخرى جديدة أو بقوىً روحية بدلاً منها. تلك هي الدروس التي أُفسِدُ الشباب بواسطتها، كما تقول.

نعم، إنّي أقول ذلك بكلّ تأكيد.

إذن، قل لي وللمحكمة باسم الآلهة، يا ميليتوس، الذين نتكلم نحن عنهم،

قل لنا في عبارات أسهل قليلاً، ماذا تعني؟ فأنا لا أفهم حتى الآن إذا ما كنت تؤكّد أنّني أعلّم الرجال الآخرين ليعترفوا بآلهة ما، ولذلك أنا لا أعتقد في الآلهة، وأنا لست بملحدٍ كامل ـ إنّ هذا لا تضعه في اتهامك لي، بل تقول فقط إنّها ليست الآلهة نفسها التي تعترفُ الدولة بها ـ الاتهام الذي تّتهمني به هو أنَّ الآلهة الذين أعتقد بهم هم آلهة مختلفون، أو هل تقصد أنّني ملحد بشكل كامل وبكل بساطة، ومعلم للإلحاد؟

أعني الآخر، إنّك ملحد بشكل عامّ.

أيُّ تصريح غريب! لماذا تظنّ ذلك، يا ميليتوس؟ هل تعني بأنّني لا أعتقد في إله رئيس للشمس أو القمر مثل بقيّة الجنس البشري؟

إني أؤكّد لكم، أيّها القضاة أنّه لا يؤمن بذلك لأنّه يقول إنّ الشمس هي حجر، والقمر تربة.

أيّها الصديق ميليتوس، هل تظن أنّك تّتهم أناكساغوراس؟ هل لديك رأي سافل كهذا عن القضاة، كي تتوهّم أنّهم هكذا أميّون ولا يعرفون أنّ هذه القواعد الفكريّة موجودة في كتب أناكساغوراس الكلازوميني الذي تمتلىء كتبه بها؟ ولهذا قيل إنّ الشباب تعلّموهما من سقراط، في الواقع، في حين أنّهم يستطيعون أن يشتروها من المكتبات بدراخما واحدة على الأكثر[٢٦]؛ ويمكنهم أن يدفعوا مالهم، ويضحكون على سقراط إذا زعم أنّه مبتدع هذه الأفكار الغريبة. وهكذا، يا ميليتوس، هل تظنّ بأنّني لا أؤمن بأيِّ إله؟

أُقسم بزيوس أنّك لا تؤمن بأيِّ إلهٍ على الإطلاق حقاً.

لا أحد سيصدّقك، يا ميليتوس، وإنّي لمتأكّد تماماً أنّكَّ لا تصدّق نفسك، ولا سبيل لي إلاّ أن أعتقد، يا رجال أثينا، أنّ ميليتوس ما هو إلاَّ أرعن وصفيق، وأنَّه ساق لي هذه التهمة بمجرّد نفسيَّة جائرة وتبجّح شباب. ألم يمزج هو لُغزاً مفتكراً لأنّ يجرّبني؟ قال هو لنفسه: إنّني سأرى إذا ما كان

سيكتشف الحكيم سقراط مناقضتي لنفسي المثيرة للشقاق، أو إذا ما كنت قادراً أن أخدعه وأخدع بقيّة الحاضرين لأنّه يبدو لي بكلّ تأكيد أنه يناقض نفسه في الاتهام بقدر ما إذا قال هو إنّ سقراط يكون مذنباً لعدم اعتقاده بالآلهة، ومع ذلك بالاعتقاد بهم ـ لكنّ هذا لا يكون مثل الشخص الذي هو جادٌّ فيما يقول وينوي.

سأحبّ منكم، أوه يا رجال أثينا، أن تنضمّوا لي في اختبار ما أتصوّر أنّه تناقضه؛ وهل ستجيب، يا ميليتوس، ويلزمني أن أذكّر الحاضرين بطلبي وهو أن لا يقوموا بأي تشويش إذا تكلّمت بأسلوبي المعتاد.

هل اعْتَقَدَ إنسانٌ قطّ، يا مليتوس، في وجود الأشياء الإنسانيّة، وليس في الكائنات الإنسانيّة؟ .... أرغب، يا رجال أثينا أن يجيبني ميليتوس، وأن لا يحاول مقاطعتي عندما أتكلّم. هل اعْتَقَدَ أيُّ إنسانٍ في الفروسية قطّ، وليس في الأحصنة؟ أو في العزف على القيثار، وليس في العازفين عليه؟ يا صديقي، لا أحد فعل ذلك أبداً؛ إنّني أجيب من أجلك ومن أجل المحكمة، بما أنّك ترفض أن تجيب بنفسك. لكن أجبني على السؤال التالي من فضلك: هل يقدر إنسانٌ أن يعتقد في وجود الأشياء الروحانيّة والإلهيّة، وليس في الروحانيات أو شَبَه الآلهة؟

إنّه لا يستطيع.

كم أنا محظوظ لأنتزع ذلك الجواب منك، بمساعدة المحكمة! لكنّك حينئذ تقسم أنت في الاتهام بأنّني أعلّم وأعتقد في أشياء روحانيّة أو إلهيّة. هكذا تقول أنت وتحلف في الشهادة الخطيّة المشفوعة بقَسَم؛ وبرغم هذا إذا اعتقدتُ أنا بها، فكيف أستطيع أن أمتنع عن الاعتقاد في الروحانيّات وأنصاف الآلهة؟ ـ ألا يجب أن أفعل ذلك؟ لتكن متأكّداً يلزمني فعل هذا. إنّ صمتك، يا ميليتوس، يعطي موافقة على ما قلت. والآن ما هي الروحانيّات أو أنصاف الآلهة؟ أليست آلهة أو أبناء آلهة؟

إنّها كذلك بكلّ تأكيد.

لكن هذا هو الذي أسمّيه لُغزاً مثيراً للشقاق أنت الذي اخترعته: إنّ أنصاف الآلهة أو الأرواح هي آلهة، وتقول أنت في البدء بأنّني لا أعتقد بالآلهة، ومرّة ثانية بعدئذ بأني أعتقد بها؛ يكون ذلك، إن اعتقدت في أنصاف الآلهة لأنّ أنصاف الآلهة إذا كانت هي أبناء الآلهة غير الشرعيين، سواء إذا من نيمفس، أو من أمّهاتٍ أخريات، كما يقال إنّ بعضهم يكون ـ فأيّ مخلوق إنساني سيعتقد قطّ أنّه لا يوجد آلهة عندما يوجد أبناء آلهة؟ يمكنك أن تؤكّد أيضاً وجود البغال وتنكر ذلك على الأحصنة والحمير. إنّ سفاسف كهذه، يا ميليتوس، يمكن أنّك قصدت بها أن تخلق تجربة عليّ فقط. لقد وضعتها في شكل اتّهام لأنّه لا يمكنك أن تفكر بشيء حقيقيّ كي تتّهمني به. لكن لا أحد ممّن يمتلك مثقال ذرّة من الفهم سيقتنع بك وبما تقول، وهو أنّه لا يمكن لإنسانٍ أن يعتقد بوجود أشياء إلهيّة وفوق مستوى البشر، ويرفض الإنسان ذاته أن يعتقد بالآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الإلهيين.

إنّني قلت بما فيه الكفاية جواباً على اتهام ميليتوس. إنّ أيَّ دفاعٍ مفصّل ليس ضرورياً. أنتم تعرفون جيّداً حقيقة إفادتي وهي أنّي جلبت لنفسي العديد من العداوات العنيفة؛ وهذا هو ما سيكون هلاكي إذا ما قضي علي أن أهلك. فلا ميليتوس، ولا حتى أنيتوس، بل حسد الناس وحطّهم من قَدْري، هو الذي قد تسبّب في وفاة العديد من الرجال الأخيار، وسيكون السبْب في وفاة عديدين كثر على وجه الاحتمال. فلا خطر في كوني آخر من يتعرّض لمثل هذا الاتهام.

سيقول شخص ما: أو لست بمستحٍ، يا سقراط، بطريقة الحياة التي أوصلتك إلى نهاية في غير أوانها على الأرجح؟ يمكنني أن أجيبه بعدل: أنت مخطىء هناك. إنّ الإنسان الذي يكون خيّراً لأيّ شيء عليه أن لا يقيم وزناً للحياة

أو الموت؛ ينبغي عليه أن يعتبر فقط ما إذا كان يقوم بعمل صحيح أم خطأ - ممثّلاً دور إنسان الخير أو رجل الشرّ. فبناء على رأيك، يُعتبر الرجال الذين سقطوا في معركة طروادة أنّهم لم يكونوا صالحين كثيراً، وينطبق هذا على ابن ثاتيس قبل الجميع الذي ازدرى بالخطر بكل ما في الكلمة من معنى بالمقارنة مع العار؛ وعندما كان متشوّقاً ليذبح هيكتور، فإنَّ أمَّهُ الإلهة قالت له أنّه إذا ثأر لرفيقه باتروكلوس وذبح هيكتور، فإنّه سيموت. « القدر »، قالت هي، ينتظرك بعد هيكتور، في هذه الكلمات أو بكلماتٍ مشابهة؛ عندما تلقّى هو هذا الإنذار استخفَّ بالخطر والموت بشكل كلّي، وبدل أن تخيفه تلك الكلمات، خاف بالأحرى أن يعيش في الخزي والعار، وأن لا يثأر لصديقه. « دعوني أموت، على الفور، وأن أثأر من عدوّي، بدلاً من أن أبقى هنا بجانب البواخر ذات الشكل المنقاري، وأن أكون موضع سخرية الناس، وعبئاً ثقيلاً على الأرض ». هل كان لدى آخيل أيّ تفكيرٍ بالموت والخطر؟ لأنّه أينما يكون مكان الإنسان، سواء إذا كان المكان الذي اختاره أو ذلك الذي قد وُضعَ فيه من قِبَل آمر، هناك يجب أن يبقى في ساعة الخطر غير آبهٍ بالموت أو بأيّ شيء آخر بالمقارنة مع الخزي والعار. وإنّ هذا القول قول صادق، أوه يا رجال أثينا.

سيكون تصرفي تصرّفاً غريباً حقا، أوه يا رجال أثينا، إذا كنت أغادر موقعي بسبب الخوف من الموت أو بسبب أي خوفٍ آخر وأنا الذي بقيت حيث وضعتموني في مواجهة الموت، مثل أيّ رجل آخر، عندما أمرني القادة العسكريون الذين اخترتموهم ليقودوني في معركة بوتيدايا وأمفيجوليس وديليوم - إذا كنت الآن، كما أتصوّر وأعتقد، أنَّ الله أمرني كي أتمِّم مهمة الفيلسوف للبحث في نفسي وفي نفوس الرجال الآخرين، فإنْ تصرّفت تصرّفاً كهذا سيكون غريباً حقاً؛ ويمكن أن أُتّهمَ بعدل في المحكمة لإنكاري

وجود الآلهة، إذا عصيت الكاهن لأنني خشيت أن أموت، متوهّماً أني كنت حكيماً في حين أني لم أكن. لأنّ الخوف من الموت هو تظاهر بالحكمة في الحقيقة، وليس حكمة حقيقية، وكونه تظاهراً بمعرفة المجهول؛ ولا أحد يعرف ماذا يمكن أن يكون الموت الذي يخافه الرجال لأنّهم يدركون أنّه الشرّ الأكبر، وهو ربّما يكون الخير الأعظم. أليس هذا الجهل من النوع الشائن؟ إنّه الجهل الذي يكون وهماً وهو ادعاء الإنسان معرفة ما لا يعرف. وأعتقد أنا نفسي في هذا الخصوص بأنّي أختلف فقط عن بقية الرجال بشكل عامّ، ولربّما يمكنني المطالبة بأنّني أعقل منهم: ـ ذلك حيث أعرف القليل عن العالم السفلي فحسب، ولا أفترض بأنّي أعرف، لكنّني أعرف أنّ الظلم والمعصية هما شرٌّ وعار، سواء كانا لله أو الإنسان، ولن أخاف أبداً أو أتفادى خيراً ممكناً بدلاً من شرٍّ أكيد. ولذلك إذا تركتموني أذهب الآن، ولم تقتنعوا بما قاله أنيتوس الذي قال إنّه بما أنّني قد تمّت محاكمتي فيجب أن يُنفَّذ فيَّ حكم الإعدام « لأنّه إذا لم تكن العقوبة كذلك فما وجب أن أُحاكَم على الإطلاق قطّ ». وأنّني إذا هربت الآن، فإنّ أولادكم جميعاً سيُخرَّبُون بشكل مطلق وذلك بالمهنة التي أُعلِّم. إذا قلتم لي، يا سقراط، إنّنا لن نهتم بما قاله أنيتوس هذه المرّة وسندعك حرّاً طليقاً، لكن بشرط واحد، وهو أن لا تحقّق ولا تبحث ولا أن تتأمّل بهذه الطريقة بعد اليوم، وأنّه إذا قُبِضَ عليك فاعلاً ذلك مرّة ثانية فإنّك ستموت ـ إذا كان هذا هو الشرط الذي ستَدَعُونني وشأني على أساسه، فما عليَّ إلاّ أن إجيبكم: يا رجال أثينا، أنّني أُجِلُّكم وأُحبّكم، لكنّني سأطيع الله بدل إطاعتي لكم، وما دامت لي الحياة والقوّة والعزيمة فلن أنقطع عن ممارسة وتعليم الفلسفة مطلقاً، ناصحاً ومحذّراً أيّ شخص منكم ممّن أقابل وأقول له بأسلوبي الخاص: أنت، يا صديقي، مواطنٌ في مدينة أثينا تلك المدينة

العظيمة والقويّة والحكيمة، ألست بمستحٍ بتكديس مبالغ كبيرة من المال وبالسّعي للحصول على الشرف والسمعة الحسنة، وتهتمّ هكذا قليلاً بشأن الحكمة والحقيقة وتحسين الروح الأعظم والتي لا تقدِّرها أو تلتفت إليها أبداً؟ وإذا قال شخص ممّن أحاورهم: نعم، لكنّني أهتمّ بما تقول؛ فلن أتركه عندئذ أو أدعه وشأنه في الحال، بل أتقدّم لأستنطقه وأمتحنه وأستجوبه بدقّة. وإذا اعتقدت بأنّه لا يمتلك فضيلة فيه بل يدّعي أنّه يحوزها فقط، فإنّي سوف ألومه لأنّه يُبخِس تقييم الشيء الأكثر نفاسة ويبالغ في تقييم الأخس. وسأكرِّر الكلمات عينها لكلّ شخصٍ أقابله، شابّاً كان أو مُسِنّاً، مواطناً أو غريباً، لكن أكرِّرها لكم أيّها المواطنون بشكل خاصّ، بقدر ما أنتم أخوة لي. إعرفوا أنّ هذا هو أمر الله، وأعتقد أنّه لم يحدث في الدولة على الإطلاق خير أكبر من خدمتي لله. وأنا لا أفعل أيّ شيء إلاّ التجوال لإقناعكم جميعاً، شباباً وكهولاً على قدم المساواة، بأن لا تهتمّوا بأشخاصكم أو ممتلكاتكم، بل اعتنوا أوّلاً وبشكل رئيسيّ بشأن التحسين الأعظم لأرواحكم. أخبركم، يا رجال أثينا، أنّ الفضيلة لا تُعطى بالمال، بل من الفضيلة يأتي المال وكل خيرٍ آخر للإنسان، عامّاً كان أو خاصّاً. هذا هو تعليمي، وإذا أَفسَدَ الشباب، فإنّه لعمل مؤذٍ؛ لكن إذا قال أيّ شخص إنّ هذا ليس تعليمي فهو يتكلّم باطلاً. ولهذا السبب أقول لكم، أوه يا رجال أثينا، اعملوا كما يأمر أنيتوس، أو لا تفعلوا كما يأمر، إمّا برّئوني من التهمة أو لا تبرّئوني؛ وأيّاً ما فعلتم، إفهموا بأنّي لن أبدِّل طرائقي أبداً، حتى لو كان عليَّ أن أموت عدّة مرات

يا رجال أثينا، لا تقاطعوا، بل استمعوا إليّ؛ إنّني التمست منكم سابقاً كي تفعلوا ذلك بدون أن تعيقوني، وأطلب منكم الآن أن تستمعوا لِمَا سأقوله حتّى النهاية. إنّ لديَّ شيئاً ما أكثر كي أقول. لاتميلوا إلى الصراخ.

أنّي أعتقد ِأنّ استماعكم لي سيكون خيراً لكم، ولذلك فأنا أتوسّل إليكم أن تكبحوا جماح أنفسكم. عليّ أن أعرف، أنّكم إذا ما قتلتم شخصاً مثلي، فإنّكم ستؤذون أنفسكم أكثر من أذيّتكم لي. لا شيء سيؤذيني، لا ميليتوس ولا حتّى أنيتوس - إنّهما لا يستطيعان عمل ذلك، لأنّ الرجل الشرير ليس مسموحاً له أن يؤذي إنساناً أفضل منه. لا أنكر بأنّ أنيتوس يمكنه، لربما، أن يقتل إنساناً، أو أن يقوده إلى المنفى، أو أن يجرِّده من حقوقه المدنيّة؛ ويمكنه أن يتخيَّل، ويمكن للآخرين أن يتخيَّلوا، أنّه بفعله هذا يُنزل عليه أذىً عظيماً، غير أنّني لا أوافق هناك، لأنّ فعل الشرّ كما هو فاعل - الشرّ لمحاولة سحق حياة الغير ظلماً - هو أكثر أذىً بيعدٍ كبير.

والآن، أيها الأثينيّون، فأنا لست ساعياً لأجادلكم من أجلي، كما يمكنكم أن تظنّوا، بل من أجلكم، كي لا تذنبوا ضدّ الله بإدانتكم لي، وأنا هبة الله لكم إذا قتلتموني فلن تجدوا خَلَفاً لي بسهولة، وأنا، إذا أمكنني أن أستخدم هكذا صورة بلاغيّة مضحكة، فأنا نوع من النُعَرَة، أهداها الله إلى الدولة؛ والدولة حصان كبير ونبيل بطيىء في حركاته بسبب حجمه الضخم ويحتاج لأن يُبعث إلى الحياة. إنّني تلك النُعَرَة التي سخّرها الله للدولة وما أنا إلاّ ممسككم طول النهار بإحكام وفي الأمكنة جميعها، موقظكم ومقنعكم ولائمكم. إنّكم لن تجدوا شخصاً آخر مثلي بسهولة، ولهذا السبب فإنّي أنصحكم أن تُبقوا على حياتي. أجرؤ على القول إنّكم يمكن أن تشعروا بسبب غضبكم « مثل الشخص الذي استيقظ من النوم فجأة » وأنّ تظنوا أنّه باستطاعتكم أن ترموني جثة هامدة بسهولة كما ينصح أنيتوس، وبعدئذ فأنتم ستنامون نوماً ثقيلاً لبقيّة حيواتكم، إلاّ إذا أرسل الله لكم نُعَرَة أخرى وذلك عنايةً بكم. عندما أقول إنّني منحة الله لكم، فبرهان مهمّتي يكون ما سأقول: إذا قد كنت مثل الرجال الآخرين، فما كان عليّ أن أهمل كل

شؤوني الخاصة أو أن أرى إهمالها بصبر خلال كل هذه السنين، وقد كنت مهتمّاً بشؤونكم، آتياً إليكم كلاً بمفرده، مثل أبٍ أو أخٍ أكبر، أحضّكم على أن تعتبروا الفضيلة؛ أقول، إنّ سلوكاً كهذا، سيكون غيراً من الطبيعة الإنسانيّة. إذا كسبت أيّ شيء، أو إذا تلقّيت أجراً لنصحي وحضّي، فسيكون هناك بعض المعنى في عملي ذلك. لكن الآن، وكما ترون بأنفسكم، أنّه حتى الصفاقة التي لا تنفد لمن يتّهمني لا تقدر أن تقول بأنّي ألزمتُ أحداً أو طلبت مقابلاً من أيّ شخص؛ هُمْ لا يقدرون على أن يقدموا شاهداً بشأن ذلك. أمّا أنا فلديَّ شاهد كافٍ على حقيقة ما أقول ـ إنّه فقري.

يمكن أن يتعجب شخص ما لماذا أطوف في السرّ ناصحاً وشاغلاً نفسي بما يخصّ الآخرين، لكنّني لا أجازف في التقدّم علانيةً وأنصح الدولة. إنّي سأخبركم لماذا. لقد سمعتموني أتكلّم في أوقات متنوعة وفي أماكن الغطّاسين عن الكاهن الإلٰهي أو الإشارة الإلهيّة التي تأتي إليَّ، وهي الألوهيّة التي يسخر منها ميليتوس في اتهامه.ابتدأت هذه الإشارة، التي هي نوع من الصوت، ابتدأت تأتي إليَّ أوّلاً عندما كنت طفلاً؛ إنّها تمنعني أن أفعل شيئاً هممت على القيام به من وقتٍ لآخر، لكنّها لا تأمرني بأيّ شيء. إنّ هذه الإشارة هي التي منعتني من أن أكون سياسياً. وكما أعتقد بحقّ، أوه يا رجال أثينا، فإنني لمتأكّد من أنّي لو اشتركت في السياسات، فما كان عليَّ إلاّ أن أفنى منذ زمن بعيد، ولم أقم بأيِّ عملٍ خيِّرٍ لا لكم ولا لنفسي. ولا تتكدّروا وتغضبوا من قولي الحقيقة لكم، لأنّ الحقيقة هي، أنَّ لا إنسان سينقذ حياته وقد ركّز نفسه ضدّكم بثبات أو ضدَّ أيّة أكثريّة أخرى، ويكافح في الوقت عينه ليحفظ الدولة من عدّة شوائب مخالفةٍ للقانون وغير محقّة. إنّ من سيحارب من أجل الحقّ، إذا ما كان هو سيحيا لفترة زمنيّة قصيرة، يجب أن يمتلك موقعاً خاصّاً وليس موقعاً عامّاً.

أقدر أن أعطيكم دليلاً مقنعاً على ما أقول، وليس كلماتٍ فقط، بل ما تقدِّرونه أكثر بكثير ـ الأعمال. دعوني أسرد لكم مقطعاً من حياتي الخاصّة سيبرهن لكم بأنّه ينبغي على إنسانٍ أن لا يذعن أبداً لخطأ خوفاً من الموت، وسأكون عازماً في الحقيقة على أن أهلك ولا أذعن لمثل ذلك. سأروي لكم قصّة عن المحاكم، لربما ليست مشوِّقة، لكنها حقيقية بالرغم من هذا. إنَّ المنصب الوحيد الذي تسنّمته في الدولة، أوه يا رجال أثينا، كان منصب عضوٍ في مجلس الشيوخ. إنّ قبيلة أنطيوخوس، وهي عشيرتي، كان لها مركز الرئاسة في محاكمة القادة العسكريين الذين لم يهتمّوا برفع جثث المذبوحين بعد معركة أرغينوساي؛ واقترحتم أنتم حينها أن تحاكموهم على نحوٍ جماعي، خلافاً للقانون، كما فكّرتم كلكم بعد ذلك؛ لكّنني كنت في ذلك الوقت الشخص الوحيد من «PRYTANES» البريتاينز الذي عارض هذا العمل غير القانوني، وصوَّتُّ ضدّكم. وعندما هدَّد المدَّعون بأن يتّهموني أمام القضاء وأن يلقوا القبض عليّ، وأنتم صحتم وصرختم حينها، عقدت العزم ونويت على أن أتحمّل المخاطرة، وإلى جانبي القانون والعدل، بدلاً من أن أكون شريككم في الظلم لأنّني خفت السجن والموت. حدث هذا في أيّام الديمواقراطية. لكن عندما كانت الأوليغاركيّة الثلاثينية في السلطة إستدعوني مع أربعةٍ آخرين إلى القاعة المستديرة، وأمرونا أن نجلب ليون السلامينيان من سالاميس، لأنّهم أرادوا أن ينفِّذوا فيه حكم الإعدام. كان هذا هو نموذج الأوامر التي أعطوها دائماً بقصد توريط أكبر عددٍ ممكن من الناس في جرائمهم؛ وأبنت حينئذ مرة ثانية ليس في الكلمة فقط بل في المأثرة، أنّه إذا ما سُمح لي أن أستعمل تعبيراً كهذا، فأنا لا أهتمّ بالموت قدر مثقال ذرَّة، وأنَّ اهتمامي الوحيد والكبير هو ألاّ أفعل شيئاً غير صحيح وغير مقدَّس، وآثم. إنّ ذلك الساعد القوي لتلك القوّة الجائرة لم يخفني فأقوم بعمل

الخطأ. وعندما خرجنا من القاعة المستديرة ذهب الأربعة الآخرون إلى سالاميس وأحضروا ليون، لكن أنا عدت إلى البيت بهدوء. وكان يمكن لعملٍ كهذا أن يودي حياتي، لو لم تأتي نهاية تلك القوّة الثلاثينيّة الغاشمة بعد ذلك بقليل، وسيشهد العديد على حقيقة كلماتي.

والآن هل تتصوَّرون حقّاً أنّه كان بإمكاني أن أبقى حيّاً كلّ هذه السنوات، إذا ما كنت لأحيا حياة عامّة، مُفْترضاً مثل إنسانٍ خيِّر أنني دافعت عن الحقّ وأقمت العدل، كما يلزمني أن أفعل كلّ شيء؟ لا، حقّاً، يا رجال أثينا، لا أنا ولا أيّ إنسان آخر عليه أن يفعل ذلك. لكنّني قد كنت الشيء عينه على الدوام في كل أعمالي، الخاصّة كما العامّة، ولم أذعن أبداً لأيّة مسايرة سافلة لأولئك الذين يُسمَّون تابعين لي بافتراء، أو لأيِّ شخص آخر ليس لأني لم أمتلك أبداً أي مريدين منتظمين، لكن إذا أحب أي شخص أن يأتي ويسمعني في حين أتابع مهمتي، سواء أكان شابّاً أو مسنّاً، فإنّه لن يُستثنى من ذلك. ولا أتحادث مع أولئك الذين يدفعون؛ بل يمكن لأيِّ شخص أن يسأل ويجيبني ويستمع إلى كلماتي، سواء أكان غنياً أو فقيراً؛ وسواء ثبت في النهاية أنه رجل شرير أو إنسانٌ خيِّر، يمكن لكلا النتيجتين أن تُنسب لي بعدل. فأنا لم أعلِّم ولا ادَّعيت بأنّني أعلِّم أيّ شيء. وإذا قال أيّ شخص أنّه تعلَّم أو سمع مني أيّ شيء في السرّ لم يسمعه العالم كلّه، دعوني أقول لكم إنّه كاذب

لكنّني سوف أُسْأل، لماذا يبتهج الناس بالحديث معك بشكل مستمرّ؟ أخبرتكم مسبقاً، أيّها الأثينيون الحقيقة كاملة بشأن هذه المسألة. إنّهم يحبّون الاستماع للاستجواب الدّقيق للمتظاهرين بالحكمة، فهناك متعة في الاستجواب هذا. والآن فإنّ هذا الاستجواب الدقيق للرجال الآخرين قد فرضه الله عليّ. وقد أُعلِنَ لي بالكهنة، بالأحلام، وبكلّ طريقة كانت فيها

قوّة المشيئة الإلهيّة مبلّغة لأيّ شخص أبداً. إنّ هذا لحقيقي، أوه أيّها الأثينيون؛ أو إذا لم يكن كذلك، يمكن دحضه بسهولة. إذا ما أكون أنا أو قد كنت مُفسِداً للشباب حقّاً، فإنّ الذين ترعرعوا منهم وكبروا وأصبحوا مدركين وإذا ما أعطيتهم نصيحةً سيئة في زمن شبابهم ينبغي عليهم أن يتقدّموا طبعاً كمتَّهِمين لي على ما فعلته بهم، ويأخذون بثأرهم مني؛ أو إذا كانوا لا يحبون أن يحضروا بأنفسهم، فيلزم أن يفكر بعض أقاربهم، آباؤهم، أخوانهم، أو أنسباؤهم الآخرون، يلزمهم أن يفكروا بالشرّ الذي قاسته عائلاتهم على يديَّ. هذا هو الوقت المناسب. إنّني أرى العديد منهم في المحكمة. هناك يوجد كريتون، وهو من عمري ويقاسمني السّكن. وهنالك إبنه كروتيبولوس، الذي أراه أيضاً. يوجد مرّة ثانية بعدئذ ليسانياس من سفيتوس، الحاضر أبوه هنا أيضاً واسمه آيستشانيز؛ ويوجد أنتيفون من سيفيسوس، وهو والد أبيجينز؛ ويوجد أخوة العديد ممّن زاملتهم في حياتي. هناك نيكوستراتوس بن ثيودوتايدس، وأخو ثيودوتوس. والآن فإنّ ثيودوتوس قضى نحبه، وهو لذلك، لن يحاول إيقافه على أيّة حال. وهاك بارالوس بن ديمودوكوس، الذي كان له أخ آسمه ثيجس؛ وذاك أديامنتوس بن أريسطون، وهو أخو أفلاطون الموجود. وإنّي لأرى أينتودوروس أخا أبولودوروس، وأرى أبولودوروس كذلك أيضاً. يمكنني أن أذكر آخرين كثراً في العدد كان ينبغي على ميليتوس أن يُحضِرَهم كشاهدين في طريقة كلامه؛ ودعه يُحضِرَهم من جديد؛ وإذا ما نسي فإنّي سأمهِّد له الطريق. ودعه يقول: إذا ما كان عنده أيّة بيّنة من النوع الذي يمكن إحضاره. أيّها الأثينيون، إنّ الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، لأنّ كل هؤلاء هم جاهزون ليشهدوا لصالح المُفسَد، لصالح الذي تلقّى الأذى على يدي ولصالح أنسبائه كما يسميني ميليتوس وأنيتوس، إنّهما لا يدعوانني مفسد الشباب فقط - يمكن أن يوجد حافز لذلك - بل

إنّي مفسد أقربائهم المسنيّن غير المُفسَدين. لماذا يلزمهم أن يدعموني في شهادتهم؟ لماذا، حقاً، اللهمّ إلاّ في سبيل الحقيقة والصدق والعدل، ولأنّهم يعرفون أنني أتكلّم الحقيقة، وأن ميليتوس ما هو إلا كذّاب.

حسناً، أيّها الأثينيّون، إنّ هذا وما شابه هو كل دفاعي الذي عليَّ أنّ أقدّمه. ومع ذلك فكلمة إضافية سأقولها. لربّما كان هناك من ينزعج منّي، عندما يستدعي إلى ذاكرته كيف أنّه كان هو نفسه في مناسبة مماثلة، أو حتى أقلّ خطراً، كيف أنّه صلّى وتضرّع إلى القضاة بدموع منهمرة، وكيف أحضر أطفاله إلى المحكمة ليثير الشفقة، كيف أحضرهم معاً وأحضر بجانبهم حشداً كبيراً من الأقرباء والأصدقاء في حين أنّني، وأنا أمرؤ لربّما في لحظة خطرٍ يتوّقف عليها مصيري وحياتي، لا أفعل أيّا من هذه الأشياء. يمكن أن تحدث المقارنة بعقله، ويمكنه أن يثور ضدّي، وأن يصوِّت بغضبٍ لأنّه غير مسرور منّي لهذا السبب. والآن إذا وُجد شخصٌ كهذا بينكم تذكّروا، فأنا لا أقول بأنّه موجود، يمكنني أن أجيبه بعدل: يا صديقي، إنّني إنسان، ومثلُ كلّ الرّجال الآخرين، مخلوق من لحمٍ ودم، وليس « من الخشب أو الحجارة »، كما يقول هوميروس؛ وأمتلك عائلة، نعم، وأبناء، أوه أيّها الأثينيون، ثلاثة في العدد، وأحدهم رجلٌ تقريباً، وإثنان آخران لا يزالان فتيّين، وبرغم ذلك فلن أحضر أحداً منهم إلى هنا كي أتوسّل إليكم لأطلاق سراحي. أتعلمون لماذا؟ ليس من أيّ توكيدٍ للذّات أو افتقاداً لإحترامكم. وإذا ما كنت خائفاً من الموت أمْ لا فهذا سؤال آخر، والذي لن أتكلّم عنه الآن. لكنتّي عندما أفكّر في إسمي الطيّب، وإسمكم، وباسم الدولة ككلّ، فإنّي أشعر بأنّ تصرّفاً كهذا هو تصرّف فاضح ومشين. إنّ إنساناً وصل إلى عمري، وله الإسم الذي لي، يجب أن لا يحقر نفسه ـ سواء إذا أعتبر رأيي هذا أم لم يُقدَّر. على كلّ حال لقد قرّر العالم أنّ سقراط هو، بطريقة ما أو

بأخرى، أسمى من الرجال الآخرين. وإذا كان أولئك الذين بينكم والذين يقال عنهم إنّهم أسمى في الحكمة أو الشجاعة، أو في أيّة فضلية أخرى، أقول، إذا كان أولئك يحقرون أنفسهم بهذه الطريقة، فكم هو مخزٍ وشائن تصرّفهم وأخلاقيتهم! وإني قد رأيت رجالاً ذوي شهرة يتصرفون بأغرب أسلوب بينما كانت تجري محاكمتهم: يبدون هم متوهمين أنّهم في طريقهم ليقاسوا شيئاً ما مرعباً إذا ما وجب عليهم أن يموتوا، وأنّهم سيعيشون إلى الأبد إذا أُبْقِيَ على حياتهم. وإنّني أعتقد بأنّ تصرفاً كهذا هو عارٌ يحيق بالدولة، وأنّ أيّ غريب يدخل سيقول عنهم إنّهم أكثر رجال أثينا شهرة، والذين منحهم الأثينيون أنفسهم التبجيل وبوأوهم أعلى المناصب، سيقول الغريب هذا إنّ هؤلاء ليسوا بأفضل من النساء على الإطلاق؛ وإنّي أقول بأنّ هذه الأشياء لا ينبغي أن تجري لكم بسبب أولئك الذين يمتلكون الصيت الحسن في أيّة مهنة من مهن الشخص وفي بيئته. وإذا تمّ فعلها، فالذي يلزمكم هو أن لا تسمحوا بها قط. يجب عليكم بالأحرى أن تبيّنوا أنكّم أكثر ميلاً بكثير كي تدينوا الرجل الذي يَخْلُقُ منظراً كئيباً ويجعل المدينة مضحكة، بدلاً من الذي يلتزم الصمت ويحتفظ برباطة جأشه.

لكن، ولأضع جانباً قضيّة الشرف، يبدو أنَّ هناك شيئاً ما خطأ في سؤال القاضي إسداء المعروف لي أو التعاطف معي، وهكذا متسبباً في إطلاق سراحي، بدلاً من إعلامه وإدانته. لأن واجبه ليس أن يخلق حضوراً للعدل، بل أن يعطي حكماً؛ و لقد أقسم أنّه سيحاكم طبقاً للقوانين، وليس حسب مسرّته الطيبة الخاصة؛ وينبغي علينا أن لا نشجعكم ولا يجب أن تسمحوا أنتم لأنفسكم أن تتشجعوا، على عادة شهادة الزور هذه ـ فلا تقوى في ذلك. لا تطلبوا منّي بعدئذ أن أفعل ما أعتبره مخزياً وعامّاً وآثماً، خاصة الآن، وأنا متَّهَمٌ بالعقوق حسب اتّهام ميليتوس لأنّني إذا ما آستطعت، أوه

يا رجال أثينا، أن أُخضِع ما أقسمتم.عليه بقوة الإقناع والاستعطاف، سأكون معلّمكم حينئذ كي تعتقدوا بأنّه لا يوجد آلهة، وعليّ أن أدين نفسي في الدّفاع بتهمة عدم آعتقادي بهم. لكن ذلك لا يكون هكذا ـ إنّه غيرٌ منه ببعدٍ كبير. فأنا أؤمن بأنّه يوجد آلهة، وفي معنى أسمى من ذلك، التي يؤمن بها أيٌّ من متهميَّ. وإليكم وإلى اللّٰه أعهد بقضيتي، لتكون مقّررة كما هو أفضل لكم ولي.

توجد أسباب عديدة لعدم وقوعي بالأسى. أوه يا رجال أثينا، في تصويت الإدانة، وإنّني توقّعته، وإنّي لمندهش فقط لأنّ الأصوات متساوية تقريباً. آفتكرت أن الأغلبية قد تكون أكثر مما كانت ضدّي؛ لكن الآن، لو لم يذهب ثلاثون صوتاً إلى الجانب الآخر، لكان قد أُطلِق سراحي. ويمكنني القول، حسبما أعتقد، بأنّني نجوت من ميليتوس. يمكنني أن أقول أكثر: وهو أنّه بدون مساعدة أنيتوس وليقون، يمكن أن يرى أيّ شخص أنّه لم يكن باستطاعته أن ينال خمس جزء الأصوات، كما يحتاج القانون لذلك، وفي تلك الحالة كان سيعرّضني لغرامة قدرها ألف دراخما.

وهكذا فهو يقترح الموت كعقاب. وماذا سأقترح أنا من جهتي، أوه يا رجال أثينا؟ إنّه بوضوح ذلك الذي يستحقّ عليَّ دفعه. وما هو المتوجّب عليَّ عمله؟ ماذا ينبغي فعله بي، وماذا يجب عليَّ دفعه ـ الإنسان الذي لم يفطن كي يبقى ساكتاً أثناء حياته كلّها، بل قد كان مهمِلاً لِمَا آعتنى به العديدون: الغنى، مصالح العائلة، المراكز العسكرية؛ والتكلّم في الجمعية العامة، والحاكميّات. والمؤامرات، والأحزاب. متأمّلاً ذلك مليّاً فإنّني كنت إنساناً أميناً جداً لأكون سياسياً وأحيا حقّاً. إنّي لم أذهب حيث لم أتمكّن من أن أفعل خيراً لكم ولنفسي؛ بل حيث أقدر على فعل الخير الأكبر سرّاً « كما أؤكّد أنّه هو الحق » لكلّ شخصٍ منكم. هناك أنا ذهبت، وقصدت أن أقنع

كلّ شخص بينكم أنَّ ما يلزمه هو أن يعتني بنفسه، وأن ينشد الفضيلة والحكمة قبل أن يهتمّ بمصالح الدولة. وينبغي أن يكون النظام هذا هو الذي سيراقبه في كل أعماله. ماذا سيُفعل بشخصٍ كهذا؟ بدون شكّ شيئاً ما جيداً، أوه يا رجال أثينا، إذا نال جائزته؛ ويجب أن يكون الخير من النوع الذي يناسبه. ماذا ستكون المكافأة المناسبة لإنسان فقير يحسن لكم، والذي يرغب في وقت فراغٍ كي يتمكّن من تعليمكم؟ لا يمكن أن توجد مكافأة هكذا مناسبة مثل الصيانة في البريتانيوم، أوه يا رجال أثينا، المكافأة التي يستحقّها أكثر بكثير من المواطن الذي فاز في الجائزة في أولمبيا في سباق الحصان أو سباق العربة، سواء إذا كانت العربة مجرورة بحصانين أو بعدّة أحصنة، لأنّني بحاجةٍ لمكافأةٍ كهذه، وهو لديه ما يكفيه؛ هو يعطيكم مظهر السعادة فقط، وأنا أهبكم حقيقتها. وإذا ما كنت لأقيّم العقوبة بعدل، عليّ أن أقول إنَّ الصيانة في البريتانيوم هي الإعادة العادلة.

لربّما تفكرون أني أشجّعكم فيما أقوله الآن، كما فيما قلته قبلاً بشأن الدموع والصلوات، لكن هذا ليس كذلك. أتكلم هكذا لإقتناعي بأنّني لم أُؤْذِ أيّ شخصٍ أبداً عمداً. وبرغم عدم قدرتي على إقناعكم - إذ الوقت كان قصيراً جداً. لو كان في مدينة أثينا قانون، كما في المدن الأخرى، فإنّ عقوبة الإعدام يجب أن لا تقرَّر في يوم واحد، أعتقد بأنّني كنت قادراً على إقناعكم حينئذ. لكنّي لا أقدر أن أدحض افتراءات عظيمة في لحظة. وبما أنني مقتنع بأنّي لم أؤذِ الآخرين قطّ، فلن أؤذي نفسي بكلّ تأكيد. لن أقول عن نفسي بأنّي أستحقّ الشرّ، أو أقترح أيّة عقوبة. لماذا سأفعل ذلك؟ ألأنّني خائف من عقوبة الموت التي يقترحها ميليتوس في حين لا أعرف إن كان الموت خيراً أو شرّاً؟ لماذا سأقترح عقوبة ستكون شرّاً بدون ريب؟ هل سأقول الحبس؟ ولم سأعيش في السجن، وأكون عبد الحكّام الحاليين الأحد

عشرين؟ أو هل ستكون العقوبة غرامة، وسجناً حتى يتمّ دفعها؟ يوجد هنا الاعتراض عينه، ما عليَّ حينها إلاَّ أن أقبع في غياهب السجن، لأنّي لا أمتلك شيئاً من المال، ولا أستطيع الدفع. وإذا قلت النفي « ويمكن أن يكون هذا هو العقاب الذي ستضيفونه »، فيجب عندئذ أن أكون ممّن يعميهم حب الحياة، إذا كنت هكذا لاعقلانياً كي أتوقّع ذلك، بينما أنتم، مواطني وأتقاسم العيش وإياكم، لا تستطيعون الصبر على محادثاتي ومحاوراتي، ووجدتموها هكذا ثقيلة الوطأة عليكم وبغيضة كي لا تسمعوا منها الأكثر، ويكون على الغير أن يصبروا عليها بالاحتمال لا حقّاً. يا رجال أثينا، إنّ هذا ليس مرجّحاً قط. وأيّة حياة سوف أحيا، في سنّي، متجوّلاً من مدينة إلى أخرى، أبداً مبدّلاً مكان إقامتي في المنفى، وأكون مطروداً أينما حللت على الدوام! إنّي لمتأكّد تماماً من أنّ الرجال الشباب سيتحلّقون حولي حيثما أذهب، هنا، كما هنالك، وذلك كي يستمعوا لي، وإذا ما أقصيتهم بعيداً عنّي، فالأكبر منهم سنّاً سيطردونني خارجاً بناء على طلبهم؛ وإذا سمحت لهم بالإتيان إليّ، فإنّ آباءهم وأصدقاءهم سيطردونني خارجاً من أجلهم.

سيقول شخص ما، نعم، يا سقراط، لكن ألا تقدر على ضبط لسانك، ويمكنك حينئذ أن تذهب إلى مدينة غريبة، ولا أحد سيتدخّل معك هناك؟ والآن فإنّه في غاية الصعوبة أن أجلعكم تفهمون جوابي على هذا لأنّني إذا قلت لكم أن تفعلوا كما تقولونَ فسيكون ذلك عصياناً لله، ولهذا السبب فأنا لا أقدر أن أضبط لساني. إنكّم لن تصدّقوا بأنّني جادٌ فيما أقول. وإذا قلت ذلك يوميّاً مرّة ثانية كي أبحث بشأن الفضيلة، وعن تلك الأشياء الأخرى التي أختبر نفسي والآخرين بشأنها، إذا قلت إنّها هي الخير الأعظم للإنسان، وإنّ الحياة غير الممتحنة ليست حياةً جديرةً بالمخلوق الإنساني، من المحتمل أنكّم ستبقون أقلّ تصديقاً لما أقول. ومع ذلك فإنّي أقول ما هو

حقيقي، برغم أنّه شيء « صعب » لأن أقنعكم به. كذلك، لم أتعوّد أبداً التفكير بأنّي أستحقّ معاناة أيّ أذىً. لو كان لديَّ المال لأمكنني تخمين الأذى الذي كنت قادراً أن أدفع مقابله، ولما أصبحت، أكثر سوءاً. غير أنّني لا أمتلك من المال شيئاً، ولهذا السبب يلزمني أن أسألكم كي تجعلوا الغرامة متناسبة مع مواردي الماليّة. حسناً، لربّما يمكنني أن أتحمَّل مينا واحدة، ولذلك فأنا أقترح العقوبة: يأمرني أفلاطون، كريتون، كريتوبولوس، وأبولودوروس، أصدقائي هنا، يأمرونني أن تكون العقوبة ثلاثين مينا؛ وهم سيكونون الضامن الفسيح لدفع ذلك المبلغ.

لن يكون هناك وقت كثير، أوه أيّها الأثينيون، في مقابل الإسم السيِّىء الذي ستحصلون عليه من الذين سينتقصون من قدر المدينة، والذين سيقولون إنكّم قتلتم سقراط، الإنسان الحكيم، لأنّهم سيدعونني حكيماً، حتى برغم أنّني لست كذلك، عندما يريدون لومكم وتوبيخكم. لو تأخرّتم وآنتظرتم وقتاً قصيراً، فإن مسار الطبيعة سيحقّق رغبتكم لأنّي متقّدم في السّن جداً، كما يمكنكم أن تتصوَّروا، ولست بعيداً من الموت. إنّي لا أتكلّم لكم جميعاً الآن، بل لأولئك الذين حكموا عليّ بالموت فقط. وإنّ لديَّ شيئاً آخر لأقوله لهم: تظنّون أنتم أنّني أدِنتُ لأنّه لم يكن ِلديَّ كلمات من النوع الذي سيؤمّن إطلاق سراحي ـ أعني إذا فكّرت أنّه مناسب أن لا أترك شيئاً غير مفعول وغير مقال إلاّ فعلته وقلته، ليس كذلك. إن النقص الذي قاد إلى إدانتي لم يكن الكلمات ـ لا بالتأكيد. لكن لم تكن لديَّ الوقاحة ولا الصفاقة ولا الميل لأخاطبكم كما يحلو لكم أن أفعل، باكياً ومنتحباً ومتفجّعاً، وقائلاً وفاعلاً أشياء عديدة، هكذا حقّاً كما قد آعتدتم سماعه من الآخرين. غير أنّني أؤكد لكم أنّ ذلك غير جدير بي. فكَّرت في كل وقت بأنه لا يجب عليَّ أن أفعل أيّ شيء مبتذل أو دنيء حينما أكون في خطر.

ولا أندم الآن على أسلوب دفاعي؛ سأفضِّل الموت متكلماً بطريقي، على الكلام بطريقتكم لأعيش، لأنّه لا ينبغي عليَّ أو على أيّ إنسانٍ آخر، لا في الحرب ولا حتى في المقاضاة أمام المحاكم، أن يستعمل كلّ وسيلة ليهرب من الموت. غالباً في المعركة لا يمكن أن يوجد أيّ شكّ في أنّه إذا كان الرجل سيرمي سلاحه، ويركع على ركبتيه أمام مطارديه، فسيتمكن من الهرب من الموت؛ وهناك وسائل مختلفة في الأخطار الأخرى للتخلص من الموت، إذا كان لدى الرجل القِحّة ليقول ويفعل أي شيء. ليست الصعوبة يا صديقي، في أن تتفادى الموت، بل أن تتجنب الإثم، لأنّ هذا يجري أسرع من الموت. إنّني مسنّ وأتحرّك ببطء، والعدّاء البطيء تجاوزني؛ ومتهميَّ حاذقون وسريعون، والعدّاء السريع، الذي لا يجارى، تخطّاني. والآن فأنا أغادر هذا العالم مُداناً من قبلكم لأقاسي عقوبة الموت. هُمُ أيضاً يمضون في طرقهم مدانين بالحقيقة ليعانوا قصاص الجريمة والإثم؛ وأنا يجب أن ألتزم بمكافأتي - دعهم يلتزمون بما يخصّهم. أفترض أنّ هذه الأشياء، مقرَّرة بقضاء وقدر - ولا أعتقد إلاّ أنّها جيدة.

والآن أوه، أيّها الرّجال الذين أدنتموني، أريد أن أنطق لكم بوحي إلهي وبسرور: فأنا على وشك أن أموت، وفي ساعة الموت يوهب الرجال قوةً نبويَّة. وأنا أبشّركم وأتنبّأ لمرتكبي جريمة قتلي عمداً، أنّها تنتظركم بالتأكيد عقوبة أعسر وأكثر مشقة من تلك التي أنزلتموها عليَّ وذلك بعد مغادرتي حالاً. إنكم قتلتموني لأنكم أردتم أن تتهرّبوا من المتهمين، وأن لا تعطوا اهتماماً لحيواتكم. لكنّ ذلك لن يكون كما تفترضون، بل غير ذلك ببعد كبير. أقول بأنّه سيكون لكم متهمون أكثر من الذين يوجدون الآن. المتهمون الذين كبحتهم حتى الآن. وبما أنّهم أفتى فهم سيكونون أكثر قسوة عليكم. إذا ظننتم أنكم ستوقفون كلّ التقريع والتعنيف لحيواتكم الفاسقة

بقتل الرجال، فأنتم مخطئون؛ إنّ ذلك ليس طريق الهرب الذي إمّا أن يكون ممكناً جداً، أو شريفاً. إنّ الطريق الأسهل ليس بإضعاف وإعاقة الآخرين، بل بتحسين أنفسكم. هذه هي النبوءَة التي أتفوّه بها قبل مغادرتي إلى القضاة الذين أدانوني.

يا أصدقائي، يا من رغبتم في إطلاق سراحي، سأحبّ أن أخاطبكم أيضاً بشأن الشيء الذي سيحدث، بينما يكون أعضاء مجلس الشيوخ منهمكين في عملهم، وقبل أن أذهب إلى المكان الذي يجب أن أموت فيه. أبقوا قليلاً إذن لأنّه يمكننا أن يكلّم بعضنا بعضاً أيضاً ما دام الوقت يسمح بذلك. أنتم أصدقائي، وسأحبّ أن أريكم معنى هذا الحدث الذي وقع لي. أوه يا قضاتي، أنتم الذين يمكنني أن أسمّيكم قضاةً بحق، أحبّ أن أخبركم عن الحادثة الرائعة حتى الآن. إنّ القدرة الإلهيّة والتي كان أصلها ومنبعها وسيط الوحي الداخلي قد كانت تعاكسني حتى بخصوص الأشياء التافهة وعلى الدوام، إذا ما كنت في طريقي لأرتكب خطأ في أيّة مسألة؛ والآن كما ترون لقد حلّ عليَّ ذلك الذي يمكن أن يُعتقَد ويُظن أنّه آخر وأسوأ الشرّ بشكل عامّ. لكنّ الكاهن أو وسيط الوحي لم يُعطِ أيّة إشارة لمعارضة ذلك، لا عندما غادرت بيتي في الصباح، ولا حينما كنت في طريقي إلى المحكمة، ولا حينما تكلّمت، لم يعارض في أيّ شيء كنت ذاهباً لأقوله؛ ومع ذلك فقد أوقفت في منتصف كلامي غالباً. لكن الآن لم يعارضني وسيط الوحي لا في الشيء الذي قيل أو فُعِل والذي يتعلّق بالمسألة قيد البحث. ما هو تفسير هذا الصمت كما أفهمه؟ سأخبركم. إنّه تلميح بأنّ ما حدث لي هو خير، ولهذا السبب فإنّ أولئك الذين هم منّا ويعتقدون بأنّ الموت يكون شرّاً يجب أن يكونوا مخطئين. إنّ لديَّ هذا البرهان الحاسم. إنَّ الإشارة الإلهيّة المعتادة وجب أن تعاكسني لو كنت ذاهباً إلى الشرّ وليس إلى الخير.

دعونا نتأمل مليا في طريقة أخرى، ولسوف نرى بأنّ هناك سبباً كبيراً لنأمل في أنّ الموت يكون خيراً؛ لأنّه واحد من شيئين - إما أنّ الموت هو حالة عدم عديم القيمة ولا وعي كليّ، أو، كما يقول الرّجال، ثمّة تبديلٌ وهجرةٌ للروح من هذا العالم إلى عالمٍ آخر. والآن إذا افترضتم بأنّه لا يوجد وعي، بل نوم مثل النوم الذي لا يقلق حتى في الأحلام، فإنّ الموت سيكون كسباً لا يوصف لأنّه إذا كان هناك الشخص ليختار الليلة الذي كان نومه فيها لا تزعجه حتى الأحلام، وكان ليقارنها بأيّام وليالي حياته وهي أفضل وأكثر مسرّةً من حياته هذه، فإنّي أعتقد بأنّ أيّ إنسان، لن أقول الإنسان الخاص، أعتقد بأنّه لن يجد هكذا أياماً وليالي عند مقارنتها بالأخرى، حتى الملك العظيم نفسه. والآن إذا كان الموت من طبيعةٍ كتلك، أقول إنّه لربحٌ أن تموت لأنّ الخلود يكون ليلةً واحدة فقط. لكن إذا كان الموت رحلةً من مكانٍ إلى آخر، وهناك يسكن كلّ الموتى، كما يقول الرجال، فأيّ خيرٍ، أوه يا أصدقائي وقضاتي، يمكن أن يكون أعظم من هذا؟ إذا أُنقِذَ حقّاً المهاجرُ أو الحاجُّ حينما يصل إلى العالم الآخر، إذا أُنقِذ من مدّعينا الأرضيّين للعدل، ووجد القضاة الحقيقيين الذين يقالُ بأنّهم يمنحون الحكم هناك، وهم مينوس ورادامنتوس وآيكوس وتريبتوليموس، وأبناء الآلهة الآخرين الذين كانوا صالحين في حياتهم الخاصة، إنّ الحجّ هذا سيكون جديراً بأن يؤدّى. وماذا سيهبه إنسان إذا أمكنه أن يتحادث مع أورمينوس وميوسايوس وهيسيود وهوميروس؟ إذا كان هذا صدقاً، دعوني أموت مرة ثانية وثانية. أنا نفسي، سوف أجد أيضاً منفعة ذاتية رائعة هناك عندما أتقابل وأتحادث مع بالاميدس، وإجاكس بن تيلامون، ومع أيّ بطل غابرٍ آخر عانى الموت على يد حاكمٍ ظالم. ولن يكون هناك سرور قليل، كما أعتقد، في مقارنة خبرتي الخاصة بخبرتهم. وفوق الجميع، سأقدر عندئذ أن أواصل بحثي في المعرفة

الحقيقية والمزيَّفة، كما في هذا العالم، فهكذا في العالم التالي أيضاً؛ ولسوف أكتشف من يكون حكيماً، ومن يتظاهر بأنّه حكيم، وهو ليس كذلك. ما الذي لن يعطيه إنسان، أوه أيّها القضاة، ليكون قادراً على أن يمتحن القائد العسكريّ لحملة طروادة الكبرى، أو على أن يختبر أوديسيوس أو سيسيفوس، أو آخرين لا يُحصى عددهم، رجالاً ونساءً أيضاً! أيّة بهجة غير محدودة ستكون هناك في التحادث معهم وطرح أسئلة عليهم في العالم الآخر. هُمُ لا يحكمون على إنسان بالموت لطرح الأسئلة عليه. لا بالتأكيد لأنّهم إضافةً إلى أنّهم أسعد منّا نحن، فهم سيكونهون خالدين، إذا كان الذي قيل صحيحاً.

ومن أجل ذلك، أوه أيّها القضاة، كونوا مبتهجين جذلين بشأن الموت، وآعلموا علم اليقين بأنّه لا شرّ يمكن أن يحدث لإنسان خيّر، لا في هذه الحياة ولا بعد الموت، أو أنه هو وما يخصه لن تهملهم الآلهة. لا ولم تحدث نهايتي القريبة الخاصّة بمحض صدفة؛ إنّني أرى بوضوح أنّ الوقت قد حان عندما كان أفضل لي أن أموت وأُعْتَقَ من الضيّق. لهذا السبب فإنّ وسيط الوحي لم يُعطِ أيّة إشارة، ولذلك أيضاً فأنا لست غاضباً أبداً على من حكم عليَّ بالموت، أو على من آتهمني. لكن مع أنّهم لم يفعلوا بي أيّ أذىً، فهم قصدوا إيقاعه بي؛ ولهذا يمكنني أن ألومهم بشكلٍ لائق.

يبقى أنه لا يزال لديَّ معروف لأطلبه منكم. حينما يكبر أولادي، فإنّني سأطلب منكم، أوه يا أصدقائي، أن تعاقبوهم. أريدكم أن تزعجوهم، كما أزعجتكم، إذا ما بدا أنهم يهتمون بالثروة، أو أيّ شيء آخر، أكثر من اهتمامهم بالفضيلة، أو إذا تظاهروا بأنّهم يكونون شيئاً ما في حين أنّهم ليسوا بشيءٍ حقاً، ـ أنبوهم حينذ، كما أنّبتكم، لعدم آهتمامهم بشأن ذلك الذي عليهم أن يهتمّوا به، وعندما يظنّون أنّهم يكونون شيئاً في حين أنهم

ليسوا شيئاً حقاً. وإذا فعلتم أنتم هذا، فإنّي تلقيّت العدل على أيديكم، وهكذا سيتلقّاه أولادي من بعدي.

لقد حانت ساعة الانطلاق، ونحن سالكون طريقنا ـ أنا لأموت، وأنتم لتعيشوا. أيُّنا الأفضل؟ الله وحده يعرف.

محاورة كريتون

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

إستيقظ سقراط من نومه الهانىء وهو قابع في سجنه، ليرى صديقه كريتون جالساً بقربه، فبادره بالسّؤال: لماذا أتيت في هذه الساعة، يا كريتون؟ لا شك أنّ الوقت باكر؟

نعم، إنّ الفجر على وشك أن يطلع، يا سقراط.

تعجّبت كيف سمح لك السجّان بالدخول.

إنّه يعرفني، لأنّني آتي إلى هنا غالباً، فضلاً عن ذلك فإنّني أسديت له معروفاً. ولقد وصلت منذ فترة ولم أوقظك إذ رأيتك نائماً بهدوء، وأردت أن يمرّ معك الوقت بسعادة لأقصى ما يمكن أن يكون. فكرت غالباً خلال مسار حياتك بأنّك محظوظ في نزعتك ومزاجك، لكنّني لم أرَ أبداً أيّ شيء مثل هذا الأسلوب السهل الهادىء الذي تتحمّل به هذه الفاجعة.

وهل ينبغي على إنسانٍ وصل إلى عمري أن يتبرّم من الموت، يا كريتون؟

لكن رجالاً مسنين آخرين لم يمنعهم تقدّمُ السنّ من التذمّر في محنٍ مشابهة؟

إنَّ ذلك لحقيقي، لكنّك لم تقل لِمَ أتيت إلى هنا باكراً.

أتيت لأنقل إليك رسالة محزنة، يا سقراط، إنّها ليست محزنة لك، كما أعتقد، بل مؤلمة وثقيلة الوطأة علينا جميعاً، نحن أصدقاءك وخاصّة عليّ. أقول لك إنّ السفينة ستكون هنا اليوم بعد أن تصل من جزيرة ديلوس، ولهذا السبب فإنّ غداً يجب أن يكون يوم حياتك الأخير.

لكنّني أعتقد، يا كريتون، بأنّ السفينة ستكون هنا بعد غد؛ أستنتج هذا من

الرّؤيا التي أتت إليّ عندما سمحت لي بالنوم ولم توقظني. تراءى لي هناك شكل امرأة، وسيمة وجميلة، متدثّرةٍ بثوبٍ زاهٍ، نادتني قائلة:

« أوه، يا سقراط، اليوم الثالث من الآن سوف تأتي أنت إلى فِثيا المخصبة ».

وإنّ المعنى لواضحٌ جداً.

نعم إن المعنى لجليٌّ. لكن دعني أتوسّل إليك مرّة ثانية، يا حبيبي سقراط، لأن تقبل نصيحتي وتهرب. لأنّك إذا متَّ فلن أخسر الصديق الذي لا يمكنني التعويض عنه قط، بل هناك شرٌّ آخر، وهو أنّ الناس الذين لا يعرفونني ولا يعرفونك سيعتقدون أنّه كان بإمكاني أن أنقذك لو أنفقت بعض مالي، لكنّني لم أهتم بذلك، وآثرت المال على حياة صديق، ولن يقتنعوا بأنّي أردتك أن تهرب وأنّك رفضت.

لكن لماذا، يا عزيزي كريتون، سوف نهتمّ برأي السواد الأعظم؟ إنَّ أفضل الرجال هُمُ الأشخاص الوحيدون الجديرون بالاعتبار، وهُمُ الذين سيفكّرون بهذه الأشياء كما تحدث بحقّ.

ألا ترى، يا سقراط، أنّ رأي الكثرة من الناس يجب اعتباره، لأنّ ما يحدث الآن يبيّن نفسه، وهو أنّهم يستطيعون أن يسبّبوا الشرّ الأعظم لأيّ شخص فقدوا رأيهم الصحيح عنه؟

بودّي لو كانت كذلك فقط، يا كريتون، وأنّ الكثرة من الناس تستطيع أن تفعل الشرّ الأعظم؛ لأنّها ستكون قادرة حينئذ على أن تقوم بالخير الأكبر - وأيّ شيء جميل سيكون هذا! لكنّهم في الحقيقة لا يستطيعون أن يفعلوا أيّاً منها.

وهل تخاف الهروب من السجن، يا سقراط، لأنّنا يمكن أن نقع في المشاكل مع المخبرين بعد سرقتنا لك وأخذك بعيداً؟ أو لأن نخسر كلَّ ممتلكاتنا أو جزءاً كبيراً منها، أو أنّه يمكن أن يحدث لنا شرٌّ أكبر من ذلك؟ كن مطمئناً، فنحن لا نهتمّ لكلّ هذا، بل أريد منك أن تفعل كما أقول. أقلع عن الخوف مهما كان.

فهناك أشخاص عديدون سيستقبلونك خارج أثينا، ونحن جاهزون لندفع المال من أجل ذلك. ولا يمكنني أن أعتقد بأنّ لديك ما يبرّر التفريط بحياتك. وإذا ما فعلت، فأنت تقوم بما يريده أعداؤك لك. ألست بهذا العمل تتخلّى عن أولادك، وإذا تركتهم سيكون مصيرهم مجهولاً بدَل أن تربّيهم وتعلّمهم كما تريد؟ غير أنّك تختار الناحية الأسهل، وليس الأفضل والرجوليّة. وهذا يجب أن يكون فيك، أنت الذي تحمل لواءه. أُعزم على ما أقوله لك الآن، وهناك شيء واحد يجب فعله، والذي يلزم إتمامه هذه الليلة بالتحديد، وإذا تأخّرنا أو أخّرنا عملنا قطّ، فلن يكون ممكناً أو محتملاً حصوله بعد اليوم. ألتمس منك، يا سقراط، أن تقتنع بما قلته لك، ولا تقل لي لا.

يا عزيزي كريتون، إنّ حماسك لا يقوَّم بالمال، إذا كان حماساً صحيحاً؛ لكن إذا كان خطأ، فالحماس الأكبر يليه خطر أعظم، ولهذا السبب علينا أن نتأمّل مليّاً إذا ما كنت سأفعل كما تقول أوْ لا لأنّني كنت وسأبقى واحداً من الطبائع التي يجب أن تهتدي بالعقل، مهما كان السبب، والذي يبدو عند تأمّله مليّاً أنّه الأفضل. والآن فإنّ هذه الفرصة قد وقعت عليَّ ولا أقدر على أن أجحد تعاليمي الخاصّة؛ إنها المبادىء التي كرّمتها وبجّلتها حتّى اليوم والتي لا أزال أشرّفها وأحترمها، وما لم نتمكن من إيجاد مبادىء أفضل منها فإنني متأكّدٌ بعدم اتفاقي معك فيما تعزم عليه. لا، ولا حتى إذا استطاعت قوّة الكثرة من الناس أن تعرّضنا للحبس والاعتقال مرّات عديدة، لمصادرة الممتلكات، للموت، لتخويفنا كما يخوفون الأطفال ببعابع الرّعب، فماذا ستكون الطريقة الفضلى لاعتبار المسألة؟ هل سنقدّر ونحترم نحن آراء بعض الرجال فقط، أو أن نعتبر آراء الكثرة من الناس؟ ألا يجب أن نحترم رأي من يمتلك المعرفة ونخشاه ونهابه أكثر من بقيّة العالم كلّه؟ وإذا هجرناه، ألن نفسد ونعتدي اعتداءً صارخاً على ذلك المبدأ الذي فينا والذي يمكن افتراض صحّته أنّه يُحسَّن بالعدل ويتدهور بالظلم؟ أليست الحياة الخيِّرة،

وليست أيّة حياة، هي التي ينبغي أن نقدّس ونحترم بشكلٍ رئيسي؟ ألا تساوي الحياة الخيِّرة، الحياة العادلة والشريفة؟ إنّني أتقدّم منك بهذه المقدَّمات المنطقيَّة لنناقش القضية، وهي إذا ما كان صواباً أو لا، أن أحاول الهرب بدون موافقة الأثينيين، وإذا كانت صحّتها واضحة، فإنّي سأحاول عندئذ، لكنْ إنْ لا، فلا. إنّ الاعتبارات التي ذكرتها لتوّك عن المال وفقدان الشخصيَّة المميَّزة، وواجبات الآباء نحو أولادهم، ما هي إلاَّ تعاليم السّواد الأعظم من الناس الذين سيعيدون الناس إلى الحياة، إذا كانوا قادرين، تماماً كما يحكمون عليهم بالموت بطيش ـ ولهكذا سبب صغير وهل من الصواب أن نفعل ما ترتئيه، أو أن نعمل عكسه؟ دعنا نتأمّل المسألة مليّاً، وإذا نقضت رأيي فسأقتنع بما تقول. هل يجب، يا كريتون، أن نفعل الأذى عمداً أبداً، أو أنّنا ينبغي أن نفعله في طريقة واحدة ولا نفعله بطريقة أخرى، أو أنَّ فعل الأذى يكون شرّاً وسيّئاً وسافلاً على الدوام، كما قد بينّاها وقدّمناها سابقاً ولا نبالي بها؟ لنكتشف بأنّنا لسنا أفضل من الأطفال في سلوكنا وأفكارنا، أو أنّنا سنصرُّ على حقيقة ما قيل، برغم رأي الكثرة، مهما تكن النتائج، ونؤكّد أنّ الظلم هو شرٌّ وخزيٌ لمن يعمله وعلى الدوام.

إنَّ كل ما تقوله، يا سقراط، حقّ وصدق.

يلزمنا إذن، يا كريتون، أن لا نؤذي أحداً، حتى عندما يؤذينا، ولا أن نقابل الشرّ بشرٍّ لأحد، مهما كان الشرّ الذي قاسيناه منه. فهل ستوافق على أنّ هذه مقدّمات منطقيَّة لمحاورتنا؟

نعم، يا سقراط، إنّني أوافق.

سأسألك. هل ينبغي على الإنسان أن يفعل ما يعترف به أنّه حق، أو يجب عليه أن يخون الحقّ؟ وكيف سيُطبّق ذلك؟ وإذا هربت أنا من السجن خلافاً لإرادة الأثينيين، هل سأؤذي أيّ شخص؟ أو على الأصح ألاَ أؤذي أولئك الذين يلزم أنْ أؤذيهم بالمقدار الأقلّ؟ ألاَ أتخلى في فعلي هذا عن المبادىء التي اعترفنا أنَّها عادلة؟

ثم ألاَ تظهر الدولة وقوانينها وتستجوبني قائلة، « قل لنا، يا سقراط، ماذا أنت على وشك أن تفعل؟ ألا تجلب لنا الدّمار بفعلك هذا؟ بل ألا تعتقد أنّه إذا لم يحترم أحد الدولة وقوانينها وقراراتها فإنّها ستُوضع جانباً وتُداس بالأقدام؟ وهل كان هذا هو اتّفاقنا معك منذ نشأتك؟ أوْ كان عليك أن تلتزم بحكم الدولة؟ أجبنا، يا سقراط، ولا تكتفِ بفتح عينيك وأنت المعتاد على السؤال والمحبّ للجواب، قل لنا، أيّ شكوى لديك ضدّنا تسوّغ لك محاولتك هذه كي تدمّرنا وتدمّر الدولة؟ ألم نحضرك إلى الوجود، في المقام الأوّل، والدك تزوّج من أمّك وأنجبك بمساعدتنا، فهل عندك أيّ اعتراضٍ على من رتّب هذا الزواج؟ أو هل تمتلك أيّ شيء لتقوله ضدّ أولئك الذين ينظّمون تنشئة وتعليم الأطفال؟ أو لَم يكونوا هم محقّين في تعليمك الموسيقى والتمارين الرياضيّة؟ ولهذا السبب فأنت طفلنا وعبدنا، والطفل ليس عليه أن يعطي أو يشتم أو يضرب أو يهلك آباءه أو أن يتمرّد العبد على سيّده. وهل ستتظاهر، أوه يا أستاذ الفضيلة والحقيقة، بأنّك مبرَّر فيما تفعل؟ وهل أخفق فيلسوف مثلك كي يكتشف أنّ بلادنا هي أثمن بكثير وأسمى وأقدس بكثير من الأمّ والأب أو من أيّ سلف، وأنّها يجب أن تُعتبر أكثر في عيون الآلهة والرجال ذوي الفهم وأن تُطاع؟ أيُّ جواب سنعطي لهذا، يا كريتون؟ ألا تتكلّم الدولة والقوانين بحقّ »؟

أعتقد أنّها تفعل، يا سقراط.

« وإذا لم تحبّنا منذ نشأتك، يا سقراط، فلماذا لم تهاجر إلى أيّ مكان آخر وتصطحب كل ما تحبه معك؟ أليس معنى بقائك هنا أنّك أبرمت معنا عقداً وفهمت ضمناً أنّك ستفعل ما نأمر به؟ ونقول لك ببرهانٍ لا يقبل الشكّ، وهو أنّك كنت الأكثر إقامةً في هذه المدينة من بين كلّ الأثينيين، فأنت لم تذهب إلى أيّ مكانٍ خارج أثينا. إنّ عواطفك وميولك لم تتعدّنا ولم تذهب ما وراء حدود دولتنا. كنا نحن المفضّلين عندك ولم تؤثِر أحداً علينا، وقَبِلتَ بحكومتنا وتزوّجت

وأنجبت الأولاد، وهذا دليل على قناعتك بالعيش هنا. وفوق كلّ ذلك، كان بإمكانك أن تختار النفي، أو أيَّ عقاب آخر، لكنّك تظاهرت بأنّك تفضّل الموت على أيّ عقاب ثانٍ. والآن فإنّك نسيت هذه العواطف الجميلة، ولم تُبدِ لنا أيّ احترام، بل إنّك تفعل ما يفعله عبدٌ شقيّ، هارباً ومدبراً وناقضاً كل المواثيق التي أبرمتها معنا، ومتنكّراً لمواطنيّتك الأثينيّة. لقد كان لديك سبعون عاماً كي تفكّر بها، وكان لك حقّ الاختيار، وذلك ما لم تثره ضدّها أبداً. إنَّ العُرجَ، والعميان، والمقعدين لم يكونوا أكثر استقراراً فيها منك. والآن، قلْ لنا ماذا ستقول وبماذا ستبشّر المجتمعات هناك؟ هل ستقول لهم ما قلته هنا عن الفضيلة والعدل والمجتمعات والقوانين، كونها أفضل الأشياء بين الرّجال؟ وهل سيليق ذلك بسقراط؟

« إستمع لنا إذن، يا سقراط، نحن مَنْ ربّاك وعلّمك، لا تفكّر في الحياة أوّلاً، وفي العدل بعد ذلك، بل فكّر في العدل قبل كلّ شيء، كي تتمكّن من تبرئة وصيانة نفسك أمام أمراء العالم السفلي، لأنّك لن تكون أسعد أو أكثر قداسة أو أعدل في هذه الحياة. لا، ولن يكون كذلك أيٌّ ممّن يخصّك. إنّكم جميعاً لن تكونوا سعداء في الحياة الأخرى على الإطلاق، إذا فعلت كما يأمرك كريتون، وأنت الذي طلبت السعادة وأردتها للجميع ».

هذا هو الصوت، يا عزيزي كريتون، الذي يبدو أنّني أسمعه هامساً في أذنيّ، مثل صوت النّاي، الذي يهمس في الآذان ذات الطقوس السّريّة؛ أقول، إنَّ ذلك الصوت يطنُّ في أذنيّ، ويمنعني من سماع أيّ صوتٍ آخر. كن متأكّداً، إذن، أنَّ أيّ شيءٍ آخر يمكن أن تقوله كي تهزّ هذه الثقة أو تزعزع هذا الإيمان فإنّما عبثاً سيُقال. ومع ذلك تكلّم، إذا كان لديك أيّ شيء لتقوله.

ليس لديَّ أيّ شيء لأقوله، يا سقراط.

إنّ ما قيل يعتبر كافياً، يا كريتون، دعنا ننفّذ مشيئة الله، ونتبع حيث يهدينا ويقودنا.

محاورة كريتون

اشخاص المحاورة

سقراط كريتون

المشهد: سجن سقراط

سقراط: لماذا أتيت في هذه الساعة، يا كريتون؟ لا شكّ أن الوقت مبكِّر؟

كريتون: نعم، بدون ريب.

سقراط: ما هو الوقت بالضّبط؟

كريتون: الفجر علٰى وشك أن يطلع.

سقراط: تعجّبت كيف سمح لك السّجّان بالدخول.

كريتون: إنّه يعرفني، لأنّني آتي إلى هنا غالباً، يا سقراط؛ فضلاً عن ذلك، فلقد أسديت له معروفاً.

سقراط: وهل وصلت لتوّك فقط؟

كريتون: لا، بل وصلت منذ وقتٍ قصيرٍ مضى.

سقرتط: إذن، لِمَ جلست ولم تقل شيئاً بدلاً من إيقاظي عند وصولك حالاً؟

كريتون: أوقظك، يا سقراط؟ لا بالتأكيد! تمنَّيت لو لم أكن هكذا أَرِقاً وممتلئاً حزناً. لقد راقبتُ هجوعك الهادىء بتعجّب وأحجمت عن إيقاظك بتعمُّد لأنّني أردت أن يمرّ عليك الوقت بسعادة لأقصى ما يمكن أن يكون. افتكرتُ خلال سياق حياتك غالباً، بأنّك محظوظ في نزعتك ومزاجك، لكنّي لم أرَ أبداً أيّ شيء مثل هذا الأسلوب السهل الهادىء الذي تتحمَّل به هذه الفاجعة.

سقراط: لماذا، يا كريتون، عندما يصل إنسانٌ إلى عمري لا ينبغي عليه أن يتبرّم من اقتراب الموت.

كريتون: ومع ذلك يجد الرجال المسنّون الآخرون أنفسهم في محنٍ مشابهة، ولم يمنعهم تقدّم السن من أن يتذمروا.

سقراط: إنّ ذلك لحقيقي، لكنك لم تقل لي لِمَ أتيت هكذا باكراً؟

كرتيو: أتيت لأنقل إليك رسالة محزنة. إنّها محزنة لك، كما أعتقد، بل هي مؤلمةٌ وثقيلة الوطأة علينا جميعاً، نحن أصدقاءك، وأكثر ألماً منهم جميعاً لي.

سقراط: ماذا؟ هل أتت الباخرة من ديلوس، والتي حال وصولها سأموت؟

كريتون: لا، إنّ الباخرة لم تصل حقاً، لكنّها ستكون هنا اليوم من المحتمل. فقد أخبرني الأشخاص الذين أتوا من سانيوم بأنّهم تركوها هناك؛ ولهذا السبب فإنَّ غداً، يا سقراط، يجب أن يكون يوم حياتك الأخير.

سقراط: حسناً جداً، يا كريتون؛ إذا كانت هكذا إرادة الله، فإنني أرغبها؛ لكّن اعتقادي أنّ ستتأخرّ في وصولها يوماً آخر.

كريتون: لماذا تعتقد ذلك.؟

سقراط: سأخبرك. إنّني سأموت في اليوم الذي يلي وصول الباخرة من الجزيرة.

كريتون: نعم؛ إنّ ذلك ما تقوله السلطات.

سقراط: لكنني لا أعتقد أنّ الباخرة ستكون هنا بعد غد؛ أستنتج هذا من الرؤيا التي تلقّيتها البارحة ليلاً، أو على الأصّح لتوّي الآن فقط، حينما سمحت لي بأن أنام لحسن الحظّ.

كريتون: وماذا كانت طبيعة الرؤيا؟

سقراط: تراءى لي هناك شكل آمرأة، وسيمة وجميلة، متدثّرة بثوبٍ زاهٍ، دعتني وقالت: « أو يا سقراط! بعد ثلاثة أيامٍ من الآن سوف تأتي أنت إلى فثيا المخصبة(٢٧) ».

كريتون: أيّ حلمٍ فريد من نوعه، يا سقراط؟!

سقراط: لا يمكن أن يكون هناك شكٌ بخصوص المعنى، يا كريتون، على ما أعتقد.

كريتون: نعم، إنّ المعنى واضح جداً. لكن، أوه! يا حبيبي سقراط، دعني أتوسّل إليك مرّة ثانية أن تقبل نصيحتي وتهرب لأنك إذا متَّ فلن أخسر صديقاً لا يمكنني التعويض عنه فقط، بل هناك شرّ آخر: إنّ الناس الذين لا يعرفونك ولا يعرفونني سيعتقدون أنّه كان بإمكاني إنقاذك لو كنت مستعدّاً لأنفق المال، غير أنّي لم أهتمّ بذلك، وآثرت المال على صديقي. والآن، أيمكن أن يكون هناك عارٌ أسوأ من هذا من ظنّ الناس بي أنّني آثرتُ المال لى إنقاذ حياة صديق؟ إنَّ العديد لن يقتنعوا بأني أردتك أن تهرب، وأنّك رفضت.

سقراط: لكن لماذا، يا عزيزي كرتيون، سوف نهتمّ برأي السواد الأعظم؟ إنّ أفضل الرجال هُمُ الأشخاص الوحيدون الجديرون بالاعتبار. وهُمُ الذين سيفكّرون بهذه الأشياء كما تحدث بحق.

كريتون: لكن ألا ترى، يا سقراط، أنّ رأي الكثرة من الناس يجب اعتباره، لأنّ ما يحدث الآن يبيِّن نفسه، وهو أنّهم يستطيعون أن يفعلوا الشرّ الأعظم لأيّ شخص فقدوا رأيهم الصحيح فيه.

سقراط: أرغب أنّها كانت هكذا فقط، يا كريتون، وأنّ الكثرة من الناس تستطيع أن تفعل الشرّ الأعظم لأنّها ستكون قادرة حينئذ على أن تقوم بالخير الأكبر ـ وأيّ شيء جميلٍ سيكون هذا! لكنّهم في الحقيقة لا يقدرون أن يفعلوا شيئاً منها لأنّهم لا يتمكنون أن يجعلوا إنساناً، إمّا أفضل أو أعقل، وهم يهتمّون بما يخلقون منه.

كريتون: حسناً، لن أجادلك؛ لكن أخبرني من فضلك، يا سقراط، إن كنت تفعل ما تفعل من اعتبارك لي ولأصدقائك الآخرين. هل تخاف من أنّك إذا

هربت من السجن يمكن أن نقع نحن في المشاكل مع المخبرِّين لأننا سرقناك وأخذناك بعيداً، ولأن نخسر كلّ ممتلكاتنا أو جزءاً كبيراً منها، أو أنّه يمكن أن يحدث لنا شرّ أسوأ من ذلك؟ والآن، إذا خفت من أجلنا، كن مطمئنّاً لأنّه يلزم أن نتعرّض لهذا كي ننقذك، أو حتى لمخاطرة أعظم؛ كن مقتنعاً إذن، وآفعل كما أقول.

سقراط: نعم، يا كريتون، أنا أخاف ما ذكرت، لكنّه ليس الخوف الوحيد الأوحد بأيّة حال.

كريتون: لا تخف ـ هناك أشخاصٌ هم على أتمّ استعدادٍ لأن يخرجوك مِن السجن بكلفةٍ قليلة. وفيما يتعلّق بالواشين، تعرف أنت أنّهم أبعد مِنْ أن يكونوا مفرطين في مطالبهم ـ دراهم قليلة سيقنعون بها. إنّ مواردي الماليّة، وهي وافرة بكلّ تأكيد، ستكون في خدمتك؛ وإذا كان لديك تردّدٌ بشأن النفقة من مالي بسبب اعتبازك لمصالحي، فهنا يوجد الغرباء الذين سيعطونك ما تريده من مالهم لتستعمله: وواحد منهم هو سيمياس الثيبي الذي أحضر مبلغاً معه لهذا الغرض بالتحديد؛ وهنا سيبس وعديد آخرون الذين تجهّزوا ليصرفوا مالهم لمساعدتك على الهرب. لذلك أقول، لا تتجنّب المحاولة من أجلنا، ولا تقل، كما فعلت في المحكمة(٢٨)، بأنّك ستلاقي صعوبة كبيرة في معرفة ما تفعله بنفسك في أيّ مكان آخر. إنّ الرجال سيحبّونك في الأماكن حيثما ذهبت، وليس في أثينا فقط. لي أصدقاء في صقليّة، إذا أحببت أن تأتي إليهم، وسوف يقدّرونك ويحمونك، وليس هناك من صقلي سيكدرّك أو يخلق أيّة مشكلة لك. ولا يمكنني أن أتصوّر تبريراً لك، يا سقراط، في التفريط بحياتك الخاصّة ما دمت تستطيع أن تُنقذها؛ إنّك في فعلك هذا تجلب على نفسك المصير الذي سيقوم وقام بالعمل له، أعداؤك ليلقوه عليك بالتحديد، ألا وهو هلاكك. وعليّ أن أقول أبعد من

ذلك وهو أنّك تتخلّى عن أولادك وأطفالك الذين يخصونك لأنّه يمكنك أن تنشّئهم وتعلّمهم، بدلاً من أن تبتعد عنهم وتتركهم وهُمُ الذين عليهم بعد ذلك أن يتعرّضوا لمصيرٍ مجهول؛ هذا إذا لم يواجهوا القدر المعتاد الذي يمرّ به اليتامى، وهنا سيكون شكرهم لك قليلاً. إذ لا إنسان ينبغي أن يلد أطفالاً إلى العالم، والذي لا تملأه العزيمة، وأن يثابر في تنشئتهم وتعليمهم إلى النهاية. لكنك يبدو وأنّك تختار الناحية الأسهل، وليس الأفضل والرجولية، والتي ربّما أصحبت أكثر وجوداً في الإنسان الذي يعترف بأنّه يعتني بالفضيلة في حياته كلّها، مثلك. وحقّاً، إنّني لمستحٍ ليس منك فقط، بل منّا، نحن أصدقاءَك، حينما أتأمّل مليّاً في أنّ المهمة بمجملها يمكن أن تنسب كلية لافتقارنا للشجاعة. إنَّ المحاكمة كان يجب أن لا تحصل، أو أنّها يمكن أن تدار بشكل مختلف، وسيظهر أنّ هذه هي الفرصة الأخيرة « ذروة العبث لها كلّها » والتي أفلتت منا بسبب عجزنا وجبننا نحن الذين أمكنهم إنقاذك إذا قد كانوا صالحين لأيّ شيء، وكان بإمكانك أن تنقذ نفسك كذلك، إذ لا صعوبة على الإطلاق لفعل هذا. أنظر الآن، يا سقراط، كم هي العواقب مخزية، كما أنّها مدمِّرة، لكاينا، لنا كما لَكَ. أعزم على ما قلته لك إذن، بل إجعل ذلك وكأنّه قد تقرَّر على الأصحّ. فوقت التفكير المتروّي انقضى، وهناك شيء واحد يجب فعله، والذي يلزم إتمامه هذه الليلة بالتحديد، وإذا تأخرنا وأخرنا عملنا فلن يكون ممكناً أو محتملاً حصوله بعد اليوم؛ ألتمس منك، يا سقراط، أن تقتنع بما قلته لك، ولا تقل لي لا.

سقراط: يا عزيزي كريتون، إنّ حماسك لا يقوَّم بالمال، إذا كان حماساً صحيحاً، لكن علينا أن نتأمل مليّاً فيما إذا ما كنت سأفعل كما تقول أم لا. فأنا قد كنت على الدوام واحداً من تلك الطبائع التي يجب أن تهتدي بالعقل، مهما كان السبب، والذي يبدو لي عند التأمّل به مليّاً على أنّه السبب

الأفضل. والآن فإنّ هذه الفرصة قد وقعت عليّ، وأنا لا أستطيع أن أجحد تعاليمي الخاصة التي تبدو لي أنّها سليمة وثابتة كما كانت على الدوام: إنّها المبادىء التي كرّمتها وبجّلتها حتى اليوم، والتي لا أزال أُشرّفها وأحترمها. وما لم نتمكن حالاً من إيجاد مبادىء أخرى أفضل منها، فأنا متأكد بأنّي لن أتّفق معك فيما قلته؛ لا، ولا حتّى إذا استطاعت قوّة الكثرة من الناس أن تعرّضنا للحبس والاعتقال مرّات عديدة، لمصادرة الممتلكات، للموت، لتخويفنا كما يخوفون الأطفال بيعابع الرّعب[٢٩]. فماذا ستكون الطريقة الفضلى لاعتبار المسألة؟ هل سأعود بمحاورتك القديمة بشأن آراء الرّجال؟ ـ كنّا قائلين إنّ بعضها ينبغي أن يعتبر، وليس بعضها الآخر. والآن هل كنّا محقّين في التأكيد على هذا قبل أن أدان؟ أو هل المحاورة التي كانت جيّدة لمرّة أثبتت الآن أنّها كلام في سبيل الكلام، مجرّد سفاسف صبيانيّة؟ إنّ ذلك هو ما أريد أن أتأمله ملياً بمساعدتك، يا كريتون ـ إذا ظهرت المحاورة في أيّة طريقة أنّها مختلفة أوْ لاَ، تحت ظروفي الحاضرة، وسواء إذا كنا سنسقطها أو نقبل بها. تلك المحاورة التي، كما أعتقد، تُثبّت بأشخاص عديدين ذوي نفوذ يبعث على الاحترام والثّقة والتي كان فحواها، كما كنت قائلاً، أنّ آراء بعض الرجال يجب أن تُعتبر، وأن لا تؤخذ آراء الرجال الآخرين بعين الاعتبار. والآن، يا كريتون، فأنت لستَ ذاهباً لتموت غداً ـ على الأقّل لا يوجد احتمال إنسانيّ لهذا ـ ولذلك فأنت لا مبالٍ، ولست عرضة لأن تُخدعَ بالظروف التي توضع بها. إنّني أستعطفك، قل لي إذن، إذا ما كنت أنا محقاً في القول إنّ آراء بعض الرجال، وآراء بعضهم فقط، هي التي تُقدَّر، وأنّ الآراء الأخرى يجب أن تُهمَل. أليس ذلك صحيحاً؟

كريتون: بالتأكيد.

سقراط: وإنَّ آراء العاقلين جيّدة، وليست سيّئة؟

كريتون: بدون ريب.

سقراط: وماذا قيل بخصوص المسألة الأخرى؟ هل التلميذ الذي يكرّس نفسه للتمارين الرياضيَّة ينتبه إلى ثناء ولوم ورأي أيّ وكلّ رجل، أم لإنسانٍ واحدٍ فقط ـ لطبيبه أو مدرِّبه، أيّاً كان الشخص الذي يمكن أن يكون؟

كريتون: لرجلٍ واحدٍ فقط.

سقراط: ويجب عليه أن يخشى لوم ذلك الشخص الوحيد ويرحّب بثنائه، وليس بثناء السواد الأعظم من الناس؟

كريتون: هكذا بوضوح.

سقراط: ويجب أن يعمل ويدرِّب، ويأكل ويشرب في الطريقة التي تبدو صالحة لسيّده ومعلمه الفرد الذي يمتلك معرفة، بدلاً من اعتبار رأي كلّ الرجال مجمَّعين معاً.

كريتون: صدقاً.

سقراط: وإذا لم يُطِعْ ولم يعتبر الرأي والمصادقة لذلك الواحد الذي يعرف، ويراعي ويهتمّ برأي السواد الأعظم الذين لا يمتلكون المعرفة، ألن يعاني من الشرّ والسوء؟

كريتون: إنّه سيقاسي ذلك بالتأكيد.

سقراط: وماذا سيكون الشرّ، حيثما يتّجه، وما تأثيره، في الشخص المتمرّد؟

كريتون؛ إنّ تأثيره على الجسم؛ وذلك ما سيُخرَّب بالشرّ بوضوح.

سقراط: جيّد جدّاً؛ أليس ذلك حقيقياً، يا كريتون، عن الأشياء الأخرى التي لا نحتاجها منفصلة وهي عديدة، مثلاً، في قضية العادل والظالم، الجميل والقبيح، الخيّر والشرّير؟ وهل يجب أن نتبع رأي الكثرة ونخشاهم؛ أو رأي الإنسان الواحد الذي يمتلك معرفة؟ ألا يلزم أن نخشاه ونهابه أكثر من باقي العالم كله، وإذا هجرناه ألن نَفْسُدَ ونمارس اعتداءً صارخاً على ذلك المبدأ

فينا، والذي نفترض أنّه يُحسَّن بالعدل ويتدهور بالظّلم؟ يوجد مبدأ كهذا، أليس ذلك؟

كريتون: يوجد بدون ريب، يا سقراط.

سقراط: خذ مثلاً متوازياً: إذا عملنا خلاف نصيحة العارفين، فإنّنا ندمّر ذلك الذي يتحسَّن بالصحّة ويُفسد بالمرض، وعندها، هل ستكون الحياة جديرة بالامتلاك؟ وأمّا ذلك الذي قد فسد فيكون الجسم؟

كريتون: نعم.

سقراط: وهل تستحقّ حياتنا أن تُعاش، إذا فسد ذلك الجزء الأسمى للإنسان الذي تحسَّن بالعدل وانحطَّ بالظّلم؟ وهل نفترض نحن أنّ المبدأ الذي يكون ذا علاقة بالعدل والظلم، مهما يمكن أن يكون في الإنسان، هل نفترض أنّه أقلّ أهميّة من الجسم؟

كريتون: لا بالتّأكيد.

سقراط: إنّه أكثر نبالةً وشرفاً من مبدأ الجسم؟

كريتون: أكثر نبالة ببعدٍ كبير.

سقراط: إذن، يا صديقي، يجب أن لا نعتبر بشكل خاص ما يقوله لنا السواد الأعظم من الناس، بل الذي سيقوله الإنسان الفرد الذي يمتلك فهماً للعدل والظلم، وما ستقوله الحقيقة. ولهذا السبب ابتدأت أنت في الخطأ عندما نصحتنا بأنّنا ينبغي أن نعتبر رأي الكثرة بشأن العادل والظالم، الخيّر والشرّير، السّافل والشريف ـ سيقول شخص ما، « حسناً، لكنّ السواد الأعظم من الناس يمكنه أن يقتلنا ».

كريتون: سيكون ذلك جوابهم بوضوح، يا سقراط؛ إنّك لمحقّ هناك.

سقراط: لكنّني لا أزال أجد، يا صديقي الممتاز، أنّ المحاورة القديمة ما تزال ثابتة وراسخة كما هي أبداً. وسأحبّ أن أعرف إذا ما كان يمكنني أن أقول

الشيء عينه عن فرضية أخرى هي أنَّ الحياة الخيِّرة وحدَها، لا غيرها، التي يجب أن تُقدَّر وتُحترم بشكل رئيسي؟

كريتون: نعم، إنّ ذلك يبقى ثابتاً أيضاً.

سقراط: وتساوي الحياة الخيِّرة الحياة العادلة والشريفة ـ يثبت ذلك أيضاً؟

كريتون: نعم، إنّه لكذلك.

سقراط: إنّني أتقدّم بهذه المقدِّمات المنطقيّة لأحاور في القضيّة، وهي إذا ما كان صواباً أوْ لا، أن أحاول الهرب بدون موافقة الأثينيين؛ وإذا كانت صحيحة بوضوح، فإنّي سأحاول عندئذ؛ وإلاّ، سأمتنع عنها. إنّ الاعتبارات الأخرى الّتي تذكرها، عن الدراهم وفقدان الشخصية المميّزة، وواجبات التعليم نحو أطفال الإنسان، أخشى، أنّها ما هي إلاّ تعاليم السواد الأعظم من الناس الذين سيعيدون الناس إلى الحياة إذا كانوا قادرين، تماماً كما يحكمون عليهم بالموت بطيش، ولهكذا سبب صغير. لكن الآن، بما أنّ المحاورة قد وصلت بنا إلى هذا البعد، فإنّ السؤال الوحيد الذي يبقى كي نتأمّله مليّاً، وهو إذا ما كنّا سنفعل ما هو حقّ، أنا بهربي وأنت بمساعدتك لي، وبدفعك لوكلاء فِراري مالاً وعبارات شكر، أو إذا ما كنا سنفعل نحن ما هو صواب في الحقيقة؛ وإنْ يكن الأخير، فإنّ الموت عندئذ أو أيّة كارثة أخرى يمكن أن تنتج عن بقائي هنا بهدوء، يلزم أن لا يُسمح لها بأن تدخل في الحسبان.

كريتون: أعتقد بأنّك محقّ، يا سقراط كيف سنتقدّم إذن؟

سقراط: دعنا نتأمّل مليّاً المسألة معاً، فإمّا أن تنقضني إذا استطعت، وسأقتنع؛ وإلاّ توقّف، يا صديقي العزيز، عن تكرارك لي بأنّه ينبغي أن أهرب خلافاً لرغبات الأثينيين. فأنا مشتاق جدّاً ليكون ما أفعله مقترناً بمصادقتك واستحسانك. وتأمّل الآن من فضلك في موقفي الأوّل، وحاول أن تجيبني بأفضل وسيلة تستطيعها.

كريتون: سأفعل.

سقراط: هل نحن نقول بأنّنا يجب أن لا نفعل الأذى عمداً أبداً، أو بأنّه ينبغي أن نفعله بطريقةٍ ما وأن لا نفعله بطريقة أخرى، أو أنّ عمل الأذى يكون شرّاً وسيّئاً وسافلاً على الدوام، كما قد اعترفنا بذلك غالباً في السابق؟ هل كل الاعترافات التي قدّمناها وبيّناها خلال هذه الأيام القليلة الأخيرة، هل سنرميها جانباً ولا نبالي بها؟ وهل كنا نتحدث مع بعضنا بعضاً، في سنّنا هذه، كلّ حياتنا التي مضت كي نكتشف فقط بأنّنا لسنا أفضل من الأطفال؟ أو هل سنصرُّ على حقيقة ما قيل قبلئذ برغم رأي الكثرة، وبرغم النتائج، سواء أكانت للأفضل، أو للأسوأ؟ هل سنصِرُّ على أن الظلم هو شرٌّ وخزيٌ لمن يعمل بظلمٍ على الدوام؟ هل سنقول هكذا أو لاَ؟

كريتون: نعم.

سقراط: إذن يلزمنا أن لا نفعل الخطأ؟

كريتون: لا، بالتّأكيد.

سقراط: ولا أن نؤذي أحداً بالمقابل عندما يؤذينا، كما يتخيل العديدون لأنّنا يجب أن لا نؤذي أحداً على الإطلاق؟

كريتون: لا بوضوح.

سقراط: مرّة ثانية، يا كريتون، أيمكننا أن نفعل الشرّ؟

كريتون: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: وماذا عن مقابلة الشرّ بالشرّ، التي تعتبر قاعدةً سلوكيةً وأدبيّة لكثيرين - هل هذا عدلٌ أم لاَ؟

كريتون: إنّه ليس عدلاً

سقراط: لأنّ فعل الشرّ للغير هو كأذّيتهم لا فرق؟

كريتون: حقيقي تماماً.

سقراط: لا يلزمنا إذن أن نردَّ على الأذى بمثله ولا أن نقابل الشرّ بشرٍّ لأحد، مهما كان الشرّ الذيَ قاسيناه منهم. لكنّني أريد منك أن تتأمّل مليّاً، يا كريتون، إذا كنت تعني ما أنت قائل لأنّ هذا الرأي لم يتمسّك به أيّ عدد من الأشخاص جديرين بالاعتبار، ولم يتبنوه أبداً؛ وإنّ أولئك المتفقون وأولئك المختلفون على هذه النقطة الأساسية ليس لديهم أرضيّة مشتركة، وما يستطيعون فعله فقط هو أن يزدري بعضُهم بعضاً عندما يرون كيف يختلفون بشأنها على نحو واسع. أخبرني، إذن، إذا ما كت تتّفق معي وتصادق على مبدئي الأوّل، وهو أن الأذى والانتقام ودفع الشرّ بالشرّ ليست أعمالاً صحيحة مطلقاً. وهل ستكون تلك مقدّمات منطقيّة لمحاورتنا؟ أو أنّك تنحرف قليلاً وتعترض على هذا؟ أمّا أنا فقد فكرت هكذا على الدوام، وسأستمر في تفكيري هذا. لكنك إذا كنت من رأيٍ آخر، دعني أسمع ما عندك لتقوله. وإنْ كنت ما تزال على التفكير عينه كما كنت سابقاً، على كل حال، فإنّي سأتقدّم إلى الخطوة القادمة.

كريتون: يمكنك أن تتقدّم لأنّني لم أغيّر تفكيري.

سقراط: سأمضي إذن إلى النقطة التالية، التي يمكن وضعها في شكل سؤال: أيجب على الإنسان أن يفعل ما يعترف به أنه حقّ أو ينبغي أن يخون الحقّ؟

كريتون: يلزمه أن يفعل ما يعتقده حقاً.

سقراط: لكن إذا كان هذا حقيقة، فما هو التطبيق؟ وهل أؤذي أيّ شخص، بمغادرة السجن خلافاً لإرادة الأثينيين؟ أو على الأصح ألاَ أؤذي أولئك الذين يجب أن أؤذيهم بالمقدار الأقل؟ ألا أهجر المبادىء التي اعترفت بأنّها عادلة؟ فماذا تقول؟

كريتون: لا أستطيع أن أجيبك على سؤالك، يا سقراط؛ لأنّني لا أفهمك.

سقراط: تأمّل المسألة مليّاً في هذه الطريقة إذن. تصوّر أنّني كنت على وشك أن أهرب « يمكنك أن تسمّي الاكمال بأيّ إسم تحبّ »، وتظهر الدولة وقوانينها عليّ وتستجوبني: « قل لنا، يا سقراط » تقول هي، « ماذا أنت على وشك أن تفعل؟ ألست ذاهباً بفعلك هذا لتجلب لنا الخراب ، نحن القوانين، وللدولة بمجملها بقدر ما تكمن فيك؟ هل تتصوّر أنّ الدولة تقدر أن تبقى وتستمرّ وأن لا تُقلب رأساً على عقب، الدولة التي لا تمتلك قوانينها القوّة لتنفيذ القرارات، بل إنّ هذه القرارات توضع جانباً وتُداس بالأقدام من قبل الأفراد »؟ ماذا سيكون جوابنا، يا كريتون، على هذه الكلمات وعلى ما يشبهها؟ إنّ أيّ شخص، وبخاصة عالِم الكلام سيكون لديه مقدار كبير من الكلام ليقوله ضدّ تدمير القانون الذي يحتاج إلى حاكم قضائيّ كي يُنفَّذ، هل سنجيب: « نعم؛ لكن الدولة آذتنا، وأصدرت علينا حكماً ظالماً ». إفترض أنّنا نقول هذا؟

كريتون: جيّد جداً، يا سقراط.

سقراط: سيجيب القانون: « وهل كان هذا هو اتفاقنا معك؟ أو كان عليك أن تلتزم بحكم الدولة »؟ وإذا كنا لنعبّر عن دهشتنا بكلماته، من المحتمل أن يضيف القانون قائلاً: « أجب، يا سقراط، بدلاً من أن تفتح عينيك ـ إنّك لمعتادٌ أن تسأل وتجيب على الأسئلة، قل لنا، أيّة شكوى لديك ضدّنا تسوّغ لك محاولتك لتدمّرنا وتدمّر الدولة؟ ففي المقام الأوّل ألم نحضرك نحن إلى الوجود، والدك تزوّج من أمّك بمساعدتنا وأنجبك، قل إذا ما كان لديك أيّ اعتراض لتثيره ضد أولئك الذين هم منّا والذين يرتّبون أمور الزواج . عليّ أن أقول بأنّه ليس لديَّ أيّ شيء لأعترض عليه. « أو هل عندك شيء ضد أولئك الذين هم منّا والذين ينظّمون تنشئة وتعليم الأطفال والذين تدرّبت أنت عندهم أيضاً؟ ألم تكن القوانين، التي تمتلك مهمّة التعليم، ألم تكن

محقّة في إعطاء الأمر لأبيك كي يدرّبك في الموسيقى والتمارين الرياضية؟ ». حقاً عليَّ أن أجيب. « حسناً إذن، بما أنّك أُحضِرتَ إلى العالم وتولّينا تنشئتك وتعليمك، هل تقدر أن تنكر في المقام الأوّل بأنّك طفل لنا وعبد، كما كان آباؤك من قبلك؟ وإذا كان هذا حقيقياً فأنت لا تستطيع أن تفترض بأنّك على قدم المساواة وإيّانا في مسائل الصواب والخطأ. أوَ تعتقد بأنّ لك الحقّ أن تفعل بنا ما نحن فاعلون بك؟ هل لك أيّ حق بأن تضرب أو تشتم أو تفعل الشرّ لأبيك أو معلّمك وسيّدك، إذا كان لديك سيّد، وذلك لأنّه قد ضربك وشتمك، أو لأنّك تلقّيت شرّاً آخر على يديه؟ - إنّك لن تقول هذا؟ وهل تعتقد بأنّ لديك أيّ حقٍ لتدمرنا بالمقابل، وتدمّر بلادك بقدر ما تكمن هي فيك، وبسبب أنّنا نعتقد بأنّه حقّ لنا أن نهلكك؟ هل ستتظاهر، أوه يا أستاذ الحقيقة والفضيلة، أنّك مُبرَّرٌ فيما تفعل؟ وهل أخفق فيلسوف مثلك كي يكتشف أنّ بلادنا هي أثمن بكثير وأسمى وأقدس ببعدٍ كبير من الأمّ أو الأب أو من أيّ سلف، وأنّها يجب أن تُعتبر أكثر في عيون الآلهة والرجال ذوي الفهم؟ ولأن تُسترضَى أيضاً، وتُستعطَف عند غضبها بلطف وتبجيل، حتّى أكثر من استعطاف الأب، وإمّا لتقتنع، وإن لم تقتنع هي، فبأن تُطاع؟ وعندما تعاقبك، سواء إذا كان هذا القصاص بالسجن أو الجلد، ينبغي أن تتحمّل عقابها بصمتٍ وجَلَدٍ؛ وإذا قادتنا إلى المعركة وجُرحنا أو متنا أثناءَها، هناك نتبع هذا كما أنّه حق؛ لا ولا يجب ولا يمكن لأيٍّ شخص أن يستسلم أو يتقهقر أو يغادر صفّه، بل يلزمه أن يفعل ما تأمره به مدينته وبلاده، سواء أكان في المعركة أو في محكمة القانون أو في أيّ مكانٍ آخر؛ أو أن يلزمه أن يغيّر نظرتهم في ما يكون عدلاً وإذا أمكنه أن يفعل العنف لأمّه أو أبيه. فيقدر عندئذ أن يقوم بالعنف ضدّ بلاده ». أيُّ جوابٍ ستعطي، يا كريتون؟

كريتون: أعتقد بأنّ القوانين تتكلّم بحق.

سقراط: ستقول القوانين بعدئذ: « تأمّل مليّاً، يا سقراط، إذا كنّا نتكلّم بحقّ وهو أنّك في محاولتك الهرب أنت ذاهب لتفعلَ لنا الأذى. هل هذا لأنّنا قمنا بإحضارك إلى العالم وتولّينا تنشئتك وتعليمك وأعطيناك كما أعطينا كلّ مواطن آخر حصّةً في كل خير كان يجب علينا أن نهبه، وأبعد من ذلك فإنّنا أعلنّا لكلّ أثيني بحسب الحريّة التي سمحنا له بها، من أنّه إذا كان لا يحبنا، نحن القوانين، فعندما يبلغ سنّ النضج العقليّ وقد رأى أوضاع وعادات المدينة وتعرّف علينا شخصياً، كان بإمكانه أن يذهب حيث يريد وأن يأخذ ما يملكه معه. لا أحد منّا، نحن القوانين سيمنعه، أو يتدخّل معه أو مع أيّ شخص لا يحبّنا ولا يحبّ المدينة، والذي يريد أن يهاجر إلى أيّة مستعمرة أو أيّة مدينة ثانية؛ يمكنه أن يذهب حيث يشاء، ويصطحب معه كلّ ما يملك. لكن من لديه الخبرة أو معرفة الأسلوب الذي ننظّم به العدل وندير الدولة، ولا يزال مقيماً بيننا، فهو بعمله هذا إنّما دخل في عقدٍ معنا وفهم ضمناً أنّه سيفعل كما نأمره. وأنّ مَنْ يعصينا يكون، كما نؤكّد، مخطئاً مراتٍ ثلاثاً؛ أوّلاً لأنه في عصيانه فهو إنّما لا يطيع والديه؛ ثانيا، لأنّنا نحن موجدو تعليمه؛ ثالثاً، لأنّه ما دام أنّه قد عقد اتفاقية معنا بأنّه سيطيع أوامرنا كما ينبغي، فهو لم يطعها ولم يقنعنا بأنّ أوامرنا ظالمة. وبرغم ذلك فنحنَ لا نأمر بطاعةٍ منجزة من غير اعتراضٍ وبقسوة، بل نمنحه الخيار، فإمّا أن يطيعنا أو يقنعنا بوجهة نظره، ذلك نحن ما نقدّم ونعرض، وأما هو فلم يفعل أيّاً منها ».

« هذه هي أنواع الاتهامات التي ستتعرّض لها، يا سقراط، إذا أنجزت مقاصدك، كما كنّا قائلين؛ وأنت فوق كل الأثينيين ». إفترض أنّني أَسأل الآن، لماذا أنا بدلاً من أيّ شخصٍ آخر؟ فالقوانين سوف تردّ عليَّ الشيء

بمثله وتقول لي: إنّي أنا فوق كلّ الأثينيين الآخرين اعترفت بالاتفاق وسلّمت بصحّته. ستقول هي أيضاً: « هناك برهان واضح، يا سقراط، أنّنا لم نكن ولا مدينتنا مثيرى استيائك. لقد كنت أكثر الأثينيين لبثاً في المدينة التي ما دامت لم تغادرها أبداً، فيمكن افتراضك لذلك أنك تحبها[٣٠]. فأنت لم تذهب خارج أثينا قط إمّا لترى الألعاب الأولومبيّة، ما عدا مرّة واحدة عندما ذهبت إلى ايسثموس، أو أي مكان آخر إذ كنت في الخدمة العسكريّة؛ لا ولم تسافر كما يفعل الرجال الآخرون. ولم تتملّكك أية فضوليّة لتتعرّف على الدول الأخرى وعلى قوانينها. إنّ عواطفك وميولك لم تتعَدَّنا ولم تذهب إلى ما وراء حدود دولتنا. إنّنا كنا المفضَّلين عندك، ونحن من آثرت بشكلٍ خاص، وقبلت أنت بحكومتنا لتحكمك. وهنا في هذه المدينة أنجبت أطفالك، وهذا برهان على قناعتك بالعيش فيها. علاوة على ذلك، كان بإمكانك في مجرى المحاكمة، إذا أحببت، أن تعيِّن العقاب بالإبعاد والنّفي؛ كان بإمكانك آنئذ أن تفعل برضى الدولة ما أنت عازمٌ على فعله بدون رضاها وقبولها. لكنّك تظاهرت بأنّك تفضل الموت على النفي[٣١]، وأنّك لم تكن ولم تُبدِ أيَّ احترامٍ لنا نحن القوانين، التي أنت مدمِّرها، وتفعل ما سيقوم به أيّ عبدٍ شقيٍّ فقط، هارباً ومدبراً على المواثيق والاتفاقات لمواطنيتك في قولك إنّك وافقت على أن تعيش تحت سلطة حكومتنا بالمأثرة والعمل، وليس بالكلمات فقط » هل هذا حقيقي أو أنّه عكس ذلك؟ كيف سنجيب، يا كريتون؟ ألا يجب أن نوافق؟

كريتون: لا نستطيع سوى الموافقة، يا سقراط.

سقراط: ألن تقول القوانين بعدئذ: « أنت، يا سقراط، تخرق المواثيق والاتفاقات التي عقدتها معنا في وقت فراغك بدون أيّ إكراهٍ أو خداع أو في تنفيذ عجول، بل بعد أن كان لديك سبعون سنة كي تفكّر بها، وكانت لك

الحريّة التامة أثناء هذا الوقت لتغادر المدينة، إذا لم نكن بمستواك وإذا بدت مواثيقنا لك أنّها غير عادلة. كان لك حقّ الاختيار، وكان بإمكانك أن تغادر إلى لاقيدايمون أو إلى جزيرة كريت، هاتين الدولتين اللتين غالباً ما أثنيت عليهما بسبب حكومتيهما الصالحتين، أو إلى دولة هيلينيّة أخرى ما أو إلى دولة غريبة، في حين أنّك أنت، فوق كلّ الأثينيين، تبدو بأنّك مُغرم بهذه الدولة. وحُكْمَاً بنا نحن قوانينها على نحوٍ بيّن « إذ مَن سيهتمّ بشأن دولةٍ بدون قوانين »؟ إنَّ ذلك ما لم تثره أبداً عليها. إنّ العُرج، العميان، والمقعدين لم يكونوا أكثر استقراراً فيها منك. والآن فإنّك ترفض أن تلتزم بالاتفاقات التي أبرمتها معنا. لا تنفِّذ ذلك، يا سقراط، إذا كنت ستأخذ بنصيحتنا. لا تجعل من نفسك أضحوكةً بمغادرة المدينة.

« تأمَّل مليّاً تماماً، إذا أنت انتهكت القوانين ونقضت العهود بطريقة من هذا النوع، فأيّ خيرٍ ستؤدّيه، لنفسك أو لأصدقائك؟ إنّ أصدقاءَك سيكونون في خطر لكونهم منقادين إلى المنفى ومجرّدين من جنسيتهم، أو لفقد ممتلكاتهم. إنّ ذلك هو شيء مؤكّد وممكن الاحتمال؛ وأنت نفسك، إذا فررت إلى واحدة من المدن المجاورة، كمثال، إلى طيبة أو ميغاري اللتين تُحكمان جيّداً كليهما، فإنّك ستأتي لهما كعدوٌ لحكومتيهما وسينظر إليك كلّ مواطنيها الوطنيين شَزْراً كهادمٍ للقوانين، وستعزّز أنت في عقول القضاة عدل إدانتهم الخاصّة لك لأنَّ مَنْ يفسد القوانين هو أكثر مَنْ يفسد الشباب بالاحتمال. هل ستفرٌ عندئذ من دولٍ حسنة التنظيم ومن رجالٍ أفاضل؟ وهل يكون البقاء جديراً بالامتلاك على هذه الشروط؟ أو هل ستذهب لها بدون خجل، وتتحدّث لها قائلاً... وماذا ستقول لها؟ هل ستقول ما قلته هنا عن الفضيلة والعدل والمجتمعات والقوانين كونها أفضل الأشياء بين الرجال؟ هل سيليق ذلك بسقراط؟ لا بالتأكيد. لكنّك إذا ذهبت بعيداً من

دولة حكمها جيد إلى أصدقاء كريتون في صقليّة، حيث هناك فوضى عظيمة وفجور، سيكونون هم مفتونين ليسمعوا قصّة هربك من السجن، بادياً للعيان بخاصيّات مضحكة للأسلوب الذي تدثّرت به، وذلك بتغطية جسدك بجلد ماعز أو بتقنّعٍ وتنكّرٍ في نمطٍ آخر، أو مغيّراً مظهرك تغييراً صارخاً مثل طريقة الهاربين؛ لكن ألن يوجد شخص ليذكّرك في كِبر سنّك، عندما تُرك لك وقتٌ قصيرٌ من الحياة، إنّك لم تستحِ أن تخالف القوانين الأكثر قداسة من رغبة شرهة للتعلق بالحياة؟ لربما لا، إذا حفظتها في مزاجٍ صالح؛ لكنّها إذا كانت مزاجيّة الطبع حادّة الانفعال فإنّك ستسمع العديد من الأشياء المهينة. إنّك ستعيش، لكن كيف؟ - متزلفاً لكلّ الرجال، وخادماً لهم جميعاً؛ وفاعلاً ماذا؟ - مرتحلاً بترفٍ في صقليّة، وما ارتحالك في الخارج إلاّ كي تمكن من الحصول على وجبة طعام؟ وأين ستكون بشأن العدل والفضيلة؟ أتقول بأنّك تريد أن تعيش لأجل أطفالك - تريد أنت أن تربّيهم وتعلمهم - فهل ستأخذهم إلى صقليّة وتجرّدهم من الجنسيّة الأثينيّة؟ أهذه هي الفائدة التي ستمنحهم إيّاها؟ أو هل أنت تتوهّم أنّهم سيكونون بعناية أفضل وتعليمٍ أحسن هنا إذا بقيت على قيد الحياة، وغائباً عنهم مع ذلك لأنّ أصدقاءَك سيهتمّون بهم؟ لا؛ لكن إذا كان الذين يسمُّون أنفسهم أصدقاء هم صالحين لأيّ شيء، سيفعلون ذلك - لتكن متأكّداً بأنهم سيفعلون.

« إستمع لنا إذن، يا سقراط، نحن مَنْ ربّاك، لا تفكّر في الحياة والأطفال أوّلاً وفي العدل بعدَ ذلك، بل فكّر في العدل قبلَ كلّ شيء، كي تتمكّن من تبرئة وصيانة نفسك أمام أمراء العالم السفليّ، لأنّك لن تكون أسعد أو أكثر تُقىً أو أعدل في هذه الحياة، لا ولا أيٌّ ممن يخصُّك، إنّكم لن تكونوا سعداء في الحياة الأخرى إذا فعلت كما يأمرك كريتون، مقاسياً الشرّ وليس

قائماً به؛ ضحيَّة الرجال، وليس القوانين. لكنّك إذا تركت المدينة، مقابلاً الشرّ بالشرّ والأذى بالأذى بشكلٍ دنيء، ناقضاً للعهود والاتفاقات التي أبرمتها معنا، ومؤذياً أولئك الذين يلزم أن تؤذيهم بشكلٍ أقل، بمعنى، نفسك، أصدقائك، بلادك، ونحن، إنّنا سنكون غاضبين عليك طالما حييت، ولن تمنحك أخوتنا القوانين في العالم السفليّ ترحيباً صدوقاً لأنّها ستعرف أنّك فعلت أفضل ما تقدر عليه كي تدمِّرنا. إستمع، إذن، لنا ولا تبالِ بما قاله كريتون ».

إنّ هذا هو الصوت، يا عزيزي كريتون، الذي يبدو أنّني أسمعه هامساً في أذنيّ، مثل صوت الناي الذي يهمس في الآذان ذات الطقوس السّريَّة. أقول، إنّ ذلك الصوت يطن في أذنيّ ويمنعني من سماع أيِّ صوتٍ آخر. كن متأكّداً، إذن، أنَّ أيّ شيءٍ أكثر يمكن أن تقوله كي تهزّ هذه الثقة أو تزعزع هذا الإيمان، فإنّما عبثاً سيُقال. ومع ذلك تكلَّم، إذا كان لديك أيّ شيء لتقول.

كريتون: ليس لديَّ شيء لأقوله.

سقراط: إنَّ ما قيل هو كافٍ، يا كريتون، دعنا ننفِّذ مشيئة الله، ونتبع حيث يهدي ويرشد.

محاورة فيدون

افكار المحاورة الرئيسيَّة

يقصّ فيدون على ايخيكريتس وفيلوس المحاورة التي جرت بين سيمياس وسيبس من طيبة، وبين سقراط عندما كان في سجنه قبل وفاته بساعات قليلة. سأل ايخيكريتس فيدون أن يروي له ماذا جرى في تلك الساعات الحاسمة، كيف كانت طريقة وفاة سقراط، لأنّه وأصدقاءه لم يفهموا لماذا نُفِّذ فيه حكم الإعدام بعد وقت طويل من إدانته، كلّ ما سمعوه أنّه توفّي شارباً السمّ فقط.

قال فيدون، إنّ سبب تأخير حكم الإعدام بسقراط، هو أنّ السفينة التي اعتاد الأثينيون على إرسالها إلى جزيرة ديلوس كُلِّلت قبل محاكمة سقراط بيوم واحد، والتي تدوم رحلتها ذهاباً وإياباً أكثر من شهر. أمّا سبب إرسالها فهو أنّه عندما ذهب ثيسيموس إلى جزيرة كريت، حسب عادة الأثينيين، اصطحب معه « الأربعة عشر » وبما أنّهم أَنقذوا أنفسهم خلالها ونجوا، فإنّهم أقسموا لأبوللو أن يرسلوا بعثة سنويّة إلى جزيرة ديلوس، وأن لا يدنّسوا المدينة بأيّة إعدامات أو إراقة دماء حتى إتمام هذه الرحلة.

سأله ايخيكريتس، كيف كانت طريقة موته؟ ماذا قيل وماذا فُعل؟ وأيٌّ من أصدقائه كان معه؟ أو أنّ السلطات منعتهم من الحضور، ولهذا لم يكن أحد من أصدقائه موجوداً؟

لا، يا ايخيكريتس، بل إنّ بعض أصدقائه كانوا معه، وهم كثرٌ في الواقع، ما عدا أفلاطون الذي كان مريضاً. أقول لك إنّه توفّي بدون أيّ خوف، وكانت كلماته وتصرّفاته جدّ نبيلة ومهذّبة، وبدا لي مباركاً وسعيداً، وأدركت أنّه بذهابه إلى العالم الآخر لا يمكنه أن يفعل ذلك بدون دعوة إلهيّة ورضىً إلهي. كنا

منهمكين خلال الساعات الباقية التي قضيناها معه، كنّا مشغولين في البحث الفلسفيّ، وكان سقراط هادئاً كما هو طبعه في كل حين. أمّا نحن فكانت مشاعرنا مهتزّةً بشكل كبير لهذا الحدث الجلَل، ألاَ وهو قرب فقد أعقل الرجال.

وما الذي تكلمتم بشأنه، يا فيدون؟

جئنا إلى سقراط في سجنه ذلك اليوم باكراً جداً، وأمرنا السجّان عند وصولنا أن ننتظر حتّى يستدعينا « لأنّ الأحد عشر هم مع سقراط الآن، وسيفكّون قيوده، وأعطوا الأوامر بأن يُعدم اليوم ». عاد السجّان إلينا وقال، إنّه بإمكاننا أن ندخل. وجدنا سقراط لتوّه محرَّراً من أغلاله، وكانت زوجته بجانبه ثم غادرت بعد برهة. بينما كان سقراط جالساً على السرير انحنى وفرك ساقه، وقال: كم هو فريد ذلك الشيء الذي يسمّيه الجنس البشري اللّذة، وكيف هي متصلة بالألم بغرابة، بل هي مضاد له. إنّ لهما جسدين اثنين، لكنّهما متصلان برأسٍ واحد، ولا أقدر إلاَّ أن أعتقد بأنّه إذا تذكّرهما آيسوب، فإنّه سيؤلّف خرافة عن الله لتسوية خلافاتهما. وكيف سيفعل ذلك بسبب عدم قدرته على تحقيقه لأنّه أوثقَ رأسيهما معاً، ولهذا فهما عندما يأتي أحدهما يتبع الآخر.

أجاب سيبس بُعيد ذلك، إنّني مسرور جداً، يا سقراط، لأنّك ذكرت اسم آيسوب. إنّه يذكّرني بسؤال طرحه العديد من الرجال، هُمْ وأنا معهم نريد أن نعرف السبب الممكن تصوّره. لِمَ تقلب خرافات آيسوب إلى قطعة نثريّة وتنظم هذه الترتيلة لأبوللو، وأنت الذي لم تكتب سطرَ شعرٍ قبلاً أبداً؟

قال سقراط: قل له، يا سيبس، إنّ الحقيقة هي أنّه ليس لديَّ فكرة كي أُنافسه أو أباري قصائده، وإذا ما فعلت ذلك فلن يكون عملاً سهلاً بأيّة حال. لكنّني حاولت أن أقنع ضميري بخصوص شكٍّ ساورني من جرّاءِ تلميحات أتت إليَّ في الأحلام خلال حياتي « ذلك كي أؤلّف موسيقى ». وما قصدُ الحلم إلاَّ تشجيعي على دراسة الفلسفة التي قد كانت مهنة ومسعى حياتي وهي أنبل وأفضل

موسيقى. ولهذا أردت أن أنظم قليلاً من أبيات الشعر قبل أن أغادر، وسأنظم ترتيلة لإله العيد بادىء ذي بدء، وسأتأمّل مليّاً الشاعر بعدئذ، إذا كان هو شاعر حقاً، لهذا أقتبس بعض أساطير آيسوب، وأحوّلها إلى مقاطع نثريّة. قل هذا لإيفينوس، يا سيبس، وودِّعه بإحدى صيغي هذه. قل له بأنّني أريده أن يأتي بعدي إذا ما كان إنساناً حكيماً، وأن لا يتوانى في تحقيق ذلك. وبما أنّ اليوم هو موعد ذهابي المحتمل، فالأثينيون يقولون إنّ هذا ينبغي إنجازه. وبما أنّ إيفينوس هذا هو فيلسوف، فله النّفس الفلسفيّة، وهو على استعدادٍ لأن يموت، لكن ليس مسموحاً له أن يأخذ حياته بيده لأنّ هذا مؤكّدٌ بأنّه غير قانوني ومحظور.

تساءَل سيبس: لماذا تقول، يا سقراط، إنّه لا ينبغي على إنسانٍ أن يأخذ حياته الخاصّة، لكنّ الفيلسوف سيكون جاهزاً ليتبع الفيلسوف الذي يموت؟

قال سقراط: أو لم تسمعا يا سيبس وسيمياس، فيلولوس يتكلّم بذلك، وأنتما من رفاقه وأتباعه؟ إنّ كلماتي هذه ما هي إلاّ صدىً لِما يقول. هناك التعليم الذي يهمس في السرّ، وهو أنّ الإنسان يكون سجيناً، الإنسان الذي لا يمتلك الحقّ كي يفتح الباب ويولّي الأدبار. إنَّ هذا هو سرٌّ عظيم لا يمكن فهمه بسهولة. ومع ذلك فإنّي أعتقد بأنّ الآلهة هم حماتنا، وأنّنا نحن الرجال ملكهم المنقول. وعلى الإنسان أن ينتظر، وأن لا يأخذ حياته بنفسه إلاّ إذا أرسل الله إكراهاً ما كهذا الذي وقع عليّ الآن.

أجاب سيبس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ هناك صدقاً وحقّاً فيما تقول، لكن كيف يمكنك أن توفّق بين هذا الاعتقاد الحقيقيّ البادي للعيان وهو أنّ الله حارسنا، وأنّنا نحن منقولاته، وبين الرغبة والإرادة التي لا تعرف التذمّر لأن تموت والتي نسبتَها الآن إلى الفيلسوف لتوّك؟ إنّ الإنسان العاقل سيريد أبداً أن يكون مع مَنْ هو أفضل منه، وخاصة مع الآلهة الذين هم أفضل الحكام لأن الإنسان يعتقد بالتأكيد أنّه عندما تُطلق حريّته سيكون قادراً على أن يقوم بالاعتناء بنفسه بشكل

أفضل. يبدو هذا أنّه عكس ما قد قيل منذ برهة، وبناءً عليه فإنّ على الإنسان العاقل أن يحزن وعلى الغبيّ أن يبتهج في الانتقال من هذه الحياة.

أضاف سيمياس قائلاً، إنّ ما قاله سيبس، يا سقراط، له بعض القوّة، وهو يشير لك بكلامه هذا. يعتقد هو بأنّك جاهزاً لتتركنا ومستعدٌّ لأن تغادر الآلهة الآخرين الذين اعترفت بهم أنّهم أسيادنا ومعلمونا الأخيار.

قال سقراط: نعم يوجد عدل فيما تقول. وهكذا تعتقد أنت بأنّ عليَّ أن أجيب على اتهامك كما لو كنت في محكمة عدل. لذا ينبغي أن أقوم بتهيئة دفاع أمامكما أكثر نجاحاً من ذلك الذي قمت به أمام القضاة. أعترف لكما، يا سيمياس وسيبس، أنّني أفعل الخطأ في مقابلتي الموت بدون استياء، إذا لم أقتنع في المقام الأوّل بأنّي ذاهب إلى الآلهة الآخرين الذين هم حكام وأخيار، وهذا أنا متأكّدٌ منه جيّداً، برغم عدم تأكّدي من أنّ الرجال الذين سأقابلهم سيكونون أفضل من الذين أعيش معهم الآن، ومع ذلك فأنا لا أزال أمتلك أملاً جيّداً بأنّه ما يزال للمتوفّين شيء ما. وكما قد قيل منذ القدم، أفضل بعيد للخيِّر ممّا هو للشرّير.

أجاب سيبس، لكنْ هل تعني بأنّك تصطحب أفكارك معك، يا سقراط؟ أوَ لَن تنقلها لنا؟ إضافة إلى ذلك إذا نجحت في إقناعنا بما تقول، فسيكون هذا جواباً على التهمة الموجَّهة لك.

قال سقراط: أوه يا قضاتي، أرغب بأن أبرهن لكم أنّ الفيلسوف الحقيقي لديه سببٌ كي يهلّل ويستبشر عندما يوشك على الوفاة، ويمكنه أن يأمل في الحصول على الخير الأعظم في العالم الآخر بعد ذلك. إنَّ الفيلسوف هو المهيَّأ كي يلاحق الموت على الدوام؛ وإذا كان هذا كذلك، وكانت لديه رغبة الموت طوال حياته كلّها، فلماذا عليه أن يتبرّم من ذلك الذي قد لاحقه وكان توّاقاً له على الدوام؟ وأقول لكما إنَّ الموت ما هو إلاَّ انفصال الروح والجسد تماماً. وموتك يعني إتمام ذلك عندما توجد الروح بنفسها وتُعتق من الجسم، ويُفكُّ الجسد عنها. أُسلِّم بأنّ

هذا ما قُصِد بالموت. وأؤكد لكما أنّ الحقيقة الصادقة تُكتشف بالفكر فقط، ويكون الفكر أفضل حينما يكون العقل منسجماً مع نفسه ولا تزعجه الأصوات ولا المشاهد ولا الآلام، ولا أيّة لذّة على الإطلاق. والصفة المميِّزة للفيلسوف هي أن يزدري الجسد لأنّ الجسد يمنعه ويمنعنا جميعاً من إدراك الحقيقة ومن كنه الطبيعة الحقة لكلّ شيء، بل إنّ الرؤيا العقلية هي التي تمتلك الإدراك الأكثر دقّةً لجوهر كلّ شيء، والعقل وحده هو القادر على اكتشافها بدون أعضاء الجسد والعينين والأذنين. ومَنْ، إذا لم يكن الفيلسوف، مَنْ يكون قادراً ليصل إلى معرفة الوجود الحقيقيّ على الأرجح؟ إنّ الروح بذاتها يجب أن تَرى الأشياء كما هي بأنفسها، وعندئذ سننال ما نتمنى، أي الحكمة، التي ندّعي أنّنا أحبّاؤها. وننال ذلك ليس ما دامت لنا الحياة، بل كما تبيِّن المحاورة، بعد الموت فقط. إنّ الفلاسفة الحقيقيين، وهم وحدهم، ينشدون أن يُعتِقوا الروح. أليس الانفصال وعتق الروح من الجسد دراستهم الخاصّة؟ ولهذا لا يتذمّرون عندما يحلّ عليهم الموت، وأنّ الموت هو الأقلّ رهبة لهم من كلّ الرجال. وحينما نرى إنساناً يشكو عند اقتراب الموت، ألا يكون نفوره هذا برهانا كافياً أنّه ليس محبّاً للحكمة بعد كلّ شيء، بل محبٌّ للجسد، وربّما محبٌ للمال أو القوة أو لكليهما؟ أليست الشجاعة أكثر صفةٍ مميّزةٍ للفيلسوف؟ أو ليس الاعتدال فضيلةً تختصّ بأولئك الذين يأنفون الجسد ويزدرونه فقط والذين أمضوا حياتهم في الفلسفة؟ أليس ثمّة قطعة نقدية واحدة، يا عزيزيَّ سيمياس وسيبس، هي التي ينبغي مبادلة كل ملذّات الجسد ومساوئه بها وهذه القطعة النقدية هي الحكمة ونصل إليها عن طريق رفقة مع الشجاعة أو الاعتدال أو العدل فقط؟ ويمكن أن تكون الحكمة نوعاً من المعموديّة في تطهير الروح. إنّ موجدي الأسرار سيبدون أنّهم امتلكوا معنىً حقيقياً لها، ولم يكونوا خُلْواً من الإدراك عندما لمّحوا في شكل استعارة منذ الأزل، أنّ مَنْ ينتقل إلى العالم السفليّ غير مطهَّرٍ وغير عارفٍ وغير مطّلعٍ سيُرمى منبوذاً في الأرض الموحلة، لكنّ مَن

يصل إلى هناك بعد الاطلاع والتكريس والتطهير سيسكن مع الآلهة. ولهذا السبب أجيب بأنّني محقّ، يا سيمياس وسيبس، في عدم أساي وتذمّري على فراقكم وفراق أسيادي ومعلميّ في هذا العالم لأنّني أعتقد بأنّي سوف أجد معلّمين وأصدقاء في العالم الآخر بشكل مختلف.

عندما انتهى سقراط من كلامه، بدأ سيبس بالحديث، وقال: أوافقك، يا سقراط، في الجزء الأكبر ممّا تقول، لكن فيما يختصّ بالروح، فالرّجال عرضةٌ لأن يشكّوا. يخافون هم، من أنّ الروح عند مغادرتها الجسد فإنّ مكانها يمكن أن لا يكون في أيّ مكان، وأنّه يمكنها أن تفنى في اليوم المحدَّد للموت وتصل إلى نهايةٍ حالَ عتقها من الجسد، منطلقةً مثل الدخان أو النَفَسِ، مشتّتةً ومبدَّدةً إلى لا شيء في طيرانها. ونحتاج بكلّ تأكيد لمقدارٍ كبيرٍ من القدرة على الاقتناع والبرهان لنرى أنّه عندما يموت الإنسان فإنّ روحه تبقى برغم ذلك، وتمتلك أيّة قوّة وتفكير.

أجابه سقراط: حقّاً، يا سيبس، وإنّني سأقترح كي نتأمّل معاً فيما يخصّ احتمالات هذه الأشياء. دعنا إذن، نتأمّل مليّا القضية بمجملها، ليس بالنسبة إلى الإنسان فقط، بل بالنسبة إلى الحيوانات بشكلٍ عامّ، وإلى النباتات وإلى كلّ شيء فيه توالدٌ، وسيكون الجواب أسهل. ألا تتولّد كلّ الأشياء التي لها مضادّات، ألا تتولّد من مضادّاتها؟ أعني أشياء كالجمال والقبح، العدل والظلم ـ وهناك حالات أخرى لا تحصى من ذلك. دعنا نتأمل لذلك إذا ما كان ضرورياً أنّ شيئاً يجب أن يأتي إلى الوجود من ضدّه الذي يخصّه، إذا كان له واحد، وليس من أيّ مصدرٍ آخر. كمثال، أيّ شيءٍ يصبح أكثر يجب أن يصبح أكثر بعد كونه أقلّ، ويتولّد الضعيف من الأقوى، والأسرع من الأبطأ، والأسوأ من الأفضل، والأكثر عدلاً من الأكثر ظلماً. ويكون هذا حقيقياً عن كل المتضادّات. وفي هذا التضادّ العالمي لكلّ الأشياء، ألاَ توجد أيضاً عمليتان متوسّطتان مستمرّتان على الدوام: من المضادّ الواحد إلى الآخر، وعائدتين مرّة ثانية. كمثال، حيث يوجد أكثر وأقلّ توجد أيضاً العملية المتوسّطة للزيادة والنقصان، وهكذا يُقال إنّ شيئاً يزيد أو ينقص. وتوجد

عمليّاتٌ أخرى متعدِّدة، مثل التحليل والتركيب، التبريد والتسخين، اللتين تستلزمان انتقالاً من حالة إلى أخرى. ويثبت هذا عن كلّ المتضادات بالضرورة، ومع هذا فإنّ ذلك لا يُعبَّر عنه بكلمات دائماً ـ إنّ هذه المتضادات متولِّدة حقّاً بعضها من بعض، وثمّة انتقال أو تقدّم من واحدها إلى الآخر. كذلك يوجد مضادٌّ لكونك حيّاً، كما يكون النوم مضادّاً لكونك مستيقظاً، ومضادّ الحياة هو الموت، وهما متولّدان بعضهما من بعض ولهما عمليّتان وسطيتان أيضاً. والآن فإنّني سأحلِّل لك واحداً من المتضادَّين اللّذين ذكرتَهما لك، وسأحلِّلُ أنا أيضاً إحدى عمليتيهما الوسطيتين، وأنت سوف تحلِّلُ الأخرى لي. إنّ العضوين الإثنين للثنائيّ الأوّل هما النوم واليقظة، وحالة النوم هي مضادّة لحالة اليقظة، وتتولّد اليقظة من النوم، والعكس بالعكس؛ وتكون عملية الولادة في الحالة الواحدة ساقطاً نائماً، وفي الأخرى مستيقظاً. هل توافق، يا سيبس؟

إنّني أوافق على ما قلته، يا سقراط.

قال سقراط: إفترض أنّك تحلِّلُ لي الحياة والموت بالأسلوب عينه، ألاَ تضادّ حالة الموت حالة الحياة؟ وهما متولّدتان إحداهما من الأخرى، ويتولّد الحيّ من الميّت، والميّت من الحيّ. ويكون الاستنتاج أنّ الأرواح توجد في العالم السفليّ. إنّ عملية الموت مرئيّة، أمّا عملية العودة إلى الحياة فهي غير مرئيّة، وهي ولادة الأموات إلى عدد الأحياء. وهناك طريقة جديدة نصل بواسطتها إلى الاستنتاج بأنّ الأحياء يأتون من الأموات، تماماً مثلما يأتي الأموات من الأحياء؛ واتفقنا نحن بأنّ هذا إذا كان حقيقيّاً، سيكون برهاناً كافياً على أنّ أرواح الموتى يجب وجودها في مكانٍ ما خارج المكان الذي تأتي إليه مرّة ثانية. وهذه الاعترافات لم تكن خاطئة، يا سيبس، وأعتقد أنّه يمكن تبيين ذلك بما يلي: إذا كان التولّد في خطٍّ مستقيم، ولم يكن هناك تعويض أو دورةٌ في الطبيعة، لا دوران أو عودة العناصر إلى أضدادها، فإنّ كلّ شيءٍ عندئذ سيكون له، أخيراً، الشكل عينه ويعاني القدر نفسه، ولن يكون منه أيّ تولّد بعد اليوم. إذا لم يوجد تبديل لليقظة والنوم،

كمثال، فإنّ قصّة آنديوم النائم لن يكونْ لها أيّة غاية في النهاية لأنّ كلّ الأشياء الأخرى ستكون نائمة أيضاً، ولن تتميّز هي من الأشياء الباقية. أو إذا وُجد تركيب فقط، ولم يكن هناك تحليل للموادّ، بعدئذ سيكون لدينا قريباً شواش أناكساغوراس حيث « كانت كل الأشياء معاً ». وفي أسلوبٍ مماثل، يا عزيزي سيبس، إذا كانت كلّ الأشياء التي تشترك في الحياة لتموت، وأن تبقى بعد موتها في شكلٍ ميّت، ولن تأتي إلى الحياة مرّة ثانية، فإنّ كلّ شيء سيموت أخيراً، ولا شيء سيحيا ـ أيّة نتيجة أخرى يمكن أن توجد؟ لأنّه إذا كان لدى الأشياء الحيَّة أيّ أصلٍ آخر، وأنّ الأشياء الحيّة تموت، ألا يلزم أن تُبتَلَع كلّ الأشياء في الموت أخيراً؟

لا يوجد هروب، يا سقراط، وتبدو محاورتك لي أنّها محاورة حقيقية على نحوٍ قاطع، أجاب سيبس.

قال سقراط: نعم، يا سيبس، إنّها لكذلك ويجب أن تكون هكذا، في رأيي،.ونحن لم نضلِّل أحداً بإدلائنا بهذه الاعترافات، لكنّني واثق بأنّه يوجد هكذا شيء بحق كالحياة مرّة ثانية، وأنّ الأحياء يبرزون إلى الوجود من الأمْوات، وأن أرواح الموتى موجودة.

أجاب سيبس مقاطعاً: نعم، إنّ تعليمك المفضَّل، يا سقراط، وهو أنّ علمنا يكون تذكّراً بكلّ بساطة. وإذا كان هذا التعليم صحيحاً فإنّه يدلّ ضمناً بالضرورة أيضاً على زمنٍ سابق للزمن الذي تعلّمنا فيه ذلك الذي نتذكّره الآن. لكنّ هذا سيكون مستحيلاً إلا إذا قد كانت أرواحنا في مكانٍ ما قبل وجودها في هذا الشكل الإنسانيّ. يوجد هنا برهان آخر على خلود الروح.

قاطعه سيمياس قائلاً: لكن قل لي، يا سيبس، أيّة محاورات تُدفع بقوة في خدمة تعليم التذكّر هذا؟ إنّي لست متأكّداً بأنّني أتذكّرها في هذه اللحظة.

قال سيبس: إنّ برهاناً واحداً ممتازاً، يُمنح بالأسئلة. كمثال، إذا طرحت سؤالاً على شخص بشكل مناسب، فهو سيعطيك جواباً حقيقياً عليه. لكنّه كيف يستطيع

فعل ذلك ما لم توجد معرفة وتعليلٌ صحيحٌ للقضيّة التي تُناقش قبل الآن؟ مرّة ثانية، فإنّ هذا يُبيَّن بشكلٍ واضح عندما يؤخَذ هذا الشخص إلى رسم تخطيطيّ، أو إلى أيّ شيء آخرَ من هذا النوع.

استطرد سقراط: لكنّك إذا كنت لا تزال شكوكياً، يا سيمياس، إلى درجة أنّك لا تعتقد ما إذا كان الذي يسمَّى معرفة يعتبر تذكّراً، فإنّني سأبرهنه لك.

أجابه سيمياس: إنّني لست شكوكياً ولا شاكاً، لكنّني لا أزال أحبّ سماع محاورتك بكلّ إيضاحاتها وتفسيراتها.

قال سقراط: علينا أن نتّفق، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ ما يتذكّره إنسان ينبغي أنه عرفه في زمنٍ سابقٍ ما، وعلينا أن نتّفق أيضاً على أن المعرفة التي ننالها في الطريقة التي أنا على وشك أن أصفها هي التذكّر. وهذا التذكّر هو عملية استعادة او استرداد ذلك الذي قد نُسي من قبلُ خلال الزمن وفي غفلة. وبعد أن شرحت لك طبيعة المتساويات النسبيّة والمطلقة في دعمٍ منطقيّ لهذه الفكرة، أقول إنّ هذه المتساويات، برغم اختلافها عن فكرة المساواة، حصلنا من طرحها على معرفة تلك الفكرة. ويلزم أنّنا عرفنا المساواة من قبلُ، وسابقاً الزّمن حينما رأينا الموادّ المتساوية أوّلاً، وتأمّلنا مليّاً أنّها تكافح كلها لتنال المساواة المطلقة لكنّها تقصّر عنها. يشتقّ من الحواس إذن، التصوّرُ والإدراك، وهو أنّ كلّ المتساويات المحسوسة تشير إلى مساواة مطلقة، وهي التي تقصّر عنها كلّ المتساويات تلك، كما قلت. وإذا نلنا هذه المعرفة قبل ولادتنا وولدنا ونحن نمتلك استعمالها، إذاً فإنّنا عرفنا قبل أن نولد وفي لحظة الولادة ليس المتساوي فقط أو الأكثر أو الأقلّ، بل كلّ الأفكار الأخرى كتلك؛ ونحن لا نتكلّم عن الولادة فقط، بل عن الجمال، الخير، العدل، التقوى، وعن كل ذلك الذي نَسِمُهُ باسم الوجود المطلق في العملية الجدليّة الديالكتيكيّة، حينما نسأل وعندما نجيب على الأسئلة على حد سواء. إنّنا نؤكّد عن كل هذا بيقين بأنّا اكتسبنا المعرفة قبل الولادة. لكن إذا لم ننسَ بعد اكتسابنا لها، ما

أحرَزناه في مناسبة، يجب حينئذ أن نأتي إلى الحياة ممتلكين هذه المعرفة على الدّوام. ولسوف نحوزها دائماً طالما بقيت الحياة لأنّ العارف يكون المكتسب والمتبقي والمتذكّر للمعرفة وليس فاقدها. أليس خسران المعرفة، يا سيمياس، هو ما ندعوه النسيان تماماً؟ لكن إذا فقدنا هذه المعرفة عند الولادة، والتي كسبناها قبلها، وإذا استعدنا ما عرفنا من قبلُ بعدئذ باستعمال حواسّنا، ألا تكون العملية التي ندعوها تعلماً، استردادَ واستعادةَ المعرفة التي هي طبيعية لنا؟ أوَ لاَ يمكن أن يُسمّى هذا تذكّراً بحقّ؟ ولهذا فإنّ أولئك الذين يقال عنهم إنّهم يتعلّمون هم يتذكّرون فقط؛ ويكون العلم تذكّراً بكَلّ بساطة. وبناءً عليه فإنّ أرواحنا لا شكّ أنّها وُجِدَت بدون أجساد قبل أن تتصورّ بالشكل الإنساني، ولا شكّ أنّها امتلكت ذكاءً. إنّ الحقائق، يا سيمياس، قد وُجدت قبل وجودنا وقبل ما يخصنا من ممتلكات.

أجاب سيمياس: إنّني لمقتنع بكلّ البراهين التي أعطيتها، يا سقراط.

سقراط: وهل سيبس مقتنع؟ لأنّ عليَّ أن أقنعه أيضاً.

أجاب سيمياس: أعتقد بأنّه مقتنع بما فيه الكفاية بأنّ الروح توجد قبل الولادة، لكنْ أنّها ستواصل وجودها بعد الموت فإنّ هذا ليس مُبرهناً حتى إلى قناعتي الخاصّة، ولا أستطيع التخلّص من الاعتراض الذي أشار له سيبس، وهو الخوف العامّ من أنّ الروح تتبدّد في اللحظة التي يموت فيها الإنسان. وبما أنّنا اعترفنا بأنّها يمكن أنّها أتت إلى الوجود وأنّها صِيغت من بعض المواد الأخرى التي لا تُعرف، وكانت موجودة قبل دخولها الجسد، فلماذاً لا تُدمَّر وتصل إلى نهاية بعد دخولها فيه وخروجها منه مرّة ثانية، أو مرّات عديدة؟

قال سقراط: لكنّ هذا البرهان، يا سيمياس وسيبس، قد تمَّ إعطاؤه لكما مسبقاً، ولا إعتراض لديّ إذا ما أردتما إجراء تحقيق دقيق بشأن المحاورة، إذ أنّ سيمياس مثل الطفل، تنتابه المخاوف من أنّ الروح عندما تغادر الجسد يمكن للريح

أن تشتتها وأن تبعثرها حقاً، خاصة إذا قُدِّر للإنسان أن يموت أثناء عاصفة عظيمة، وليس حينما يكون الطقس هادئاً. لنسأل، ألا يكون المركَّب والمؤلّف من عدة أجزاء بالطبيعة، ألا يكون عرضةً لأن ينحلّ، بما أنّه مركّب؟ لكنّ ذلك الذي لا يتألّف من أقسام عديدة، وذلك فقط، يجب أن لا ينحلّ. والمركَّب عرضة لأن يتغيَّر ويتبدَّل على الدوام، وهو عكس الأشياء كالمساواة، والجمال، أو أي شيء آخر، والتي هي حقيقية ولا تتغيَّر وتتبدل خلال الزمن، وقد أعطينا عن وجودها تعليلاً برهانيّاً في العملية المنطقيَّة الديالكتيكيَّة. إنَّ كلاً من هذه الحقائق لها الوجود الذاتي الموحَّد عينه وذو الطبائع التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل. إنّها لا تقبل التنوّع على الإطلاق، أو في أيّة طريقة، أو في أيّ زمن. إنَّ المركَّبات تستطيع لمسها ورؤيتها وتصوّرها بالحواس، لكنّ الأشياء اللامتغيرة يمكنك الإحاطة بها جيّداً وفهمها بالعقل. إنَّ المرئيّ يشبه الجسم واللامرئي يشبه الروح، والجسم يشبه المتبدّل والروح اللامتغيّر واللّامتحوّل. وعندما تتحّد الروح والجسد، فإنّ الطبيعة تأمر عندئذ بأن تحكم الروح وتسيطر، والجسد أن يُؤمَرَ ويطيع، والوظيفة الأولى تشبه الإلهي، بينما تشبه الثانية الفاني. لهذا فإنّ الروح تكون في شَبَهٍ لِمَا هو إلهي بالتحديد، وللخالد، والعاقل، والموحَّد، واللاقابل للذوبان، واللامتغير. والجسد هو في شَبَهٍ لِمَا هو إنساني بالتّحديد، وللفاني، وغير العاقل، والمتعدّد الأشكال، والقابل للانحلال، والمتبدّل. هل نقدر، يا عزيزي سيبس، أن نجد أيّة أرضيّة ممكنة لرفض هذا الاستنتاج؟ إذن ألاَ يكون الجسد عرضةً للانحلال السريع؟ أو لاَ تكون الروح تقريباً، أو جملةً، غيرَ قابلةٍ للانحلال؟ لذلك أقول، إنّ الروح ذاتَها غير مرئيَّة، تغادر إلى العالم اللّامنظور - إلى الإلهي والخالد والحكيم. تصلُ هناك، وهي آمنة في جنّة النعيم، وتتخلّص من أخطاء وغباوات الرجال، من خوفهم وشهواتهم الوحشيَّة المسعورة، ومن كلّ الشرور الإنسانية الأخرى. وكما يقولون عن المطَّلع والخبير، فإنّها تسكن في صحبة الآلهة إلى ما لا نهاية. وتكون عكس

ذلك الروح اللاطاهرة وغير النقيَّة. إنّ روحاً متغذيَّة بالفلسفة الحقيقية، لن تخاف أبداً من أن تتشتّت وتتبعثر بالرياح وأن لا تكون شيئاً أو أن لا توجد في أيّ مكان عند مغادرتها الجسد.

حينما أنهى سقراط كلامه، كان هناك صمتٌ جدير بالاعتبار؛ وبدا هو ذاته أنّه كان مستغرقاً في التأمّل، كما كان أكثرنا كذلك، فيما قد قيل، وسيمياس وسيبس وحدهما تكلّما مع بعضهما كلمات قليلة. حينما لاحظ سقراط ذلك سألهما ماذا يفكران بشأن هذه المحاورة، وإذا ما كان هناك أيّ موطن ضعفٍ فيها؟ لأنّ سقراط قال بأنّه لا يزال هناك العديد من النقاط الرئيسيَّة مفتوحةً للشكّ والهجوم. وقال لهما إذا كنتما تشعران بأيّ شكّ لا تترددا لا في إبداء أفكاركما الخاصّة إذا ما كان لديكما أيّ شعورٍ بها، كي ندخل أيّ تحسين تقترحانه عليها. وإذا اعتقدتما أنّكما ستحقّقان تقدّماً أكثر بمساعدتي، إسمحا لي أن أساعدكما.

أجاب سيمياس، ينبغي أن أعترف، يا سقراط، أن شكوكاً معيَّنة تنشأ في عقلينا، لكنّنا نخشى أن يكون إلحاحنا مزعجاً لك في وقتٍ كهذا.

قال سقراط مبتسماً: أوه يا سيمياس، ماذا تقول؟ إنّه لمَرَجِّح جدّاً من أنّني لا أقدر على إقناع الرجال الآخرين بأنّي لا أعتبر أنَّ حالتي الحاضرة وكأنها بليَّة إذا لم أستطع حتى إقناعكما. ألن تسلّما بأنّي أمتلك النفس النبويَّة فيَّ بقدر ما لدى الإوزّات؟ لأنّها هي عندما تدرك بأنّها يجب أن تموت، وبما أنّها غنّت في أوقاتٍ خلال حياتها، فهي تغنّي لوقتٍ أطول وأغنيات أجمل بكثير ممّا أدّته من صَدحٍ بشكل دائم، فَرِحةً في التفكير بأنّها على وشك أن تذهب إلى الله الذي هو وكيلها. لكنّ الرجال، ولأنّهم يخافون الموت، يؤكّدون عن الإوزّات افتراءً أنّها تغنّي نواحاً في وقتها الأخير، صرخة كَرْبٍ، غير معتبرين أنَّ لا طائر يغني عندما يكون مقروراً، أو جائعاً، أو متألماً. وأنا أيضاً، معتقداً نفسي أنني الخادم المكرّس لله ذاته، والخادم الرفيق للإوزّات، والمؤمن بأنّي تلقّيت من سيّدي ومعلّمي هبات النبوة،

سأغادر الحياة بحبورٍ أقلّ من الإوزّات هذه. لا تقلق إذن أبداً، بل تكلّم واسأل ما تريد، ما دام القضاة الأثينيّون الأحد عشر يسمحون بذلك.

أجاب سيمياس، أعتبر، يا سقراط، أنَّ إنساناً إذا لم يبرهن عن حقيقة ما يقول في مواضيعه بأقصى قوّته، وإنْ لم يختبرها من كلّ جانب، أعتبره جباناً. ولهذا عندما أتأمّل المحاورة مليّاً يبدو لي أنّها غير كافية في براهينها بكلّ تأكيد.

قال سقراط: لكن قل لي، يا صديقي، في أيّ منحى تُعتبر براهين المحاورة غير كافية؟

أجاب سيمياس: إفترض، يا سقراط، بأنّي أستعمل قياس التمثيل عينه عن العدد وتآلف الألحان فأقول: إنّ العود والخيطان هي مادة وأشياء ماديَّة، مركَّبة، أرضيَّة، مجانسة للفناء. وأنّ تناسب الألحان هي غير مرئيّ، غير ماديّ، تامّ، إلهيّ، موجود في العود وعندما يحطِّم شخص ما العود أو يقطِّع الخيطان، فإنَّ تآلف الألحان هذا قد فني وهلك قبل أن تفنى الخيطان. ألا يمكننا أن نقارن الروح بالنغم والجسم بالعود، وننسب الشيء عينه لهما فيما أوضحته؟ ولذلك فإنّها تفنى « أي الروح » بعد تحطّم الجسد، في ذلك الذي يُسمّى موتاً، فكيف سنجيبه؟

تطلّع سقراط فينا بثبات كما كانت طريقته وقال وهو يبتسم: إنّ لسيمياس مبرّراً لما قاله. وهناك قوّة منطقيّة في خطّ محاورته. وقبل أن نجيبه، من الأفضل أن نستمع لِمَا سيقوله سيبس، وفي ذلك نكسب وقتاً للتأمّل مليّاً. فما هو القلق الذي يساورك، يا سيبس؟

أجاب سيبس: أعترف بأنّ وجود الروح قبل دخولها الجسد قد تمَّ برهانه بشكلٍ حاذق ورائع؛ لكنّ بقاء الروح بعد الموت لم يتمّ برهانه بعدُ. ولا أنكر أنَّ الروح هي أقوى وأكثر بقاءً من الجسد. ألا يمكننا أن نفكّر بأنّها يمكن أن تفنى بعد تقمّصها لأجسادٍ عديدة وتُنهكَ في الولادات الشاقّة المتعاقبة المتتالية؟ ولذلك أريد برهاناً شاملاً ومفصّلاً بخصوص خلودها.

تملّكنا كلّنا شعور غير بهارٍ في سماع ما قالاه، بعد أن كنّا مقتنعين قبلاً وبثبات. وقال ايخيكريتس، أيّة محاولة يمكنني الوثوق بها مرّة ثانية، وما يمكن أن يكون أكثر إقناعاً من محاورات سقراط؟ سأسألك لذلك، يا فيدون، كيف تعقّب سقراط المحاورة؟ وكيف قابل هجومهما، وهل نجح في صدّ هذا الهجوم؟ قُصّ عليّ، من فضلك، ما مرّ وما جرى قدر ما تستطيع بالضبط.

قال سقراط: عليك أن تعتقد غير ذلك، يا صديقي الطّيبي، إذا كنت ما تزال تثبت أنّ التناغم هو شيء مركّب، وأنّ الروح هي تآلف ألحانٍ صُنعت من خيطانٍ وأُدخلت في جسد إنسان؛ لأنّك لن تسمح لنفسك أنْ تقول بالتأكيد إنّ التناغم هو مركّب ويوجد قبل العناصر الضرورية لتركيبه. إنّ التناغم لا يكون شبيهاً بذلك الشيء الذي تقارنه به؛ بل يوجد العود أوّلاً، والخيطان، والأصوات هي في حالة تنافر، وأُوجد التناغمُ بعدئذ، وهو الذي يفنى أوّلها. وكيف يمكن لتعليلٍ عن الروح مثل هذا أن يكون في توافقٍ وانسجامٍ مع طرحك السابق؟ ولهذا السبب لا يوجد تناغم في الفرضيتين الاثنتين، الأولى أنّ التعلّم هو تذكّر، والثانية أنّ الروح هي تآلف ألحان، وينبغي استبقاء واحدةٍ منها هي المؤيّدة بقواعد علم الجدل وبراهينه واستنتاجاته المنطقيّة.

أجاب سيمياس: إنّني أثبت الفرضيّة الأولى وأُسقط الثانية، يا سقراط.

قال سقراط: إنّ تآلف الألحان أو أيّ تركيب آخر لا يمكن أن يكون في حالةٍ غيراً من تلك العناصر التي يكون منها مركّباً، وهو لا يهدي الآجزاء أو العناصر التي تصنعه، متكلّمين بدقة، بل يتبعها فقط. وهكذا، فبعيدٌ عن الاحتمال أن يكون التناغم له أيّة حركة، أو صوت، أو أيّة نوعيّة أخرى هي مضادة لأقسامه أو أجزائه، وإذا كانت الروح تناغماً، فهي لن تمتلك أيّة رذيلة أبداً؛ لأنّ الإيقاع، كونه إيقاعاً، لا يمكنه أن يحوز قِسماً في اللاتناغم. وتُنقض هذه الفرضية بوجود الروح الخيّرة والروح الشريرة. وقل لي، يا سيمياس، أيُّ حاكمٍ يكون هناك لعناصر الطبيعة

الإنسانية غيراً من الروح، وخاصّة الروح العاقلة الحكيمة؟ وهل تكون الروح هذه في اتفاقٍ مع ميول وتأثيرات الجسد، أو أنّها في اختلافٍ معها؟ لقد اعترفنا سابقاً أنّ الروح إذا كانت تناغماً، لا يمكنها أن تطلق نغمةً أو علامة موسيقية في اختلافٍ وتباينٍ مع التوتّرات والاسترخاءَات والنقرات والتأثيرات الأخرى للخيطان التي يُشكِّل منها الإيقاع أو التناغم؛ يمكنها أن تتبع ذلك فقط، وليس بإمكانها ان تقود وترشد. لكنّ الروح ثبُت أنّها تفعل العكس بالضبط. فهي تقود العناصر التي يُعتَقد أنّها هي تركّبها وتُعدّها، وأنّها أكثر إلٰهيّة لتُقارَنَ بأيّ تناغم أو إيقاع.

أمّا فيما يختصّ بخلود الروح الأبدي، والذي يريد سيبس منّي أن أبرهنه، فهذا سؤال له حجم عظيم، ويجب أن تشمل الإجابة عليه الطبيعة ككلّ وسبب المجيء إلى الوجود والانقطاع عن أن تكون. وعلينا في بحثنا المنطقيّ هذا أن نفصل السّبب عن الحالة والتي بدونها لن يكون السّبب سبباً على الإطلاق. أعتقد أنّ الحالة هي التي يتلمّسها العديد في الظلام، ويخطئون فهمها، ويخطئون بتسميتها سبباً كذلك. إنّ مبدأ السببيّة هذا هو الذي أبتهج وأَفرح في أن أتعلّمه، وسأعرض المنهج الذي اتبعته كأسلوبٍ أفضل للتحقيق في السبب، وأنّ أفضل تحقيق أقوم به هو العودة إلى مجال العقل والتعقل وأبحث عن حقيقة الوجود هناك. سأحاول أن أبيّن لك نوعيّة السببيّة التي شغلت أفكاري. ولنسأل: أليس هناك جمالٌ مطلق وخيرٌ كليٌّ وعظمة وما شابه ذلك؟ وإذا كان أيّ شيء جميلاً فإنّه يكون جميلاً فقط بقدر ما يشترك في الجمال المطلق ـ وعليّ أن أقول الشيء عينه عن كلّ شيء، في الأعداد والأشكال وفي غيرها. وبعد أن بحثنا في هذه الفكرة الهامّة بحثاً منطقيّاً مُسهَباً، إذا ما سألتني، كي تستنتج الحقائق: « ما هي تلك الملازمة التي تجعل الجسم حارّاً »؟ فإنّني سأجيبك، النّار وليست الحرارة. وإذا ما سألتني، « لماذا يعتلُّ الجسم »؟ فلن أقول من السّقم بل من الحمّى، وبدلاً من أن أقول إنَّ المفرد هو سبب الأعداد المفردة، سأقول إنَّ الواحد هو سببها. وهكذا عن الأشياء

بشكل عامّ. وبناءً على ما تقدَّم فإنّ الملازمة التي تجعل الجسد حيّاً هي الروح، وكل ما تحتلُّه الروح، تأتي حاملة له الحياة. وثمّة ضدٌّ للحياة وهو الموت، والروح لن تسمح بالمضادّ الذي تحضره على الدوام، وهو الموت، كما جاء في استنتاجاتنا السابقة. والذي لا يقبل بالموت هو الخالد، والروح خالدة أبداً. وكلّ الرجال سيوافقون، على أنّ الله، والصورة الجوهريّة الضروريّة للحياة، والخالدين بشكل عامّ، سيوافقون على أنّ الروح باقيةً ولن تفنى أبداً. وعندما يهاجم الموت إنساناً فإنَّ الجزء البشريّ الفاني الذي هو الجسد يموت، أمّا الجزء الخالد الذي هو الروح فسينكفىء أو ينسحب عند قدوم الموت ويُصان آمناً ولا يدمَّر. وأقول، إذا كان الموت نهاية الجميع، فإنّه سيكون صدفة سعيدة وغير منتظرة للخبثاء. فهم لن يكونوا، أو قد كانوا، سعداء للتخلّص من أجسادهم فقط، بل من شرورهم الخاصّة أيضاً، بالإضافة إلى أرواحهم. إنَّ انعتاق الروح أو خلاصها من شرورها هو بالحصول على الفضيلة الأعلى والحكمة الأسمى لأنّ الروح عند رحلتها إلى العالم السفليّ لا تصطحب أيّ شيء معها سوى التربية والتعليم؛ وقيل إن هذا إمّا أن يفيد أو أن يؤذي المغادر بشكل عظيم، عند البداية المحدودة لرحلتها إلى هناك.

والآن سأعطيكم وصفاً للأرض في مناطقها وصورتها. إنّ الأرض هي جسم كرويٌّ وسط السماوات، وهي رحبة جدّاً. وهناك الكثير من التجاويف المتنوعة الأشكال والأحجام في كلِّ مكانٍ على سطحها. لكنّ الأرض الحقيقيّة هي صافية ومركّزة في السماء النقيّة، وإذا ما قُدِّرَ لأيِّ إنسانٍ أن يمتلك جناحين ويصعد عالياً، فسيعترف أنّ العالم الآخر كان المكان للسماء الحقيقيّة والنور الحقيقي والأرض الحقيقية، التي سأبدأ بإعطائكم شرحاً عنها .... والتي ستذهب إليها الأرواح حيث تنال ثوابها أو عقابها.

وبعدُ، فأنا جاهز، كما يقول شاعر المأساة. إنّ صوت القدر والقضاء يستدعيني. سأشرب السمّ قريباً. وأعتقد بأنَّ عليّ أنْ أذهب لأستحمَّ أوّلاً، كي لا

أسبّب أيّ إزعاج لأحد في غسل جسدي بعد موتي. وأطلب إليكم أن تبدوا اهتماماً كبيراً وعناية بأنفسكم، وأن تتبعوا طرق الفضيلة والخير والحقّ. وكونوا متأكّدين أن الكلمات المزيّفة والباطلة، ليست شرّاً في نفسها فقط، بل هي تلوّث وتفسد الروح بالشرّ. كونوا مبتهجين وسعداء وقولوا بأنّكم تدفنون جسدي فقط، وافعلوا به ما يكون اعتيادياً، وما تعتقدون أنّه الأفضل.

بعدما تلفَّظَ سقراط بهذه الكلمات، نهض وذهب إلى الحجرة ليستحم. وبعد أن عاد أحضروا له أولاده ليراهم ثم انصرفوا. بعد ذلك بقليل جلب السجّان السمّ في فنجان، وأعطى التعليمات لسقراط كيف سيشربه، وعاد يجهش بالبكاء ـ أخذ سقراط الفنجان بيده، وشرب السمّ بكلّ سهولة ولطفٍ في الأسلوب، وبدون أدنى خوف أو تغيير في اللون أو المحيّا والصورة. وقال قبلئذ: يجب عليّ أن أصلّي للآلهة كي يجعلوا رحلتي ناجحة ومزدهرة من هذا العالم إلى العالم الآخر. وبعد أن تناول السمّ مشى حتى بدأت ساقاه تضعفان وتهنان، وتمدّد على ظهره، طبقاً لتعليمات السجّان، حتّى أصبح جسمُه كلّه خدراً. وبعد أن وصل السمّ إلى القلب، أطبق كريتون عينيه وفمه.

هكذا كانت النهاية، يا ايخيكريتس، لصديقنا سقراط، والذي يمكننا أن نقول عنه بحقّ وصدق، إنّه كان الأعقل والأعدل والأفضل من كلّ الرجال الذين عرفناهم في زماننا.

محاورة فيدون

اشخاص المحاورة

فيدون: قاصّ المحاورة إلى ايخيكريتس وفيليوس

سقراط	سيمياس
خادم السجن	سيبس
ابولودوروس	كريتون

المشهد: سجن سقراط

مكان سرد المحاورة: فليوس

ايخيكريتس: هل كنت حاضراً بنفسك، يا فيدون، في السجن مع سقراط يوم شرب السّمّ؟

فيدون: نعم، يا ايخيكريتس، إنّني كنت موجوداً.

ايخيكريتس: بي شغف لمعرفة ما قاله في ساعاته الأخيرة، وكيف كانت طريقة وفاته. لا أحد من فليوس يذهب إلى أثينا كثيراً الآن، ومنذ وقت طويل لم يأتِ أيٌّ غريب من هناك يستطيع أن يعطينا تقريراً نعتمد عليه. سمعنا أنّه توفّي بشرب السّمّ. لكنّ ذلك كان كلّ شيء.

فيدون: ألم تسمع بوقائع الجلسات أثناء المحاكمة؟

ايخيكريتس: نعم؛ أخبرنا شخص ما عنها، لكنّنا لم نقدر أن نفهم لماذا بعد أن أُدين لم ينفّذ حكم الإعدام بسقراط في الوقت الذي صدر الحكم فيه، بل فيما بعد بوقت طويل. فما سبب ذلك؟

فيدون: حادثٌ سعيد، يا ايخيكريتس، حَدَثَ أن كُلِّلت مؤخَّرة السفينة التي أرسلها الأثينيون إلى جزيرة ديلوس، قبل أن يُحاكم بيوم واحد.

ايخيكريتس: ما هي هذه السفينة؟

فيدون: إنّها السفينة التي ذهب فيها ثيسيوس إلى جزيرة كريت، حسب عادة الأثينيين؛ وذلك عندما اصطحب معه « الأربعة عشر »، وقد أنقذهم وأنقذ نفسه. وقيل بأنّهم أقسموا لأبوللو في ذلك الوقت أنّهم إذا نجوا فسيرسلون بعثة سنوية إلى جزيرة ديلوس. حسناً، وما تزال هذه العادة مستمرّة إلى يومنا هذا تكريماً لهذه المناسبة، وذلك بدون إنزال عقوبة الموت أو إراقة دماء بين الفترة الممتدة من الذهاب إلى الجزيرة والعودة منها، معتبرين الفترة فصلاً مقدَّساً يُمنع خلاله بحزم من أن تُدنِّس المدينة بالإعدامات من أيّ نوع. وعندما تعوّق المركب رياحٌ معاكسة، فإنّ الوقت الذي يستهلك في الذهاب والإياب هو جدير بالاعتبار تماماً. وكما قلت، فإنّ السفينة كُلِّلت قبل يومٍ واحدٍ من إجراء المحاكمة، وكان هذا السبب الذي قبع سقراط في السجن من أجله، ولم يُنفَّذ به حكم الإعدام، حتّى بعد مضيّ وقت طويل، ثم أعدموه.

ايخيكريتس: كيف كانت ظروف وفاته، يا فيدون؟ ماذا قيل وماذا حدث؟ وأيٌّ من أصدقائه كان معه؟ وهل السلطات منعتهم من الحضور - فحرم من حضور أصدقائه بالقرب منه عندما توفّي.

فيدون: لا؛ كان بعضٌ من أصدقائه معه. وكانوا كُثُراً في الواقع.

ايخيكريتس: إذا لم يكن عندك ما يشغلك، أريد منك أن تخبرني ما جرى تماماً بالضبط قدر ما تستطيع.

فيدون: ليس عندي شيء أفعله، وسأحاول أن أعطيك كلّ الحقائق؛ إذ أنّ تذكّر سقراط أو التذكير به هو الفرح الأعظم لي على الدوام، سواء أتكلّمت بنفسي أو سمعت الآخرين يتحدّثون عنه.

ايخيكريتس: سيكون لديك مستمعون يشاطرونك التفكير عينه؛ فقط حاول أن تروي كلّ شيء بالضّبط قدر استطاعتك.

فيدون: كان لديَّ شعور غريب عندما كنت في رفقته. استطعت أن أصدِّق بصعوبة أنّني كنت حاضراً ساعة وفاة صديق، ولهذا السب لم أشفّق عليه، يا ايخيكريتس؛ إنّه توفّي هكذا بدون خوف. وأمّا كلماته وتصرّفاته فكانت نبيلة ومهذّبة جداً، وبدا لي مباركاً. أدركت أنّه حتى في ذهابه إلى العالم الآخر لا يمكنه أن يذهب بدون دعوةٍ إلهيّة، وأنّه سيكون سعيداً، إذا ما كان من إنسانٍ سعيدٍ قطّ. سيكون سعيداً عند وصوله إلى هناك، ولذلك لم يخالجني أيّ شعور بالشّفقة عليه، وأمكنني أن أبدو طبيعيّاً في ساعةٍ كهذه. ولم أشعر بالسرور من الناحية الأخرى لأنّنا كنّا منهمكين كالمعتاد في البحث بالفلسفة. « كان ذلك موضوع حديثنا ». إنّ حالتي العقليّة كانت غريبة، مزيجاً فريداً من السرور والألم، عندما تأمّلت مليّاً بأنّه سيتوفّى قريباً. وتضاعف هذا الشعور المشترك عندنا كلّنا نحن الحاضرين؛ ضحكنا وبكينا كلٌّ بدوره، خاصّة أبولودوروس الرجل السهل الإثارة ـ تعرف أنت أيّ نوع من الرجال هو؟

ايخيكريتس: نعم.

فيدون: إنّه كان هادئاً بالمقارنة مع نفسه، وكنّا جميعاً مضطربي المشاعر بشكلٍ كبير.

ايخيكريتس: من كان الحضور؟

فيدون: من المواطنين الأثينيين، إضافة إلى أبولودوروس، كان كريتوبولس وأبوه، هيرموجينس، أبيجينس، ايسخنيس، انتبسيثينس؛ وأيضاً كتاسيبوس من مقاطعة بايينيا، مينيكسينوس، وبعض آخرون؛ لكنّ أفلاطون، إذا لم أكن مخطئاً، كان مريضاً.

ايخيكريتس: هل كان هناك غرباء؟

فيدون: نعم، كان هناك سيمياس الطيبي، وسيبس، وفيدونندا‌س، واقليدس وتربيزون اللذين أتيا من ميغارا.

ايخيكريتس: وهل كان هناك آرستيبوس وكليومبروتوس؟

فيدون: لا، قيل إنّهما كانا في آيجينيا.

ايخيكريتس: هل كان هناك أيّ شخصٍ آخر؟

فيدون: أشعر حقاً أنَّ هؤلاء كانوا جميع من حضر.

ايخيكريتس: حسناً، وما الذي تكلّمتم بشأنه؟

فيدون: سأبدأ من البداية، وسأسعى لإعادة المحادثة بكاملها. لقد كنّا جميعاً طيلة وقتنا معتادين على زيارة سقراط يومياً، وكنّا نجتمع في المحكمة باكراً عند الصباح، حيث جرت محاكمته، وهي ليست بعيدة عن السجن. هناك كنّا ننتظر ونتكلّم بعضنا مع بعض حتى تُفتح الأبواب « لأنّها لا تُفتح باكراً جداً ». دخلنا بعدئذ وأمضينا النّهار كله مع سقراط بشكل عامّ. وفي الصباح الأخير اجتمعنا أبكر مِمّا تعوّدنا، إذ إنّنا سمعنا في اليوم السابق عندما غادرنا السجن في المساء أنّ السفينة المقدّسة أتت من جزيرة ديلوس. وهكذا اتّخذنا الاستعدادات الضروريّة كي نتقابل باكراً جدّاً في المكان المعتاد. وعند وصولنا خرج السجّان الذي استقبلنا قرب الباب، وبدلاً من السماح لنا بالدخول، طلب منّا أن ننتظر حتى يستدعينا، « لأنّ الأحَدَ عشر » قال، « هم الآن مع سقراط. إنّهم يفكّون قيوده، وأعطوا الأوامر بأنّه سيموت اليوم ». عاد السجّان إلينا باكراً وقال بأنّه يمكننا أن ندخل. وعند دخولنا وجدنا سقراط قد تحرّر لتوّه من أغلاله، وكانت كزانتيشبي[٣٢]، التي تعرفها، جالسة بجانبه، ممسكةً طفلها بين ذراعيها. عندما رأتنا أطلقت صرخة ثم أجهشت بالبكاء بطريقة أنثوية حقيقية، وقالت: « يا سقراط، إنّ هذه هي المرّة الأخيرة التي ستحاور فيها أصدقاءك، وهم سيحاورونك ». إستدار

سقراط إلى كريتون وقال له: «يا كريتون، فليأخذها أحدٌ إلى البيت». وطبقاً لذلك قادها بعضٌ من أنسباء كريتون إلى هناك، وهي تصرخ وتلطم صدرها. حينما ذهبت، وبينما كان سقراط جالساً على السرير انحنى وفرك ساقه قائلاً بينما كان يفركها: كم هو غريب ذلك الشيء الذي يسميه الجنس البشري اللذّة، وما أغرب اتصالها بالألم الذي يُظَنُّ بأنّها مضادة له، لأنّهما لا يمكن أن يُحضرا لإنسانٍ في اللحظة عينها. ومع ذلك فإنّ من يتعقّبهما ويحصل على كلٍّ منهما، يُجبر أن يحصل على الآخر بشكل عامّ. إنّ لهما جسدين اثنين، لكنّهما متصلان برأسٍ واحد. وإنّي لا أقدر إلاّ أن أعتقد بأنّه لو تذكّرهما آيزوب، لألف خرافة عن الله في محاولةٍ لتسوية خلافاتهما. وكيف كان سيفعل ذلك، عندما لا يستطيع، لأنّه أوثق رأسيهما معاً؛ وهذا هو السبب الذي من أجله حينما يأتي الواحد يتبع الآخر. بما أنّني أعرف الآن، بخبرتي الخاصّة، عندما يبدو أنَّ اللذّة تلت الألم الذي سبّبه القيد لساقيّ.

قال سيبس بُعيد هذا: إنّني مسرور، يا سقراط، لأنّك ذكرت إسم آيزوب. فهو يذكّرني بسؤالٍ طرحه العديد من الرجال، وسألني عنه إيفينوس قبل البارحة بالتحديد ـ وهو سيكون مصرّاً على أن يسأله مرّة ثانية. ولهذا السبب إذا كنت تريد أن يكون لديَّ جواب جاهز له، فيمكنك أن تخبرني أيضاً ما الذي سأقوله له. أراد هو أن يعرف لأيِّ سببٍ ممكن تصوّره، وأنت الآن في السجن تقلب خرافات آيزوب إلى قطعة نثرية، وتنظم أيضاً هذه الترتيلة في تكريمٍ لأبوللو، مع أنك لم تكتب سطرٍ شعرٍ في الماضي قط.

أجاب سقراط: قل له، يا سيبس، ما هي الحقيقة ـ والحقيقة هي أنّني لم يكن لديَّ فكرة أن أنافسه أو أن أباري قصائده. ولكي أفعل هكذا، فذلك ليس عملاً سهلاً بأيّة حال، كما أعرف. لكنّني أردت أن أرى إذا ما كنت

قادراً على إقناع ضميري بخصوص الشكّ الذي شعرت به بشأن معنى أحلامٍ محدَّدة. إنّه كان لديَّ غالباً تلميحات في الأحلام خلال حياتي « ذلك كي أؤلِّف موسيقى ». إنّ الحلم عينه يأتي إليَّ في شكلٍ بعض المرات، وأحياناً في شكلٍ آخر، غير أنّه يقول الكلمات عينها أو قريباً منها. وحتّى اليوم فإنّني تصوَّرت أنّ هذا كان قاصداً لأن يحضّني ويشجّعني على دراسة الفلسفة فقط والتي قد كانت مهنة ومسعى حياتي. وهي أنبل وأفضل موسيقى. إنّ الحلم أمرني أن أفعل ما فعلته سابقاً، تماماً في الطريقة عينها كما يأمر المتفرّجون المتنافس ليركض عندما يؤدّي ذلك أثناء المباراة. غير أنّني لم أكن متأكّداً من هذا لأنّه أمكن للحلم أن يعني موسيقى في المعنى الشعبيّ للكلمة، وكوني في طريقي إلى الإعدام، وبما أنّ العيد يمنحني فترة من الراحة قبل التنفيذ، افتكرت بأنّه سيكون أضمن لي أن أقنع الشكّ والحيرة، وأردت طاعةً للحلم، أن أؤلِّف قليلاً من أبيات الشعر قبل أن أغادر. وسأنظم ترتيلةً في تكريم لإله العيد بادىء ذي بدء، وسأتأمّل الشاعر مليّاً بعدئذ، إذا كان هو شاعراً حقاً، والذي لا ينبغي عليه أن ينظم الكلمات معاً فقط، بل أن يخترع قصصاً. وبما أنّني لا أمتلك اختراعاً، فأنا أقتبس بعض أساطير آيزوب، والتي هي جاهزة بين يديّ وأعرفها عن ظهر قلب ـ الأولى التي تخطر في بالي ـ سأحولها إلى مقاطع نثريَّة. قل هذا لأيفينوس، يا سيبس، وودِّعه بإحدى هذه الصّيغ مني؛ قل له بأنّي أريده أن يأتي بعدي إذا ما كان إنساناً حكيماً، وأن لا يتوانى في ذلك. وبما أنّ اليوم هو موعد ذهابي المحتمل، فالأثينيون يقولون بأنّه يجب أن يكون كذلك.

قال سيمياس: يا لها من رسالةٍ لإنسانٍ كهذا! بما أنّني قد كنت رفيقاً دائماً له عليّ أن أقول ذلك، إنّي بقدر ما أعرفه، فهو لن يأخذ بنصيحتك إلاّ إذا أُجبر على هذا.

سقراط: لماذا، أليس ايفينوس فيلسوفاً؟

سيمياس: أعتقد بأنّه كذلك.

سقراط: إذن فهو، أو أيّ إنسانٍ يمتلك الروح الفلسفيَّة، سيكون مستعدّاً لأن يموت، غير أنّه لن يقضي على حياته الخاصّة بيده، أتصوّر أنّ هذا يثبت بأنّه غير قانونيّ ومحظور.

[هنا غيَّر سقراط مكانه، ووضع رجليه خارج السرير على الأرض، وبقي جالساً حتى انتهاء المحاورة].

تساءَل سيبس: لماذا تقول، يا سقراط، إنّه لا ينبغي على الإنسان أن يقضي على حياته بيده، لكنّ الفيلسوف سيكون جاهزاً ليتبع ذلك الذي يموت؟

أجابه سقراط: أو لم تسمعا، يا سيبس وسيمياس، وأنتما من مريدي فيلولاوس[٣٣]، ألم تسمعاه يتكلّم هذا قطّ؟

أجاباه: نعم، لكنّ لغته كانت غامضةً، يا سقراط.

إنّ كلماتي أيضاً، ما هي إلاّ صدىً فقط؛ لكن ما مِن سبب يلزمني أن أتردَّد في إعادة ما سمعته. وحقاً، عندما يكون إنسانٌ ذاهباً إلى العالم الآخر، فإنّها مناسبة له ليتأمّل ويتعقّل بخصوص طبيعتنا المؤقّتة هناك بشكل عامّ. ماذا يمكن لشخصٍ أن يفعل أفضل من ذلك في الفترة الفاصلة بين هذه وغروب الشمس؟

سيبس: قل لي إذن، يا سقراط، لماذا يثبت الانتحار أنّه غير قانوني؟ كما سمعت فيلولاوس يؤكّد بدون ريب، والذي سألت عنه لتوّك الآن، عندما كنت مقيماً معنا في طيبة؛ هناك أشخاص آخرون يقولون الشيء عينه، مع أنّني لم أسمع أيّ شخص يعطي سبباً محدَّداً لذلك.

سقراط: لا تيأس ولا ترتبك، ويمكن لليوم أن يأتي عندما ستسمع السبب. أفترض أنّك تتعجّب لماذا، عندما يمكن للأشياء التي هي سيّئة أن تصبح صالحة في أوقاتٍ محدَّدة ولأشخاصٍ معينين، أنّ الموت هو الاستثناء الوحيد. ولماذا،

حينما يكون أفضل لإنسانٍ أن يموت، لماذا لا يُسمح له أن يمسي المحسن الخاصّ لنفسه، بل يجب أن ينتظر منّة الآخرين؟

سيبس: حقيقي تماماً. [ضاحكاً بلطفٍ ومتكلماً بلغة موطِنِهِ الدوري].

سقراط: إنّي أعترف بظهور اللاتناغم فيما أقول؛ لكن يمكن أن لا يوجد أيّ لا ترابطٍ منطقيّ حقيقيّ بعد كل هذا. يوجد تعليم يهمس في السرّ، وهو أنّ الإنسان سجين وليس له الحق أن يفتح الباب ويولّي الأدبار. إنّ هذا سرٌّ عظيم لا يمكن فهمه بسهولة. ومع ذلك فإنّني أعتقد أنّ الآلهة هم حماتنا، وأنّنا نحن البشر ممتلكاتهم، هل توافق؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق تماماً.

سقراط: وإذا شعر واحدٌ من ممتلكاتك، مثل ثور أو حمار، إذا شعر بأنّ له الحريّة بأن يرمي بنفسه في المهالك، بينما أنت لم تُبدِ أيّة موافقة على رغبته في الموت، ألن تغضب عليه، أوَ لن تعاقبه إذا تمكّنت؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: إذا نظرنا في المسألة هكذا إذن، وهو أن هناك سبباً في القول بأنّ على الإنسان أن ينتظر، وأن لا يودي بحياته الخاصّة بنفسه إلا إذا أرسل الله ضرورة ما كهذا الذي حلَّ بي الآن.

سيبس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ هناك صدقاً وحقاً فيما تقول. لكن كيف يمكنك أن توفّق بين هذا الاعتقاد الحقيقيّ البادي للعيان، وهو أنّ الله حارسنا وأنّنا نحن ممتلكاته، وبين الإرادة والرغبة التي لا تعرف التذمّر لأن تموت، والتي نسبتها لتوّك إلى الفيلسوف؟ وهو أنّ أعقل الرجال يجب أن يتركوا خدمةً قررتها الآلهة الذين هم أفضل الحكّام وبدون نفور، أعتقد أنّ ذلك ليس معقولاً. لأنّه لا يعتقد إنسان بالتأكيد أنّه عندما تُطلق حريّته سيكون قادراً على أن يقوم بعناية نفسه بشكل أفضل. لربما يمكن لغبيٍّ أن يفكّر

هكذا ـ يقدر أن يجادل أنَّ من الأفضل له أن يهرب من سيِّده، غير آبهٍ بما يلزمه من أن لا يفر من الخيْر بل أن يلتصق به، ولذلك فلا معنى لفراره. الإنسان العاقل سيريد أبداً أن يكون مع مَنْ هو أفضل منه. والآن فإنّ هذا يبدو، يا سقراط، أنّه يشبه عكس ما قيل منذ برهة؛ وبناءً على هذا الرّأي فعلى الإنسان العاقل أن يحزن، وعلى الغبيّ أن يبتهج في الانتقال من هذه الحياة.

[بدا أن جدّيَّة سيبس أفرحت سقراط]. وقال بعد أن استدار نحونا: « هذا رجل يتساءَل على الدوام، ولن يقتنع بسهولة وبأوَّل شيء يسمعه ».

أضاف سيمياس: ويبدو الاعتراض الذي قدَّمه سيبس، يبدو لي أيضاً على أنّه يمتلك بعض القوّة، إذ ماذا يمكن أن يكون المعنى لرجلٍ عاقلٍ حقّاً يريد أن يطير ويغادر بخفَّة سيّده الذي هو أفضل منه بكثير؟ وأتصوّر بالأحرى أن سيبس لا يعني غيركَ؛ يعتقد هو بأنّك جاهز تماماً لأن تتركنا، ومُعدٌّ أيضاً لأن تغادر الآلهة الذين اعترفت بأنّهم أسيادنا ومعلمونا الأخيار.

سقراط: نعم، يوجد صحّة فيما تقول. وهكذا تعتقد أنت بأنّ عليَّ أن أجيب على اتّهامك، كما لو كنت في محكمة عدل؟

سيمياس: سنرغب منك أن تفعل ذلك.

سقراط: ينبغي عليَّ إذن أن أحاول وأُهيِّيء دفاعاً أمامكم أكثر نجاحاً من الدفاع الذي قمت به أمام القضاة، لأنّني مستعدّ تماماً لأن أعترف، يا سيمياس وسيبس، بأنّي في مقابلتي الموت بدون استياء سأكون فاعلاً الخطأ، إذا لم أقتنع قبل كلّ شيء بأنّي ذاهبٌ إلى الآلهة الآخرين الذين هم حكماء وأخيار. وهذ ما أنا متأكد منه قدر ما أستطيع كتأكّدي من أية قضايا كهذه، وثانيا مع أنّي لست متأكّداً من هذه الأخيرة عن الرجال الراحلين، وهو أنّهم أفضل من أولئك الذين أتركهم خلفي، ولذلك فأنا لا أستاء منها كما كان بوسعي أن أفعل

لأنّي لا أزال أمتلك أملاً جيداً أنّ ما زال هناك شيء للمتوفّين برغم ذلك، وكما قد قيل منذ القدم، شيء ما أفضل جدّاً للخيِّر ممّا هو للشرّير.

سيمياس: لكنْ هل تعني أنّك ستصطحب أفكارك معك، يا سقراط؟ أوَ لن تنقلها لنا؟ ـ فهي ذات فائدة كبيرة، ونحن مؤهَّلون لأن نتقاسمها معك. إضافة إلى ذلك، إذا نجحت في إقناعنا، فسيكون ذلك الجواب على التهمة الموجَّهة لك.

سقراط: سأفعل أفضل ما أقدر عليه. لكن ينبغي عليك أوّلاً أن تدعني أسمع ما يريده مني كريتون؛ إنّه قد رغب لفترة مضت أن يقول لي شيئاً ما.

أجاب كريتون: سأقول هذا فقط، يا سقراط: « إنّ خادم السجن الذي سيعطيك السمّ قد قال لي، وهو يريدني أن أخبرك، بأنّ عليك أن لا تتكلم كثيراً ». يقول إنّ الكلام يزيد الحرارة ويميل هذا إلى التعارض مع عمل السمّ؛ فالأشخاص الذين يثيرون أنفسهم يُجبرون على تناول جرعة ثانية منه وحتى ثالثة بعض المرّات.

سقراط: لا تبالِ بما يقول، دعه يكون جاهزاً ليعطي السمّ مرّتين أو حتى ثلاث مرّات إذا كان ذلك ضرورياً؛ هذا كل شيء.

كريتون: عرفت جيّداً ما ستقول؛ لكنّه قد أقلقني بشأن ذلك لوقتٍ غير قصير.

كرّر سقراط قوله: لا تبالِ بما يقول، وتابعَ. والآن، آه يا قضاتي، إنّي أرغب بأن أبرهن لكم أنَّ الفيلسوف الحقيقيّ لديه سببٌ كي يهلِّل ويستبشر عندما يوشك على الوفاة، ويمكنه بعد الوفاة أن يأمل في الحصول على الخير الأعظم في العالم الآخر. وأمّا كيف يمكن أن يكون هذا، يا سيمياس وسيبس، فسأسعى لأشرحه لكما. أعتبر بأنّ المريد الحقيقي للفلسفة لا يفهمه الرجال الآخرون على الغالب؛ هم لا يدركون أنّ الفيلسوف على استعداد لملاحقة الموت والوفاة على الدوام. وإذا كان هذا كذلك، وكانت لديه رغبة

الموت طوال حياته كلّها، فلماذا عليه أن يَتبرَّم من ذلك الذي كان يلاحقه ويتوق إليه على الدوام؟

قال سيمياس ضاحكاً: برغم أنّني لست في دعابةٍ مضحكة على وجه العموم، فأنت جعلتني أضحك، يا سقراط؛ لأنّي لا أقدر إلاَّ أن أفكِّر بأنّ العديد من الذين سيسمعون كلماتك سيقولون كيف وصفت الفلاسفة. وأنّ شعبنا في البلاد سيعقِّب على ذلك بقوله إنّ الفلاسفة هم في الحقيقة مشرفون على الموت بشكلٍ مرجَّح، وإنّهم اكتشفوهم مستحقين الموت الذي يرغبون.

سقراط: وهم محقّون في اعتقادهم هذا، يا سيمياس، ما عدا هذه الكلمات « إنّهم اكتشفوهم ». فهُمْ لم يكتشفوا في أيّ معنىً يستحقّ الفيلسوف الموت، ولا أسلوب الموت الذي يستأهله. لكن كفاية عنهم. دعنا نبحث القضيّة بيننا نحن. هل نرفق نحن معنىً محدداً بالكلمة « موت »؟

سيمياس: لتكن متأكداً.

سقراط: أليس الموت انفصال الروح والجسد تماماً؟ والموت هو إتمام ذلك؛ عندما توجد الروح بنفسها وتُعتق من الجسد، ويُفكُّ الجسم عن الروح. أسلِّم بهذا، أنّه هو ما قُصِدَ بالموت.

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: يوجد سؤالٌ آخر، من المحتمل أن يلقي الضوء على تساؤلنا الحاضر إذا استطعنا أنت وأنا الوثوق به: أيجب على الفيلسوف أن يهتمّ بملّذات كهذه ـ إذا ما سُمّيت ملذّات ـ مثل الأكل والشرب؟

سيمياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وماذا عن ملذّات الغرام؟ هل سيهتمّ الفيلسوف أو يعتني بها؟

سيمياس: لا، على الإطلاق.

سقراط: وهل سيفكّر كثيراً بالوسائل الأخرى للانغماس الجسديّ، مثل اقتناء الملابس أو الصنادل الثمينة أو زينات الجسد الأخرى؟ وبدلاً من الاعتناء بها، ألا يجب عليه أن يستخَفَّ بأيّ شيء أكثر ممّا تحتاجه الطبيعة؟ فماذا تقول؟

سيمياس: عليَّ أن أقول إنّ الفيلسوف الحقيقيّ سيحتقرها.

سقراط: ألن تقول بأنّه مهتمٌّ بالروح وليس بالجسم بشكلٍ كامل؟ سيحبّ هو أن يفلت من الجسد وأن يعود إلى الروح، قدر ما يستطيع.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: يمكن مراقبة الفلاسفة في هذا النوع من أنواع القضايا، بادىء ذي بدء؛ ولهذا السبب، يمكن مراقبتهم فوق كلّ الرجال، وبكل وسيلة ممكنة ليفصلوا الروح عن المشاركة مع الجسد.

سيمياس: صحيح جداً.

سقراط: في حين أنّ باقي العالم، يا سيمياس، يرى أنَّ من لا يمتلك تذوقاً للملذّات الجسديّة وليس له دور فيها، لا يستحقّ امتلاك الحياة، وأن مَن لا يتّسِمُ بالإفراط بشأنها فهو كالميّت عملياً.

سيمياس: صحيح بالكامل.

سقراط: ماذا ستقول عن الإحراز الحقيقيّ للمعرفة مرّة ثانية؟ - أيكون الجسد، إذا دُعي ليشارك في التحقيق، عائقاً أو مساعداً؟ أعني، هل لدى حاسّة البصر أو السمع، كما توجدان في إنسان، أيّة حقيقة فيهما؟ ألاَ يكونان هما شاهدين غير دقيقين، كما يردّد ذلك الشعراء على الدوام؟ وبرغم ذلك حتى إذا كانا غير دقيقين وغير واضحين، فماذا سيقال عن الحواسّ الأخرى؟ - لأنّك ستأخذ بعين الاعتبار أنّهما أفضل الحواسّ؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: متى تبلغ الروح الحقيقة إذن؟ - لأنّها في محاولتها تأمّل أيّ شيءٍ برفقة الجسد فإنّه يخدعها ويضلّلها بكل وضوح.

سيمياس: حقاً.

سقراط: إذن ألا يجب أن تُكشَف لها الحقيقة الصادقة في الفكر، إذا كُشِفت البتة؟

سيمياس: نعم.

سقراط: ويكون الفكر أفضل عندما يلتئم العقل في نفسه ولا تزعجه واحدةٌ من هذه الأشياء: لا الاصوات ولا المشاهد ولا الآلام ولا أيّة لذّة مرّة ثانية ـ وحينما تشرع الرّوح بمغادرة الجسد، ولها أدنى شيءٍ ممكن من العلاقة معه، عندما لا تمتلك أيّة حاسة أو رغبة جسديّة، بل تحلّق في أثر الوجود الحقيقي إلى الملأ الأعلى؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: وتكون الصفة المميّزة للفيلسوف هنا مرّة ثانية ازدراء الجسد؛ إنّ روحه تَفرُّ من جسده وترغب أن تنفرد بنفسها.

سيمياس: إنّ ذلك لحقّ.

سقراط: حسناً، لكن ثمّة شيء آخر، يا سيمياس، هل يوجد عدلٌ مطلق أم لا؟

سيمياس: يوجد بكلّ تأكيد.

سقراط: ويوجد جمالٌ مطلق وخيرٌ مطلق؟

سيمياس: طبعاً.

سقراط: لكن هل رأيت أيًّا منهما بعينيك قط؟

سيمياس: لا، بدون ريب.

سقراط: أو هل وصلت اليه أبداً بأيٍّ من حواسّك الجسديّة؟ وأنا لا أتكلّم عن هذه فقط، بل عن العِظَم المطلق، والصحّة، والقوّة، وبالاختصار، عن الحقيقة أو الطبيعة الحقيقيّة في كلّ شيء. هل تدرِك حقيقتها من خلال الأعضاء الجسديّة قط؟ وعلى الأصح، ألا يكون الدنوّ الأقرب إلى معرفة طبائعها

المتعددة مصنوعاً مِن قِبَل مَنْ ينظِّم رؤياه العقليّة كي تمتلك الإدراك الأكثر دقّةً لجوهر كلّ شيء يتأمّله؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: ويصل إلى معرفتها الأنقى مَنْ يذهب إلى كلٍّ منها بالعقل وحده غير مُولِجٍ أو مُدخِلٍ عنوةً عمل البصر أو الفكر، أو أيّة حاسّة أخرى بالإضافة إلى العقل، بل يبحث عن الحقيقة مع العقل في صفَاته التي تخصّه، يبحث عن حقيقة كلّ شيء في نقائه؛ وهو من تخلَّص، بقدر ما يستطيع، من العينين والأذنين ومن الجسد ككلّ، إذا جاز التعبير، لأنّ هده كونها في رأيه مخبِّلةً العناصر التي عندما تتّحد بالروح، تعوّقها عن نيل الحقيقة والمعرفة ـ ومَنْ غير الفيلسوف يستطيع أن يصل إلى معرفة الوجود الحقيقيّ على الأرجح؟

سيمياس: إنّ ما تقوله فيه حقيقة رائعة، يا سقراط.

سقراط: وعندما يتأمّل الفلاسفة الحقيقيون كلّ هذه الأشياء، ألن يُرشَدوا ليخلقوا ملاحظة ناشئة عن تفكير طويل، وهي التي سيخبِّرون عنهَا بكلماتٍ ما كما يلي؟ سيقولون هم: « ألم نجد نحن مسلكاً للفكر الذي يبدو أنه يُحضرنا ويقود محاورتنا إلى الإستنتاج، وهو أننّا ما دمنا في الجسم وما دامت الروح ممتزجة بشروره، فإنّ رغبتنا لن ترتوي، ورغبتنا وتوقنا يكون للحقيقة؟ إنّ الجسد هو أصل ومنبع كل ما يلهي والإضطّراد، عقليّ لا يُحصى بسبب الحاجة للغذاء فقط، وهو معرَّض أيضاً للأمراض التي تتخطّانا وتعّوق سبيلنا في متابعة الحقيقة. إنّه يملأنا بالحبّ، والشهوات، والخوف، والوهم من كلّ نوع، وبغباوة لا تنتهي، وكما يقول الرجال بالحقيقة القاطعة، يأخذ منّا بعيداً قوّة التفكير على الإطلاق. من أين تأتي الحروب، والمعارك، والشقاق، والنزاعات الحزبيّة؟ من أين إذا لم يكن من الجسد ومن شهواته؟ إنّ كل الحروب سببها حبّ المال، والمال يجب أن يُكتسب لأجل الجسد في خدمةِ

خانعةٍ وضيعةٍ له. وبسبب كل هذه المعّوقات فنحن لا نمتلك وقتاً لنعطيه للفلسفة. وأخيراً وأسوأ من كل ذلك، حتّى إذا سمح الجسم لنا بفترة راحة وعمدنا لبعض التأمّل، فإنه يدخل علينا عنوة، ويسبب لنا اضطّراباً عظيماً وفوضى في تساؤلاتنا وفيما نحقّق، وهكذا يذهلنا إلى أن نمنع من رؤية الحقيقة. لقد تمّ البرهان لنا بالخبرة أنّنا إذا كنا سنحوز معرفة صافية نقيّة لأيّ شيء فما يجب علينا إلاّ أن نتحرّر من الجسد ـ إن الروح بنفسها ينبغي أن ترى الأشياء بأنفسها، وسننال ذلك الذي نتمنى عندئذ، والذي نقول نحن إنّنا أحبّاؤه ـ إنّه الحكمة؛ ليس مادامت لنا الحياة، بل بعد الموت فقط، كما تبيَّن المحاورة؛ لأنّ الروح لا تستطيع أن تحوز معرفةً نقيّة إذا بقيت في رفقة الجسم. إنَّ واحداً من شيئين يتبع: إمّا أن لا تنال المعرفة على الإطلاق، أو إذا اكتسبت مطلقاً فبعد الموت لأنّه عندئذ، وليس إلاّ عندئذ، ستنفصل الروح عن الجسد وتبقى وحيدة بنفسها. نعتقد نحن في حياتنا الحاضرة هذه، أنّنا ندنو أكثر إلى المعرفة عندما يكون لدينا الاتّصال الأقلّ احتمالاً، أو الاشتراك مع الجسد، وحينما لا نقاسي من عدوى طبيعته، بل نحتفظ بأنفسنا طاهرة ونقيّة حتّى الساعة التي يريد الله أن يعتقنا فيها. وهكذا يمكن أن نتوقّع أن نكون طاهرين وأن نجري محادثة مع النقيّ الطاهر بعد أن نتخلّص من غباء الجسد، ولأن نعرف بأنفسنا أنَّ كلّ الموجود في الكمال هو غير ممزوج، والذي أتقبّله على أنّه ليس غيراً من الحقيقة. إنّ غير الشرفاء والملوثين لا يُسمح لهم أن يُمسِكوا الطاهر ». هذا هو نوع الكلمات، يا سيمياس، التي لا يقدر إلاّ أن يقولها محبّو المعرفة الحقيقيّون بعضُهم لبعض، ولأن يؤمنوا بها. إنّك ستوافق على ذلك؛ أليس كذلك؟

سيمياس: سأوافق، بدون شكّ.

سقراط: لكن، آه يا صديقي، إذا كان هذا حقيقيّاً، هناك سبب كبير لآمل في

ذلك، وبما أنني ذاهب حيث أذهب، فإنّي سأنال بشكلٍ كامل ذلك الذي قد كان مبتغى حيواتنا عندما أصل إلى نهاية رحلتي. ولهذا السبب أقبل وكلّي أملٌ وشعور بالثقة والاطمئنان بهذا التغيير للمقرّ المفروض عليَّ الآن، وليس أنا فقط، بل كلّ إنسانٍ آخر يعتقد أنّ عقله قد أصبح جاهزاً لقبول ذلك، وأنّه يكون مطهَّراً بطريقة ما.

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: أولاً يتبع ذلك أنّ التطهير ليس شيئاً سوى انفصال الرّوح عن الجسد، وهذا كان موضوع حوارنا لبعض الوقت. إنّها العادة للروح مستجمعة قواها وضامّةً نفسها في نفسها من كلّ جانب خارج الجسد لتقطن في مكانها الذي يخصّها بمفردها، كما في الحياة الأخرى، كذلك في هذه الحياة، بقدر ما تستطيع ـ عتق الروح وتحرّرها من أغلال الجسد وقيوده.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: وهذا الانفصال وعتق الروح من الجسد يسمّى موتاً.

سيمياس: لتكن متأكّداً.

سقراط: والفلاسفة الحقيقيون، وحدهم، ينشدون أن يُعتِقوا الروح. أليس انفصال وعتق الروح من الجسد دراستهم الخاصة؟

سيمياس: صحيح.

سقراط: وكما قلت بادىء ذي بدء، ستكون هناك مناقضة مضحكة في دراسة الرجال الذين يعيشون قدر ما يقدرون تقريباً في حالةٍ شبيهةٍ بحالة الموت تلك، وبرغم ذلك يتذمّرون عندما يأتيهم الموت.

سيمياس: بوضوح.

سقراط: في الحقيقة، يا سيمياس، إنّ الفيلسوف الحقيقيّ، ينهمك على الدوام في ممارسة الموت. ولهذا السبب يكون الموت له أقلّ رهبةً من كلّ الرجال. أنظر

إلى المسألة هكذا: إذا كان الفلاسفة مبعدين عن الجسد بكل وسيلة، وإذا رغبوا وأرادوا أن يكونوا وحيدين مع الروح، فكم سيكونون متناقضين مع أنفسهم إذا ما ارتعدوا وتذمّروا عندما تُلبّى لهم هذه الرغبة، بدل أن يبتهجوا في مغادرتهم إلى ذلك المكان، حيث يأملون عندما يصلون، أن يكسبوا ذلك الذي رغبوه خلال حياتهم ـ وكانت رغبتهم في الحكمة ـ ولأن يتخلّصوا من صحبة عدوّهم ـ الجسد. إنّ عديداً من الرجال الذين فقدوا حبيبهم الأرضيّ بالموت، أو فقدوا زوجة، أو إبناً، قد كانوا مستعدّين ليذهبوا إلى العالم الآخر بحثاً عنهم وهم مفعمون بالحيوية والنشاط على أمل رؤيتهم هناك. ولكونه مع أولئك الذين يحنُّون لهم ويتشوّقون لرؤيتهم، إنّه سيكون محباً حقيقياً للحكمة، ويقتنع أنّ بإمكانه أن يستمتع بها بجدارة في العالم السفليّ فقط بأسلوبٍ مماثل. إنّه سيفعل ذلك بكلّ تأكيد، آه، يا صديقي، إذا كان هو فيلسوفاً صادقاً. لأنّه سيمتلك تلك الإرادة الثابتة هناك، وهناك فقط، يستطيع أن يجد الحكمة في صفائها وطهارتها. وإذا كان هذا حقيقياً، فسيكون مضحكاً جداً، كما قلت، أن يخاف من الموت.

سيمياس: إنّه سيكون حقّاً.

سقراط: وعندما ترى إنساناً يشتكي عند اقتراب الموت، أفلا يكون نفوره منه برهانا كافياً أنّه ليس محبّاً للحكمة بعد كلّ شيء بل محبّ للجسد، وربّما للمال أو للقوّة في الوقت عينه، أو لكليهما؟

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: وبعدئذ، يا سيمياس، أليست النوعيّة التي نسمّيها شجاعة هي أكثر صفةٍ مميّزةٍ للفيلسوف؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: يوجد الاعتدال مرّة ثانية ـ أعني النوعيّة التي يدعوها العاميُّ بذلك الإسم أيضاً، وهي الترفع الهادىء عن الشهوات وضبطها ـ أليس الاعتدال فضيلة

تختصّ بأولئك الذين يأنفون الجسد فقط ويزدرونه، والذين أمضوا حيواتهم في الفلسفة؟

سيمياس: الأكثر تأكيداً.

سقراط: لأنّك إذا أردت أن تهتمّ بتأمّل الشجاعة والاعتدال للرجال الآخرين، فما هما إلاّ تناقضٌ بتناقض.

سيمياس: كيف ذلك؟

سقراط: حسناً، إنّك لعالِمٌ بأنّ الموت يعتبره الرجال شرّاً عظيماً بشكل عامّ.

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: أولاَ يواجه الرجال الشجعان الموت لأنّهم خائفون أيضاً من شرور أعظم؟

سيمياس: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

سقراط: الكلّ إذن إلاّ الفلاسفة هم شجعانٌ من الخوف فقط، ولأنّهم خائفون؛ وبالرغم من ذلك ينبغي على الإنسان أن يكون شجاعاً من الخوف، وأنْ يكون جباناً، فذلك شيءٌ غريبٌ بالتأكيد.

سيمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: أولا يكون متمالكو أنفسهم في الحالة عينها بالضبط؟ إنّهم معتدلون لأنّهم يكونون مسرفين في معنىً - والذي يمكن أن يبدو أنّه مستحيل، لكنّه يكون مع ذلك نوع الشيء الذي يحدث مع هذا الاعتدال السخيف. لأن هناك الملذّات التي هم خائفون من فقدها، ورغبةً منهم للاحتفاظ بها، يمتنعون عن بعض الملذات لأنّهم يُقهرون بملذّاتٍ أخرى؛ وبرغم ذلك فالخضوع باللذة يدعى إفراطاً بالرجال. ويكمن الإخضاع باللذّة لهم لكونهم مقهورين بها. وهذا هو ما أعنيه بقول ذلك، بمعنى، أنّهم يُجعلون معتدلين من خلال الإفراط.

سيمياس: يبدو أن الحالة هي ما تقول.

سقراط: ومع ذلك فإنّ مبادلة خوف أو لذة أو ألم بخوفٍ آخر أو لذة أو ألم، مبادلة الأكثر بالأقلّ، كما لو كانت قطعاً نقديّة لا يكون التبادل الصحيح لمقياس الفضيلة. آه يا عزيزي سيمياس، أليس هناك قطعة نقدٍ حقيقية واحدة وهي التي ينبغي مبادلة كلّ هذه بها؟ ـ وهذه القطعة هي الحكمة؛ ونصل نحن إلى هذا بمصاحبة الشجاعة الحقّة أو الاعتدال أو العدل فقط. وبكلمة مختصرة، أليست الفضيلة هي الحقيقة كلّها الشريكة للحكمة، لا يهمّ أيّ خوف أو ملذات أو أيّة خيرات أخرى مشابهة أو شرور إذا تمكّنت أو لم تتمكّن من ملازمتها والعناية بها؟ غير أنَّ الفضيلة المركّبة من هذه الخيرات، عندما تُقطع من الحكمة والمبادلة مع بعضها بعضاً، فإنّ هذه الفضيلة لربّما تكون مجرّد مظهر كاذب للفضيلة، نوعية حقيرة، باطلة بالجملة وغير راسخة ولا ثابتة؛ أمّا الحقيقة فهي مختلفة عن ذلك اختلافاً كبيراً ـ إنَّ الاعتدال والعدل والشجاعة هي في الحقيقة إزالة كلّ هذه الأشياء. ويمكن أن تكون الحكمة نفسها نوعاً من المعموديّة في ذلك التطهير. إنّ واضعي الأسرار سيبدون أنّهم امتلكوا معنىً حقيقيّاً لها، ولم يكونوا خُلواً من الإدراك عندما لمَّحوا منذ القدم في شكل استعارة، أنّ مَن ينتقل إلى العالم السّفليّ وهو غير مطهَّرٍ وغير مطَّلعٍ ولا عارفٍ سيُرمى منبوذاً في الأرض الموحلة، لكنّ من يصل إلى هناك بعد الاطّلاع والتكريس والتطهير سيسكن مع الآلهة. إنّ « العديد » كما يقولون في الطقوس السرّيّة *المملوءَة بالألغاز، « العديد يحملون الصولجان المتوّج بحليةٍ على شكل كوز صنوبر ملفوف أحياناً بأوراق الكرمة، لكن قليلين هم الذين يكونون مُلْغَزين ويسلكون طريق المتصّوفة أو الباطنيّة » ـ بمعنى كما أؤوّل الكلمات هذه ـ إنّ هؤلاء القلّة هم « الفلاسفة الحقيقيّون ». إنّهم المجموعة التي قد كنت ناشداً خلال حياتي كلها أن أجد مكاناً بينهم ومعهم، ـ وإذا ما نشدت ذلك بطريقة صحيحة

أم لا وسواء نجحنا أو لم ننجح، لسوف نعرف بشكلٍ أكيد في فترة قصيرة، إذا أراد الله، حينما نصل إلى العالم الآخر ـ هذا هو اعتقادي، ولهذا السبب فإنني أجيب بأنّي محقّ، يا سيمياسِ وسيبس، في عدم أساي أو تذمّري على مغادرتكم ومغادرة أسيادي ومعلميَّ في هذا العالم لأنّي أعتقد بأنّني سوف أجد معلّمين وأصدقاء في العالم الآخر بشكل مماثل. إذا نجحت الآن في إتناعكم بدفاعي أفضل ممّا فعلت للقضاة الأثينيين، فسيكون ذلك جيّداً.

[عندما انتهى سقراط من كلامه، بدأ سيبس الحديث]، وقال: إنّي أوافقك، يا سقراط، في الجزء الأكبر ممّا تقول، لكن فيما يختصّ بالروح فالرجال عرضة للشكّ. يخافون هم من أنّ الروح عند مغادرتها الجسد فإنّ مكانها يمكن أن لا يكون في أيّ مكان، وأنّه يمكنها أن تفنى في اليوم المحدَّد للموت وتصل إلى نهايةٍ حال عتقها من الجسد، منطلقةً مثل الدخان أو النَفَس، مبعثَرَةً ومبدَّدةً إلى لا شيء في طيرانها. إذا ما استطاعت هي فقط أن تتجمَّع في نفسها بعد أن حصلت على تحريرها من الشرور التي تكلّمت عنها، سيوجد سببٌ كبير للأمل العظيم، يا سقراط، إنَّ ما تقوله صحيح. لكنّه يحتاج بكلّ تأكيد لمقدارٍ كبيرٍ من القدرة على الإقناع والبرهان لاثبات أنّه عندما يموت الإنسان فإنّ روحه تبقى برغم ذلك، وتمتلك أيّة قوةٍ أو فهمٍ وتفكير.

سقراط: حقاً، يا سيبس؛ وسأقترح أن نتأمّل معاً قليلاً فيما يخصّ احتمالات هذه الأشياء.

سيبس: أحبّ، من جهتي، أن أعرف رأيك بشأنها.

سقراط: أعتبر أن لا أحد ممّن سمعني الآن، حتّى إذا كان واحداً من أعدائي القدامى، شعراء الملهاة، أعتبر أنّه لا يستطيع أن يتّهمني بكلامٍ عديم الجدوى بشأن المسائل التي ليس لديَّ اهتمام بها ـ إذا تفضّلت، إذن، سوف نتقدّم نحن بالتحقيق.

أفترض أن نتأمّل السؤال وهو ما إذا ستكون أرواح الرجال بعد الموت في العالم السفلي أوْ لا. يلمع في ذهني تعليم غابر يؤكّد أنّها هي هناك بعد أن تغادر عالمنا، وعند عودتها إلى هنا، تكون مولودة من الموتىَ مرّة ثانية. والآن إذا كان صحيحاً أنّ الأحياء يأتون من الأموات، حينئذ فإنّ أرواحنا يجب وجودها في العالم الآخر لأنّها إن لم توجد، فكيف تقدر على الولادة مرّة ثانية؟ وسيكون هذا تعليلاً حاسماً ومقنعاً، إذا توطّد بثبات وهو أنّ الأحياء يولدون من الأموات وليس لهم أيّ أصلٍ أو مصدرٍ آخر؛ لكن إن لم يكن هذا كذلك، فلسوف ينبغي تقديم محاورات أخرى بعدئذٍ.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: دعنا نتأمّل مليّاً القضية بمجملها آنئذ، ليس بالنسبة إلى الإنسان فقط، بل بالنسبة إلى الحيوانات بشكل عامّ، وإلى النباتات، وإلى كلّ شيء فيه توالد، وسيكون الجواب أسهل. ألا تتولّد كلّ الأشياء الّتي لها مضادّات من مضادّاتها، أعني هكذا أشياء كالجمال والقبح، العادل والظالم - وتوجد حالات أخرى لا تُعد. دعنا نتأمل مليّاً لذلك إذا كان ضروريّاً من أنّ شيئاً يجب أن يأتي إلى الوجود من ضدّه الذي يخصّه، إذا كان له ضدّ، وليس من أيّ مصدرٍ آخر؛ كمثال، أيّ شيء يصبح أكثر بعد كونه أقلّ.

سيبس: صدقاً.

سقراط: وذلك الذي يصبح أقلّ لا شك أنّه قد كان مرّة أكثر ويصبح أقلّ بعدئذ؟

سيبس: نعم.

سقراط: ويتولّد الضعيف من الأقوى، والأسرع من الأبطأ؟

سيبس: صحيح جدّاً.

سقراط: ويتولّد الأسوأ من الأفضل، والأكثر عدلاً من الأكثر ظلماً؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: وهل يكون هذا حقيقياً عن كل المتضادات؟ وهل نحن مقتنعون بأنها تتولّد كلّها من المتضادّات؟

سيبس: نعم.

سقراط: وفي هذا التضادّ الشامل لكلّ الأشياء، ألا توجد أيضاً عمليتان متوسطتان مستمرّتان على الدوام، من المضادّ الواحد إلى الآخر، وتعودان مرّة ثانية؟ مثلاً، حيث يوجد أكثر وأقلّ توجد أيضاً العمليّة المتوسطة للزيادة والنقصان، وهكذا يقال إنّ شيئاً ينقص أو يزيد.

سيبس: نعم.

سقراط: وتوجد علميّات أخرى متعدِّدة، مثل التحليل والتركيب، التبريد والتسخين، اللتان تستلزمان انتقالاً من حالةٍ إلى أخرى. ويثبت هذا عن كل المتضادّات بالضرورة، ولا يعبَّر عن ذلك في كلمات دائماً مع هذا ـ إنّها تتولّد حقاً بعضها من بعض، ويوجد انتقالٌ أو تقدمٌ من أحدهما إلى الآخر.

سيبس: صحيح تماماً.

سقراط: حسناً، ألا يوجد مضادٌّ لكونك حيّاً، كما يكون النوم مضادّاً لكونك مستيقظاً؟

سيبس: صدقاً.

سقراط: وما هو؟

سيبس: كونك ميتاً.

سقراط: وإذا كان هذان متضادّين، فهما متولّدان بعضهما من بعض ويمتلكان عمليتين وسطيّتين أيضاً.

سيبس: طبعاً.

سقراط: والآن، فإنّني سأحلّل واحداً من الزوجين المتضادّين اللذين ذكرتهما لك وسأحلّل عمليّتهما الوسطيتين أيضاً، وأنت سوف تحلّل لي الأخرى. إنّ

العضوين الإثنين للثنائي الأول هما النوم واليقظة. إنّ حالة النوم هي مضادّة لحالة اليقظة، ويتولّد النوم منها، وتتولّد اليقظة من النوم؛ وتكون عملية الولادة في الحالة الأولى ساقطاً نائماً؛ وفي الأخرى مستيقظاً. هل توافق؟

سيبس: إنّني أوافق بشكل كامل.

سقراط: إفترض أنّك تحلّل لي الحياة والموت في الأسلوب عينه بعدئذ. ألا تُضادّ حالة الموت حالة الحياة؟

سيبس: نعم.

سقراط: وهما متولّدتان بعضهما من بعض؟

سيبس: نعم.

سقراط: ماذا يتولّد من الحيّ؟

سيبس: الميّت.

سقراط: وماذا من الميّت؟

سيبس: أستطيع أن أقول كجواب، الحيّ.

سقراط: إذن، فإنّ الحيّ، يا سيبس، سواء أكان أشياءَ أو أشخاصاً، يتولّد من الميّت.

سيبس: سيبدو أنّه كذلك.

سقراط: نستنتج أنَّ أرواحنا توجد في العالم السفليّ.

سيبس: يبدو هكذا.

سقراط: وتكون واحدة من العمليتين أو الولادتين مرئيَّة لأنّ عمل الموت مرئي.

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وماذا ستكون النتيجة إذن؟ هل سنستثني ونقصي العمليّة المضادّة؟ وهل سنفترض أنّ الطبيعة تكون عرجاء في هذا المنحى؟ ألا يجب أن نعزو عمل الموت إلى عمليّةٍ متطابقةٍ ومتشابهةٍ للتوليد على الأصحّ؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وما هي العملية تلك؟
سيبس: العودة إلى الحياة.
سقراط: والعودة إلىَ الحياة، إذا وجد شيءٌ كهذا، هي دخول الأموات في عداد الأحياء.
سيبس: صحيح تماماً.
سقراط: توجد طريقة جديدة إذن نصل بواسطتها إلى الاستنتاج بأنّ الأحياء يأتون من الأموات، تماماً مثلما يأتي الأموات من الأحياء؛ واتفقنا بأنَّ هذا، إذا كان حقيقياً، سيكون برهاناً كافياً على أنّ أرواح الموتى يجب وجودها في مكانٍ ما خارج المكان الذي تأتي إليه مرّة ثانية.
سيبس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ الاستنتاج يفيض خارج اعترافاتنا السابقة بالضرورة.
سقراط: وإنَّ هذه الاعترافات لم تكن خاطئة، يا سيبس، وأعتقد بأنّه يمكن إظهار ذلك بما يلي: إذا كان التولّد في خطٍّ مستقيم فقط، ولم يكن هناك تعويض أو دورة في الطبيعة، لا دوران أو عودة العناصر إلى أضدادها، فإنّ كلّ الأشياء سيكون لها أخيراً الشكل عينه وتعاني القدر نفسه عندئذ، ولن يكون هناك أيّ توالد منها بعد اليوم.
سيبس: ماذا تعني؟
سقراط: أعني شيئاً بسيطاً كافياً، هو الذي سأشرحه بحالة النّوم. تعرف أنت أنّه إذا لم يوجد تبديل للنوم واليقظة، فإنّ قصّة آنديوم النائم لن يكون لها أيّة غاية في النهاية لأنّ كلّ الأشياء الأخرى ستنام أيضاً، ولن تتميَّز هي من الأشياء الباقيّة. أو إذا وُجِد تركيب فقط، ولم يوجد تحليل للموادّ، سيكون لدينا قريباً بعدئذ خليط[٣٤] أناكساغوراس حيث « كلّ الأشياء كانت معاً ». وفي أسلوبٍ مماثل، يا عزيزي سيبس، إذا كانت كلّ الأشياء التي تشترك في

الحياة تموت، وأنّ تبقى بعد موتها في شكلٍ ميّت ولن تأتي إلى الحياة مرّة ثانية، فإنّ كلّ شيء سيموت أخيراً، ولا شيء سَيحيا ـ أيّة نتيجة أخرى يمكن أن توجد؟ لأنّه إذا كان لدى الأشياء الحيّة أيّ أصلٍ آخر، وأنّ الأشياء الحيّة تموت، ألا يلزمِ أن يبتلع الموت كلَّ الأشياء أخيراً؟[٣٥]

سيبس:ـ لا مفرّ من ذلك، يا سقراط؛ وتبدو محاورتك لي أنها حقيقيّة على نحوٍ قاطع.

سقراط: نعم، يا سيبس، إنّها لكذلك وينبغي أن تكون هكذا، في رأيي، ونحن لم نضلّل أحداً في الإدلاء بهذه الاعترافات؛ لكنّني واثق بأنّه يوجد هكذا شيء بحقّ كالحياة مرّة ثانية، وأنّ الأحياء يبرزون للوجود من الأموات، وأنّ أرواح الموتى تكون دائمة الوجود.

سيبس: [مقاطعاً] نعم، إنّ تعليمك المفضّل، يا سقراط، وهو أنَّ علمنا يكون تذكّراً بكلّ بساطة، إذا كان هذا التعليم صحيحاً، فإنّه يدلّ ضمناً بالضرورة أيضاً على زمنٍ سابقٍ للزمن الذي تعلّمنا فيه ذلك الذي نتذكّره الآن. لكنّ هذا سيكون مستحيلاً إلاّ إذا قد كانت أرواحنا في مكانٍ ما قبل وجودها في هذا الشكل الإنسانيّ. يوجد هنا برهانٌ آخر على خلود الروح إذن.

سيمياس: [مقاطعاً مرة ثانية] لكن قل لي، يا سيبس، أيّة حُجج تُدفع بقوّة في خدمة تعليم التذكّر هذا. إنّني لستُ متأكّداً بأنّني أتذكّرها الآن في هذه اللحظة.

سيبس: إنَّ برهاناً واحداً ممتازاً، تمنحه الأسئلة. إذا طرحت سؤالاً على شخص بشكلٍ مناسب، فهو سيعطيك جواباً حقيقيّاً. لكن كيف يستطيع فعل ذلك ما لم توجد معرفةٌ وتعليلٌ صحيحٌ للمسألة التي هي فيه قبل الآن؟ مرّة ثانية، فإنّ هذا يُبيِّن بشكل واضح وجليّ عندما يؤخذ أحدهم إلى رسمٍ تخطيطيّ أو لأيّ شيء من ذلك النوع[٣٦].

سقراط: لكنّك إذا كنت لا تزال ميّالاً إلى الشكّ، يا سيمياس، فإنّني أسألك إذا أمكنك أن تتّفق معي عندما تنظر إلى المسألة بطريقة أخرى ـ أعني إذا كنت لا تزال شاكّاً إلى درجة أنّك لا تعتقد إذا كان الذي يسمى معرفة هو تذكّر؟

سيمياس: إنّني لست شكوكيّاً ولا شاكّاً، لكن أريد إحضار هذا التعليم للتذكّر إلى ذاكرتي، ومِنَ الذي بدأ سيبس بقوله، بدأت أتذكّر وأقتنع. لكنّي لا أزال أحب أن أسمعك موضِحاً ومظهِراً محاورتك التي تخصّك بالتفصيل.

سقراط: إنّ هذا هو ما سأقوله: علينا أن نتّفق، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ ما يتذكّره إنسانٌ ينبغي أن يكون عرفه في زمنٍ سابقٍ ما.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: وهل نتّفق أيضاً على أنّ المعرفة التي نحرزها بالطريقة التي أنا على وشك أن أصفها لك هي التذكّر؟ أعني، إذا كان الشخص الذي رأى أو سمع أو أدرك أيّ شيء بأيّة طريقة، إذا كان لا يعرف ذلك فقط، بل يفكّر أيضاً بشيء آخر، والذي يكون موضوعه ليس من النوع عينه بل من نوعٍ آخر للمعرفة، ألا يمكن أن يقال إنّه يتذكّر ذلك الذي يفكر به بحقّ؟

سيمياس: كيف تعني؟

سقراط: أعني ما يمكنني أن أوضحه بالمثل التالي: إنّ معرفة العزف على القيثارة ليس الشيء عينه كمعرفة الإنسان.

سيمياس: لا بالطّبع.

سقراط: ومع ذلك ما هو شعور المحبّين عندما يتعرّفون إلى القيثارة، أو العباءَة، أو إلى أيّ شيء آخر قد كان المحبوب معتاداً على استعماله؟ ألا يشكّلون هم، من معرفتهم بالقيثارة، ألا يشكّلون في عين العقل صورة عن الشاب الذي تخصه القيثارة؟ ويكوِن هذا هو التذكّر. في أسلوبٍ مماثل فإنَّ أيَّ شخص

يرى سيمياس يمكنه أن يتذكّر سيبس غالباً؛ وتوجد أمثلة لا نهائيّة من الشيء عينه.

سيمياس: إنّها لا نهائية حقّاً.

سقراط: أليس هذا الضرب من الشيء نوعاً من التذكّر، وكأن الكلمة تُطبّق عملياً على عملية استعادة أو استرداد ذلك الذي قد نُسي من قبلُ خلال الزمن وفي غفلة بشكلٍ عامّ؟

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: حسناً؛ أوَلاَ يمكنك أنت أيضاً أن تتذكّر إنساناً لدى رؤيتك لصورة حصان أو لقيثارة، وبإمكانك أن تهتدي لتتذكّر سيبس، من مشاهدة صورة سيمياس؟

سيمياس: حقاً.

سقراط: أو يمكنك أن تهتدي إلى تذكّر سيمياس ذاته أيضاً؟

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: وفي كلّ هذه الحالات، يمكن أن يشتقّ التذكّر من الأشياء إمّا المتشابهة أو غير المتشابهة؟

سيمياس: يمكن أن يكون ذلك.

سقراط: وحينما يشتقّ التذكّر من الأشياء المتشابهة، سينشأ اعتبار آخر حينئذ، هو الذي يُتذكّر ـ سواء قَصُر التشابه أو لم يقصر عن ذلك في أيّة درجة عن ذلك الذي يُتذكّر.

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: والآن تأمّل هذا السؤال. ألسنا نؤكّد بأنّه يوجد شيء كالمساواة، ليس لقطعةٍ من الخشب أو الحجارة أو شيء ذي موادّ متشابهة مع الآخر، بل إنّه يوجد فوق وزيادةً على هذا مساواة مطلقة؟ هل سنقول ذلك؟

سيمياس: قل ذلك، نعم، وأُقسم بها. أُقسم بها بكلّ الثقة والجرأة في الحياة.

سقراط: وهل نعرف نحن طبيعة هذا الوجود المطلق؟

سيمياس: لتكن متأكداً.

سقراط: ومن أين حصلنا نحن على معرفتنا هذه؟ ألم نرَ المساواة للأشياء المادّيّة، مثل قطع الأخشاب والحجارة؟ ألَم نتصوّر وندرك منها فكرة المساواة التي تختلف عنها، لأنّك ستعترف بأنّه يوجد فرق وتباين؟ أو أُنظر المسألة بطريقة أخرى: ألا تبدو لإنسانٍ القطعُ عينها من الأخشاب أو الحجارة أنها متساوية، وتبدو لآخر أنها غير متساوية؟

سيمياس: إنّ ذلك لأكيد.

سقراط: لكن هل ظهر المتساوون الصافون لك غير متساوين؟ أو أنّ المساواة هي الشيء عينه مثل غير المتساوي؟

سيمياس: أبداً، يا سقراط.

سقراط: إذن فإنّ هذه الأشياء المتساوية لا تكون الشيء عينه مع فكرة المساواة؟

سيمياس: عليّ أن أقول لا، بوضوح.

سقراط: ومع ذلك فإنّ من هذه المتساويات حصلت على المعرفة لتلك الفكرة، برغم اختلافها عن فكرة المساواة.

سيمياس: حقيقي جداً.

سقراط:. التي يمكن أن تكون شبيهة، أو يمكن أن تكون غير شبيهة بها.

سيمياس: نعم.

سقراط: لكنّ هذه لا تصنع تبايناً أو فرقاً طالما أنّك من رؤية شيء واحد تتصوَّر شيئاً آخر، سواء أكان متشابهاً أو غير متشابه. يلزم أن يكون قد وُجد عمل تذكّر.

سيمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وماذا ستقول عن أجزاء الأخشاب المتساوية، أو عن المواد الأخرى المتساوية؟ وما هو الانطباع الذي تحدثه؟ أهي متساوية في المعنى بعينه الذي يكون فيه المتساوي المطلق متساوياً؟ أو أنّها تقصّر عن هذه المساواة الكاملة في القياس؟

سيمياس: نعم، إنّها تقصّر في قياسٍ عظيم جدّاً أيضاً.

سقراط: أولاَ يجب أن نجيز، إنّه عندما ينظر الإنسان في أيّ هدفٍ، أن يفكر مليّاً. « الشيء الذي أراه أنا يشير إلى كونه يشبه شيئاً آخر ما، لكنه يقصّر عنه ولا يستطيع أن يكون مثل ذلك الشيء الآخر، ويكون أقلّ شأناً أو قيمة ». إنَّ من يفكّر هكذا مليّاً ينبغي أن تكون عنده معرفة سابقة عن تلك التي للآخر، وبرغم تشابهها، فهي أدنى مرتبة.

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: وقد كانت هذه حالتنا الخاصة في مسألة المتساويات والمساواة المطلقة.

سيمياس: بالضبط.

سقراط: يلزم إذن أنّنا عرفنا المساواة من قبلُ وسابقاً حينما رأينا الموادّ المتساوية بادىء ذي بدء، وتأمّلنا مليّاً أنّها تكافح لتنال المساواة المطلقة، لكنها تقصّر عنها.

سيمياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وميّزنا أيضاً أنّنا استمدَدْنا هذا الفهم للمساواة المطلقة، ونقدر على أن نستمدّها من البصر أو اللمس فقط، أو من بعض الحواسّ الأخرى التي تتشابه كلّها من هذه الناحية.

سيمياس: نعم، يا سقراط، لأنّ أهداف محاورتنا الحاضرة، وواحدٌ منها يكون الشيء عينه كما هو الآخر.

سقراط: يشتقّ من الحواسّ التصوُّر والإدراك إذن، وأنّ كلّ المتساويات المحسوسة تشير إلى مساواة مطلقة تقصّر عنها كل تلك المتساويات.

سيمياس: نعم.

سقراط: إذن، وقبل أن نبدأ لنرى أو نسمع أو نفهم بأيّة وسيلة، يجب أن تكون لدينا معرفة للمساواة المطلقة، وإلاّ فلا نستطيع أن نعزو لذلك المقياس المتساويات التي استُمِدَّت من الحواسّ لأنّها لذلك جميعها تتوق وترتفع، وعن ذلك، هي تقصّر وتنقص.

سيمياس: لا يمكن أن تُستنتج أيّة نتيجة أخرى من المحاورات السابقة.

سقراط: أولَم نبدأ لأن نرى ونسمع وبأن نستعمل حواسّنا الأخرى حال ولادتنا؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: يجب إذن أنّنا أكتسبنا المعرفة عن المساواة في زمنٍ سابقٍ ما.

سيمياس: نعم.

سقراط: أفترض، يعني، قبل أن وُلِدْنَا.

سيمياس: يبدو هكذا.

سقراط: وإذا نلنا هذه المعرفة قبل ولادتنا، ووُلِدْنَا ونحن نجيد استعمالها، فإنّنا عرفنا إذن أيضاً قبل أن نُولد وفي لحظة الولادة ليس المتساوي فقط أو الأكثر أو الأقلّ، بل كلّ الأفكار الأخرى كتلك. ولا نتكلّم نحن عن الولادة فقط، بل عن الجمال، الخير، العدل، التقوى، وعن كل ذلك الذي نَسِمُهُ باسم الوجود المطلق في العملية الجدليّة الديالكتيكيّة حينما نسأل وعندما نجيب على الأسئلة كلها. إنّنا نؤكّد عن كلّ هذا بكل يقين أنّنا نكتسب المعرفة قبل الولادة.

سيمياس: إنّنا نفعل ذلك.

سقراط: لكن إذا لم ننسَ، بعد اكتسابنا لها، إذا لم ننسَ ما أحرزناه في كلّ مناسبة، يجب حينئذ أن نأتي إلى الحياة ممتلكين هذه المعرفة على الدوام، ولسوف نحوزها دائماً طالما بقيت الحياة لأنّ العارف يكون المكتسب

والمتبقي على المعرفة والمتذكّر لها وليس فاقدها. أليس خسران المعرفة، يا سيمياس، هو تماماً ما نسمّيه النسيان؟

سيمياس: حقيقي تماماً، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا فقدنا هذه المعرفة عند الولادة والتي كسبناها قبلاً، وإذا استعدنا ما عرفنا من قبل بعدئذ باستعمال حواسنا، ألا تكون العمليّة التي ندعوها تعلّماً إسترداد وآستعادة المعرفة التي هي طبيعيّة لنا؟ أولاَ يمكن أن يسمّى هذا تذكّراً بحقّ؟

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إن هذا واضح لهذا الحدّ، وهو أنّنا عندما ندرك شيئاً ما، إمّا بمساعدة البصر، أو السمع، أو أيّة حاسّة أخرى، فهذا الإدراك يستطيع أن يقودنا لأن نفكّر بشيءٍ ما آخر شبيهاً أو غير شبيهٍ ويتلازم معه لكن قد تمّ نسيانه. من أجل ذلك يتبع أحد الخيارين الإثنين، كما قلت: إمّا أنّنا نمتلك هذه المعرفة عند الولادة ونواصل معرفتها أثناء الحياة؛ أو، بعد الولادة. فإنّ أولئك الذين يقال عنهم إنّهم يتعلّمون يتذكّرون فقط، ويكون العلم تذكّراً بكلّ بساطة.

سيمياس: نعم، إنّ ذلك حقيقيّ تماماً، يا سقراط.

سقراط: وأيّ خيار تفضّل، يا سيمياس؟ هل نتملك المعرفة عند ولادتنا، أو أنّنا نتذكّر الأشياء التي عرفناها من قبلِ ولادتنا فيما بعد؟

سيمياس: إنّني لا أقدر أن أقرّر في هذه اللحظة.

سقراط: على كل حال فأنت تستطيع أن تقرّر سواء أكان الذي يمتلك هذه المعرفة سيقدر أو لا يقدر على أن يقدّم حساباً بشأن المسائل التي تكلّمنا عنها للحظةٍ خلت؟

سيمياس: يمكن أن يكونوا قادرين، يا سقراط، لكنّني أخشى كثيراً من أنّ غداً على الأصحّ، في هذا الوقت، لن يكون هناك أيّ شخص حيّ بعد اليوم يقدر على أن يقدّم لنا حساباً عنها كما يجب تقديمه.

سقراط: إذن أنت لا ترى، يا سيمياس، أنّ كلّ الرجال يعرفون هذه الأشياء؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: إنّهم في عملية تذكّرٍ ذلك الذي تعلّموه قبلاً.

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: لكن متى نالت أرواحنا هذه المعرفة؟ ليس منذ وُلدنا كرجال بوضوح؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: ولهذا السبب، فمن قبلُ؟

سيمياس: نعم.

سقراط: لا شك أنّ أرواحنا وُجِدَت بدون أجساد إذن، يا سيمياس، قبل أن تصير إلى الشكل الإنساني، ولا شكّ أنّها امتلكت ذكاءً.

سيمياس: إلاّ إذا افترضت حقاً، يا سقراط، أنَّ كلّ معرفة كتلك تُعطى لنا لحظة ولادتنا بالتحديد لأنّ هذا هو الوقت الذي يبقى فقط.

سقراط: نعم، يا صديقي، لكنّ إنْ هكذا، صلِّ، متى نحن نفتقدها؟ لأنّها لا تكون فينا عندما نولد ـ لقد اعترفنا بذلك. هل نضيّعها في لحظة تلقّيها، وإلاّ ففي أيّ وقت غيره؟

سيمياس: لا، يا سقراط، أُدرك بأنني كنتُ متكلّماً بإسفافٍ بدون وعي.

سقراط: ألا يمكننا أن نقول إذن، يا سيمياس، إنّها إذا وجدت هذه الأشياء التي نتكلّم عنها على الدوام، الجمال والخير المطلق، وكل أنواع الحقائق هذه؛ وإذا أرجعنا كلّ حواسنا إلى هذه وقارنّاها بها، واجدين أن الحقائق تكون سابقةً لوجودنا ولِمَا يخصّنا من ممتلكات ،عندئذ تماماً كما توجد تلك بالتأكيد، هكذا يجب أن أرواحنا وُجدت قبل ولادتنا بدون ريب؟ وإلا فإنّ محاورتنا ستكون عديمة الجدوى. ينبغي أن نعتقد باضطرار متساوٍ أن هاتين الحقيقتين توجدان كلاهما، وأنّ أرواحنا وُجدت قبل ولادتنا؛ وإنْ لم توجد الحقائق، فلن توجد الأرواح حينئذ.

سيمياس: نعم، يا سقراط، إنّني لمقتنعٌ بأنّها توجد الضرورة عينها للواحدة كما للأخرى بالضبط؛ وتجد المحاورة ملجأً أميناً في الموقع عينه، وهو أنَّ وجود الأرواح قبل الولادة لا يمكن أن يفصل عن وجود الحقيقة التي عنها نتكلّم. إنّه لا يوجد أيُّ شيءٍ جليٍّ لعقلي، مثل أنَّ الجمال، الخير، والحقائق الأخرى التي تكلّمتُ عنها أنت لتوّك الآن، توجد في القياس الأتمّ إمكاناً؛ وإنّني لمقتنعٌ بالبرهان الذي أعطيته.

سقراط: حسناً، لكن هل يكون سيبس مقتنعاً؟ لأنّه ينبغي عليَّ أن أقنعه أيضاً.

سيمياس: أعتقد أنَّ سيبس مقتنع، مع أنه أكثر المخلوقات شكوكيّة؛ وأنا أعتقد برغم ذلك بأنّه مقتنع بوجود الروح قبل الولادة بما فيه الكفاية. لكنْ أن تواصل الروح وجودها بعد الموت فهذا ليس مبرهناً حتّى إلى قناعتي الخاصة. إنّي لا أستطيع التخلّص من الإعتراض الذي أشار إليه سيبس ـ الخوف العامّ من أنَّ الروح تتبدد في اللحظة التي يموت الإنسان فيها. ومعترفون بأنّها إنْ أتت إلى الوجود وصيغت من بعض الموادّ الأخرى التي لا تُعرف، وكانت في وجود قبل دخولها الجسد، فلماذا لا تُدمَّر وتصل إلى نهايةٍ بعد دخولها في الجسم وخروجها منه مرّة ثانية؟

سيبس: حقيقيّ جدّاً، يا سيمياس، يبدو أن حوالى نصف ما كنّا بحاجة إليه قد تمّت برهنته؛ وقبلت ملكتنا العقلية بوجود أرواحنا قبل ولادتنا ـ لكن يبقى قسم آخر وهو لا يزال بحاجةٍ إلى إعطاء البرهان عليه، ألا وهو أنَّ الروح ستبقى بعد الموت تماماً كما هي قبل الجسد، ويجب تقديم هذا البرهان أيضاً؛ وسيكون إثبات ذلك تاماً حين إعطائه.

سقراط: لكن ذلك البرهان يا سيمياس وسيبس قد أُعطي مسبقاً، إذا وضعتما المحاورتين معاً ـ أعني هذه المحاورة وسابقتها واللتين اتّفقتما فيهما على أنَّ كلّ شيء حيٍّ يولد من الأموات. لأنّه إذا وُجدت الروح قبل الجسد، وفي

مجيئها إلى الحياة وكونها مولودة يمكنها أن تولد من الموت ومن حالة الموت فقط. أقول إذا وجدت قبل الجسم ألا يجب أن تواصل وجودها بعد الموت، بما أنها ينبغي أن تولد مرّة ثانية؟ بكلّ تأكيد إنَّ البرهان الذي رغبتما في الحصول عليه قد أمددناكم به مسبقاً. يبقى ما هو في حسباني، وهو أنّك ستكون جذلاً، يا سيمياس، كي نجري تحقيقاً دقيقاً معاً بشأن المحاورة. أنت مثل الأطفال، تنتابك المخاوف من أنّ الروح عندما تغادر الجسد يمكن للريح أن تشتتها وأن تبعثرها حقّاً؛ خاصّة إذا ما صدف أن مات الإنسان أثناء عاصفةٍ عظيمة وليس حينما يكون الطقس هادئاً.

أجاب سيبس بابتسامة: يجب عليك أن تحاورنا من منطلق خوفنا إذن، يا سقراط - ومتكلّماً بدقة مع هذا، إنّ هذا الخوف لا يخصّنا، لكن لربما كان فينا نحن الرجال طفلٌ يرى الموت نوعاً من الفزّاعة. هو أيضاً ينبغي علينا أن نقنعه كي لا يخاف.

سقراط: دع صوت الساحر يُستعمل يومياً حتّى يفعل السّحر فعله مع الخوف ويهجرك.

سيبس: وأين سنجد الساحر الخيّر لخوفنا وأنت الآن ستهجرنا وتتركنا، يا سقراط؟

سقراط: إنّ هيلاس بلاد فسيحة، يا سيبس، وفيها رجال أخيار، وهناك سلالات بربريّة كثيرة العدد. إبحث عنه بينهم كلّهم، في البعد وفي الإتساع، ولا تدَّخر وسعاً لا في بذل المال ولا في تحمّل الآلام؛ إذ ما مِن طريقة أفضل كي تنفق مالك وتتحمَّل الآلام. وعليكما، يا سيبس وسيمياس، أن تبحثا في نفسيكما أحدكما مع الآخر أيضاً لأنّه لربما لن تجدوا الآخرين مستعدّين للاقتدار على القيام بذلك بسهولة.

سيبس: إنّنا سنقوم بالبحث بكلّ تأكيد، يا سقراط. والآن، إذا أردت، دعنا نعود إلى النقطة الرئيسية التي وصلنا إليها في المحاورة.

سقراط: مهما كلّف الأمر، وأيُّ شيء آخر سيسّرني أكثر؟

سيبس: جيّد جداً.

سقراط: ألا يلزم أن نسأل أنفسنا ما هو الشيء المعرّض للتلاشي، ولأيّ نوعٍ من الشيء يجب أن نخاف حلول هذا القدر عليه؟ وماذا يكون ذلك الذي لا نحتاج أن نخاف عليه؟ ويمكننا أن نتقدّم حينئذ إلى نقطة أبعد ونتساءَل أيّ النوعين الإثنين تخصّ الروح؟ إنّ آمالنا وتخوّفاتنا نحو أرواحنا الخاصّة بنا سيعتمد على الإجابة على هذه الأسئلة.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: والآن فإنّ ذلك يكون مركّباً وهو مؤلف من عدة أجزاء بالطبيعة، يمكن أن يُفترض لذلك أنه يكون عُرضة، كونه مركّباً، لأن يكون مُنْحلاً هكذا أيضاً. لكنّ ذلك الذي لا يتألف من عدة أجزاء، وذلك فقط، يجب أن لا ينحلّ، إذا كان أيّ شيء غير قابل للحلّ أو الذوبان.

سيبس: نعم، عليّ أن أتصوّر ذلك.

سقراط: ويمكن أن يُفتَرض الذي لا يتركب من عدة أجزاء أنّه الشيء نفسه وغير متبدّلٍ ولا متحوّل، في حين أنّ المركب من أشياء عدّة يتبدّل على الدوام ولا يكون الشيء عينه قطّ.

سيبس: إنّني أوافق.

سقراط: إذن دعنا الآن نعود إلى البحث السابق. أتكون تلك الحقيقة والتي نعطي نحن تعليلاً عن وجودها في العملية المنطقيّة الديالكتيكيّة سواء أكانت المساواة، الجمال، أو أيّ شيء آخر، أقول، أتكون هذه الحقائق عرضةً لأن تتغيّر وتتبدّل قليلاً أو بعض الشيء خلال الزمن؟ وهل يكون كلٌّ منها، ما هو على الدوام، له الوجود الذاتي الموحَّد نفسه والطبائع عينها التي لا تتغيّر أو تتبدَّل، لا تقبل التنويع على الإطلاق، أو في أيّة طريقة، أو في أيّ زمن؟

سيبس: يجب أن تكون الشيء عينه، يا سقراط.

سقراط: وماذا ستقول عن الجمال المتعدِّد، كمثال، جمال الرجال أو الأحصنة أو الأثواب أو أيّة أشياء أخرى كهذه، أو عن المتساوي المتعدد، أو عن كلّ الأشياء الأخرى التي تسمَّى بالأشياء عينها والتي تدعى بها الحقائق بشكلٍ عامّ؟ هل هي الشيء عينه على الدوام؟ ألا يمكن وصفها بمصطلحاتٍ عكس ذلك بالضبط على الأصحّ، مثل أنها متغيرة دائماً تقريباً وبالكاد تكون الشيء عينه أبداً إمَّا مع أنفسها أو مع بعضها بعضاً؟

سيبس: أقول الأخير، يا سقراط، أي أنّها في حالة تبدّلٍ على الدوام.

سقراط: وهذه تستطيع لمسها ورؤيتها وإدراكها بالحواسّ. لكنّ الأشياء اللاّمتغيرة يمكنك الإحاطة بها وفهمها جيداً بالعقل - إنّها غير مرئيَّة وهي لا تشاهد.

سيبس: إن هذا حقيقي جداً.

سقراط: حسناً إذن، دعنا نفترض بأنه يوجد نوعان من الوجود أحدهما مرئي، والآخر غير منظور.

سيبس: دعنا نفترضهما كذلك.

سقراط: إنّ المرئيّ هو المتغير، واللاّمتبدل غير المنظور.

سيبس: يمكن افتراض ذلك أيضاً.

سقراط: وبالإضافة إلى ذلك، فماذا تقول عن أنفسنا، أليس الجسم جزءاً واحداً، والروح هي الجزء الآخر؟

سيبس: لتكن متأكّداً.

سقراط: ولأيّ نوع يكون الجسم أكثر شبهاً وقرباً؟

سيبس: إلى المرئي بوضوح - لا يستطيع أحدٌ أن يشكّ في ذلك.

سقراط: هل الروح منظورة أو غير منظورة؟

سيبس: ليس بالإنسان، يا سقراط.

سقراط: وماذا نعني نحن، ب « المرئيّ » وب« غير المرئي »؟ أهو ذلك الذي يُرى أو لايُرى بعين الإنسان؟

سيبس: نعم، بعين الإنسان.

سقراط: أوَ تكون الروح منظورة أو غير منظورة؟

سيبس: غير مرئيّة.

سقراط: لا تشاهد إذن؟

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ الروح تكون أكثر شبهاً باللاّمرئيّ، والجسم بالمرئيّ.

سينس: يتبع ذلك بالضرورة، يا سقراط.

سقراط: أولم تقل منذ بعض وقتٍ مضى أنّ الروح عند استعمالها الجسد كأداة إدراك، يعني، عند استعمالها لحاسّة البصر أو السمع أو لحاسة ما أخرى « لأنّ معنى الإدراك من خلالِ الجسد وبواسطته هو إدراك من خلال الحواسّ وبواسطتها »، ألم نقل إنّ الروح تكون حينئذٍ مسحوبة بالجسد أيضاً إلى منطقة المتغير وتهيم وترتبك؟ إنّ العالم يدور دوراناً سريعاً حولها. وهي تشبه السّكران عندما تلامس التغيُّر.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكنّها تتأمّل ملياً حين عودتها إلى ذاتها، بعد أن تمرّ إلى العالم الآخر، إلى منطقة الصفاء، والخلود، والبقاء، واللاّمتغير، التي تكون مثيلاً لها وشبيهة بها، وهي تحيا معها على الدوام، عندما تكون بنفسها ولا تُترك أو تُعاق؛ عندئذ تنقطع هي عن التّيهِ، وكونُها في اتّصالٍ مع الأشياء التي لا تتغيَّر فهي تكون غير متغّيرة بالنسبة لها. وحالة الروح هذه تُسَمّى الحكمة.

سيبس: إنّ ذلك قيل بحقّ وصدق، يا سقراط.

سقراط: ولأيّ نوع تكون الروح أكثر شبهاً ونسباً على وجه التقريب، بقدر ما يمكن استنتاجه من المحاورة، كما استنتجنا من سابقتها؟

سيبس: أعتقد، يا سقراط، أنّ الروح ستكون مثلَ اللاّمتغير على نحوٍ غير محدود، في رأي كلّ من يتابع المحاورة ـ حتى أنّ الشخص الأكثر غباءً لن ينكر هذا.

سقراط: ويكون الجسم أكثر شبهاً بالمتبّدل.

سيبس: نعم.

سقراط: وبرغم ذلك تأمّل المسألة في ضوء آخر مرّة ثانية: عندما تتَّحد الروح والجسم، فإنّ الطبيعة تأمر الروح عندئذ أن تسيطر وتحكم، والجسد أن يطيع ويخدم. والآن أيٌّ من هاتين الوظيفتين هي شبيهة بالإلهي؟ وأيُّها يشبه الفاني؟ ألا يبدو لك الإلهيّ أنّه ذلك الذي يُصاغ ليحكم ويأمر، وأنّ الفاني هو ذلك الذي يكون بطبيعته تابعاً وخادماً؟

سيبس: حقاً.

سقراط: وأيُّهما تشبه الروح؟

سيبس: الروح تشبه الإلهيّ، ويشبه الجسد الفاني ـ لا مجال للشكّ في ذلك، يا سقراط.

سقراط: تأمّل مليّاً إذن، يا سيبس: أليس هذا هو الإستنتاج من كل الذي قد قيل؟ إنّ الروح تكون في شبه لِمَا هو إلهي بالتحديد، للخالد، والعاقل، والموحَّد، وغير القابل للذوبان، واللامتغير؛ وأنّ الجسد في شبه لِمَا هو إنسانيّ بالتحديد، وفانٍ، وغير عاقل، ومتعدّد الأشكال، وقابلٍ للإنحلال، ومتبدلٍ. هل نستطيع أن نجد، يا عزيزي سيبس، أيّة أرضيَّة ممكنة لرفض هذا الاستنتاج؟

سيبس: إنّنا لا نقدر.

سقراط: لكن إذا كان الاستنتاج صحيحاً، ألا يكون الجسد عندئذ عرضةً لانحلالٍ سريع؟ أولاَ تكون الروح تقريباً، جزئياً أو جملة، غير قابلةٍ للانحلال؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وهل تراقب أنت ما هو أبعد من ذلك، وهو أنّه بعد أن يموت الإنسان، فإن الجسم، أو الجزء المتطور من الإنسان، الذي يتمدَّد في العالم المرئي، والذي يُسمَّى الجثة، ستتفكّك بالطبيعة وتنحلّ وتتبدَّد. إنّ هذه الجثّة لن تنفضَّ أو تفسد في الحال، بل يمكن أن تبقى لبعض الوقت، لا بل حتّى لزمَنٍ طويل، إذا كانت البنية الجسديّة سليمةً أثناء الموت، وكان فصل السنة مؤاتياً لأنّ الجسم عند تقلّصه وتحنيطه، كما هو الأسلوب في مصر، يمكن أن يبقى سالماً لوقت استثنائي تقريباً. وحتّى في فساده، تبقى منه بعض أجزائه، مثل العظام والأربطة التي لا تتلف بشكلٍ عملّي. هل توافق؟

سيبس: نعم.

سقراط: وهل تكون تلك الروح، التي هي غير مرئيّة، في مرورها إلى مثوى الأموات الحقيقي الذي هو غير منظورٍ مثلها، وطاهر، ونبيل، وهي في طريقها إلى الله الخيرّ والحكيم، إذا الله أراد، فإنّ روحي ذاهبة أيضاً وقريباً إلى ذلك المكان ـ أكرّر، هل تكون تلك الروح، إذا كانت طبيعتها كما وصفت، هل تتبعثر وتهلك عند تركها الجسد حالاً كما تقول الكثرة؟ ذلك لا يمكن أن يكون، يا عزيزيَّ سيمياس وسيبس. إن الحقيقة هي أنّ الروح التي تكون نقيّة عند مغادرتها، ولا تسحب خلفها وصمةً جسديةً، ولم يكن لها أثناء حياتها ارتباط بالجسد أبداً وعن غير قصد، وهذا ما تتفاداه على الدّوام، وتستجمع نفسها إلى نفسها وتجعل تلك المجرّدات دراستها الأبديّة، كل هذا يعني أنّها قد كانت مريدةً حقيقيّةً للفلسفة؛ ولهذا السبب فهي قد مارست وطبّقت عمليّاً كيف تموت بدون تذمُّر. إذْ أليست حياة كهذه هي التمرن على الموت؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: أقول، إنّ الروح ذاتها غير مرئيّة تغادر إلى العالم اللامنظور، إلى الإلهي

والخالد والعاقل. تصل إلى هناك، وهي آمنةٌ في جنّة النعيم، وتكون متخلّصة من أخطاء وغباوات الرجال، من خوفهم وشهواتهم الوحشيَّة المسعورة ومن كلّ الشرور الإنسانيَّة الأخرى، وتسكن إلى ما لا نهاية، كما يقولون عن المطَّلع أو الخبير، تسكن في صحبة مع الآلهة(٣٧). أليس هذا حقيقياً، يا سيبس؟

سيبس: نعم، ما أبعد الشك عن هذا!

سقراط: لكنّ الروح التي قد كانت ملوَّثة وغير طاهرة في وقت مغادرتها، وتكون رفيقةً وخادمةً للجسد على الدوام، وتحبّ وتُسحَر بالجسد وبرغباته وملذّاته، إلى أن تُقادَ لتؤمن أنَّ الحقيقة توجد في الأشكال الجسديَّة فقط، والتي يمكن للإنسان أن يلمسها ويراها ويأكلها ويشربها ويستعملها لأغراض شهواته، ـ أعني، الروح التي اعتادت على أن تكره وتخاف وتتجنَّب ذلك الذي يكون للعيون الشحميَّة مظلماً وغير مرئيّ، بل إنّه هو هدف العقل ويمكن الوصول إليه بالفلسفة؛ هل تفترض أنَّ روحاً كهذه ستغادر نقيَّة وغير مشوبة؟

سيبس: مستحيل.

سقراط: إن هكذا روحاً، أي التي وصفناها أوّلاً، هي متمازجة مع الماديّ الذي صُنع في طبيعتها بالملازمة المستمرّة والعناية الدائمة بالجسم.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وهذا العنصر الماديّ، يا صديقي، يكون عبئاً وثقيلاً وأرضيّاً؛ إنّ روحاً مقيَّدةً هكذا هي واهنة العزيمة ومسحوبةً تحتياً إلى العالم المرئيّ لأنّها تخاف من اللامنظور ومن العالم الآخر ـ إنّها في عالمها المنظور هذا تجوس خلسةً حول الأجداث والمدافن، والتي تُرى بقربها، كما يخبروننا، أشياء غريبة شبحيَّة محدَّدة من الأرواح، أطيافٌ منبثقة من الأرواح التي لم تغادر طاهرة

ونقيَّة، بل لا تزال تحتفظ بشيء ما من العنصرِ المرئيّ والذي من أجله تقدر هذه الأرواح أن تكون مرئيَّة.

سيبس: إنّ هذا محتمل جدّاً، يا سقراط.

سقراط: نعم، يكون ذلك محتملاً جدّاً، يا سيبس، ويجب أن تكون هذه الأرواح أرواحَ الأشرار وليس أرواحَ الأخيار، والتي تُجبر أن تطوف حول أمكنةٍ كهذه جزاءً لعقوبة طرائق حياتهم الشرّيرة فيما سبق؛ وتواصل هذه الأرواح في تيهها حتّى يتمّ سجنها نهائياً في جسدٍ آخر، جسمانيٍّ فانٍ، وذلك من خلال تشوّقها لتعقب رفيقها الدائم. ويمكن الافتراض أنها تجد سجنها في الطبائع المشابهة لها في الصّفات والسّمات مثلما زرعت في حيواتها السابقة.

سيبس: أيّة طبائع تعني، يا سقراط؟

سقراط: ما أعنيه هو أنّ الرجال الذين سعوا وراء الشراهة والخلاعة والإدمان على الخمر، ولم يكن عندهم أيّة نيّة لتجنُّبها أو تفاديها سيتحوّلون إلى حميرٍ وحيوانات من هذه النوع، فماذا تعتقد؟

سيبس: أعتقد أنَّ تفكيراً كهذا سيكون تفكيراً محتملاً للغاية.

سقراط: وأولئك الذين اختاروا جانب الظلم والطغيان والعنف سيتحوَّلون إلى ذئاب، أو إلى صقور وحدَّايات. أيمكننا أن تفترض أنّهم سيذهبون إلى أيّ مكانٍ آخر؟

سيبس: نعم، إنّهم سيمرُّون في مخلوقاتٍ كهذه، ما وراء السؤال.

سقراط: ولا توجد صعوبة في تحديد الأماكن لكلّ طبقةٍ منهم تتلاءَم مع طبائعهم المتعدّدة ونزعاتهم؟

سيبس. لا توجد صعوبة.

سقراط: حتى بين هؤلاء يكون البعض أسعد من الآخر؛ والأسعد في أنفسهم وفي المكان الذي يذهبون إليه على حدّ سواءٍ هم أولئك الذين مارسوا فضائل

العُوام، الفضائل الاجتماعية التي يدعونها اعتدالاً وعدلاً، وهي تُكتسب بالعادة والمراس وبدون الفلسفة والعقل(٣٨).

سيبس: لماذا هم الأسعد؟

سقراط: لأنّه يمكن توقُّعُ أنهم يمرون في نوعٍ اجتماعي لطيف هو مثيلٌ لهم كالنحْل أو الدبابير أو النمل، أو الرجوع إلى الشكل الإنساني مرّة ثانية، ويمكن توقّعُ بروز رجال منهم جديرين بالاعتبار.

سيبس: من المحتمل جداً.

سقراط: لكن الآلهة لا تحبّ رفقة مَن لم يدرس الفلسفة، والذي لا يكون طاهراً بشكل كامل في وقت مغادرته، ويُنقذ محبّ المعرفة فقط. وهذا هو السبب، يا سيمياس وسيبس، الذي من أجله يمتنع مريدو الفلسفة الحقيقيّون عن كل الشهوات الجسديَّة ويقفون ضدّها بثبات ويرفضون الاستسلام لها، ـ ليس لأنّهم يخافون الفقر أو هلاك عائلاتهم، مثل عاشقي المال، والعالم بشكلٍ عام؛ ولا مثل محبي القوة والشرف، لأنّهم يخافون الخزي أو العار لأعمال الشر.

سيبس: لا، يا سقراط، إنّ ذلك لا يليق بهم.

سقراط: لا حقاً، ولهذا السبب فإنّ الذين لديهم أيّ اهتمام بأرواحهم الخاصّة، ولا يعيشون للجسم وأساليبه فحسب، يقولون وداعاً لكلّ هذا؛ هُمُ لن يسيروا في طرق العميان. وحينما تعرض الفلسفة عليهم التطهير والانعتاق من الشرّ، يشعرون بأنّه يجب أن لا يقاوموها ويصدُّوا تأثيرها. وحيث تهديهم يستديرون ويتبعون.

سيبس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّي سأخبرك. محبو المعرفة يدركون أنّ الروح كانت مرتبطةً بالجسد وملتصقةً حتى أخذتها الفلسفة بيديها، ولم تستطع أن ترى الوجود الحقيقي

إلا من خلال قضبان السجن الحديديَّة، ليس مِن خلال نفسها أو فيها. وكانت هي متمرِّغة في الوحل وفي كلّ أنواع الجهل. هذه كانت حالتها الأصليَّة، وبعدئذ، كما قلت، وكما يدرك محبو المعرفة جيداً، رأت الفلسفة سجنها الإبداعي ـ سجنٌ بُني بالشهوة العارمة كي لا يمكن للأسير إلاَّ أن يكون الشريك الرئيسيّ في مبدأ أسره الخاصّ ـ رأت الفلسفة تلك وأمسكتها بيدها وآستها بلطف وقصدت أن تعتقها ممّا هي فيه، مشيرةً إلى أنّ العين والأذن والحواس الأخرى مملوءَة تضليلاً وخداعاً، حاثةً إياها أن تبتعد عنهما، وأن تمتنع عن استعمالها إلاّ ما هو ضروريّ لذلك، وأن تلمّ شملها وتتجمَّع في نفسها، آمرةً إيّاها أن تثق بنفسها فقط وفي إدراكها الصافي الخاص للوجود الطاهر، وأن تسيء الظن وترتاب بما أتى عليها من خلال القنوات الأخرى، والذي يكون عرضةً للتغيّر. إنّ أشياء كهذه هي محسوسة ومنظورة، لكن الذي تراه في طبيعتها الخاصة يكون للعقل وللذي لا يُرى. وتعتقد روح الفيلسوف الحقيقي أنّه لا ينبغي عليها أن يقاوم الفيلسوف هذه النجاة، ولذلك فهو يمتنع عن الملذّات والرغبات والآلام، قدر إمكانه؛ متأمّلاً مليّاً أنّه عندما يمتلك إنسان أفراحاً شديدة عظيمة أو مخاوف أو رغبات، فإنّه يعاني منها ليس نوع الشر الذي يمكن توقعه ـ كمثال، فقدان صحته أو ممتلكاته التي ضحّى بها في سبيل شهواته الجسديَّة ـ بل يعاني من شرٍّ أعظم بعداً بكثير، الذي هو أكبر وأسوأ الشرور، وواحدٌ لا يفكِّر فيه على الإطلاق.

سيبس: وما هو، يا سقراط؟

سقراط: إنّ الشرّ هو عندما يكون الشعور باللذّة أو الألم هو الأكثر قوّة، وتتصوّر روح كلّ إنسان أنّ الأهداف أو الدوافع لهذا الشعور المثير هي حينها الأبسط والأحقّ، برغم أنّها ليست كذلك. وأمّا الأشياء المتعلّقة بحاسة البصر فهي الرئيسية لهذه البواعث. أليس هكذا؟

سيبس: نعم.

سقراط: أليست هذه الحالة التي تصبح فيها الروح الأكثر تشبثاً بالجسم وبإحكام؟

سيبس: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا، لأنّ كلّ لذّةٍ وكلّ ألم هو نوعٌ من المسمار الذي يُسمِّر ويبرشم الرّوح بالجسم، إلى أن تصبح مثله، وإلى أنْ تعتقد أنَّ ما يؤكّد الجسم أنه حقيقي هو كذلك. ومن موافقتها للجسد واقتسامها المباهج عينها معه تضطّر لأن يكون لها العادات نفسها والحوافز عينها، وأن لا تُطهَّر على الأرجح عند مغادرتها إلى العالم السفليّ، بل هي ملوثة ومصابة بالجسد على الدوام. وهكذا فهي تهبط في جسدٍ آخر حيث تنبت وتنمو. ولهذا السبب فهي لا تمتلك أيّ جزء من المشاركة بالإلهي والصافي والبسيط.

سيبس: الأكثر صدقاً، يا سقراط.

سقراط: وهذا هو السبب، يا سيبس، الذي من أجله يكون محبو المعرفة الحقيقيون هم المعتدلين وهم الشجعان؛ وليس للسبب الذي يعطيه العالم.

سيبس: لا بالتأكيد.

سقراط: لا بالتأكيد! إنّ روح الفيلسوف سوف تستنتج منطقيّاً في طريقة مختلفة تماماً؛ أنّها لن تسأل الفلسفة كي تعتقها لتتمكّن من أن تحوّل نفسها عالياً مرّة ثانية إلى عبوديّة الملذّات والآلام، وذلك في العمليّة المحدَّدة هذه لتحريرها، فاعلة العمل الذي ينبغي أن لا يُنجز مرّة ثانية، ناسجة، وغير ناسجة، ذلك النسيج البنيلوبيّ. لكنّها ستهدّىء الرغبة الجسديّة وتتبع العقل، وتسكن معه على الدوام، متأمّلة مليّاً الوجود الحقيقي والإلهي، وذلك الذي يكون ما وراء المظهر والرأي، وتستمدّ الغذاء من ذلك المكان. هكذا هي تنشد أن تحيا ما دامت لها الحياة، وتأمل أن تذهب إلى أنسبائها بعد الوفاة، وإلى الذي يشبهها، وأن تتحرّر من المفاسد والأمراض الإنسانيّة. إنّ روحاً

تتغذى هكذا، يا سيمياس وسيبس، لن تخاف أبداً عند مغادرتها الجسد من أن تتناثر وتتبعثر بالرياح وأن لا تكون شيئاً وأن لا تكون في أيّ مكان.

[عندما أنهى سقراط كلامه، خيّم صمتٌ جدير بالاعتبار؛ وبدا، هو نفسه، أنّه كان مستغرقاً في التأمّل، كما كان أكثرنا، فيما قد قيل. وجدهما سيمياس وسيبس تكلّما مع بعضهما كلمات قليلة. وحينما لاحظ سقراط ذلك سألهما ماذا يفكران بشأن هذه المحاورة، وإذا ما كان هناك أيّ موطن ضعف فيها؟ لأنّه]، قال سقراط، لا يزال هناك العديد من النقاط الرئيسيّة مفتوحة للشكّ والهجوم، إذا كان أيّ شخصٍ مهيّأً لأن يمحّص المسألة بشكل كامل. وإذا ما كنتما متأمّلَيْنِ في مسألة أخرى ما فإنني لن أقول أكثر ممّا قلت، لكنّكما إنْ شعرتما بأيّ شكٍ في الموضوع الحاضر للمحاورة فلا تترددا، إمّا في إعطائنا أفكاركما الخاصة إذا ما كان لديكما أيُّ تحسين تقترحانه عليها، أو إذا اعتقدتما أنّكما ستحقّقان تقدّماً أكثر بمساعدتي، إسمحا لي أن أساعدكما.

سيمياس: ينبغي عليّ أن أعترف، يا سقراط، أنّ شكوكاً تنشأ في عقلينا، وقد ألحّ كلٌّ منا لبعض الوقت وحثّ الآخر لأن نطرح السؤال الذي نريد جوابا له، والذي لا يرغب أحدنا في إبدائه، خشية أن يكون إلحاحنا مزعجاً في وقت كهذا.

أجاب سقراط بابتسامة: أوه يا سيمياس، ماذا تقول؟ إنّه لمَرَجَّحٌ جداً أنّني لا أقدر على إقناع الرجال الآخرين بأنّي لا أعتبر حالتي الحاضرة وكأنّها بليّة إذا لم أستطع حتى إقناعكما، وأجدكما خائفَين من أنّي يمكن أن أكون أكثر قبولاً للإثارة ممّا تعودت! ألن تُسلّما بأنّني أمتلك النفس النبويّة بقدر ما لدى الإوزّات؟ لأنّها عندما تدرك بأنّها يجب أن تموت، وبما أنّها غنّت في أوقاتٍ أثناء حياتها، فهي تشدو عندئذ لوقتٍ أطول وأغنيات أجمل بكثير ممّا أدّته

منها بشكل دائم، فرحةً في التفكير بأنّها على وشك أن تذهب إلى الله الذي هو وكيلها. لكنّ الرجال، لأنهم يخافون الموت، يؤكدّون بافتراءٍ عن الإوزّات أنّها تغنّي نواحاً في اليوم الأخير، تغني صرخة كَرْبٍ، غير معتبرين أنَّ لا طائر يغني عندما يكون بردان، أو جائعاً، أو متألماً، حتّى العندليب لا يفعل ذلك، لا ولا السّنونو ولا الهدهد أيضاً؛ هذه الطيور التي قيل إنّها تلحّن أنشودة حزينة حقاً. ومع ذلك فأنا لا أصدق بأنّ هذا يكون حقيقياً عنها بأكثر ممّا هو صادق عن الإوزّات. لكنْ بما أنّها مكرّسةً لأبوللو، فإنّها هديّة النبوّة، وتستبق توقّع الأشياء الخيِّرة من العالم الآخر؛ ومن أجل ذلك فهي تغنّي وتبتهج في ذلك اليوم أكثر ممّا فعلته قبلاً على الإطلاق. وأنا أيضاً، بما أنّني أعتقد أنا نفسي أن أكون الخادم المكرّس لله ذاته، والخادم الرفيق للإوزّات، والمؤمن بأني تلقّيت هِبات النبوّة مَن سيّدي ومعلّمي، وأنها ليست بأقل أهمية ممّا لديها، سأغادر الحياة بحبورٍ ليس أقل من حبور الإوزات هذه. لا تقلق أبداً إذن، إذا كان هذا اعتراضك، بل تكلّم واسأل أيَّ شيء تحبه، ما دام القضاة الأثينيون الاحد عشر يسمحون بذلك.

سيمياس: جيّد جداً، يا سقراط؛ سأخبرك إذن عن حَرَجي وصعوبة موقفي، وسيخبرك سيبس عما يجول في خاطره. إنّني أشعر « وأجرؤ على القول بأنّك أنت لديك الشعور عينه » أشعر أنّه يكون مستحيلاً أو صعباً جدّاً على الأقلّ أن تنال أيّ تأكيد بشأن الأسئلة كتلك المطروحة قيد البحث في الحياة الحاضرة، وبرغم ذلك عليّ أن أعتبر جباناً مَن لم يبرهن ما قيل عنها بأقصى قوّته، ومَنْ لا يكف عن العمل حتى يختبرها من كل جانب لأنّ عليه الكفاح والدّأب في عمله هذا حتّى ينجز واحداً من هذه الأشياء: إمّا عليه أن يكتشف، أو أن يتعلم الحقيقة عنها، أو اذا كان هذا مستحيلاً، فإنّني أريده أن يأخذ أفضل النظريّات الإنسانيّة، والتي يتعذّر دحضها أو إنكارها،

ولأدَعَ هذا أن يكون الرَمَثَ الذي سيبحر عليه أثناء حياته كلّها - ليس بدون مخاطر، كما أعترف، إذا لم يقدر على إيجاد كلمة ما لله، والتي ستحمله بأكثر تأكيداً وثباتاً وبأكثر ضماناً. والآن فإنّني سأجازف كي أسألك، كما تأمرني، ولن ألوم نفسي فيما بعد ساعتئذ بأنّي لم أقل ما أعتقدته في هذا الوقت تحديداً. أنا عندما أتأملّ المسألة مليّاً إمّا بمفردي أو مع سيبس، فالمحاورة تبدو لي بكلّ تأكيد، يا سقراط، أنها غير كافية.

أجابه سقراط: أجرؤ على القول، يا صديقي، بأنّه يمكنك أن تكون محقّاً فيما قلته، لكنّني أريد أن أعرف في أيّه ناحية تكون المحاورة غير كافية.

سيمياس: في هذه الناحية: إفترض أنّ شخصاً كان سيستعمل المحاورة عينها بشأن النغم أو تآلف الألحان والعود، ألا يمكنه القول إنّ النغم هو شيء غير مرئيّ، غير مادّي، تامّ، إلهي، موجود في العود الذي هو منسجم. لكن بما أن العود والخيطان هي مادة وأشياء ماديّة، مركبّة، أرضيّة، مجانسة للفناء، وعندما يحطّم شخص ما العود، أو يقطّع ويمزّق الخيطان، عندئذ فإنّ من يأخذ بهذه النظريّة سيحاور كما تفعل أنت، وعلى قياس التمثيل عينه، سيقول إنّ النّغم يبقى ولم يفنَ أو يزُلْ - سيواصل القول: إنّك لا تستطيع التصور، أنّ العود بدون الخيطان الممزّقة عينها التي هي فانية تبقى، وبرغم ذلك فإنَّ تآلف الألحان يكون ذا طبيعة واحدة سماويّة خالدة ومن أصلٍ واحد، لا تقدر أن تتصّور أنّها هلكت - هلكت قبل الفاني، يجب أن يبقى النغم في مكانٍ ما، وستفسد الأخشاب والخيطان قبل إمكانية حدوث أيِّ شيء لها. إنّ هذا التفكير، يا سقراط، يجب أنّه حدث في تفكيرك الخاص من أنَّ هذا هو تصوّرنا عن الروح؛ وأنّه عندما يكون الجسد مُخاطاً ومتماسكاً بعناصر الحارّ والبارد، الرطب والجاف، حينئذ تكون الروح في تآلف الألحان أو المزيج المتناسب والمناسب لها. لكن إنْ هكذا، فعندما تُفكّك خيطان الجسد على

نحوٍ غير ملائم، أو حينما يُرهق الجسد من خلال المرض أو من أيِّ ضررٍ آخر، عندئذ فإنّ الروح، مع أنّها الأكثر إلهيَّة، مثل الأنغام أو تآلف الألحان الموسيقيَّة الأخرى أو الأعمال الفنيَّة، فهي تُدمَّر حالاً بالطبع؛ برغم أنّ مواد الجسم تبقى ويمكن أن تدوم لوقت ذي أهميَّة، إلى أنْ تُتلف أو تُحرق. وإذا ما أثبت أيّ شخصٍ أنّ الروح، كونها مزيجاً من عناصر الجسد، هي الأولى لتهلك وتفنى في ذلك الذي يُسمَّى مْوتاً، فكيف سنجيبه؟

[تطلَّع سقراط فينا بثباتٍ، على عادته، وقال وهو يبتسم]: إنَّ سيمياس يمتلك مبرّراً لقول ما قاله؛ ولماذا لا يجيبه أحدكم الذي هو أفضل قدرة مني على الإجابة؟ لأن هناك قوة منطقيَّة في خط محاورته. لكن لربّما، قبل أن نجيبه، كان من الأفضل لنا أن نستمع لِمَا عند سيبس ليقول، كي يمكننا أن نكسب وقتاً للتأمّل مليّاً، وحين تكلّم كلاهما، يمكننا إمّا أن نوافق على ما يقولان، إذا وُجدت حقيقة في انسجامهما، وإلا فيجب علينا أن نحارب من أجل قضيتنا عندئذ. من فضلك أن تخبرني إذن، يا سيبس، ما هي الصّعوبة التي أقلقتك وأجهدتك؟

سيبس: إنّني سأخبرك إياها. شعوري هو أنَّ المحاورة ما تزال حيث هي، إنّها معرَّضةٌ للاعتراضات عينها التي ألححتُ عليها قبلاً. فأنا على أتم استعداد للإعتراف بوجود الروح قبل دخولها الشكل الجسديّ، وهذا قد تمّتْ برهنتُه بما فيها الكفاية تماماً، إذا ما أمكنني قول ذلك، وكذلك بشكل حاذق ورائع؛ لكنّ بقاء الروح بعد الموت لم يُبرهن في حكمي. والآن بالرغم من اعتراضات سيمياس فإنّني لست مستعدّاً لأنكر أنّ الروح هي أقوى وأكثر بقاءً من الجسد، لأنّني أرى، أنَّ الروح تمتاز على الجسم تميّزاً كبيراً تماماً في كلِّ من هذه النواحي. حسناً إذن، تقول ليَ المحاورة، فَلِمَ تَبْقَى غير مقتنعٍ؟ ـ حينما ترى أنّ الأضعف يستمرّ في الوجود بعد وفاة الإنسان الذي هو الجسد، ألن

تعترف أنّ الأكثر دواماً ينبغي أن يبقى أيضاً خلال المدّة عينها من الزمن؟ والآن فإنّي أدعوك لأن تتأمّل ملياً إذا ما كان الاعتراض بذي ثقلٍ، والّذي أعتقد بأنّه يجب عليّ أن أوضحه في رسمٍ بيانيّ، مثلَ سيمياس. إنّ القياس التمثيلي الذي سأورِده هو عن حائكٍ قديم، توفي قال شخصٌ ما بعد وفاته: أنظر هنا المعطف الذي حاكه هو بنفسه ولبسه، إنّه بقي كاملاً ولم يفنَ. ويتقدّم ليسأل بعدئذٍ عن شخصٍ ما يعبّر عن الشّكّ، سواء يبقى الإنسان لمدّة أطول، أو أنَّ المعطف الّذي هو قيد الاستعمال والأدّثار؛ وعندما يُجاب أنَّ إنساناً يبقى أطول بكثير، يُعتقد أنّه أوضح بذلك بقاء الإنسان على هذا النّحو بكلّ تأكيد، لأنّه مثلما لم يهلك الأقلّ بقاءً فكذلك الإنسان. لكنّ ذلك يكون قولاً خطأً، يا سيمياس، كما سألتمس منك كي تسجّل؛ أنَّ أيّ شخص سيردُّ على ذلك قائلاً، إنّ مَن يتكلم هكذا فهو لا يتكلّم إلاَّ سفاسف لأنّ الحقيقة هي أنَّ الحائك المذكور آنفاً، والذي بما أنّه حاك ولبس معاطف كثيرة كهذه، عاش أكثر منها وأفنى عديدها، لكنَّ أخيرها عاش أكثر منه وأفناه؛ وبرغم ذلك فإنّ إنساناً لا يُبرَهَنُ لهذا السبب على أنّه أخفُّ وأضعف من المعطف. وبعدُ فإنّه يمكن التعبير عن علاقة الجسم بالروح في قياسٍ تمثيليٍّ مماثل؛ ويمكن لأيّ شخص أن يقول بعدلٍ تامّ، وفي أسلوبٍ مشابه، إنّ الروح باقية، وأنَّ الجسد ضعيف وقصير الأجل بالمقارنة مع الروح، يمكنه أن يجادل أنَّ كلَّ روحٍ تلبس وتُبلي أجساماً عديدة، خاصة إذا عاش إنسانٌ سنين كثيرة. وبينما هوَ حي فإنَّ الجسد يذوب ويفسد، أمَّا الروح فإنّها تحيك ثوباً آخر وتُصلح ما تلف. لكن طبعاً، متى تهلك الروح، يجب أن يكون عليها ثوبُها الأخير، وهذا سيبقيها؛ وآنئذٍ بعد وقت طويل، عندما تموت الروح، فإنّ الجسم سيبيّنُ موطن ضعفه، ويتحلّل ويفنى بسرعة. إنّني أفضّل أن لا أعتمد على المحاورة لهذا السبب وذلك من القوّة الأعلى المميّزة

كي أبرهن وجود وبقاء الروح بعد الموت. لأنّه حتى إذا منحنا أكثر ممّا تؤكّد إمكانيته، واعترفنا لا بأنَّ الروح وُجدت قبل الولادة فقط، بل إنَّ أرواح البعض تبقى وستستمرّ في البقاء بعد الوفاة، وستولد وتموت مرّة ثانية وثانية، وإنّ هناك نشاطاً طبيعياً في الروح به ستدوم وتولد مرّات عديدة ـ بالرّغم من كلّ ذلك، يمكننا أن نبقى ميّالين إلى الاعتقاد بأنّها سوف تُنهَكُ في الولادات الشاقّة المتعاقبة المتالية، ويمكن أن تقضي نحبها في واحدٍ من موتها وتفنى بالكليّة. ويمكن أن يجهل أيٌّ واحد منّا موت الجسد وانحلاله واللّذين يجلبان الهلاك للروح، إذ لا أحد منّا كان بإمكانه أن يمتلك أيّة خبرة عن ذلك. وإنْ هكذا فإنّني أؤكّد حينئذ أنَّ مَن يثق بشأن الموت يمكنه أن لا يمتلك سوى ثقة حمقاء، إلاّ إذا قدر على أن يبرهن أنَّ الروح خالدة جملةً وتفصيلاً وغير فانية؛ لكنّه إذا لم يستطع أن يبرهن خلود الروح، فإنّ مَنْ هو على وشك أن يموت سيمتلك سبباً كي يخاف على الدوام من أنّه حينما يتفكّك الجسد، يمكن للروح أن تهلك كليّاً أيضاً.

[تملّكنا كلّنا شعور غير سارّ لسماع ما قالاه، كما لاحظنا وعلّقنا بعضنا لبعض بعد ذلك. بعد أن اقتنعنا قبلاً بثبات، والآن لنحوز الإيمان المزعزع، بدا لنا هذا أنّه لا يُدخل الاضطراب والشكّ إلى المحاورة السابقة فحسب، بل إنّه يدخله في أيّة محاورة مستقبليّة؛ وذلك إمّا أنّنا لم نكن سوى قضاةٍ مُعْدَمِينْ، أو أنَّ الموضوع عينه يمكن أن يُبرهن على أنَّ يقيناً كهذا كان مستحيلاً].

ايخيكريتس: هناك إنّني أشعر معك، بحق السماء، إنّي أفعل، يا فيدون، وعندما تكلّمت أنت، سألت نفسي السؤال عينه: أيه محاورة يمكنني الوثوق بها مرّة ثانية؟ لأنّ أيّ شيء يمكن أن يكون أكثر إقناعاً من محاورات سقراط، والتي سقطت الآن في الشكّ ونُزِعَت الثقة منها؟ وهي أنّ الروح هي نوعٌ من

التناغم أو الإيقاع، ولقد كان لهذا الاعتقاد وقع حسنٌ عليَّ بشكل دائم، ويعود إليَّ عند ذكره في الحال وكأنّه إيمان راسخ أصيل خاصّ بي. والآن يجب عليَّ أن أبدأ مرّة ثانية وأجد محاورة أخرى تؤكِّد لي بأنّه عندما يتوفّى الإنسان فإنّ روحه ستبقى. قل لي، إنّني أناشدك، قل لي كيف تعقَّب سقراط المحاورة؟ هل بدا أنّه يتقاسم الشعور غير المستحبّ الذي ذكرته؟ أو أنّه قابل الهجوم بهدوء؟ وهل نجح في وقف هذا الهجوم، أو أخفق؟ قُصَّ عليَّ ما مرّ وما جرى قدر ما تستطيع بالضبط.

فيدون: غالباً ما أُعْجِبت بسقراط، يا ايخيكريتس، لكنّني لم أُعجب به أبداً أكثر من إعجابي به في هذه المناسبة. وإنّ إعجابي لا يكمن في قدرته على الإجابة، فهذا لربّما لا يساوي أيّ شيء، لكن ما أدهشني باديء ذي بدء، كان الأسلوب والتصرّف اللطيف السارّ والمستحسن لسقراط الذي تلقّى به هذه الكلمات التي تفوّه بها الرجلان الشابّان. وبعدئذ فإنّ ما لفت نظري وانتباهي هو إدراكهُ السريع، والاستعداد الّذي شفى به هذه الكلمات. يمكن مقارنته بقائدٍ عسكري لمّ شمل جيشه المهزوم والمنكسر، حاثّاً إيّاه أن يتبع قيادته ويعود إلى أرض المعركة.

ايخيكريتس: وماذا تلا ذلك؟

فيدون: إنّك ستسمع. فأنا كنت قريباً منه، جالساً على نوعٍ من الكرسي إلى جانبه الأيمن، وكان يجلس هو على سريرٍ، كان أكثر ارتفاعاً بمقدارٍ لا بأس به. لمس رأسي، وضغط على شعر رقبتي ـ كانت له طريقته لتعذيبي ومضايقتي بشأنه؛ وقال لي بعدئذ: غداً، يا فيدون، أفترض أنَّ خصلات شعرك الجميلة هذه ستتقطّع.

أجبته: نعم، يا سقراط، أفترض أنّ ذلك ما سيحلّ بها.

سقراط: لن يحدث ذلك، إذا قبلت نصيحتي.

فيدون: وماذا سأفعل بها.

سقراط: اليوم، وليس غداً، إذا ماتت هذه المحاورة، ولم نستطع أن نبعث فيها الحياة مرّة ثانية، أنت وأنا سنقصُّ شعرنا معاً؛ وإذا كنت أنا أنت، وإذا أفلتت المحاورة منّي ولم أتمكّن من تثبيت أسس محاورتي ضدّ سيمياس وسيبس، فإنّني سأؤدّي قَسَماً بنفسي، مثل الآرغوسيين(٣٩)، وهو أنْ لا أدع شعري ينمو بعد اليوم إلى أن أجدِّد الصراع وأهزمهما.

فيدون: نعم، لكنّه قيل بأنّ هرقل ذاته ليس نظيراً لاثنين.

سقراط: استدعني إذن، وسأكون أنا آيلوس بالنسبة لك إلى أن تغرب الشمس.

فيدون: [أجبته معترضاً] إنّني سأستدعيك بالأحرى، لكن ليس كما استدعى هرقل آيلوس، بل كما يمكن لأيلوس استدعاء هرقل.

سقراط: إنّ ذلك سيلبّي الحاجة جيّداً. لكن دعنا نحترس أوّلاً كي نتحاشى الخطر.

فيدون: من أية طبيعة؟

سقراط: خشية أن نصبح ممّن يكره النقاش أو الاستنارة؛ لا يمكن أن يحدث لإنسان شيءٌ أسوأ من هذا. لأنّه كما يوجد الكاره للبشر أو من يكره الجنس البشريّ، كذلك يوجد من يكره النقاش أو يمقت الحوار. وينشأ كلاهما من السبب عينه، الذي هو جهل العالم. ينبثق بغض الجنس البشريّ من الثقة الكبيرة بقلّة الخبرة أكثر ممّا ينبغي. تثق أنت بإنسانٍ وتعتقد بأنّه صادق ولا عيب فيه وأمين مؤمنٌ بكلّ ما في الكلمة من معنى، ويصبح بعدئذ زائفاً وماكراً في مدّةٍ قصيرة؛ ثم يتكرّر ذلك، وإذا حدث هذا لإنسانٍ مراتٍ عديدة، خاصّة حينما يقع بين أولئك الذين يحسبهم أنّهم أكثر خواصه إئتماناً وأنهم أصدقاؤه المألوفون. فهو يكره كلّ الرجال أخيراً بعد عدّة خيبات أمل، ويعتقد بأن لا أحد يمتلك أيّ خيرٍ فيه على الإطلاق. لا شكّ أنّك لاحظت هذه العمليّة؟

فيدون: إنّني لاحظت.

سقراط: أليست هذه العمليّة مخزية؟ أليس واضحاً أنّ واحداً كهذا حاول أن يتعامل مع الرجال الآخرين قبل أن يكتسب فنّ العلاقات الإنسانيّة؟ وكان بإمكان هذا الفنّ أن يعلّمه الحالة الحقيقية لهذا الوضع، وهو أنَّ الأخيار قلّة والأشرار كذلك، وأنَّ الغالبيّة العظمى تقف في المسافة التي بينهما؟

فيدون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني، كما يمكنك أن تقوله عن الكبير جدّاً والصغير جدّاً ـ أنّه لا شيء يكون غير مألوفٍ من إنسان كبير جداً أو صغيرٍ جداً؛ وينطبق هذا على كل المتطرفات بشكلٍ عام، سواء أكانت كبيرة أو صغيرة، سريعة أو بطيئة، تختارها رجالاً أو كلاباً أو أيّ شيء آخر. إنَّ المتطرّفات لقليلة جداً، لكن هناك أشياء كثيرة لا تُحصى في الوسط بينها، ألم تلاحظ هذا قطّ؟

فيدون: نعم، إنّني لاحظت ذلك.

سقراط: أوَلاَ تتصوَّر أنّه إذا وُجدت منافسة في الشرّ، حتّى هناك، فإنَّ البارزين السابقين فيه سيوجدون قليلين جداً؟

فيدون: إنّ ذلك لمحتملٌ جداً.

سقراط: نعم، إنّ هذا مرجَّحٌ تماماً، وبرغم ذلك فإنّ المحاورات في هذه الناحية هي غير شبيهة بالرجال ـ هناك دفعتني أنت لأقول أكثر ممّا قصدت قوله. إنّ النقطة الرئيسيّة للمقارنة، هي أنّه عندما يعتقد إنسان بسيط ليس لديه براعة في علم الجدل، أنّ محاورة تكون محاورة حقيقية ويتخيلها أنّها مزيّفة بعد ذلك، سواء أكانت باطلة أو لاَ، ومن ثمَّ محاورة ثانية وثانية ـ وخاصّة أولئك الذين كرّسوا أنفسهم لدراسة تناقض المبادىء يصبحون يعتقدون أخيراً، كما تعرف، بأنّهم أحكم حكماء الجنس البشريّ، وأنّهم وحدهم يتصوّرون كم تكون الأشياء أنفسها وكلّ المحاورات بشأنها غير صحيحة

وغير ثابتة، وكيف تسرع كل الموجودات صعوداً ونزولاً في مدٍّ وجزرٍ لا ينقطع أبداً.

فيدون: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

سقراط: نعم، يا فيدون، وإذا وُجد هكذا شيء كالحقيقة أو اليقين أو الاحتمال للمعرفة، فإنّه لكآبةٌ أن يلقي إنسانٌ ضوءاً على محاورةٍ ما، أو على أيّة محاورة أخرى، بانت في البدء أنّها محاورة صادقة وتحوّلت بعدئذ لتكون زائفة وباطلة. وبدلاً من أن يلوم الإنسان نفسه وافتقاره الخاصّ للذكاء والإدراك، سيحيل الملامة من نفسه إلى المحاورات بشكل عامّ، وسيكون جذلاً جدّاً بفعل هذا وذلك من إزعاجٍ صِرْفٍ؛ وسيكره المحاورات ويشتمها للأبد بعد ذلك، ويخسر الحقيقة والمعرفة عن الحقائق.

فيدون: نعم، حقّاً، إنّ ذلك الشيء سيكون أكثر كآبةً.

سقراط: دعنا بعدئذ، في المقام الأوّل، أن نحذّر من السماح أو إدخال فكرة إلى أروحنا وهي أنّه لا يمكن أن توجد صحّةٌ أو دقّة في أيّة محاورات على الإطلاق، بدلاً من أن نقول على الأصح بأنّنا لم نحصل على الدقّة والثقة في أنفسنا حتّى الآن، وأنّه يجب علينا أن نناضل برجولة وأن نفعل أفضل ما نقدر عليه للحصول عليها ـ أنت وكلّ الرجال الآخرين لديكم اعتبار لمجمل الحياة المستقبليّة، وأنا نفسي في توقع الموت، فإنّني أخاف من أن لا أمتلك طبع الفيلسوف في هذه اللحظة، بل أكون متعصّباً، مثل الرجل السوقيّ. والآن عندما يشغل المتعصّب نفسه في جدالٍ وخصومة، فإنّه لا يهتمّ بشأن حقائق الأسئلة، بل يتلهّف كي يقنع سامعيه بتأكيداته التي تخصّه فقط. أمّا الفرق بيني وبينه في اللحظة الحاليّة فهو هذا ليس إلاّ ـ هو يتوق ليقنع سامعيه أنَّ ما يقوله صادق، أمَّا أنا فأتوق إلى إقناع نفسي؛ لكنّ إقناع مَنْ يسمعني فتلك مسألة ثانوية بالنسبة لي. ولا أفعل أيّ شيء سوى رؤية كيف

أقف لأربح هاتين الطريقتين بالمحاورة. فإذا كان ما أقوله حقيقياً، فإنّني أفعل جيّداً لأقتنع بالحقيقة عندئذ؛ لكن إذا لم يكن هناك شيء بعد الوفاة، فالذي يبقى هو أنّني لن أكدِّر أصدقائي بالنّحيب خلال ذلك الوقت القصير المتبقّي، وستضمحلُّ حماقتي بموتها القريب جداً. ولهذا السبب فلن يتعرّضوا لأيّ أذىً. هذه هي الحالة العقليّة، يا سيمياس وسيبس، التي أقترب بها من المحاورة. وسأريد أن أسألكم أن تفكروا في الحقيقة وليس في سقراط؛ إتّفقا معي، إذا بدا لكما أنّني أتكلّم الحقيقة، وإلاّ فقاوِماني بكلّ ما تملكان من قوّة كي لا يمكنني أن أخدعكما كما أضلِّل نفسي في حماسي هذا وأترك فيكما إبرتي، مثلما تفعل النحلة قبل أن تموت.

والآن دعونا نتقدم، واسمحوا لي قبل كلّ شيء لأن أتأكّد بأنّي أمتلك في عقلي ما قلتماه. إذا ما تذكرّتُ جيداً فإنّ سيمياس تملّكه خوف وساورته الشكوك حول إمكانية فناء الروح أوّلاً، كونها كما هي في شكل نغم أو تناسب ألحان، برغم أنّها شيء ألطف وأكثر إلهيّةً من الجسم. أما سيبس من ناحية ثانية فبدا أنه يمنح الروح تأكيداً على أنها كانت أكثر بقاءً من الجسد، لكنّه قال إنّ لا أحد يمكنه أن يعرف، إذا أمكن للروح نفسها أن لا تفنى وتترك جسدها الأخير خلفها بعد أن لبست أجساداً عديدة؛ ويمكن أن يكون هذا موتاً، وهذا الموت ليس تدمير الجسد فقط بل تدمير الروح لأنّ هدم الجسم مستمرٌّ على الدوام. أليست هذه، يا سيمياس وسيبس، هي النّقاط الرئيسيّة التي يجب علينا اعتبارها وتأمّلها مليّاً؟

[وافق كلاهما على هذا البسط لآرائهما].

سقراط: وهل أنكرتما قوّة السابقة كلّها، أو لجزءٍ منها فقط؟

أجابا: لجزءٍ منها فقط.

سقراط: وماذا اعتقدتما في ذلك القسم من المحاورة والذي قلنا فيه إنّ الروح وجب

وجـودها في مكانٍ ما آخر بشـكلٍ سابق قبل أن تُسجنَ في الجسـم؟

[قال سيبس إنّه قد تأثّر بشكلٍ رائع بذلك الجزء من المحاورة، وأنّ اقتناعه بقي راسخاً بشكلٍ كلّيّ. وافق سيمياس على هذا أيضاً وأضاف أنّه هو نفسه يستطيع أن يتصور بصعوبة إمكانية تفكيره المختلف عن تفكير سيبس على الدوام].

لكنّ سقراط أجابه قائلاً: عليك أن تعتقد غير ذلك، يا صديقي الطيبيّ، إذا كنت ما تزال تثبت أنَّ التناغم أو الإيقاع هو شيءٌ مركّب، وأنّ الروح هي إيقاعٌ صُنعتْ من خيطانٍ وأُدخلتْ في هيكل جسدٍ إنساني؛ لأنّك لن تسمح لنفسك أن تقول بالتّأكيد إنّ التناغم يكون مركّباً ويوجد قبل العناصر الضرورية لتركيبه.

سيمياس: أبداً، يا سقراط.

سقراط: لكن ألا ترى أنَّ هذا هو ما تلمّح إليه عندما تقول كِلا الشيئين، وهو أنّ الروح وُجدت قبل أن تأخذ شكل وجسد إنسان، وأنّها صُنِعت من العناصر التي لم يكن لها وجود حتى الآن؟ إنّ التناغم لا يكون شبيهاً بذلك الشيء الذي تقارنه به؛ بل يوجد العود أوّلاً، والخيطان، والأصوات في حالة تنافر، ووُجد الإيقاع بعدئذ آخر الجميع، وهو الذي يفنى أوّلها. وكيف يمكن لتعليل كهذا عن الروح أن يكون في انسجامٍ وتوافقٍ مع طرحك السابق؟

سيمياس: لا ينسجم على الإطلاق، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك، لا بدّ من وجود تناغم بكلّ تأكيد، هو الذي تآلفُ الألحان موضوعه.

سيمياس: لا بدّ من ذلك.

سقراط: لكن لا يوجد تناغم في الفرضيتين الإثنتين، وهو أنَّ التعلم يكون تذكّراً وأنَّ الروح تكون إيقاعاً أو نغماً، فأيّاً منهما ستستبقي؟

سيمياس: أعتقد بأنَّ لديَّ إيماناً أكثر قوّة، يا سقراط، في الفرضيَّة الأولى؛ أمَّا الثانية، فلا أمتلك أيّ تعليل لها على الإطلاق، بل استمددتُها من قياسٍ تمثيليٍّ شامل، أَودَعَهُ من بنى رأيه عليه لأكثرية مشايعيه. إنّني أعرف جيّداً أنَّ هذه المحاورات هي إفكٌ وادِّعاء من هذه القياسات التمثيليَّة، وما لم تُبذل مراقبةٌ شديدة في استعمالها، فإنّها لخادعة تماماً ـ وينطبق هذا على علم الهندسة، وعلى كلّ علمٍ آخر. لكنَّ عقيدة التعلّم والتذكّر تستمدّ برهانها من مبدأ أساسي مقنع: إن الروح وجب وجودها قبل أن تأتي إلى الجسد، إذ لها تنتمي الحقيقة، والذي يعني هذا الإسم وجوداً بالتحديد. وبما أنّني أقتنعت تماماً وقبلت هذا المبدأ الأساسيّ بحقّ، وعلى أسسٍ كافية، يجب عليَّ، كما أفترض، أن أنقطع عن الجدل أو أنْ أسمح للآخرين به، وهو أنّ الروح تكون إيقاعاً أو تناسب ألحان.

سقراط: دعني أضع القضية، يا سيمياس، في وجهة نظرٍ أخرى؛. هل تتصوَّر الإيقاع أو أيّ تركيب آخر يمكن أن يكون في حالةٍ غيراً من تلك العناصر التي يتركَّب منها؟

سيمياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو تفعل أو تقاسي أيّ شيء غيراً من الذي تقوم به وتعانيه؟

سيمياس: أوافق.

سقراط: إذن فإنّ التناغم لا يقود أو يهدي الأجزاء أو العناصر التي تصنعه، متكلّمين بدقة، بل يتبعها فقط؟

سيمياس: أصادق على ما قلته.

سقراط: وهكذا فإنّه لبعيدٌ عن الاحتمال أنَّ الإيقاع يمكن أن يكون له أيّة حركة أو صوت أو أيّة نوعية أخرى هي مضادَّة لأقسامه أو أجزائه.

سيمياس: بعيد حقاً.

سقراط: أوَلاَ تعتمد طبيعة كلّ إيقاعٍ على الأسلوب الذي تكون فيه العناصر منسجمة؟

سيمياس: إنّني لا أفهمك.

سقراط: أعني أنَّ إيقاعاً يكون أكثر من إيقاع ويكون أكثر تناغماً بشكل كامل حينما يكون أكثر انسجاماً بحقّ وبتمام، مفترضين أنّ شيئاً كهذا هو ممكن؛ وهو أقلّ من إيقاع بكلّ ما في الكلمة من معنى، عندما يكون أقلّ انسجاماً بحقّ وبتمام.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: والآن هل تفسح الروح مجالاً للدرجات؟ أوَ تكون روحاً واحدة في الدرجة الأقلّ تحديداً أكثر أو أقلّ، أو أنّها روح أكثر أو أقلّ بشكلٍ كامل من الروح الأخرى؟

سيمياس: ليس في الأقلّ.

سقراط: ومع ذلك يُقال عن روحين، إنّ واحدة تمتلك ذكاءً وفضيلة، وإنّها خيِّرة، وإنّ الأخرى تحوز غباءً ورذيلةً، وإنَّها روح شريرة. وقيل هذا بصدق؟

سيمياس: نعم، بصدق.

سقراط: لكن ماذا سيقول أولئك الذين يؤكّدون أنّ الروح هي إيقاع؟ ماذا سيقولون لهذا الوجود للفضيلة والرذيلة فيها؟ - هل سيقولون إنّ هناك إيقاعاً آخر هنا، وتنافراً آخر، وإنّ الروح الفاضلة تكون منسجمة. وبما أنّها تناسب ألحانٍ فهي تمتلك إيقاعاً آخر في داخلها، وأنّ الروح الأثيمة نفسها تكون غير متناغمة وغير منسجمة ولا تمتلك إيقاعاً آخر في داخلها.

سيمياس: إنّني لا أستطيع القول؛ غير أنَّ شيئاً ما من هذا النوع سيؤكّده بوضوح أولئك الذين يقولون إنّ الروح تكون إيقاعاً أو تناغماً أو تناسب ألحان.

سقراط: ولقد اعترفنا مسبقاً أن لا روح هي أكثر روحاً من الأخرى؛ بمعنى

الإعتراف أنّ إيقاعاً واحداً ليس أكثر أو أقلّ تناغماً، أو أكثر أو أقلّ تناسب ألحانٍ من إيقاع آخر بكلّ ما في الكلمة من معنى.

سمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وهذا الذي ليس أكثر أو أقلّ تناغماً لا يكون أكثر أو أقلّ انسجاماً؟

سيمياس: صدقاً.

سقراط: وذلك الذي ليس أقلّ انسجاماً لا يمكنه أن يمتلك أكثر أو أقلّ من التناغم، بل تناغماً متساوياً فقط؟

سيمياس: نعم، تناغماً متساوياً.

سقراط: إذن فإنّ روحاً واحدة كونها أكثر أو أقلّ روحاً من الروح الأخرى تماماً لا تكون أكثر أو أقلّ انسجاماً.

سيمياس: بالضبط.

سقراط: ولهذا السبب فهي لا تمتلك لا أكثر ولا أقلّ من التنافر، ولا من التناغم برغم ذلك.

سيمياس: إنها لا تمتلك.

سقراط: وبما أنّها لا تحوز أكثر ولا أقلّ من التناغم أو من التنافر، فإنّ روحاً واحدة لا تمتلك أكثر رذيلة أو فضيلة من الروح الأخرى، إذا كانت الرذيلة تنافراً والفضيلة تناغماً.

سيمياس: ليس أكثر على الإطلاق.

سقراط: أو متكلمين بصحةٍ أكثر، يا سيمياس، فإنّ الروح إذا كانت إيقاعاً، لن تمتلك أيّة رذيلة أبداً لأنّ تناسب الألحان، كونه إيقاعاً، لا يمكنه أن يحوز قسماً في اللاتناغم.

سيمياس: لا.

سقراط: ولا أسلّم أنَّ باستطاعة الروح، كونها روحاً كليّةً، أنْ تمتلك أيّ جزءٍ في الرذيلة؟

سيمياس: كيف يمكنها حيازة ذلك، إذا ثبتت وصمدت المحاورة السابقة؟

سقراط: إذا كانت كل الأرواح أرواحاً متساوية بطبيعتها، فإنّ كلّ الأرواح لكلّ المخلوقات الحيّة ستكون خيرّة بالتساوي.

سيمياس: إنّني أتّفق معك، يا سقراط.

سقراط: حسناً، فكِّر أنت، أيمكن أن يكون كلّ هذا صحيحاً، وهل ستلي نتائج كتلك إذا كانت الفرضيّة صحيحة وهي أنَّ الروح تكون إيقاعاً؟

سيمياس: لا يمكنها أن تكون صحيحة.

سقراط: مرّة ثانية، أيُّ حاكم يكون هناك لعناصر الطبيعة الإنسانيّة غيراً من الروح، وخاصّة الروح العاقلة الحكيمة؟ هل تعرف أيّة واحدة أخرى؟

سيمياس: إنّني لا أعرف، حقاً.

سقراط: وهل تتّفق الروح مع ميول وتأثيرات الجسد؟ أو أنّها في اختلاف معها؟ كمثال، عندما يكون الجسم حارّاً وظمآناً، ألا تسحبنا الروح من الشرب؟ وحينما يكون الجسم جائعاً تسحبنا من الأكل؟ وهذا مثال واحد فقط من عشرة آلاف مثال لمعارضة الروح لأشياء الجسد.

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكنّنا اعترفنا سابقاً أنّ الروح، إذا كانت إيقاعاً، لا يمكنها أن تطلق نغمةً أو علامةً موسيقيّة في اختلاف مع التوتّرات والإسترخاءَات والنقرات والتأثيرات الأخرى للخيطان التي يُشكِّل منها تناسب الألحان أو التناغم؛ يمكنها أن تتبع ذلك فقط، وليس بإمكانها أن تقود وترشد.

سيمياس: يجب أن تكون هكذا.

سقراط: ومع ذلك ألم تكتشف الروح أنّها تفعل العكس بالضبط ـ إنّها تقود العناصر التي يُعتقد أنّها تركّبها وتعدّها، معترضة أو مجبرة إياها في كلّ نوعٍ من أنواع الوسائل طوال الحياة وعلى الدوام تقريباً. تفعل ذلك بأكثر عنفاً في

آلام الدواء والألعاب الرياضيَّة بعض المراث؛ وبعدئذ بلطف .أكثر مرَّة ثانية: وبعدُ مهدِّدةً، ثم مذكِّرةً وناصحةً الرغبات، والانفعالات والهوى، والخوف، كما أنّها تتكلّم مع شيءٍ ليس هو نفسها، مثلما يُحضِر هوميروس أوديسيوس فاعلاً في الأوديسه بهذه الكلمات ـ

هو لطم صدره، وهكذا لام قلبه: تحمَّل، يا قلبي؛ سوءاً أبْعد مما تحمَّلت! هل تعتقد أنّ هوميروس كتب هذا تحت فكرة أنَّ الروح تكون إيقاعاً مُقدَّرةً لتقاد بتأثيرات وهوى الجسد، وليس أفضل لها أن تكون ذات طبيعة يجب أن تهديها وتكونِ سيّدةً لها وأنها هي شيء أكثر إلهيةً لتُقارَنَ بأيّ تناسب ألحانٍ أو إيقاع؟

سيمياس: نعم، يا سقراط، إنّني أعتقد هذا تماماً.

سقراط: لا نستطيع نحن إذن، يا صديقي، أن نكون محقّين في القول بأنّ الروح هي نوع من النغم لأنّنا سنناقض هوميروس الإلهيّ على ما يبدو ونكذّب أنفسنا.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: كفى هذا المقدار عن هارمونيا، إلهتك الطبيعيَّة، والتي آستسلمت لنا برشاقة؛ لكنّني ماذا سأقول، يا سيبس، لزوجها قدموس، وكيف سأقيم سلاماً معه؟

سيبس: أعتقد بأنّك سوف تكتشف طريقة لتسترضيه، إنّي متأكّد بأنّك وضعت المحاورة مع هارمونيا في طريقةٍ وأسلوبٍ لم أستطع توّقعه. لأنّه عندما ذكر سيمياس صعوبته ومصدر قلقه، تصوّرت تماماً أن لا إجابة يمكن إعطاؤها له وكنت مندهشاً لهذا السبب في اكتشاف أنَّ محاورته لم تستطع أن تتحمَّل هجومك الأوّل، وليس بالاستحالة الآخر، ويمكن للذي تسمّيه قدموس أن يشارك في قدرٍ مماثل.

سقراط: لا، يا صديقي الصالح، لا تتباهَ ولا تفاخر، خشية أن تفسد عينٌ شريرة المحاورة المتنامية. يمكن أن يُترك ذلك، على كل حال، في أيدي الأعلين، بينما نحن نقترب نحو العدوّ في أسلوب هوميريّ ونحاول أن نحتمل كلماتك. هنا تكمن النقطة الرئيسية: تريد أنت أن أبرهن لك أنَّ الروح خالدة غير فانية، لأنها إذا كانت غير ذلك فإنّ الفيلسوف الذي يقابل الموت بثقة لاعتقاده بأنّه سيكون أفضل له في العالم السفليّ، بدلاً من أن يسلك نوعاً آخر من الحياة، ينبغي أن يكون هو المغفَّلُ بثقةٍ باطلةٍ وغبية وتقول أنت إنّ الإيضاح لقوّة وإلهيّة الروح ولوجودها قبل أن نصبح رجالاً لا يدلّ ضمناً على خلودها بالضرورة، بل إنّها عاشت لزمنٍ طويل فقط وعرفتْ وفعلتْ كثيراً لأمدٍ هائلٍ في حالةٍ سابقة. يبقى أنّها لا تكون خالدة بناءً على هذا التعليل؛ ويمكن أن يكون دخولها نفسه في هيكل إنساني نوعاً من المرض الذي هو بداية تحلُّلها، ويمكن لها أن تغتاظ جداً خلال حياتها الأرضيّة وأن تفنى قريباً أو بعيداً في ذلك الذي يدعى موتاً. وسواء إذا دخلت الروح إلى الجسد مرّة فقط أو مرّات متعددة، فلا يخلق ذلك فرقاً في خوف الأفراد، كما تقول. لأنّ أيّ إنسان يكون مجرّداً من الإحساس يجب أن يخاف، إذا كان هو يمتلك معرفة ولا يستطيع أن يعطي تعليلاً لخلود الروح. إنّ هذا أو شيئاً مشابهاً له، أشتبه بأنه نظريتك، يا سيبس؛ وأنّني ردَّدتها عن قصد وتصميم أكثر من مرّة كي لا يمكن لأيّ شيء أن يفلت منّا، ولكي تتمكّن من إضافة أو إنقاص أيّ شيء، إذا رغبت في ذلك.

سيبس: لكّنني بقدر ما أرى في الوقت الحاضر، فليس لديَّ أيّ شيء كي أضيف أو أنقص. إنّني أعني ما تقوله أنت وذلك ما أعنيه.

[صمت سقراط لفترة طويلة، وبدا أنه غاب في التأمّل العميق]، ثم قال أخيراً: إنّك تبرز سؤالاً بالغ الأهميّة، يا سيبس، سؤالاً يشمل الطبيعة ككلّ

وسبب المجيء إلى الوجود والإنقطاع عن أن تكون، والذي سأعطيك بشأنه خبرتي الخاصّة إذا أحببت؛ وإذا بدا أيُّ شيءٍ من الذي أقوله أنَّه مساعِدٌ لك، يمكنك أن تستخدمه كي تتغلّب على الصعوبة التي تواجهك.

سيبس: إنّني سأحبّ كثيراً جداً لأسمع ما بحوزتك.

سقراط: سأخبرك إذن. عندما كنت فتىً، يا سيبس، كان لديَّ رغبة كبيرة لأعرف ذلك الفرع للفلسفة الطبيعيّة الذي يُسمّى التحقيق والبحث في الطبيعة؛ كي أعرف أسباب الأشياء، ولماذا يكون الشيء ويُخلق أو يفنى. لقد بدا لي هذا على أنّه وظيفة سامية؛ وحَضَضْتُ نفسي على تأمّل مثل هذه الأسئلة: أيكون نموُّ الحيوانات نتيجةً لتعفّن ما وهو الذي يعاني منه مبدأ الحارّ والبارد، كما قال بعضهم؟ أوْ يكون الدّم هو العنصر الذي نفكّر بواسطته، أو الهواء، أو النار؟ أو أنّه لربّما لا شيء من هذا النوع ـ بل إنّه لربّما يكون الدماغ هو القوّة المولِّدة للإدراك، لحاسّة السمع أو البصر والشمّ، ويمكن أن تأتي منه الذاكرة والرأي، وتأتي المعرفة من الذاكرة والرأي عند نيلهما الرسوخ والثبات. وذهبت لأفحص فسادها بعدئذ، ومن ثم ذهبت إلى الأشياء السماويّة والأرضية، واستنتجت أخيراً من نفسي بأنّني غير قادرٍ على القيام بهذه التحقيقات بشكلٍ تامّ ومطلق، كما سأبرهن لك بإقناع. فأنا انبهرت لها لدرجة أنَّ عينيَّ أصبحتا عمياوين بالنسبة للأشياء التي ظهرت إلى نفسي، وإلى الآخرين أيضاً، لأعرفها جيّداً تماماً. إنّني لم أتعلّم ما فكّرت به قبلاً عن الحقائق المبرهنة ذاتياً. كمثال، حقيقةً كهذه، فنموّ الإنسان، مثلاً هو نتيجة للأكل والشرب، لأنّه بعمليّة الهضم للطعام يُضاف اللحم إلى اللحم والعظم إلى العظم، وعندما يتلقّى كلّ نسيج نموّه الإلتحامي المناسب، بالعمليّة عينها، يصبح الجسم الصغير كبيراً بعدئذ. وهكذا يمسي الإنسان الصغير كبيراً. أليست هذه فكرة معقولة؟

سيبس: نعم، إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: حسناً؛ لكن دعني أخبرك شيئاً ما أكثر. منذ مدّة تصوّرت أنّني فهمت المعنى للكثير والقليل جيّداً جداً؛ وحينما رأيت رجلاً كبيراً واقفاً بجانب رجلٍ صغير، توهّمت أنّ أحدهما كان أطول من الآخر بالرأس فقط، وكذلك مع الأحصنة بشكلٍ متشابه. ويبقى أكثر وضوحاً أنّني بدأت أتصوّر أن العشرة أكثر من ثمانية لأنها تمتلك وحدتين إضافيتين، وأنّ المكعبين الإثنين هما أكثر من مكعّب واحد لأنّهما ضعفه.

سيبس: وما هي فكرتك الآن عن مسائل كهذه؟

سقراط: عليّ أن أكون بعيداً جّداً عن التخيّل بأنّني عرفت السبب لأيٍّ منها، بالسّماء عليّ فعل ذلك. فأنا لا أستطيع أن أقنع نفسي بأنّه عندما يُضاف واحد إلى واحد، إمّا الواحد الذي جُعِلت الإضافة له أو الواحد الذي أضيف إلى الآخر يصبح إثنين، أو أنّ الوحدتين المجموعتين معاً تخلقان إثنين بسبب عمليّة الجمع. إنّني لا أستطيع أن أفهم، كيف أنّهما حينما يُفصَلان أحدهما عن الآخر، فإنّ كلَّ واحد منهما كان واحداً وليس إثنين. وبعدُ، عندما يُحضران معاً، فإنّ مجرّد وضع واحدهما بجانب الآخر أو اتّحادهما ينبغي أن يكون سبب صيرورتهما معاً إثنين. ولا يمكنني أن أعتقد بأنّ قسمة الواحد هي الطريقة لخلق إثنين؛ إذ حينئذ سينتج السّبب المضاد التأثير أو النتيجة عينها. وكما في المثال السابق، فإنّ عملية الجمع أو وضع واحدهما بجانب الآخر كان السبب لخلق الإثنين. إنّ في هذا الفصل والطرح للواحد من الآخر سيكون السبب. لا ولست بقانعٍ بعد اليوم بأنّني أفهم كيف تأتي الوحدة إلى الوجود على الإطلاق، أو باختصار كيف يكون أيُّ شيء آخر إمّا متولّداً أو فانياً أو موجوداً، ما دام هذا هو المنهج لفهم الموضوع؛ لكنّني أمتلك في عقلي فكرة ما مضطّربة لمنهجٍ جديد، ولا أستطيع أن أقبل بالأخرى قطّ.

سمعت بعدئذ شخصاً ما قارئاً من كتابٍ لأناكساغوراس، يقول فيه إنّ العقل هو منظم الجميع، وابتهجت بهذه الفكرة التي بدت رائعة تماماً، وقلت لنفسي: إذا كان العقل هو المنظِّم، فهو سينظِّمها كلّها للأفضل، ويصنع كلّ ما هو هامّ في المكان الأحسن. وجادلت أنّه إذا رغب أيّ شخص أن يكتشف سبب الولادة والفناء أو لوجود أيّ شيء، ينبغي عليه أن يكتشف أيّة حالة للوجود أو الفعل أو المعاناة كانت الأفضل لذلك الشيء، ولهذا السبب فالإنسان كان عليه أن يعتبر ويتأمل ملياً فقط ما هو الأفضل والمرغوب الأكثر للشيء نفسه وللأشياء الأخرى كلها، وحينئذ يجب عليه أن يعرف الأسوأ أيضاً بالضرورة، بما أنَّ العلم عينه أدركها كلها. فرحت باعتقادي بأنّني وجدت في أناكساغوراس معلّماً لأسباب الوجود كما رغبت، لأنّه حاور بهذه الطريقة، وتصوّرت أنّه سيخبرني بادىء ذي بدء لو كانت الأرض مسطحةٍ أو كروية وبعد إخباري هذا، سوف يتقدّم ليشرح السبب والضرورة لكون هذا على ما هو عليه، مبتدئاً من الخير الأعظم، وموضحاً أنّه أفضل للأرض أن تكون كما هي؛ وإذا قال إنَّ الأرض كانت في المركز، فلسوف يشرح أبعد من ذلك وهو أنَّ هذا الموقع كان الأفضل لها، وعليَّ أن أقتنع بدوري بهذا الشرح المُعطى، ولا أريد أيّ نوع آخر من أنواع السبب. واعتقدت بأنّني سأثابر وأسأله بعدئذ عن الشمس والقمر والنجوم، وأنّه سيشرح لي سرعتها المقارنة، وعودتها وحالاتها المتنوعة، الإيجابيّة منها والسلبيةُ؛ وفي أيّة طريقة كانت كلّها للأفضل لأنّني لم أستطع أنْ أتصوَّر أنّه عندما تكلَّم عن العقل كمنظم لها، بأنّه سيعطي أيَّ تعليلٍ آخر لوجودها كما هي، سوى أنَّ هذا التعليل هو الأفضل؛ واعتقدت أنّه بينما شرح لي بالتفصيل السبب لكلّ منها وماذا كان الأصح لها جمعاً، اعتقدت أن هذه الآمال والتمنيات التي راودتني ما كان عليَّ أن أبيعها بمقدارٍ كبيرٍ

من المال. والتقطت الكتب وبدأت قراءتها بأقصى سرعة أقدر عليها من شوقي لمعرفة الأفضل والأسوأ.

كم كانت آمالي عالية، وكيف فُقِدَتْ مني بسرعة! عندما تقدَّمت في قراءَتها، وجدتُ أنّ فيلسوفي هذا قدَ تخلّى عن العقل ونبذه بكلّ ما في الكلمة من معنى ولم يحتكم لأيّ مبدأ آخر للنظام، بل التجأ إلى الهواء، والأثير، والماء، والعديد من الشواذات الأخرى. يمكنني أن أقارنه بشخصٍ بدأ بالتأكيد أنَّ العقل هو السبب في أعمال سقراط بشكلٍ عامّ، لكنّه، عندما سعى ليعلّل أسباب أعمالي المتعددة بالتفصيل، واصل ليبيِّن بأنّني أجلس لأنّ جسدي مصنوع من العظام والألياف اللحميّة، وأنّ العظام، كما سيقول، هي صلبة ولها مفاصل تفصلها عن بعضها، وأنّ الألياف اللحميَّة مرنة وقابلة للتمدّد وتغطّي العظام، لها غطاءٌ أوْ محيطٌ من البشرة والجلد اللذين يحتويانها. وبما أنَّ العظام تدور في تجويفها، من خلال انقباض أو انبساط الألياف اللحميّة، فإنّني أقدر على أن ألوي أو أثني أوصالي، ومصداقه هنا جلوسي في وضعٍ منحنٍ - إنّ هذا هو ما سيقوله؛ وسيمتلك هو تعليلاً مماثلاً لكلامي معكم، والذي سيعزوه إلى الصوت، والهواء، والسمع، وسينسب هو عشرة آلاف سبب آخر من النوع عينه، ناسياً ذكر السبب الحقيقيّ، وهو، أنَّ الأثينيين يعتقدون أنّه من الأفضل أن يدينوني، ووفقاً لذلك اعتقدت أنا أنّه لمن الأفضل والأكثر جودة وصلاحاً أن أبقى هنا وأتحمّل الحكم عليّ لأنّني أتوقع بقوة أنّ هذه الألياف اللحميّة التي تخصّني قد تكون منذ فترة خلت في ميغارا أو بويتيا، مولودة هناك بفكرتها الخاصّة لِمَا كان الأفضل، إذا لم أعتقد أنّه كان أكثر شرفاً وصحّةً وتكريماً لأصبر وأتحمّل أية عقوبة أمرت بها الدولة بدلاً من الهرب إلى المنفى. هناك ارتباك غريب بالتأكيد للحالات والأسباب في كلّ هذا يمكن أن يقال. حقاً أنه لا يمكنني أن أنجز أو أقوم

بأغراضي بدون العظام والألياف اللحمية وأجزاء الجسم الأخرى. لكن لأقول في الوقت عينه أنني أفعل من العقل وأنّي أقوم بما أقوم به بسببه وليس باختيار ما هو أفضل، إنّ ذلك كلام غير مدروسٍ تماماً بصيغةٍ نهائيةٍ وهو كلام تافه، وأتعجب من أنّهم لا يستطيعون أن يميّزوا السبب عن الحالة التي بدونها لن يكون السبب سبباً على الإطلاق. أعتقد أنّ الأخيرة هي التي يتلمّسها العديد في الظلام، ويخطئون فهمها ويخطئون بتسميتها « سبباً ». وهكذا يضع إنسان واحد الأرض داخل الدوران الكوني، ويثبّتها بالسماء؛ ويمنح آخر الهواء كدعمٍ للأرض، الذي هو نوع من النسيج الممتدّ. هُمُ لا يبحثون أبداً عن القوّة التي تنظمها كما هي نحو الأفضل. وبدلاً من عزوها إلى أيّة قوّة إلهيّة جبّارة، يتوقّعون هم بالأحرى أن يكتشفوا نصف إله آخر يكون أقوى وأكثر بقاءً من هذا النصف إلهِ الأرضي، وأفضل قدرة على جعل كلّ الأشياء متماسكة. إنّ ذلك هو الخير والحق صدقاً الذي يربط ويوحّد ويوثّق الأشياء معاً، وهُمُ لا يتأمّلون هذا مليّاً. هكذا يكون إذن مبدأ السببيّة والذي سأسرُّ إذا ما كان سيعلّمني إيّاه أيُّ شخص. لكن بما أنّني أخفقت إمّا في اكتشافه بنفسي، أو في تعلّمه من أيّ إنسان آخر، فإنّني سأعرض لك، إذا أحببت، المنهج الذي اتبعته كأسلوب ثانٍ أفضل للتساؤل والتحقيق في السبب.

سيبس: يسرّني أن أسمع كثيراً جداً.

تابع سقراط: ـ فكّرت بما أنّني أخفقت في درس الأشياء الماديّة، لذلك ينبغي عليَّ أن أحترس من أنْ لا أفقد عين روحي، مثلما يمكن للناس أن يؤذوا عيونهم الشحميّة بالمراقبة والتحديق في الشمس أثناء الكسوف ما لم يتّخذوا التدابير الوقائيّة بالنظر إلى الصورة المعكوسة في الماء فقط، أو في واسطة آخرى مشابهة. خشيت في حالتي الخاصّة كذلك من أنَّ روحي يمكن أن تعمى

كليّة إذا تطلَّعتُ في أشياء بعينيّ أو حاولتُ أن أفهمها أو أدركها بمساعدة حواسّي الخاصة. وفكّرت أنّه كان من الأفضل لي أنْ أنسحب إلى مجال العقل والتعقّل، وأبحث عن حقيقة الوجود هناك. أجرؤ على القول إنّ التشبيه البلاغي ليس تشبيهاً كاملاً ـ فأنا لا أوافق تماماً على أنَّ من يتأمّل الأشياء من خلال أداة الفكر، يراها فقط « من خلال زجاجةٍ بظلام ». أكثر من هذا كان المنهج الذي تبنّيته إنّني افترضت فرضيّة أولية حكمتُ عليها أنّها الفرضيّة الأقوى، وبعدئذ أكّدتها كحقيقة مهما بدا أنه يتفّق معها، سواء أكانت ترتبط بمسبّبها أو بأي شيء آخر يختلف عن ذلك اعتبرته وكأنّه غير حقيقي. لكنّني أريد أن أوضح معناي بشكلٍ أكثر جلاءً، ما دمت لا أعتقد أنّك فهمتني حتى الآن.

سيبس: لا حقاً، ليس جيّداً تماماً.

سقراط: لا شيءَ جديداً، فيما أنا على وشك أن أقوله لك؛ لكن ما قد كررته دائماً فقط وفي كلّ مكان من البحث السابق وكذلك في مناسبات أخرى: سأحاول أن أبيِّن لك نوعيّة السببيّة التي شغلت أفكاري. عليَّ أن أعود إلى تلك النظريّات المألوفة، والتي هي على كل شفةٍ ولسان، وأن أفترض بأنّه يوجد جمال مطلق وخير وعظمة قبل كلّ شيء، وآمل أن أبيّن لك طبيعة السبب، وأن أبرهن خلود الروح.

سيبس: يمكنك أن تتابع حالاً وتقدّم البرهان لأنّني أمنحك هذا.

سقراط: حسناً، سأحبّ أن أعرف إذن إذا ما كنت تتّفق معي في الخطوة القادمة؛ فأنا لا سبيل لي إلاّ أنْ أفكّر أنه إذا كان أيّ شيءٍ جميلٍ غيراً من الجمال المطلق فهو يكون جميلاً بقدر ما يشترك في الجمال المطلق ـ وعليَّ أن أقول الشيء عينه عن كلّ شيء. هل توافق على فكرة السبب هذه؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق.

تابع سقراط يقول: أنا لا أبحث بعد اليوم ولا أستطيع أن أفهم، تلك الأسباب الأخرى الصريحة الزعومة، وإذا قال شخص لي أنّ رَيَعان اللوْن، أو الشكل، أو أيّ شيء آخر، هو مصدر الجمال، فإنّني أنبذ كلّ ذلك الذي يُعتبر باعث قلق لي. وبكلّ بساطة وعلى انفراد، ولربّما بكلّ غباوة، أتمسّك وأؤكّد في عقلي الخاص أن لا شيء يجعل شيئاً جميلاً بل الوجود أو المشاركة للجمال في أيّة طريقة أو أسلوب مهما كان. لكن بالنسبة للأسلوب فإنّي لست متأكّداً، لكني أجادل وأناضل بشجاعة وجرأة وأقول إنّه بالجمال تصبح كل الأشياء الجميلة جميلة. يبدو لي هذا أنّه الجواب الأسلم الذي يمكنني إعطاؤه لنفسي أو للآخرين، وبهذا أنا أتمسّك وبه ألتصق، وكلي قناعة أنَّ هذا المبدأ لن يُقهر أو يسقط، ويمكنني الإجابة بذلك لنفسي أو لأيّ شخص يسأل سؤالاً وبأمان، وهو أنّه بالجمال تصبح الأشياء الجميلة جميلة كلّها. ألا توافقني؟

سيبس: إنّي أفعل.

سقراط: وبالعظمة تصبح الأشياء العظيمة عظيمة وأعظم وأعظم، وتمسي بالصغر أقلّ وأقلّ.

سيبس: حقاً.

سقراط: إذا قال أيّ شخص إذن، إنّ « أ » هو أطول من « ب » بالرأس، وإنّ « ب » أقل من « أ » بالرأس، فسترفض أنت أن تعترف بهذا البسط، وستجادل وتناضل بشجاعة أنّ ما تعنيه هو أنَّ الأكبر يكون أكبر بالكبر وبسببه فقط، وأن الأقلّ يكون بالصغر وبسببه فقط. أتصوّر بأنّك ستخاف من المحاورة المضادّة تلك إذا كان الأكبر أكبرَ والأقلّ أقلّ بالرأس. إذن، وبادىء ذي بدء، فإنّ الأكبر يكون أكبر والأقلّ أقلّ بالشيء عينه؛ وثانياً، يكون الإنسان الأكبر أكبر بالرأس والذي هو عينه يكون صغيراً. وهكذا

فأنت تحصل على شيءٍ منافٍ للعقل والمنطق وبالغ السخافة وهو أنَّ إنساناً يكون كبيراً بشيءٍ ما صغير. إنّك ستخاف من قول هذا، أليس كذلك؟

سيبس: [ضاحكاً] إنّي سأخاف منه.

سقراط: في نمطٍ مماثل ستعتقد أنت بأنّ من الخطر أنّ تقول إنّ العشرة تتعدّى الثمانية بالاثنين وبسببهما؛ لكن ستقول بالعدد وبسببه؛ أو أنّك ستقول إنّ مكعبين إثنين يتجاوزان مكعباً واحداً ليس بالنصف، بل بالعِظَم والضخامة، لأنّ الخطر عينه موجودٌ في كلّ هذه الحالات.

سيبس: حقيقيّ جداً.

سقراط: ألن تحترس مرة ثانية من التأكيد أنَّ إضافة واحد إلى واحد، أو القسمة للواحد، تكون سبب الإثنين؟ وأنت سوف تؤكّد بجزم أيّة طريقة أخرى يأتي فيها أيّ شيء إلى الوجود ما عدا بالاشتراك في الحقيقة المميّزة لذلك الذي تشترك فيه، وبالتالي، بقدر ما أعرف، فإن السبب الوحيد للإثنين هو الاشتراك في الرقم المزدوج أو المثنّى ـ هذه هي الطريقة لإيجاد إثنين، وأنّ الاشتراك في الوحدة هو الطريقة لإيجاد الواحد. ستقول أنت: « إنّني سأدع جانباً كلّ حدَّة الذهن مثل القسمة والجمع هذا ـ يمكن لرؤوسٍ حكيمةٍ أعقل مني أن تجيب عليها، وغير مطَّلعٍ وغير خبير مثلي، وكما يقول المثل، جاهزاً لأبدأ من ظلّي الخاص. فأنا لا أستطيع أن أقدّم وأعطي الأرضيَّة الأكيدة لحدَّة الذهن الأساسيَّة ». وإذا ثبّتك أيّ شخص هناك بإحكام، فلن تتضايق منه، أو تجيبه إلى أن ترى إذا كانت النتائج التي تلي ستتّفق مع بعضها بعضاً أوْ لا، وعندما تحتاج لتعطي تعليلاً أبعد عن هذا الافتراض، فلسوف تهبه بالطريقة عينها وتفترض افتراضاً ما أعلى يبدو لك أنّه أفضل ما وُجِد إلى أن تصل إلى مكانٍ مريح ومقنع؛ وليس لأن تخلط المبدأ الجوهريّ الأساسيّ والنتائج معاً في تعقّلك، مثلما يفعل الجداليون ـ إذا أردت أن

تكتشف الوجود الحقيقي على الأقل. ليس أنّ هذا الارتباك يدلّ عليهم، هم الذين لا يعتنون أبداً ولا يفكّرون بشأن المسألة على الإطلاق بالاحتمال، لأنّهم يمتلكون الذكاء أو الطرافة ليُسرُّوا جيّداً بأنفسهم مهما يكن التشويش لأفكارهم شاملاً. أمّا أنت، إذا كنت فيلسوفاً، فستفعل كما أقول بالتأكيد.

قال سيمياس وسيبس: إنّ ما تقوله هو الأكثر حقيقة، يا سقراط. [نطقا ذلك في الحال].

ايخيكريتس: نعم، يا فيدون: وإنّني لا أتعجّب من موافقتهم. إنَّ أيَّ شخصٍ يمتلك الإدراك الأقلّ سيعترف بتعقّل وعقلانية سقراط الصافيين البديعين.

فيدون: بالتأكيد، يا ايخيكريتس؛ وهكذا كان شعور كلّ الرفاق الموجودين في ذلك الوقت.

ايخيكريتس: نعم، وكان هذا شعورنا بالتساوي نحن الذين لم نكن من مجموعتهم، وإنّنا لسامعون سردك للمحاورة الآن. لكن ماذا تلا ذلك؟

فيدون: بعد أن تمَّ الاعتراف بكلّ هذا، واتفقوا على ما قيل، وهو أنّ الأشكال توجد إفرادياً، وأنَّ الأشياء الأُخرى تشترك فيها وتشتقّ أسماءَها منها، قال سقراط، إذا تذكّرت جيداً:

إنَّ هذه هي طريقتك في الكلام؛ وعندما تقول إنّ سيمياس أكبر من سقراط وأصغر من فيدون، ألاَ تؤكّد أن سيمياس هو أكبر وأصغر من كل منهما؟

سيمياس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: لكن يبقى أنّك تسمح بأنّ سيمياس لا يتجاوز سقراط في الحقيقة، كما يمكن للكلمات أن تدلّ ضمناً على ما يبدو، لأنّه يكون سيمياس بالضرورة، بل تسمح بذلك بسبب الحجم الذي صدف أنّه يمتلكه؛ كما يكون ذلك على الجانب الآخر بالضبط فهو لا يتعدّى سقراط لأنّه سقراط، بل بسبب أنَّ سقراط يحوز صِغراً عند مقارنته بكِبَر سيمياس.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: وإذا تعدَّاه فيدون في الحجم، فلا يكون هذا لأنّ فيدون هو فيدون، بل لأنَّ فيدون يمتلك كِبَراً بالنسبة إلى سيمياس، الذي هو أصغر منه بالمقارنة.

سيمياس: إنَّ ذلك لحقيقي.

سقراط: ويقال لهذا السبب إنّ سيمياس يكون صغيراً، ويقال بأنّه يكون كبيراً أيضاً لأنّه في وسطٍ بينهما، مسلِّماً صِغره ليتجاوزه كِبَرُ الواحد، ومُبدياً كِبَرهُ إلى الآخر ليتخطّى صِغَر الآخر. [وأضاف ضاحكاً] إنّني أتكلّم وكأنّني كتاب، لكنّي أعتقد أنّ ما أقوله هو قول حقيقيّ.

سيمياس: أوافق.

سقراط: أتكلم كما أفعل لأنّي أريدك أن تّتفق معي في الاعتقاد ليس في أنَّ الكِبَر المطلق لن يكون كبيراً أو صغيراً في وقتٍ واحدٍ أبداً أيضاً، بل إنّ الكِبَر فينا لن يقبل الصغير أبداً أيضاً أو يوافق على أن يُتَجاوز. وبدلاً من هذا، سيحدث واحد من شيئين إثنين، إمّا أن ينقضي الكِبَر سريعاً وينكفيء من أمام ضدّه، الصغير، أو أنّه سيتوقّف عن الوجود بشكلٍ مسبق عند اقتراب ضدّه؛ لكنّه يرفض أن يصبح غيراً ممّا كان ببقائه وتلقّيه للصِغَر. كمثال، عندما أتلقّى وأقبل أنا بالصِّغَر أبقى كما كنت، وأكون الشخص ذاته وصغيراً. لكنّ الكِبَر لم يتنازل أو يتلطّف ليصبح صغيراً. في نمطٍ مماثل فإنّ الصغر فينا يرفض أن يكون أو يصبح كبيراً؛ ولا يقدر أيّ ضدٍّ آخر يبقى الشيء عينه أن يكون أو يصبح ضدّه الخاص أبداً، بل إمّا أن يبتعد أو يفنى في التغيير.

سيبس: تلك الفكرة هي فكرتي تماماً.

قال واحد من الرفاق، بعد هذا مباشرة، مع أنّني لا أتذكّر أيُّهُم بالضبط، قال: باسم السماء، أليس هذا هو النقيض المباشر لِمَا اعترفنا به مسبقاً وهو أنَّ

من الأكثر يأتي الأقلّ ومن الأقلّ الأكثر، وأنّ المتضادّات تولّدت من المتضادّات بكلّ بساطة؛ لكن يبدو أن هذا المبدأ قد تمّ إنكاره الآن بشكلٍ كامل.

[أدار سقراط رأسه إلى المتكلّم واستمع له]. ثم قال: إنّني أحبّ جرأتك في تذكيرنا بهذا. غير أنّك لم تلاحظ أنّ هناك فرقاً في الحالتين. لقد قلنا حينها إنّ الشيء يأتي إلى الوجود من ضدّه. أمّا الآن، فإنّي أتكلّم عن المتضادّات الظاهرة للعيان وآخذها إمّا كما هي مفهومة بوضوح فينا أو كما توجد في أنفسها. نقول نحن إنّ واحداً منها لا يمكنه أن يصبح الآخر قط؛ تكلّمنا حينئذ، يا صديقي، عن أشياء تكون فيها المتضادّات متلازمة أو متأصّلة والتي تعطي أسماءَها لها؛ ولن تقبل هذه المتضادات الجوهرية، كما نؤكّد، لن تقبل بالتولّد أو النشوء في، أو خارج بعضها بعضاً. [ثم استدار إلى سيبس في الوقت عينه]، وقال: هل أنت مُحبَط أو قلقٌ، يا سيبس، من اعتراض صديقنا؟

سيبس: لا ليس بهذا الاعتراض الذي أبداه؛ ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أُنكر أنّني تشوّشت بالاعتراضات غالباً.

سقراط: نحن متفقون إذن بعد كلّ هذا، إنّ المضادّ لن يُضادّ نفسه بأيّة حالة؟

سيبس: إنّنا وافقنا على ذلك تماماً.

سقراط: وبرغم ذلك دعني أسألك مرّة أخرى أن تتأمل السؤال مليّاً من وجهة نظرٍ أخرى، وترى إذا ما كنت تتّفق معِي. يوجد شيء تسمّيه حرارة، وشيء آخر تدعوه برودة.

سيبس: بدون ريب.

سقراط: لكن هل هما الشيء عينه مثل النار والثلج.

سيبس: لا بالتأكيد الأكثر.

سقراط: إنَّ الحرارة هي شيء غيرٌ من النار، والبرودة ليست الشيء عينه مع الثلج.

سيبس: نعم.

سقراط: وأنا أظنّ برغم ذلك أنّك توافق على أنّه عندما يتلقّى الثلج الحرارة، ودعنا نستعمل لغتنا المميَّزة، فلن يبقيا ثلجاً ولا حرارة؛ بل إمَّا سينكفىء الثلج أو يفنى لتتقدّم الحرارة.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: والنار أيضاً إمَّا أنها ستتراجع أو تفنى ليتقدّم البرد لكنّها لن تتلقّى البرد أبداً، ومع ذلك تُصِرُّ على بقائها كما كانت، وتكون هكذا ناراً وبَرْداً في الحال.

سيبس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: وفي بعض الحالات فإنّ إسم الشكل لا يكون ملازماً له بعلاقةٍ سببيَّة سرمديَّة بل بشيءٍ ما آخر، ليس الشكل أو الصورة، وبرغم ذلك فإنّه لا يوجد بدونها، ويكون مؤهلاً برغم هذا ليُسمَّى بذلك الإسم أيضاً. إنّني سأحاول أن أجعل هذا أوضح بمثال: إنَّ العدد المفرد يدعى بالإسم المفرد على الدوام.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن أيكون هذا هو الشيء الوحيد الذي يُدعى مفرداً؟ هنا تكون نقطتي الرئيسيَّة. ألا توجد أشياء أخرى تمتلك إسمها الخاص، ويجب أن تُسمى مفردة مع ذلك، مع أنّها ليست الشيء عينه، كالمفرد، فهي لا تكون بدونه أبداً؟ أعني حالة كهذه مثل التي للعدد ثلاثة. هناك أمثلة أخرى كثيرة. خُذْ تلك الحالة. ألن تقول إنّ العدد ثلاثة يمكن أن يدعى باسمه الحقيقي، وأنْ يُسمَّى مفرداً أيضاً الذي لا يكون الشيء عينه مع الثلاثة؟ ويمكن أن يقال هذا ليس عن العدد ثلاثة فقط بل عن العدد خمسة أيضاً، وعن كل عدد

متعاقب ـ يكون كل منها مفرداً بدون كونه مفرداً؛ وفي الطريقة عينها العددان اثنان وأربعة، وكذلك السلسلة الأخرى للأعداد المتعاقبة، تحوز كل عدد مزدوج، بدون كونها مزدوجة. هل توافق؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: سجِّل بعدئذ النقطة الرئيسيَّة التي أقصدها: لا يبدو أنّ المتضادّات الأساسيَّة يُقصي بعضها بعضاً فقط، بل تقصي الأشياء المادّية التي لا تكون متضادّة في أنفسها برغم ذلك، وهي تحتوي مضادات. أقول، إنّ هذه ترفض الصورة أو الشكل المضادّ لذلك المحتوى فيها بشكلٍ مماثل؛ وعندما تقترب منها فهي إمّا تهلك أو تنسحب. كمثال؛ ألن يتحمَّل الرقم ثلاثة الإلغاء أو أيّ شيء أقرب من أن يتحوَّل إلى عدد مزدوج، بينما يبقى ثلاثة؟

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: وبرغم ذلك، فإنّ كلّ الأشكال المضادّة لا يطرد بعضها تقدّم بعض، بل هناك أشياء أخرى أيضاً تنسحب قبل اقتراب المضادّات.

سيبس: حقيقي جدا.

سقراط: إفترض أنّنا نسعى لنقرِّر ما هي هذه الأشياء، إذا أمكن ذلك.

سيبس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: ألا تكون أشياء كهذه، التي تجبر أيّ شيء تمتلكه ليس أن يأخذ شكله أو صورته الخاصة به فقط، بل أن يأخذ أيضاً شكل المضادّ؟

سيبس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني، كما قلت لتوّي، وكما أنا متأكّد من معرفته، وأنّ كلّ تلك الأشياء الممتَلكَة بالشكل للعدد ثلاثة يجب أن لا تكون في العدد ثلاثة فقط، بل يلزم أن تكون مفردة أيضاً.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وأشياء كهذه لن تقاسي أبداً التطفّل للشكل المضادّ لذلك الذي يعطي هذا الطابع أو الأثر.

سيبس: لا.

سقراط: وأُعطِيَ هذا الطابع بالشكل المفرد.

سيبس: نعم.

سقراط: ويضادّ المفرد المزدوج.

سيبس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ شكل العدد المزدوج لن يتطفَّل أبداً على العدد ثلاثة.

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ العدد ثلاثة ليس له أيّ جزءٍ في المزدوج.

سيبس: لا شيء.

سقراط: إذن فإنّ الثلاثيّ أو العدد ثلاثة لا يكون مزدوجاً.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لنَعُدْ إلى تعريفي السابق للأشياء التي ليست مضادّة إلى واحدٍ من الزوجين المتضادّين، ومع ذلك فهي لا تسمح بذلك المضاد ـ كما في المثل الذي أعطيناه، فإنّ العدد ثلاثة، مع أنّه ليس مضاداًّ للعدد المزدوج، لا يسمح بأكثر من العدد المزدوج، بل يحضر المضادّ إلى العمل على الجانب الآخر دائماً؛ أو كما لا يتلقّى العدد إثنان العدد المفرد، أو النار البرودة ـ فمن هذه الأمثلة « وتوجد أمثلة عديدة منها » لربّما يمكنك أنْ تقدر على الوصول إلى الاستنتاج العامّ، وهو أنَّ المضادات لن تتلقى أو تتسلَّم المتضادّات، بل إنَّ لا شيء أيضاً يُحضِرُ مضاداًّ سيقبل لِذلك بالمضادّ الذي يُحضره، في ذلك الذي أُحْضِر. ودعني هنا أُلخِّص ما قلته، إذ لا ضرر في الإعادة. إنّ العدد خمسة لن يقبل بالشكل للعدد المزدوج، أكثر من عشرة، الذي يكون

مضاعَفاً للعدد خمسة، والذي سيُقبل بالشكل للعدد المفرد. إنّ العدد المضاعف يمتلك نفسه مضادّاً مختلفاً، لكنه يرفض المفرد برغم ذلك تماماً. ولن تقبل الأجزاء في النسبة ٣: ٢ الشكل للكلّ بشكلٍ مماثل، ولا يقبل النصف أو الثلث، أو أيّة كسورٍ كهذه. إنّك ستوافق؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق على ذلك بشكل تامّ، وأتعاون معك فيه.

سقراط: والآن، دعنا نبدأ مرّة ثانية؛ ولا تجب أنت على سؤالي بالكلمات التي أسأل بها، بل اتّبع مثالي. دعني لا أحوز الجواب القديم المأمون الذي تكلّمت عنه بادىء ذي بدء، بل إجابة أخرى مأمونة بشكلٍ متساوٍ، وهي التي تستنتجُ أنت حقيقتها ممّا قد قيل سابقاً. إذا ما سألتني « ما هي تلك الملازَمة التي تجعل الجسم حارّاً »؟ فإنّني سأجيبك ليست الحرارة، « هذا هو ما أسمّيه الجواب الآمن والغبيّ »، بل النار، إنّها إجابة أسمى ببعدٍ كثير، ونحن الآن في حالةٍ تمكّننا من إعطاء إجابة كهذه. أو إذا ما سألتني « لماذا يعتلُّ الجسم »؟ فإنّني لن أقول من السقم، بل من الحمّى؛ وبدلاً من أن أقول إنّ المفرد هو سبب الأعداد المفردة، سأقول إنّ الواحد هو سببها. وهكذا عن الأشياء بشكلٍ عامّ، كما أجرؤ على القول إنّك ستفهم ما أعني بشكل تامّ وبدون إيراد أيّة أمثلة أبعد.

سيبس: نعم، إنّني أفهمك تماماً.

سقراط: أخبرني، إذن، ما هي الملازمة التي ستجعل الجسد حيّاً؟

سيبس: الروح.

سقراط: أوَ تكون هذه الحالة على الدوام؟

سيبس: نعم، طبعاً.

سقراط: إذن، فإنّ كلّ ما تحتلُّه الروح، تأتي حاملةً له الحياة؟

سيبس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: وهل يوجد أي ضدّ للحياة؟

سيبس: نعم.

سقراط: وما هو ذلك؟

سيبس: الموت.

سقراط: يتبع من استنتاجاتنا السابقة إذن أنَّ الروح لن تسمح بالمضادّ الذي تُحضر على الدوام؟

سيبس: مستحيل.

سقراط: والآن، ماذا دعونا لتوّنا منذ فترة ذلك الذي لا يقبل بالشكل المزدوج؟

سيبس: اللاّمزدوج.

سقراط: وذلك الذي لا يقبل بالموسيقي أو العادل؟

سيبس: اللاّموسيقي، واللاّعادل.

سقراط: وماذا نسمّي ذلك الذي لا يقبل بالموت؟

سيبس: الخالد.

سقراط: وهل تسلّم الروح بالموت؟

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ الروح تعتبر خالدة.

سيبس: نعم.

سقراط: وهل يمكننا أن نقول بأنّ هذا قد تمّ برهانه؟

سيبس: نعم، إنّه قد تمّ برهانه، بشكل جليّ يا سقراط.

سقراط: لنفترض أنَّ المفرد كان غير فانٍ بالضرورة، ألا يجب أن يكون العدد ثلاثة خالداً؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: وإذا كان ذلك الذي يكون بارداً خالداً بالضرورة، وعندما تأتي الحرارة

وتهاجم الثلج، ألا يجب أن يعتزل الثلج كاملاً وغير مُذاب لأنّه لم يقدر على الاضمحلال قطّ، ولم يتمكن من البقاء والسماح بالحرارة مرّة ثانية؟

سيبس: صدقاً.

سقراط: مرّة ثانية، إذا لم يقدر ذلك الذي يُبرّد أن لا يهلك، فإنَّ النار حينما يهاجمها البرد لن تفنى أو تخمد، بل ستذهب بعيداً غير متأثّرة به.

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الخالد. إذا كان الخالد باقياً أيضاً، فإنّ الروح عندما يهاجمها الموت لا يمكن أن تهلك؛ لأنّ المحاورة المتقدمة تُظهر أنّ الروح لن تقبل بالموت، أو أن تبقى كميتة، بأكثر ممّا سيبقى العدد ثلاثة أو العدد المفرد كعددٍ مزدوج، أو أن تكون النار، أو الحرارة في النار برداً. ومع ذلك يمكن لشخصٍ أن يقول: « لكن برغم أنّ المفرد لن يصبح مزدوجاً حتّى حين قدوم المزدوج، فلماذا لا يمكن للمفرد أن يفنى ويأخذ المزدوج مكان المفرد؟ ». والآن فنحن لا نقدر أن نجيب على من يبدي هذا الاعتراف على أنَّ المفرد لا يفنى لأنّ هذه ليست هي الحقيقة. وإذا ما قبلناها كحقيقة، فما قد كان هناك صعوبة في التأكيد أنه عند قدوم المزدوج فإنّ المفرد والرقم ثلاثة قد سلك طريق المغادرة؛ وستثبت المحاورة عينها عن النار وعن أيّ شيء آخر بقوة.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الخالد. إذا اتّفقنا أنّ الخالد يبقى أيضاً، حينئذ فإنّ الروح ستكون مثل الخالد تماماً غير فانية؛ وإلاّ، لا بدّ من إعطاء برهان آخر عن عدم اضمحلالها.

سيبس: لا حاجة لبرهانٍ آخر؛ لأنّه إذا كان الخالد، كونه باقياً، عرضةً لأن يفنى، عندئذ فإنّ لا شيء يبقى.

سقراط:؛ نعم، وأعتقد أنَّ كلَّ الرجال سيوافقون، على أنَّ الله، والصورة الجوهريَّة الضروريَّة للحياة، والخالدين بشكل عامّ، أعتقد أنّهم سيوافقون على أنّها باقية ولن تفنى أبداً.

سيبس: نعم، كلّ الرجال سيوافقون ـ إنّ هذه لحقيقة، والأكثر حقيقةً أنّ الآلهة سيفعلون ذلك، كما الرجال.

سقراط: وما دام الخالد هو لا يفنى، ألا يجب أن تبقى الروح أيضاً، إذا كانت خالدة؟

سيبس: الأكثر تأكيداً.

سقراط: إذن فإنّ الموت عندما يهاجم إنساناً، يمكن افتراض أنَّ الجزء الفاني أو البشريّ منه يموت، لكن الجزء الخالد ينكفىء أو ينسحب عند قدوم الموت ويُصان آمناً وغير فانٍ.

سيبس: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ ما يتعدَّى السؤال، يا سيبس، أنَّ الروح خالدة ولا تفنى، وأنّ أرواحنا ستبقى وستوجد في العالم الآخر بحق!

سيبس: إنّني لمقتنع، يا سقراط، وليس لديَّ أيّ اعتراضٍ إضافيّ لأبديه؛ لكن إذا كان لصديقي سيمياس، أو أي شخص آخر أيّ اعتراض إضافيٌ ليبديه، فمن الأفضل أن يفصح عنه، وأن لا يبقى صامتاً، بما أنّني لا أعرف لأيَّة فترة أخرى يمكنه أن يرجىء البحث إذا لم يكن لديه أيّ شيء يريد أن يقوله أو أنه قد قاله.

سيمياس: لكن أنا أيضاً لا يمكنني أن أبدي سبباً للشكّ في نتيجة المحاورة. غير أنّني عندما أفكر كم يكون الموضوع عظيماً وكم هو الإنسان ضعيف بالمقارنة، فإنّي لا أزال أشعر ولا يمكنني التخلّص من الشكّ في عقلي الخاص.

سقراط: نعم، يا سيمياس، إنّ ما تقوله هو صحيح وجيِّد. ويمكنني أنْ أضيف أنَّ مبادئنا الأولى، حتى إذا بدت ثابتة وأكيدة لك، يجب تفحُّصها واختبارها بشكلٍ دقيق. وعند تحليلها بشكلٍ كافٍ، أتصوّر بأنّك ستتبع المحاورة عندئذ بقدر إمكانية الطاقة الإنسانيَّة؛ وإذا ما تأكّدت من فعل هذا، فلا حاجة لأيّ تعميق إضافي.

سيمياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لكن حينئذ، أوه يا صديقي، إذا كانت الروح خالدة، حقاً، فأيَّة عناية سوف نقدِّم لها، ليس فقط فيما يخصّ القسم المسموح به لِمَا يُسمَّى الحياة من الزمن، بل للأبديَّة والسرمديَّة! إنَّ خطر إهمالها من وجهة النظر هذه يبدو الآن مرعباً ومميتاً حقاً. وإذا كان الموت نهاية الكلّ، فإنّ الموت قد يكون مصادفةً سعيدة وغير منتظرة للخبثاء. فهُمُ لم يكونوا أو قد كانوا سعداء للتخلّص من أجسادهم فقط، بل من شرورهم الخاصّة بالإضافة إلى أرواحهم. لكن الآن، بقدر ما تكون الروح خالدة بشكلٍ واضحٍ ومُبرهن، فلن تُعتق أو تتخلَّص من الشرّ إلاّ بالحصول على الفضيلة الأعلى والحكمة الأسمى. فالروح في رحلتها إلى العالم السفليّ، لا تصطحب أيّ شيء معها سوى التربية والتعليم؛ وقيل إنّ هذه إمَّا أن تفيد أو تؤذي المغادر بشكل عظيم، عند البداية المحدَّدة لرحلته إلى هناك.

إذ بعد الموت، كما يقولون، يُقاد كل فردٍ من قِبَل العبقريّ الذي قد خُصِّصَ له في الحياة، إلى مكانٍ محدَّد قد يُجمَّع فيه الأموات حقاً، لذلك فإنّهم بعد تقديمهم أو إحالتهم إلى المحاكمة ينتقلون إلى العالم السفليّ، تابعين الهادي الذي عُيِّن ليرشدهم ويقودهم من هذا العالم إلى العالم الآخر. وعند تلقِّيهم استحقاقهم وبقاءَهم لفترة محدَّدة، يُرجعهم هادٍ آخر مرة ثانية بعد عدَّة دورات من العصور. والآن فإنّ هذا الطريق إلى العالم الآخر ليس ممرّاً

مفرداً أو مستقيماً، كما يقول أخيل(٤٠) في التيليفوس - وإذا كان هذا كذلك فلن يُحتاج عندها لهادٍ أو مرشد، إذ لا أحد يمكنه أن يضلَّ هذا الطريق. لكن هناك العديد من الطرق المتفرقة والمنعطفات، كما أستنتج من الطقوس والشعائر الدينية والأضاحي التي تُقدَّم إلى الآلهة تحتياً في الأماكن حيث تلتقي طرقٌ ثلاثة على الأرض. تتبع الروح الحكيمة والنظاميَّة هاديها المحدَّد أو المعيَّن وتعرف ما حولها. لكنّ الروح التي تريد الجسد، والتي قد ارتكبت وتهيَّجت بشأن الهيكل الميّت وعالم البصر، كما قصصتُ ذلك من قبل، فإنّها تُحمل بعيداً بعد عدَّة صراعاتٍ ومعاناة قاسية، يحملها مرافقها العبقري بالعنف زعجاً؛ وحين تصل إلى المكان حيث تجتمع الأرواح الأخرى، فإن كانت غير طاهرة وقامتْ بمآثر غير نقيَّة وغير طاهرة، سواء إذا كانت تلك المآثر إعدامات غبيَّة أو جرائم أخرى هي زميلات لهذه، والأعمال للأخوة في الجريمة، فإن كل شخص يهرب ويبتعد عن هذه الروح. لا أحد سيكون لها رفيقاً، ولا شخص سيكن لها هادياً، بل إنّها ستطوف وحيدة في أقصى درجات الكرب والضيق، حتّى تُنجزَ أوقاتٌ محدَّدة. وعندما تنتهي هذه الأوقات، فإنّها ستولد في مكانها الخاصّ المناسب بدون مقاومة. في المقابل يكون مرور كلّ روحٍ طاهرة وعادلة أثناء الحياة في رفقة وتحت هداية الآلهة ويكون لها بيتها الخاصّ المناسب أيضاً

وبعدُ فإنّ الأرض تمتلك مناطق مختلفة، وهي لا تتشابه تماماً في الطبيعة والمدى مع أفكار الجغرافيّين حقّاً، كما أعتقد بناءً على نصٍّ مستشهدٍ به لشخصٍ بدون اسم.

سيمياس: ماذا تعني، يا سقراط؟ لقد سمعت أنا عن أوصافٍ متعدّدة للأرض، غير أنّني لا أعرف، وسأحبّ كثيراً جدّاً سماع الوصف الذي توليه ثقتك.

سقراط: حسناً يا سيمياس، إنّها تحتاج بالكاد لفنّ غلوكوس ليعطيك وصفاً عنها؛

برغم ذلك فأنا لا أعرف أنَّ فنّ غلوكوس يستطيع أن يبرهن حقيقة قصّتي، والتي لربّما لن أقدر على أن أبرهنها بنفسي، وحتى إذا استطعت، فإنّني أخشى، يا سيمياس، من أنَّ حياتي سوف تأتي إلى نهايتها قبل أن تكتمل المحاورة. يمكنني أن أصف لك، على كلّ حال، صورة الأرض ومناطقها طبقاً لتصوّري عنها.

سيمياس: إنّ ذلك سيكون كافياً تماماً.

سقراط: حسناً، إذن، إنّ تصوري وفهمي هو أنَّ الأرض جسم كروي في وسط السماوات. ولهذا السبب فهي ليست بحاجةٍ للهواء أو لأيَّة قوة أخرى لتكون دعماً لها، بل هي باقية هناك ومُوقفَةٌ عن السقوط أو الانحراف لأيَّة ناحية باستواء السماء المحيطة، وبقوَّتها الموازَنة الخاصّة، لأنّ ذلك الذي يكون متوازناً، هو في الوسط ولذلك ينتشر بشكلٍ متساوٍ ولن يميل لأيَّة ناحية في أيّة درجة، بل كونه متّصلاً بكل طرف بشكلٍ مماثل سيبقى ثابتاً، وغير منحرف.

سيمياس: إن وصفك هذا صحيح.

سقراط: أعتقد أيضاً أنّ الأرض رحبة جداً، وأنّنا نحن الذين نسكن في المنطقة الممتدَّة من نهر فاسيس إلى أعمدة هرقل فإنّما نقيم في قسمٍ صغير حول البحر فقط، مثل النمل والضفادع حول المستنقع، وأنّه يوجد العديد من القاطنين الآخرين في أماكن أخرى متعدّدة مثل هذه الأماكن؛ لأنّه يوجد الكثير من التجاويف المتنوّعة الأشكال والأحجام في كلّ مكان على سطح الأرض، والتي تجمعت فيها المياه والضباب والهواء الأكثر انخفاضاً. لكنّ الأرض الحقيقيّة تكون صافية ومركَّزة في السماء النقيَّة ـ هناك الأنجم كذلك؛ وهي السماء التي قال عنها الخبراء الأكثر ثقةً بشكل عام إنّها الأثير، وتكون الأشياء الأخرى الرُسابة المتجمّعة في التجاويف السفلى. ونحن الذين

نعيش في هذه التجاويف تخدعُنا فكرةُ أنّنا نعيش فوق على سطح الأرض تماماً كما لو توهّم أيّ مخلوق يحيا في عمق البحر أنّه يعيش على سطح الماء، وأنّ البحر كان السماء التي من خلالها رأى هو الشمس والنجوم الأخرى، في حين أنّه لم يصعد إلى السطح قطّ بسبب عجزه ووهنه وبطئه وكسله، ولم يرفع رأسه عالياً ويرى، ولم يسمع أبداً من واحدٍ رأى، كم هو العالم أكثر نقاءً وجمالاً وعلوّاً من عالمه. وهكذا تكون حالتنا بالضبط. إنّنا نسكن في تجويف الأرض ونتوهّم أنّنا على سطحها؛ وندعو الهواء سماءً، ونتخيّل أنَّ النجوم تتحرّك فيها. لكن الحقيقة هي أنّه بسبب وهننا وكسلنا فنحن ممنوعون من الوصول إلى سطح الهواء لأنّه إذا استطاع أيّ إنسانٍ أن يصل إلى المدى الأقصى الخارجيّ، أو يتّخذ جناحي طائر ويصعد إلى الأعالي، فإنّه سيرى عالماً أبعد عندئذ، مثل السمكة التي تضع رأسها خارج الماء وترى هذا العالم. وإذا استطاعت طبيعة الإنسان أن تتحمّل هذا المشهد، فسيعترف أنَّ هذا العالم الآخر كان المكان للسماء الحقيقيّة والنور الحقيقيّ والأرض الحقيقيّة. إنَّ أرضنا، والأحجار، والمنطقة التي تحيط بنا بكاملها، هي فاسدة ومتآكلة، كما تتآكل كلّ الأحجار والأشياء الموجودة في البحر بالمياه الشديدة الملوحة؛ وليس لدى البحر أيّ نَماءٍ جديرٍ بالذكر أو متكامل، بل إنّه حتى حيث يلتقي باليابسة فإنَّ له تجويفات فقط، ورمال، وأراضٍ موحلة ليس لها نهاية، ولا يمكن مقارنتها بالمشاهد الأجمل لعالمنا بأيّة طريقة. ويبقى عالمنا هذا أقلَّ مقارنةً بالعالم الآخر. إن لم يُستخفَّ بأسطورتنا هذه، يا سيمياس، فإنّني أستطيع أن أخبرك عن واحدةٍ جديرة بالاستماع بشأن تلك الأرض العلويّة التي تكون تحت السماء.

سيمياس: ونحن، يا سقراط، سنكون مفتونين لنستمع إلى أسطورتك.

سقراط: إنَّ القصة، يا صديقي، هي كما يلي: إنّ الأرض الحقيقيّة، في المقام

الأوّل، تشبه في مظهرها واحدة من الكرات المصنوعة من اثنتي عشرة قطعة من الجلد. عند التطلع فيها من عَلٍ، نراها ملوَّنة بمزيجٍ من الألوان المختلفة مثل تلك الألوان التي يستعملها الرسامون على أرضنا وهي شبيهة بها في أسلوب عيّناتها. لكن هناك، فإنّ الأرض بمجملها مصنوعة منها، لكنّها أكثر ضياءً بمسافات بعيدة وأنقى من الألوان المستعملة على أرضنا. هناك لون أرجواني ذو لمعانٍ ورونق رائع. هناك أيضاً لون ذهبي متألّق أمّا اللون الأبيض الكائن في الأرض فهو أكثر بياضاً من أيّة طبشورة أو من الثلج. إنّ الأرض هذه مصنوعة من تلك الألوان الأخرى، وهي أكثر في العدد وأجمل ممّا رأته عين إنسانية على الإطلاق. إنّ التجاويف المحدَّدة « التي تكلّمت عنها سابقاً » ممتلئة بالهواء والماء ولها لون خاصّ بها، وتُرى مثل نور لامع وسط مزيجٍ من الألوان الأخرى. هكذا فإنّ كلّ الألوان تبدي مظهراً فريداً متواصلاً للتنوّع في الوحدة. وفي هذه المنطقة الجميلة فإنّ كلّ الأشياء التي تنمو: الأشجار، والأزهار، والفواكه، هي في درجة مماثلة أجمل من أيّة أشياء متشابهة هنا. هناك قمم فيها حجارة هي أنعم في درجة متشابهة، وأكثر شفافيّة، وأجمل في لونها من الأحجار الكريمة الأخرى التي نقدِّرها عالياً كالزمرد والعقيق الأحمر واليَشبِ وغيرها، والتي ما هي في الحقيقة إلاّ كراتٌ صغيرة جدّاً منها. السبب في ذلك أنّها نقيّة وليست مثل أحجارنا الثمينة المتآكلة أو الملوَّنة بالعناصر المالحة العفنة المحتشدة التي تُنتج قذارة وسقماً في الأرض والحجر، كما في الحيوان والنبات. إنّها جواهر الأرض العالي، التي تسطع أيضاً بالذهب والفضّة وما شابه، وهي مصنوعة في نور النهار وضخمة ووافرة في كلّ مكان، جاعلة الأرض منظراً سارّاً لعيون الناظرين. هناك العديد من الحيوانات والرجال، يعيش بعضهم في الجزء الداخليّ، ويقطن البعض الآخر حول الهواء تماماً كما نسكن نحن هنا حول البحر؛ بينما

يعيش البعض في الجزء الذي يسري الهواء حوله، قرب البرّ الرئيسي. وبكلمة، فإنّهم يستعملون الهواء كما نستعمل نحن الماء والبحر هنا، ويمثّل الأثير لهم ما يمثل الهواء لنا. إضافة إلى ذلك، فإنّ لطاقة فصول السنة عندهم هي من الاعتدال بحيث إنّ أجسامهم لا تعتلّ، ويعيشون أكثر بكثير ممّا نعيش نحن ويمتلكون حاسّة البصر والسمع والذكاء وكل الملكات العقليّة الأخرى في تمامٍ وكمالٍ بأكثر ممّا نمتلكها نحن. كذلك فإنّ عندهم هياكل وأماكن عبادة مقدَّسة تسكن الآلهة فيها، وهم يسمعون أصواتهم ويتلقّون إجاباتهم ويشعرون بهم ويحادثونهم وجهاً لوجه؛ وهُمْ يرون الشمس، القمر، والنجوم كما هي بحقّ. وإنّ سعادتهم الروحيّة ونِعمَهم الأخرى هي قِسمٌ من هذه النِعَم.

هذه هي طبيعة الأرض ككلّ، والأشياء التي هي حولها؛ هناك مناطق متنوعة من التجاويف على سطح الكرة الأرضيّة في كلّ مكان، بعضها أعمق وأكثر امتداداً من تلك التي نسكن، والبعض الآخر أعمق لكنّه أقلّ اتّساعاً، وبعضها ضحلٌ وأوسع أيضاً، غير أنّها كلها لها ثقوبٌ متعدّدة. هناك ممرّات واسعة وضيّقة في داخل الأرض، واصلةً بعضها ببعض، ويتدفق منها ويدخل فيها الماء الجاري هناك وهو ماء غزير، مثلما هي حال أحواض الأنهار والبحار أو المحطيات، وجداول خفيّة ضخمة لأنهارٍ تدوم طوال السنة أيضاً. هناك ينابيع حارّة وباردة كذلك، ونار عظيمة، وأنهار كبيرة من النار، وجداول من الوحل السائل، رقيقة وكثيفة « مثل أنهار الوحل في جزيرة صقليّة؛ وجداول ممّا تقذفه حمم البراكين التي تتبعها ». أمّا المناطق التي يحدث أنّ تتدفّق حولها فهي ممتلئة بها. وهناك تمايل أو تأرجح في داخليّة الأرض التي تحرّك كل هذه صعوداً ونزولاً، وهذا ناشىء عن السبب الآتي: هناك صدعٌ أو فجوة هو الأوسع منها جميعاً ويخترق الأرض كلّا من أولها إلى آخرها؛ إنَّ

هذا الصدع هو الذي وصفه هوميروس بهذه الكلمات: « بعيداً جدّاً حيث يكون العمق الأوغل تحت الأرض »، والذي سمّاه هو في أماكن أخرى من عمله الشعريّ، كما سمّاه عدّةُ شعراء آخرين بالجحيم. وتُسبِّب هذا التأرجح الجداولُ المتدفّقةُ إلى هذا الصدع وخارجه. وكلٌّ منها له طبيعة الأرض التي يتدفّق منها. أمّا السبب الذي من أجله تتدفّق هذه الجداول على الدوام داخلاً وخارجاً، فهو أنَّ العنصر المائي ليس له أساس أو قاع، بل هو مُتَدَلٍّ ومندفعٌ صعوداً ونزولاً. ويفعل الريح والهواء المحيط الشيء عينه. إنّهما يتبعان الماء صعوداً أو نزولاً، باتّجاه الجانب الآخر من الأرض ثم العودة مرّة ثانية؛ وتماماً كما في عملية التنفّس، فإنّ الهواء يكون في عملية الشهيق والزفير دائماً، هكذا هو الريح المتأرجح مع الماء في الداخل والخارج محدثاً انفجاراتٍ مرعبة لا تُقاوم. عندما تنسحب المياه إلى المناطق السفلى، كما تسمّى، فإنّها تنساب في الجداول على الجهة البعيدة من الأرض، وتملأها مثلما يرتفع الماء في المضخّة، وبعدئذ حينما تغادر تلك المناطق وتعود مسرعة إلى هنا فإنها تملأ الجداول مرّة ثانية. وكون هذه ممتلئة، فإنّها تتدفّق من خلال القنوات الخفيّة تحت سطح الأرض وتجد طريقها إلى أماكنها المحدَّدة، مشكِّلةً البحار والبحيرات والأنهار والينابيع. ومن ثمّ هي تدخل الأرض مرّة ثانية، بعضها محدثٌ جولة دوريّة طويلة في أراضٍ كثيرة، بينما تذهب الأخرى إلى أماكن قليلة وليست ذات مسافة طويلة؛ وتهبط في الجحيم مرّة ثانية، بعضها في نقطة أكثر انخفاضاً، لكنّها جميعاً بدرجة أقلّ انخفاضاً من النقطة التي أتت منها؛ في حين أنَّ بعضها يسقط على الجانب المضادّ، وبعضها على الجانب نفسه. تحيط بعض الرياح بالأرض بانثناءٍ واحدٍ أو بعدّة انثناءات مثل طيّات الأفعى، وتهبط ثانية في الهوّة بعد هبوطها قدر ما تستطيع. إنَّ الأنهار التي تتدفق في كلتا الناحيتين يمكنها الهبوط إلى المركز

فقط وليس أبعد من ذلك، لأنّه سيكون على كلا الجانبين لمجراها اتجاه صعوديّ.

والآن فإنّ هذه الأنهار عديدة، وقويّة، ومتنوعة. هناك أربعة أنهار رئيسيّة منها، أعظمها وأقصاها يدعى أوقيانوس، وهو الذي يتدفّق دائرياً في دائرة. أمّا النهر الذي يضادّه بشكل قطريّ فهو آتشيرون، وهو نهر في الجحيم، الذي ينساب في اتّجاهٍ مضادٍّ ويمر في بحيرة آتشيروسيان. إنَّ هذه البحيرة تذهب إليها أرواح العديد بعد موتهم. وبعد انتظار لزمن محدد، هو أطول لبعضها وأقصر لبعضها الآخر، فإنّ هذه الأرواح تُرسَلُ عائدةً لتُولدَ كحيواناتٍ مرّة ثانية. أمّا النهر الثالث فهو يمرُّ بين هذين النهرين الإثنين ويصبّ قرب المكان المخرج في منطقةٍ ناريَّةٍ واسعة ويشكّل بحيرةً أكبر من البحر الأبيض المتوسّط، ماؤها ووحلها يغليان؛ ويتقدم موحلاً ومضطّرباً، وملتفاً حول داخليّة الأرض، ثم يأتي من بين الأماكن الأخرى، إلى أطراف بحيرة آتشيروسيان، لكنّه لا يختلط مع مياه البحيرة. وبعد أن يدور عدّة دورات حول الأرض يغوص في الجحيم بمستوىً أعمق. إنّ هذا النهر هو نهر بيريفلاكيثون، كما يُدعى الجدول الذي يقذف الحمم الملتهبة إلى أعلى في أجزاءٍ مختلفةٍ من الأرض. أمّا النهر الرابع فيخرج من الجهة المضادّة ويسقط أولها جميعاً، كما يقال، يسقط في منطقةٍ مخيفة وقاسية، تأخذ لون الأزرق الغامق بمجملها، مثل حجر اللازورد السماويّ الزرقة؛ وتسمّى هذه المنطقة ستيجيان، وتدعى البحيرة الّتي تشكّلها مياهه المتدفّقة ستيكس. وبعد سقوطه في البحيرة وتلقّيه لقوىً غريبة في المياه يمرّ تحت الأرض منعطفاً باستدارةٍ عكس جهة بيريفلاكيثون ويلتقي معه في بحيرة استيروسيان في الجهة المقابلة. ولا يمتزج ماء هذا النهر مع أيّة مياه أخرى أيضاً، بل ينساب ماؤه دائريّاً ويهبط في الجحيم فوق نهر بيرفلاكيثون وضدّه. أمّا إسم هذا النهر، كما يقول الشعراء، فهو كوكيتوس.

هذه هي طبيعة العالم الآخر. وعندما يصل الأموات إلى المكان الذي يقودهم إليه العبقريّ، كلٌّ بمفرده، يسلمون أنفسهم إلى المحاكمة قبل كلّ شيء، بقدر ما عاشوا بصلاحٍ وتقوى أو عكس ذلك. وهؤلاء الذي يبدون أنّهم لم يعَيشوا لا جيّداً ولا سيّئاً، يذهبون إلى نهر آتشيرون، ويمكننا أن نتخيَّل أنّهم يركبون على متن القوارب التي وجدوها هناك، والتي ستحملهم إلى البحيرة، وهناك يسكنون ويُطهَّرون من أعمالهم السيّئة، ثم يُغفَرُ لهم بعد أن يُقاسوا عقوبة الأخطاء التي فعولها للآخرين ويتسلّمون الجوائز عن أعمالهم الخيِّرة، كُلٌّ منهم طبقاً لِمَا هو أهلٌ له. لكنّ أولئك الذين يبدون أنهم غير قابلين للشفاء بسبب عظم جرائمهم ـ الذين اقترفوا عدّة أعمالٍ مريعة بتدنيس المعابد والمقدَّسات الدينيَّة، والعديد من الجرائم الشنيعة والعنيفة، أو ما شابهها ـ فيقذف هؤلاء إلى الجحيم بعنف، الذي هو قدرهم المناسب، ولن يخرجوا منه أبداً. ويقذف في الجحيم مرّة ثانية هؤلاء الذين ارتكبوا الجرائم، والتي مع أنها كبيرة، ليست من النوع الذي لا يمكن معالجته ـ كمثال، الذين قاموا بأعمال عنيفة لأمٍّ لهم أم أبٍ في لحظة غضب، والذين ندموا على ذلك لبقية حيواتهم، أو الذين أزهقوا أرواح الآخرين تحت حالاتٍ مبرَّرةٍ جزئياً مثلها ـ ويُجبرون كذلك على مقاساة الآلام لمدَّة سنة، لكن الأمواج تقذفهم خارجه في نهايتها ـ القتل المجرَّد بطريقة كوكيتوس. أمَّا قتلة آبائهم وأمهاتهم أو أحد أقرانهم الأدنين، وقاتل أمه وقاتلة أمّها فبطريق بيريفلاكيثون. وهُمْ يُولدون في بحيرة آتشيروسيان، ويرفعون أصواتهم هناك ويستدعون الضحايا الذين إمَّا ذبحوهم أو أخطأُوا بحقهم، كي يحوزوا عطفهم وشفقتهم، وأن يتلطفوا بهم، ويدعوهم كي يخرجوا من البحيرة. وإذا ما فازوا، فسيخرجون وينقطعون من قلقهم ومشاكلهم؛ وإلاّ فسيُحملون إلى الجحيم مرّة ثانية ومن ذلك المكان إلى

الأنهار بدون انقطاع، حتى يمنحهم الرحمة أولئك الذين إرتكبوا الأخطاء بحقّهم، لأنّ هذه هي العقوبة التي أنزلها عليها قضاتهم. لكنّ أولئك الذين كانوا سبّاقين في التقوى خلال حياتهم فيُعتقون من هذا السجن الأرضيّ، ويذهبون إلى بيتهم النقيّ الصافي الذي هو في الأعالي، ويسكنون على الأرض الحقيقية. ومن هؤلاء الذين طهَّروا أنفسهم بالفلسفة كما ينبغي، يعيشون من الآن فصاعداً بدون الجسم تماماً، في منازل أجمل لا تزال، والتي لا يمكن وصفها بسهولة، ولا يسمح الوقت لي لأصفها الآن. ولذلك، يا سيمياس، بما أنّنا شاهدنا كلّ هذه الأشياء، ماذا ينبغي علينا فعله كي نتمكّن من الحصول على الفضيلة والحِكمة في هذه الحياة؟ إنَّ الجائزة لعادلة، وإنَّ الأمل لعظيم!

لا ينبغي على إنّسانٍ ذي إدراك أنْ يجزم أنَّ الوصف الذي أعطيته عن الروح وعن منازلها هو حقيقيّ بالضبط؛ لكنّني أقول إنّه، بقدر ما تكون الروح مبيَّنةً أنّها خالدة، عليه أن يعتقد مجازفةً، ليس بدون تناسب أو بدون استحقاق، أنّ شيئاً ما من هذا النوع هو حقيقيّ. إنَّ المجازفة مجيدة ورائعة، ويلزمه أن يشجّع ويريح نفسه بكلماتٍ مثل هذه، والتي أطلْتُ قصّتي بسببها. ومن أجل ذلك، فإنّني أقول دع الإنسان يبتهج فيما يخصّ روحه، الإنسان الذي هجر ونبذ ملذّات الجسد وزخارفه كأشياء مغايرة وغريبة عليه والتي تسبب له الأذى بدلاً من الخير، الإنسان الذي نشد وطلب المعرفة؛ ونظَّم الروح ليس في زخرفٍ غريبٍ ما، بل في جواهرها المناسبة الخاصّة: الاعتدال، والعدل، والشجاعة، والنبل، والحقيقة - في هذه تتحلّى الروح وتكون جاهزة لتواصل رحلتها إلى العالم السفليّ. أنتما، يا سيمياس وسيبس، وأنتم أيّها الآخرون، سترحلون في وقتٍ ما أو في وقتٍ آخر. أمّا أنا فجاهزٌ، كما يقول شاعر المأساة. إنَّ صوت القضاء والقدر يستدعيني. سأشرب السم

قريباً؛ وأعتقد بأنّ عليَّ أن أذهب لأغسل جسدي أوّلاً كي لا أزعج النساء بغسله بعد موتي.

قال كريتون، بعد أن أنهى سقراط كلامه: وهل لديك أيّة أوامر كي تصدرها لنا، يا سقراط - أيّ شيء لتقوله بشأن أطفالك، أو بخصوص أيّة مسألةٍ أخرى نقدر أن نقدّم لك خدمة فيها؟

سقراط: لا شيء خاصّاً، يا كريتون، بل ما أخبرتكم إيّاه على الدوام: أن تهتمّوا بأنفسكم وتعتنوا بها، تلك هي الخدمة التي يمكنكم تقديمها لي ولمن يخصّني ولأنفسكم بشكل دائم، سواء أكنتم تعدونني بفعل ذلك أم لا، لكنّكم إذا لم تفكّروا بأنفسكم، ولم تهتموا بالسير في مسلك الحياة الذي أبنته لكم، وهذه ليست المرة الأولى، بل لمتابعةٍ سابقةٍ حثيثةٍ، إذن فإنكم مهما يمكن أن تكونوا جدّيين في وعدكم بهذه اللحظة، فإنّ هذا التوجه لن يكون بذي نفعٍ أو فائدة.

كريتون: إنّنا سنفعل أفضل ما نقدر عليه. بأيّة طريقة سوف نتولّى دفن جسدك؟

سقراط: بأيّة طريقة تحبّ؛ لكنّكم باديء ذي بدء، عليكم أن تُمسِكُوا بي، وأن تحاذروا كي لا أفلت منكم. [استدار إلينا بعدئذ، وأضاف قائلاً بابتسامة] إنّني لا أستطيع أن أجعل كريتون يصدّق بأنّي أنا سقراط ذاته الذي قد تكلّم وأدار المحاورة؛ يتوهّم هو بأنّني سقراط الآخر الذي سيراه قريباً جثّة هامدة - ويسأل حقاً، كيف سيواري جسدي؟ وبرغم ذلك فلقد قلت كلمات عديدة، وهي التي سعيت بواسطتها أن أبيّن أنه عندما أشرب السّمّ فإنّي سأترككم وأذهب إلى السعادات المباركة - إنّ كلماتي هذه التي آسيتكم وآسيت نفسي بها، لم يكن لها أيّ تأثير على كريتون، كما أتصوّر. ولهذا السبب، فأنا أريد منكم أن تكونوا كفلائي له الآن، كما كان هو كفيلي عند المحاكمة أمام القضاة. لكن اسمحوا لي أن يكون الوعد من نوعٍ

آخر: فهو كان كفيلي أمام القضاة في أن أبقى، وأنتم ينبغي أن تكونوا كفلائي في أن لا أبقى بل أن أبتعد وأرحل؛ وعندئذ فهو سيعاني أقلّ حين وفاتي، ولن يحزن عندما يرى جسدي محروقاً أو مدفوناً. إنّني لا أريده أن ييأس لقَدَري الصعب، أو أن يقول أثناء الدفن، هكذا نحن كفَّنّا سقراط، أو سنتبعه إلى القبر أو ندفنه، بل تأكَّد جيداً، يا عزيزي كريتون، أنّ الكلمات المزيَّفة والباطلة ليست شرّاً في نفسها فقط، بل هي تُلوِّث وتُفسد الروح بالشرّ. لكن كن مبتهجاً وسعيداً آنئذ وقل بأنّكم تدفنون جسدي فقط، وافعلوا بذلك كلّ ما يكون اعتيادياً.

حينما تكلَّم بهذه الكلمات، نهض وذهب إلى الحجرة يستحمّ. تبعه كريتون وطلب منا أن ننتظر، وهكذا بقينا نحن في المؤخّرة، وتكلّمنا وفكّرنا في موضوع النقاش، وفي جسيم خسارتنا أيضاً بغياب سقراط. إنّه كان مثل أبٍ وهو الذي سنفتقده، خاصّة وأنّنا على وشك أن نمضي بقيّة حيواتنا كاليتامى. بعد أن اغتسل أحضروا له أولاده ـ « كان لديه ابنان فتيان وآخر أكبر منهما قليلاً »؛ وأتت نساء عائلته أيضاً وتكلّم هو معهنّ وأعطاهنّ توجيهات قليلة في حضور كريتون؛ ثم دعاهنّ إلى الانصراف وعاد إلينا.

[اقتربت فترة الغروب، ومضى وقت ليس بقليل وسقراط في الداخل. وعندما خرج، جلس معنا مرّة ثانية بعد أن استحمّ، لكنّنا لم نقل شيئاً كثيراً. بعد ذلك بقليل دخل السجّان الذي وقف بجانبه، وقال: ـ إليك، يا سقراط أوجّه كلامي، بعد أن أمضيت ما أمضيته من وقتٍ هنا، أعرف بأنّك أنبل وألطف وأفضل من جميع الذين أتوا إلى هذا المكان على الإطلاق. إنّني لن ألصق تهمة بشعور الرجال الآخرين لغضبهم، والذين عندما آمرهم بشرب السمّ، في امتثالٍ لأوامر السلطات، يغتاظون منّي ويحنقون عليّ ويشتمونني ـ حقاً، إنّي لمتأكّد أنّك لست بغاضبٍ عليّ، لأنّ

الآخرين هم الملامون، كما تدرك، ولست أنا. وهكذا فإنّني أستودعك الله، وحاوِل أن تتحمَّل بسموٍّ ما هو بحاجةٍ للفعل وما ينبغي أن يكون. تعرف أنت مهمَّتي. إنفجر بالبكاء بعدئذ ثم استدار وهمّ بالخروج من المكان].

نظر سقراط إليه وقال: إنّني أُقابلك بتمنيات الخير، وسأفعل كما تأمرني. إستدار إلينا آنئذ، وقال، كم هو مدهش هذا الإنسان: فمنذ كنت في السجن كان يأتي إليّ ليراني، وكان يتكلّم معي بعض الأحيان، ويعاملني أحسن معاملة يمكن تأديتها. وانظروا الآن كم هو يتأسّف ويحزن بعمقٍ وسخاء من أجل قضيتي. يجب علينا أن نفعل ما يقول، يا كريتون، ولذلك دع الكأس تُجلَب، إذا كان السّمّ جاهزاً، وإلاّ فدع الخادم يجهّز بعضه.

قال كريتون: لكنّ الشمس لا تزال على قمم المرتفعات، ولم تغرب بعد. إنّني أعرف العديد من الرجال الذين يتناولون الجرعة بعد وقتٍ طويلٍ من إبلاغهم بشرب السمّ، وبعد أن يأكلوا ويشربوا حتى الإمتلاء، وبعد أن يتمتَّعوا بالاجتماع إلى أصدقائهم المختارين؛ لا تتعجَّل ـ هناك متّسع من الوقت.

قال سقراط: نعم، يا كريتون، إنَّ من تتكلّم عنهم يقومون بعملٍ منطقيّ، وهم يعتقدون بأنّهم سيكنون الرابحين بالتأخير. لكن أنا أعمل بطريقةٍ منطقيّة مماثلة بعدم اتّباعي لمثلهم. فأنا لا أعتقد بأنّني سأكسب أيّ شيء بشربي للسمّ بعد قليل؛ بل سأكون مضحكاً في نظري لاستبقائي وإنقاذي لحياةٍ لم يعد منها إلاّ الحثالة منذ وقتٍ مضى. من فضلك إذن أن تفعل كما أقول، وأن لا ترفض ذلك.

[أعطى كريتون. إشارة إلى الخادم، الذي كان متنظراً وذهب إلى الخارج. وبما أنّه قد غاب لبعض الوقت، عاد مع السجّان حاملاً فنجان السمّ]. قال سقراط: أنت، يا صديقي الطيّب الذي عندك خبرة في هذه المسائل، سوف

تعطيني التعليمات كيف سأتقدَّم. أجاب الرجل: ما عليك إلاَّ أن تسير بعد أن تشرب السمّ حتى تصبح رجلاك ثقيلتين واضطّجعْ بعدئذ، وسيقوم السمّ بعمله. [ناول الكأس إلى سقراط في الوقت عينه، الذي أخذه، بكلّ سهولة بألطف أسلوب، بدون أدنى خوف أو تغيير في اللون أو المحيَّا أو الصورة، ونظر إلى الرجل بانحرافٍ وبنظرته المازحة المعروفة]، وقال: ماذا تقول بخصوص سكب بعضٍ من هذا الفنجان تكريماً لأيٍّ إله؟ أيمكنني فعل ذلك، أو أنه لا يمكنني؟ أجاب الرجل: نحن نحضر من هذا السم، يا سقراط، ما نعتقد أنّه كافٍ لهذا الغرض تماماً. قال سقراط: إنّني أفهم ما تعني. لكن يمكنني، بل يجب عليَّ أو أودّي صلاة للآلهة كي يجعلوا رحلتي ناجحة ومزدهرة من هذا العالم إلى العالم الآخر ـ حتّى هكذا ـ ولتكن هكذا طبقاً لصلاتي. كتم سقراط أنفاسه بعدئذ وشرب السمّ بكل استعداد تامّ وبفرح. وحتى تلك اللحظة فإنّ أكثرنا كان قد قدر على أن يضبط أحزانه؛ لكن بعد أن رأيناه يشرب السمّ، وشاهدنا أيضاً أنّه أنهى الجرعة كلّا، لم يعد باستطاعتنا أن نتحمَّل ونتجمَّل بالصبر. وبالرغم منّي فإنَّ دموعي انهمرت على خديَّ بغزارة؛ وهكذا غطَّيت وجهي وبكيت، ليس من أجله حقاً، بل من التفكير بكارثتي المفجعة في انفصالي عن صديق كهذا. ولم أكن أنا أوَّل من فعل هذا لأن كرتيون، عندما وجد نفسه بأنّه غير قادرٍ على أن يكبت دموعه، نهض من مكانه ومشى، ثم تبعته بعد ذلك. وفي تلك اللحظة، فإنّ أبولودوروس الذي بكى الوقت كلّه، انفجر في صراخٍ عالٍ ومشبوبٍ بالعاطفة حطَّمنا جميعاً. سقراط فقط حافظ على هدوئه وقال: ما هذا الصياح العالي؟ إنّني أبعدت النساء عن هذا المكان بشكلٍ رئيسي كي لا يتصرَّفنَ بهذه الطريقة، لأنَّني قد أُخبرتُ أنَّ على الإنسان أن يموت بسلام. كونوا هادئين إذن، وتحمَّلوا ذلك بثباتٍ وجَلَدٍ. خجلنا منه عندما

سمعنا كلماته، وحبسنا دموعنا. ثم مشى حتّى، كما قال هو، بدأت ساقاه تَهِنان وتضعفان، وتمدَّد على ظهره بعدئذ، طبقاً للتعليمات. نظر الرجل الذي أعطاه السمّ في قدميه وساقيه آنئذ، وبعد ذلك بقليل ضغط على قدمه بشدَّة، وسأله إن كان يستطيع أن يشعر؛ فقال لا، ثم ضغط على ساقه، وهكذا على كل أنحاء جسمه، وأرانا بأنّه أصبح بارداً وقاسياً، ولقد شعر هو بنفسه بذلك، وقال: عندما يصل السمّ إلى القلب، فستكون النهاية. وابتدأ ساعتئذ يمسي بارداً حول أصل الفخذ. وحينما أزاح الغطاء عن وجهه، لأنّه كان قد غطّاه، قال، وكانت تلك كلماته الأخيرة - قال: يا كريتون، إنّني مدينٌ بكوك لآيسوكلابيوس، هل ستتذكَّر أنّ تدفع ديني هذا؟ إنَّ الدين سيُدفع، قال كريتون؛ أيوجد أيّ شيء آخر؟ لم يكن هناك جواب على هذا السؤال؛ لكن سُمِعَتْ حركة في دقيقة أو دقيقتين، وأزاح الخادم الغطاء عنه؛ كانت عيناه مفتوحتين. أطبقهما كرتيون كما أطبق فمه.

هكذا كانت يا ايخيكريتس، نهاية صديقنا؛ فيما يختصّ بالذي يمكننا أن نقول عنه بصدق أنّه كان الأعقل والأعدل والأفضل من كلّ الرجال الذين عرفناهم في زماننا.

الهوامش

(١)الالياذة

(٢) الالياذة

(٣) الالياذة

(٤) في الاساطير اليونانية، المكان المظلم تحت الارض الذي يمر من خلاله الموتى قبل ان يدخلوا الى الجحيم.

(٥) الاوديسي

(٦) الالياذة

(٧) الالياذة

(٨) الجمهورية

(٩) الاوديسي

(١٠) الاوديسي

(١١) الالياذة

(١٢) هيسيود، الاعمال والايام

(١٣) الالياذة

(١٤) اختصار لاسم ديوسيودوروس الطويل

(١٥) وحدة وزن او نقد قديمة

(١٦) نقد ذهبي او فضي قديم في دولة ـ مدينة اغريقية « المعرّب ».

(١٧) ارسطو، السياسة

(١٨) ثياتيتوس

(١٩) ارسطو. « المعرّب ».

(٢٠) ثيوجينز

(٢١) ثيوجينز

(٢٢) محاورة يوثيفرو

(٢٥) الميناء وحدة وزن قديمة تساوي ١ ـ ٢ باوند

(٢٦) في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، كانت الدراخما تساوي قوتها الشرائية بشكل عام، حوالي ١٤ شلنغ في العملة البريطانية الحاضرة. « المعرّب ».

(٢٧) هوميروس

(٢٨) ابولوجي

(٢٩) ابولوجي

(٣٠) فيدروس

(٣١) ابولوجي

(٣٢) زوجة سقراط

(٣٣) فيلولوس، فيلسوف فيثاغوري

(٣٤) الجمهورية

(٣٥) مينون

(٣٦) ابولوجي أو دفاع سقراط

(٣٧) الجمهورية

(٣٨) الجمهورية

(٣٩) آرغوس، مدينة قديمة في الشمال الشرقي من بلاد اليونان

(٤٠) كاتب مأساة يوناني، عاش من ٥٢٥ ـ ٤٥٦ق.م.

